بسم الله الرحمن الرحيم

إنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي

الإصلاح الحسيني

مجلة فصلية متخصصة في النهضة الحسينية وتعنى بالدراسات الدينية

تصدر عن

مؤسسة وارث الأنبياء للدراسات التخصصية في النهضة الحسينية

قسم الشؤون الفكرية والثقافية / العتبة الحسينية المقدسة

العدد الثالث عشر

السنة الرابعة (١٤٣٧ هـ ـ ٢٠١٦م)

الإصلاح الحسيني

مجلة فصلية متخصصة في النهضة الحسينية وتعنى بالدراسات الدينية

الهيئة الاستشارية

آية الله الشيخ محمد السند

آية الله الشيخ محمد جواد فاضل اللنكراني

آية الله السيّد رياض الحكيم

آية الله السيّد عادل العلوي

آية الله السيّد منير الخباز

العلّامة الدكتور الشيخ محمد باقر المقدسي

العلّامة الشيخ عبد المهدي الكربلائي

الإصلاح الحسيني

رئيس التحرير: .....*

الشيخ قيصر التميمي

مدير التحرير: .....*

الشيخ صباح عبّاس الساعدي

هيئة التحرير: .....*

الشيخ ثناء الدين الدهلكي

د. الشيخ محمد الكروي القيسي

الشيخ أسعد التميمي

د. الشيخ حيدر الساعدي

الشيخ ميثم الربيعي

المقابلة وتقويم النص: .....*

الشيخ عدنان الطائي

الشيخ عصام السعيد

الشيخ مصطفى الدالي

التصميم والإخراج الفنّي: .....*

السيّد صادق الحيدري

الشيخ حسين المالكي

عبد الزهرة الطائي

معتمد الترجمة الإنجليزية: ...*

بدر شاهين

الإشراف العام: .....*

سماحة الشيخ علي الفتلاوي

التنسيق العام: .....*

السيّد صالح التنكابني

د. علي البديري

زيد فرج اللّه الأسدي

مريم هادي الياسري

إدارة المؤسّسة: .....*

الشيخ باقر الساعدي (النجف الأشرف)

الشيخ رافد التميمي (قم المقدّسة)

معاونية المؤسّسة: .....*

الشيخ عبّاس الحمداوي (النجف الأشرف)

الشيخ حيدر الأسدي (قم المقدّسة)

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (١٩٢٤) لسنة ٢٠١٣م

الترقيم الدولي: ISSN: 978-964-984-240-7

هوية المجلّة

مجلّة علمية فصلية تخصّصية تُعنى بالبحوث المتخصّصة في مجال النهضة الحسينية، وكذا الدراسات العلمية في حقول المعرفة الدينيّة. تصدر عن مؤسّسة وارث الأنبياء للدراسات التخصّصية في النهضة الحسينية في النجف الأشرف وقم المقدّسة.

اهتمام المجلّة

تهتمُّ المجلّة بنشر معالم وآفاق الفكر الحسيني وتسليط الضوء على تاريخ النهضة الحسينية وتراثها، وكذا إبراز الجوانب الإنسانية والاجتماعية والفقهية والأدبية في تلك النهضة المباركة.

كما تهتمُّ المجلّة أيضاً باستقطاب ونشر البحوث والدراسات الدينية التخصّصية ذات الجوانب التجديدية والإبداعية، وذلك في كافّة الحقول والمجالات، فتمتدّ لتشمل الدراسات القرآنية والعقدية والفكرية والتاريخية والفقهية، وكذا ما يرتبط بالتراث الديني من الأدعية والزيارات والنصوص الدينيّة بشكلٍ عام.

فالمجلّة تتطلّع لاستيعاب جميع المجالات المهمّة والحسّاسة في أبواب العلوم والمعارف الدينية، شريطة أن تكون البحوث والدراسات متضمّنة لجوانب من الإبداع والحداثة والتجديد، مع حفظ روح الأصالة والتأسيس.

أهداف المجلّة

١ـ إعطاء رؤية واضحة حول معالم النهضة الحسينية من خلال البحوث والدراسات.

٢ ـ نشر أهداف وثقافة النهضة الحسينية.

٣ ـ إحياء التراث الديني والحسيني.

٤ ـ فتح نافذة علمية لتفعيل جانب الإبداع والتجديد والتأصيل الفكري في كافة حقول المعرفة الدينية.

٥ ـ الانفتاح على الواقع العلمي والفكري لدى العلماء والأساتذة والمفكِّرين.

٦ـ استثمار الأقلام الرائدة، وتطوير الطاقات العلمية الواعدة، واستقطاب البحوث والدراسات والمقالات العلمية القيّمة لنشرها تعميماً للفائدة.

٧ ـ فسح المجال أمام الباحثين والمفكِّرين لنشر بحوثهم ودراساتهم؛ لتكون المجلّة رافداً من روافد تزكية العلم والمعرفة.

٨ ـ التصدّي للإجابة عن الشبهات والإشكاليات والقراءات غير الموزونة حول الدين بصورة عامّة والنهضة الحسينية بصورة خاصّة.

ضوابط النشر

تدعـو المجلّة العلماء والأسـاتذة والباحثـين وكل مَن لديه اهتـمام في مجال الكتابة والتحقيق إلى رفدها بنتاجاتهم القيّمة، على أمل ملاحظة الأُمور التالية:

- أن تكون البحوث مرتبطة باختصاص الـمجلّة وأركانها.
- ألّا تكون منشورة أو بصدد النشر في كتاب أو مجلّة.
- أن تكون ضمن المناهج العلميّة المتَّبعة.
- أن تكون بحوثاً مبتكرة وبلغة معاصرة.
- أن يكون البحث على قرص ليزري فيما لو كان منضداً.
- حقوق النشر محفوظة.
- الأفكار المطروحة لا تعبِّر بالضرورة عن رأي الـمجلّة.
- لا تعاد البحوث لأصحابها نُشِرَت أم لم تُنشَر.
- يخضع ترتيب البحوث لاعتبارات فنيّة.
- إجراء التعديلات والتلخيصات اللازمة من صلاحيات الـمجلّة.
- للمجلّة حق إعادة نشر البحث أو المقال في كتاب أو ضمن كتاب منفصل، مع الحفاظ على نصه الأصلي.
- كل ٢٥٠ كلمة تحسب صفحة واحدة.
- تتّبع الـمجلّة نظام المكافآت لأصحاب البحوث.
- تعتبر الأولوية في الـمجلّة للمقالات والبحوث الحسينيّة.
- الـمجلّة غير ملزمة بنشر ما يقل عن ١٥ صفحة أو يزيد عن ٣٠ صفحة.

مراكز النشر

* النجف الأشرف: الروضة الحيدرية ـ معرض الكتاب الدائم.

* النجف الأشرف: شارع الرسول صلى الله عليه وآله ـ مكتبة دار الهلال.

* النجف الأشرف: قرب مشروع الماء ـ مكتبة العراق الجديد.

* النجف الأشرف: سوق الحويش ـ دار الغدير.

* كربلاء المقدّسة: المعرض الدائم في العتبة الحسينيّة المقدّسة.

* بغداد: شارع المتنبّي ـ مكتبة العين.

* البصرة: العشّار ـ مكتبة الإمام الهادي عليه السلام.

* إيران / قم المقدّسة: صفائية ـ سوق الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف ـ مكتبة فدك.

* إيران / قم المقدّسة: سوق كذرخان ـ مكتبة الهاشمي.

المحتويات

مقال التحرير

مسيرة الإصلاح في الشعائر الحسينيّة

الشيخ قيصر التميمي ١١

ملف العدد

الشعائر الحسينيّة.. تأريخ وتطوّر(٢)

الحاضنة التاريخية لمراسم عزاء الإمام الحسين عليه السلام عند أهل السنّة

الشيخ رسول جعفريّان ٣١

الشعائر الحسينية.. آثار ونتائج

د. الشيخ محمد الكروي القيسي ٥٩

الشعائر الحسينية في العصر الصفوي.. عرض وتوصيف

د. الشيخ حيدر خماس الساعدي ٨٧

تطور المراسم الحسينية في كتاب تراجيديا كربلاء.. نقد وتحليل

الشيخ صباح عباس الساعدي ١٠٥

تاريخ الشعائر الحسينية في دراسات المستشرقين.. الألماني المعاصر (هاينس هالم) أُنموذجاً (دراسة نقدية)

الشيخ أسعد التميمي ١٢٩

دور المرجعية في حفظ الشعائر الحسينية
مصطفى ماجد الدالي ١٥٣

الشعائر الحسينية عند النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام.. التأسيس والتأصيل (قراءة تأريخية)
د. الشيخ محمد الحلفي ١٧٥

محاربة الأنظمة المستبدة للشعائر الحسينية عبر التاريخ.. الأساليب والدواعي
محمد الدومي ٢٠٩

دراسات حسينيّة

معالم الدور الإعلامي للعقيلة زينب عليها السلام في نهضة عاشوراء.. دراسة تحليلية
نُهى القطراني ٢٣٣

واقعة الطف في الشعر القصصي الحديث.. دراسة مقارنة في تقنية الراوي
أ. م. د. علي مجيد البديري ٢٧١

شهداء الطف.. أسماءٌ وقع الاختلاف في صحبتها للنبي صلى الله عليه وآله
الشيخ عبد الرزاق النداوي ٢٨٧

فقه التربة الحسينية (القسم السادس)/ بيع وشراء التربة الحسينية، والتحنيك بها وإهداؤها
الشيخ أحمد موسى العلي ٣٠٩

خلاصة المقالات

خلاصة المقالات باللغة العربيّة والإنجليزية ٣٣٥

مقال التحرير

مسيرة الإصلاح
في الشعائر الحسينيّة

مسيرة الإصلاح في الشعائر الحسينيّة[1]

الشيخ قيصر التميمي *

تمهيد

إنّ حديث الإصلاح في الشعائر الحسينية له عراقته وجذوره الممتدّة بامتداد الوجود المبارك لأتباع أهل البيت عليهم السلام، وخصوصاً في ظل طيف متنوّع من الحكومات الشيعيّة أو المتعاطفة ظاهراً مع مذهب أهل البيت عليهم السلام التي حكمت بعض البلدان الإسلاميّة، كالدولة البويهية والفاطمية والحمدانية والصفوية والقاجارية.

ولكن يبدو أن حركة الإصلاح هذه قد تشكّلت بصورة واضحة ومعلنة وفي إطار منهجيّة علمية مدروسة منذ أربعة قرون تقريباً، وتحديداً في مطلع القرن العاشر الهجري، وفي بدايات عصر الحكم الصفوي، ولعلّ الرائد الأبرز لهذه الحركة الإصلاحيّة هو كمال الدين حسين بن علي الواعظ الكاشفي المتوفَّى سنة (٩١٠هـ)[2]، وخصوصاً بلحاظ ما دوّنه في كتابه الشهير (روضة الشهداء)، الذي كتبه سنة (٩٠٨هـ)، حيث كان هذا الكتاب ـ الفريد من نوعه والمتميّز في مجاله ـ دستوراً مقدّساً بيد المختصّين والمهتمّين ببناء وتطوير وتوسعة الشعائر الحسينيّة،

---

(١) محاضرة أُلقيت في جامعة الكوفة/ كلّية التربية للبنات، في ندوة علمية مشتركة بين مؤسسة وارث الأنبياء للدراسات التخصصية في النهضة الحسينية والكلّية، بعنوان: (الشعائر الحسينية بين الواقع المعاش والطموح المنشود).

* أُستاذ في الحوزة العلمية، رئيس تحرير مجلّة الإصلاح الحسيني، من العراق.

(٢) من الجدير بالالتفات أن هذا الرجل مُختلَف في مذهبه وتوجّهاته الفكريّة والعقديّة. أُنظر: الأمين، محسن، أعيان الشيعة: ج٦، ص١٢٢.

وخصوصاً في مجال القصّة ورواية المقتل الحسيني، حيث أضاف من القصص والحكايات العاشورائية ما لا تجده إلّا في هذا الكتاب[1].

واستمرّت حركة الشعائر على هذا النمط التنموي التوسّعي إلى القرن الثالث عشر الهجري، حيث بدأت بعدها مرحلة جديدة وواسعة في تنمية الحركة الشعائرية، ففي النصف الأول من القرن المذكور تقريباً، وفي عهد الملك فتح علي شاه (١١٨٣-١٢٥٠هـ) انطلقت البدايات من الفتاوى المعروفة والمشهورة للميرزا القمي المتوفَّى سنة (١٢٣١هـ)، حول جواز ومشروعيّة إقامة التشابيه والمسرح الحسيني، وهكذا الفتاوى الأُخرى المنسوبة إليه في هذا المجال، كما يُنسب إليه ذلك في كتابه (جامع الشتات)[2].

ثم توسّعت هذه الحركة الإصلاحية في النصف الثاني من القرن المذكور، ويمكننا أن نبتدئ هذا التاريخ بالحركة الواسعة والميدانيّة للفاضل الدربندي في مجال الشعائر الحسينيّة، وهو صاحب كتاب (إكسير العبادات في أسرار الشهادات)، والمتوفَّى سنة (١٢٨٥هـ)، حيث تصدّى لدعم التوسعة والتطوير والتنويع في الشعائر الحسينيّة، في ظل الحكومة القاجارية في عهد الملك ناصر الدين شاه (١٢٤٧-١٣١٣هـ)، وبأُسلوب اجتهادي فريد من نوعه، فكانت الحركة الإصلاحية للشعائر بنظره ينبغي أن تقع في سياق توسعة رقعة ما قد يُسمّى بالسُّنن الحسنة في هذا المجال، وهناك مجموعة كبيرة من العلماء والخطباء المعاصرين له اتخذوا ذات المنهج في التعامل مع

(١) أُنظر على سبيل المثال: ص٤٩٥ من الكتاب وما يليها من القصص والحكايات التي تفرّد المؤلّف بروايتها. الكاشفي، حسين، روضة الشهداء، ترجمة وتحقيق وتعليق: محمد شعاع فاخر. وقد استُحدِثت جملة من المراسم الحسينيّة استناداً إلى بعض تلك القصص والحكايات.

(٢) هذا هو المشهور والمنسوب إليه، وقد بحثنا كثيراً في النسخة المعتمدة لكتاب جامع الشتات، وكذا غيره من كتب الميرزا القمّي، فلم نجد فيها سؤالاً ولا جواباً يرتبط بخصوص الشعائر الحسينيّة، وإنما طرق الميرزا شعائر الإسلام عموماً وبصورة عابرة ومرّ عليها مرور الكرام. وربّ مشهور لا أصل له، أو بقي في الصدور ولم يدوّن، أو إننا قصرنا عن تحصيل ما وجده الآخرون في مضانّه، أو أن هناك نسخاً أُخرى لم نقف عليها. أُنظر: الميرزا القمي، أبو القاسم، جامع الشتات: ج١، ص٣٧٢-٣٧٣.

الشعائر وسُبل تطويرها.

ومـن الأمثلة على ذلـك قول الدربندي قدس سره: «**فاعلم أن قضيـة نطح زينب بنت أمير المؤمنـين رأسـها بمقدّم المحمـل، بحيث إنه جُرح وجرى الدم منه، يكشـف عن فحوى أن ما لا يجوز فعله في مصيبة غير آل محمد ـ من الجزع الشـديد، وشـّق الثياب والجيوب، ولطـم الصدور وخمش الوجوه، وحثو التراب والرماد عـلى الرؤوس وضربها بالأكف، وتلطّخ الوجه والجسد بالوحل، والألوان المسودة وما يشبه ذلك ـ يجوز فعله في مصائب آل محمد صلى الله عليه وآله، ولا سـيّما في مصائب سـيد الشهداء روحي له الفداء... بل يمكن أن يُقال: إن جواز كلّ ذلك ـ بل استحبابه ـ مما عليه السيرة والضرورة من المذهب**»[1].

ومـن ذلـك أيضـاً قوله قدس سره: «**وأمـا الـكلام في مثل جرح الـرؤوس أو الصـدور بآلة مـن الحديـد أو نحو ذلك، فمما يُعلـم تحقيق الحال فيه في بعـض المجالس، وهو المجلس المتضمّـن لقضية نطـح الصديقة الطاهرة زينب بنت أمير المؤمنين عليه السلام رأسـها في حضور الإمام على خشـب الهودج**»[2]. فجاءت هذه العبارات وغيرها لترسـم الملامح الأُولى للتأسـيس الفكري والاجتهادي في مجال توسـعة مساحة الشعائر الحسينيّة، والتدليل عليها بالأدلّة الشرعيّة والنصوص الدينيّة.

لكن، وفي حركة شـبه معاكسـة ومعاصرة أو متأخرة بطبيعة الحال، تصدّى بعض العلماء لما يرونه مخالفاً للشـؤون الحسـينية، ولعلّنا نضع في صدارتهم المحدّث النوري المتوفَّى سـنة (١٣٢٠هـ)، وعلي بن محمّد تقي القزويني المتوفَّى بعد سـنة (١٣٢٤هـ). فقـد تحـدّث النـوري كثـيراً عن إصـلاح المنبر الحسـيني وتهذيـب جملة من الشـعائر الحسينية، خصوصاً في كتابه (اللؤلؤ والمرجان) المعرّب من اللغة الفارسيّة[3]، وهكذا القزوينـي في كتابه (أسرار المصائب ونكات النوائب)، ومن كلمات القزويني الواردة

(١) الدربندي، آغا بن عابد، إكسير العبادات في أسرار الشهادات: ج٣، ص٢٤٧.

(٢) المصدر السابق: ج١، ص١٤١.

(٣) أُنظر عـلى سـبيل المثـال: النـوري، حسـين، اللؤلـؤ والمرجـان، تعريـب: الشـيخ إبراهيـم البدوي: ص١٣٤ـ١٤٠، وص١٨٢ـ٢٠٣.

في هذا السياق على سبيل المثال قوله: «**فإني أسمع وأرى في هذه الأزمنة والأوقات من الأخبار المجعولات والأكاذيب الموضوعات ما فيه تخريب الدين وتضييع شرع سيّد المرسلين واستهزاء المخالفين، فإنها من أعظم مصائب المعصومين عليهم السلام المظلومين، وإن سُمّيت بإقامة العزاء، وأُدخلت في عنوان الرثاء، لكنها في الحقيقة من البدعة في الدين، وداخلة في مصائب سيد الشهداء عليه السلام أرواحنا له الفداء، بل من الجروح الواردة على قلبه الشريف من الأعداء، وقد وضعها بعض العوام استحساناً بحسب رأيه السخيف، ثم نقلها بعض الأعلام مثلاً في كتابه، غفلة عمّا يترتّب عليها من المفاسد العظام، ونحن وإن تأخّر زماننا عن واقعة سيّد شباب أهل الجنان.. فننصره إن شاء الله بتوفيقه تعالى وتأييد أُمنائه بقلع أساس الكذب والافتراء، كاللهو والغناء بعنوان الرثاء والإبكاء...**»، وهكذا يستمرّ في مقدّمته على هذا المنوال وبأُسلوب حادّ وشديد اللهجة[1].

ثم ـ وعلى ذات المنهج ـ تلاهما مجموعة من العلماء الذين أسّسوا الأُسس ووضعوا الضوابط لتقنين الشعائر وتهذيبها أو تطويرها. وجاءت هذه الحركة التهذيبيّة كردّة فعل على ظاهرة توسيع واستحداث مجموعة من الطقوس والمراسم الحسينية، كما يؤكّد على هذه الحقيقة المحدّث النوري في انتقاده اللاذع والشديد للفاضل الدربندي، وفي مواضع كثيرة من كتابه (اللؤلؤ والمرجان)، كما أشرنا إلى بعضها. ثم تلت تلك الحركة أيضاً حركة أُخرى لاحقة داعمة لحركة التوسّع والتجديد في مجال الشعائر الحسينية، وقد جاءت كردّة فعل أيضاً مضادّة لتلك الحركات التصحيحية، وهكذا استمرّ السجال والاختلاف في الرؤى بين موسِّع ومهذِّب إلى يومنا الحاضر.

إذن؛ نستطيع أن نقول: إن الحركة الإصلاحية في الشعائر الحسينيّة انقسمت على نفسها في مراحل مختلفة بين:

---

(١) أُنظر: الفشندي، القزويني، محمّد مهدي، أسرار المصائب ونكات النوائب، مخطوط: ص٢ـ٣.

١ـ موسِّع وداعم للتنوّع والنشر والتحديث والإنتاج الشعائري.

٢ـ وبين: مُهذِّب ورافض لما يراه من العشوائية في الصيرورة الشعائرية والتكوّن العفوي للطقوس والمراسم الحسينية.

والحديث حول هذه المسيرة الإصلاحية واسع وطويل جدّاً، لكننا نحاول تخصيص البحث وإيجازه في المحورين التاليين:

المحور الأول: الإصلاح في الشعائر الحسينيّة انطلاقاً من المسؤولية تجاه الدين والحكم الشرعي

الملاحظ أن حركة الإصلاح في دائرة هذا المحور (الحكم الشرعي) هي الطاغية في مجتمعاتنا، وقد شغلت هموم العلماء والباحثين منذ ما يزيد على أربعة قرون من الزمن تقريباً كما أشرنا، حيث تصدّى جملة من المفكرين وبشكل مُعلن وجريء لإصلاح بعض الشعائر الحسينية ـ توسعة أو تهذيباً ـ ومن منطلقات مختلفة ومتنوّعة، ولكن كان الهدف الأبرز لتلك الحركة هو الدفاع عن الدين والحفاظ على حرمة الأحكام والقوانين الشرعية.

أمّا في مجال التأكيد والدعم والتجديد والتطوير والتوسعة، فيمثّله الأعمّ الأغلب من العلماء والخطباء، وذكرنا في صدارتهم القمّي والكاشفي والدربندي وغيرهم، ولنا أن نستشرف الدعم العامّ للتوسعة الشعائريّة من الرسائل والردود الشديدة والقاسية التي صدرت من علماء النجف الأشرف وفضلائها للردّ على دعاة الإصلاح التهذيبي، والتي تؤكّد على ضرورة التوسعة والدعم والتجديد.

ومن ذلك على سبيل المثال: ما أجاب به الشيخ عبد الله المامقاني رحمه الله (١٢٩٠ـ ١٣٥١هـ) في رسالته المعروفة (المواكب الحسينيّة)، حينما سُئل عن مشروعيّة المواكب المحزنة والتمثيل فيها، وإعلان الحزن بالندب والنداء والعويل والبكاء، وضرب الصدور بالأكف وشجّ الرؤوس بالحديد وغير ذلك، حيث قال: «**لا ينبغي**

الشبهة في جواز الأُمور المذكورة في السؤال، بل وإدماء الرأس بالسيف، بل لو أفتى فقيه متبحّر بوجوب ذلك كفاية في مثل هذه الأزمنة ـ التي صمّم جمع فيها على إطفاء أنوار أهل البيت عليهم أفضل الصلوات والسلام ـ لم يمكن تخطئته»، ثم شرع في الاستدلال على هذه الأُمور وأمثالها بصورة تفصيليّة[1].

ومن ذلك أيضاً الرسالة اللاذعة التي كتبها الشيخ مرتضى آل ياسين رحمه الله (١٣١١ـ ١٣٩٨هـ) في الردّ على ما كتبه القزويني في رسالته (صولة الحق)، ومن جملة ما جاء فيها قوله: «**حتى جاءنا اليوم يريد أن يزيد على الإبالة ضغثاً وعلى الجرح ملحاً، فيبتزّ من أيدينا أغلى مجوهراتنا، وأعزّ مقدّساتنا، ألا وهي المظاهرات العزائية، التي اعتاد الشيعة القيام بها كل عام في العشر الأُول من شهر محرّم الحرام، حزناً على سبط الرسول وقرّة عين الزهراء البتول عليه الصلاة والسلام، وذلك كاللطم على الصدور في الشوارع، والضرب على الظهور بالسلاسل، وإدماء الرؤوس بالسيوف، وتمثيل فاجعة الطف بالصورة التي يسمونها الشبيه**»[2].

والشواهد في هذا المجال كثيرة جدّاً تفوق حدّ الإحصاء[3].

وأمّا في مجال التهذيب والتنقية والتنزيه، فبعد مرحلة النوري والقزويني، نجد على سبيل المثال السيد محمد مهدي الموسوي القزويني، نزيل البصرة، المتوفَّى سنة (١٣٥٨هـ)، قد تصدّى وبشكل صريح لحملة تصحيحية واسعة، سعى فيها لما يراه إصلاحاً وتهذيباً للشعائر الحسينية، وهو ينطلق في حملته من منطلقات شرعية دينيّة، وخصوصاً ما جاء في رسالته المعروفة بـ(صولة الحق)، حيث افتتحها بمسألة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ووجوب تصدّي العلماء للبدع، ثم قال: «**فبطاعة الله سبحانه، وطمعاً في مثوباته، وهرباً من العقوبة الفادحة التي يُعاقب بها كاتم العلم،**

(١) الحسون، محمد، رسائل الشعائر الحسينيّة: ج١، ص٢٠١ـ٢٠٢.

(٢) المصدر السابق: ص٢٤٤.

(٣) أُنظر على سبيل المثال: المصدر السابق.

ما زلتُ بحمدِ الله سبحانه وحُسن توفيقه صادحاً ـ منذ دخولي البصرة من شهر شعبان إلى اليوم ـ في الناس بالنهي لهم عمّا قد تعوّدوه من الإتيان بضروب المحرّمات والمنكرات والسخافات والحماقات وجعلهم إياها من جملة الديانات الشرعيّة، خصوصاً مسألة التشبيهات التي يُمثّلونها في عاشوراء، فصرتُ مُنوّهاً برفضها ومُصرِّحاً بما فيها من التحريم؛ لأنّي أراها مُجلبةً لسخرية الملل الخارجة، وداعياً من دواعي الاستهزاء. فحرّمتها علناً، منادياً بذلك بين الخلق، هادياً لهم إلى سبيل الحقّ والرشاد، ومقدِّساً للدّين القويم عمّا جعله منه جماعة الجاهلين»[1]. وأكّد بعد ذلك على أنّه مستمرّ في هذا الطريق، ولا تثنيه الزعقات وهجمات التشنيع والبهتان.

ثم انتقد تمثيل بنات الرسالة مما قد يوجب الإهانة وهتك الحرمة والسخرية والاستهزاء، وأن ذلك بنظره من المبتدعات والسخافات والخرافات المنكرة في الدين ولدى العقل والعقلاء، ولم يرد فيها نص ولا دليل، ويواصل القول: بأننا إذاً لماذا نكرر ما فعله يزيد وشيعته بعقائل النبوّة ومحجّبات الرسالة؟! وما هو وجه تكرار ما فعلوه من الجرائم في كلّ عام؟!

ثمّ حصر مشروعية اللطم في داخل المآتم، وحرّمها في الأزقة والطرقات، مستهدفاً من ذلك الحدّ مما قد يقع من المحرمات في تلك المحافل المختلطة.

وحرّم التطبير لما يؤدّي إليه بنظره من الوقوع في المحرّمات، من قبيل هلاك النفوس أو إيذائها، مضافاً إلى كونه ـ كما يرى ـ عملاً وحشياً همجياً لا دليل عليه ولا ثمرة فيه[2].

وقد تصدّى جملة من العلماء للردّ على السيّد القزويني، وأقاموا الأدلّة الشرعية والعقلية المتنوّعة على ما استنكره من الشعائر الحسينية، وقد تضمّنت جملة من تلك الرسائل عبارات لاذعة ولهجة شديدة وكلمات جارحة، ولعلّ من أهمّ تلك الرسائل

(١) المصدر السابق: ص١٧٩ـ١٨٠.

(٢) أُنظر: المصدر السابق: ص١٨٦ وما بعدها.

ما كتبه الشـيخ حسن المظفر رحمه الله المتوفَّى سنة (١٣٨٨هـ) بعنوان (نصرة المظلوم)، وقد كتبها في نفس السنة التي صدرت فيها رسالة صولة الحق (١٣٤٥هـ)[١].

ثم تلت هذه الحركة مباشرة حركة تصحيحية تهذيبيّة أُخرى، قادها السـيّد محسن الأمين العاملي رحمه الله، نزيل دمشق، المتوفَّى سنة (١٣٧١هـ)، وقد كثر اللغط حول ما يتبنّاه ويدعو إليه من الإصلاح، وكُتِبت مجموعة كبيرة من الرسـائل والبحوث للردّ عليه، وكان من أهمّ تلك الردود الرسـالة التي كتبها الشـيخ عبد الحسين صادق العاملي رحمه الله المتوفَّى سـنة (١٣٦١هـ)، بعنوان (سـيماء الصلحاء)[٢]، وهي ما دعا السيّد الأمين إلى كتابة رسـالة مفصّلة في هذا المجال بعنوان (التنزيه لأعمال الشـبيه)، وقد تحدّث فيها مفصّلاً عن نهضته الإصلاحية في مجال الشـعائر الحسـينية، وناقش في مشروعية جملة من تلك الشعائر، كما حاول أن يهذّب بعضها[٣].

وكان المنطلـق أيضـاً والهـدف الـذي يرمـي إليه هـو الحفاظ عـلى الديـن القويم والالتزام بأحكامه وقوانينه الشرعية، حيث افتتح رسالته أيضاً بمسألة وجوب إنكار المنكـر والنهـي عنه، ووجوب إنكار البدع وردّها، وحاول أن يحصي بعض ما شـاب الشعائر ـ برأيه ـ من المنكرات، وعدّ منها مثلاً:

١ـ نقـل الأحاديـث المكذوبـة عـلى المنابر، مـن قبيل حادثـة الطيـور، وعدّها من الكبائر.

٢ـ تلحين الصوت بالغناء، وعدّها من المحرّمات.

٣ـ إيذاء النفس وتعريضها للهلاك، بجرح الرؤوس حتى تسـيل الدماء، وعدّها من المحرّمات أيضاً.

٤ـ استعمال آلات اللهو، كالطبل والمزامير وأمثالها، وهو كذلك من المحرّمات.

---

(١) أُنظر: المصدر السابق: ص٣٠٩ وما بعدها.

(٢) أُنظر: المصدر السابق: ج٢، ص٧ وما بعدها.

(٣) أُنظر: المصدر السابق: ص١٦٥ وما بعدها.

٥ـ تشبيه الرجال بالنساء في التمثيل، وتشبيه بعض النساء ببنات الرسالة، مما يوجب الهتك والمثلة المحرّمة.

٦ـ صياح النساء في مسمع الرجال، وصوت المرأة عورة.

وهكذا كلّ ما يوجب الهتك والتشنيع والقدح في الدين والنفرة منه.

وقد تصدّى أيضاً كبار العلماء من النجف الأشرف وغيرها للردّ مفصّلاً على ما جاء في هذه الرسالة، وكانت كلّها تحوم حول الدليل والحكم الشرعي، وتنطلق من منطلقات وجوب الحفاظ على الدين والدفاع عنه[1].

وبنفس هذه الأساليب وبالآليات ذاتها استمرّت مسيرة الإصلاح والشدّ والجذب بين المصلحين، الداعين إلى التنزيه، وخصومهم ممن يرى أنّ فيما يُدّعى من التنزيه هدماً للدين ووقوفاً بوجه الحركة الإلهيّة للرسل والأنبياء والأوصياء عليهم السلام، وبين هذا وذاك كانت الشريعة والدين والأحكام الشرعيّة هي المنطلق الأساس وهي الغاية والهدف.

وفي هذا المجال بالخصوص نحن ندعو إلى أن يكون الإصلاح في هذه الدائرة إصلاحاً تطويرياً وبنّاءً ونافعاً، ولتحقيق ذلك نوصي في مقالنا هذا بما يلي:

١ـ مواصلة مسيرة الدراسات الدينية التخصصّية والاجتهاديّة المعمّقة في هذا المجال بالخصوص.

٢ـ مراعاة الاختصاص الديني، واجتناب التعويم والخلط بالاختصاصات الأُخرى، إلّا بما ينفع في تحرير المسألة الشرعية مفهوماً وحكماً وموضوعاً ومتعلّقاً، وأمثال ذلك.

٣ـ المحافظة على الجوانب الموضوعية والعلمية في المسائل والشعائر التي نسعى إلى إصلاحها.

٤ـ أن نكون على قدر المسؤولية في الحفاظ على أصالة الدين وتشييد أركانه.

---

(١) أُنظر على سبيل المثال: المصدر السابق.

٥ـ أن نمتلك الجرأة الكافية لدراسة مثل هذه الموضوعات الحسّاسة، أيّاً كانت النتائج.

ولكن هذا المحور بكلّ أبعاده قد أخذ قسطه الوافر من البحث والتحقيق، وهو لا يُشكّل في نظرنا إلّا مساحة خاصة ومحدودة في مجالات الاختصاص الإنساني الأكاديمي.

ولذا؛ نرى أن الجانب الأهمّ والمهمل في حركة الإصلاح هو ما نذكره في المحور الثاني.

المحور الثاني: الإصلاح في الشعائر الحسينيّة من منطلقات عقلانيّة وإنسانيّة

انطلاقاً من البعد الإنساني البشري، وبعيداً عن تجاذبات النص الديني، والاختلاف الاجتهادي في تحديد الحكم الشرعي والوظيفة الشرعية تجاه الشعائر الحسينية، ينبغي أن تبدأ مسيرة أُخرى موازية في الإصلاح، ويمكننا أن نتصور هذه المسيرة منطلقة في اتجاهين:

الاتجاه الأول: الحركة العقلية والعقلانيّة الداعمة للمنظومة الدينيّة

بدأت هذه المسيرة العقلية والعقلانيّة في موازاة مسيرة الإصلاح في محورها الأوّل، لكنّها كانت بداية محدودة جدّاً، تعرّض لها العلماء والمفكرون بصورة عابرة وفي ظل وسياق التضحيات والجهود الكبيرة التي بذلوها للحفاظ على الدين والأحكام الشرعيّة، ويمكننا أن نتلمّس معالمها وأمثلتها في أدبيات مَن رفع راية الإصلاح والتهذيب في الشعائر الحسينيّة، ومَن تصدّى للدفاع عنها، فعلى سبيل المثال:

في أدبيات المصلحين

يستنكر المحدّث النوري على المؤلِّفين وأهل المنبر تناقل الأُمور الواهية والضعيفة فيما يرتبط بالقصّة الحسينية وحوادثها؛ مستنداً في ذلك إلى كونه مخالفاً للعقل والنقل،

حيث يقول: «**فهذه المطالب الضعيفة الواهية والأخبار المختلفة حينما يُدرجها المؤلِّفون في كتبهم يُسلّطون بذلك الأعداء على أنفسهم، وهذا مخالف للعقل والدين**». ويقول في الموضع والسياق ذاته متحاملاً على الفاضل الدربندي لإدراجه مرويات كتاب مجهول حصل عليه من قارئ عزاء في كتابه أسرار الشهادات: «**فقد أدرج فيه روايات ذلك الكتاب وأضافها إلى الأخبار الواهية المجعولة التي لا حصر لها، الموجودة في كتابه المزبور، فاتحاً بذلك للمخالفين أبواب الطعن والسخرية والاستهزاء، وقد وصلت به همّته إلى درجة أنه جعل جيش الكوفة مليوناً وستمائة ألف!.. ومن المطالب العجيبة التي نقلها لي مشافهة أنه سمع فيما مضى أن العالم الفلاني قال ـ أو روى ـ: إن يوم عاشوراء كان سبعين ساعة، وأنه كان يستغرب ذلك حينها ويتعجّب من ذلك النقل، لكنّه حينما فكَّر وتأمَّل في وقائع اليوم العاشر تأكّد وتيقّن أن ذلك النقل صحيح، وأن تلك الوقائع لم يكن لها لتحصل لولا تلك المدّة من الزمن.. وقد قوّى هذه الفكرة في كتابه، ويمكنك أن تعرف من خلال هذه الفقرة كيفية تفكيره!**»[1].

ويقول أيضاً بعد تشديده النكير على نقل الأخبار والوقائع المكذوبة على نهضة الإمام الحسين عليه السلام: «**والنتيجة الظاهرة لذلك وثمرته الواضحة إدخال الوهن العظيم على الدين ومذهب الجعفريّة، وتقديم أسباب السخرية والاستهزاء والضحك للمخالفين**»[2].

ويؤكِّد السيّد القزويني البصري في صولته على أنه يرى أن بعض الشعائر ـ وخصوصاً مسألة التشبيهات التي تُمثَّل في عاشوراء ـ «**مجلبة لسخرية الملل الخارجة، وداعياً من دواعي الاستهزاء، فحرّمتها علناً، منادياً بذلك بين الخلق، هادياً لهم إلى سبيل الحقّ والرشاد، ومُقدّساً للدين القويم عمّا جعله منه جماعة الجاهلين**»[3].

---

(١) النوري، حسين، اللؤلؤ والمرجان، تعريب: الشيخ إبراهيم البدوي: ص١٩٩ـ٢٠١.

(٢) المصدر السابق: ص٢٢٩.

(٣) الحسون، محمد، رسائل الشعائر الحسينيّة: ج١، ص١٨٠.

ويقول أيضاً ـ وقد ملأ رسالته بأمثال هذه العبارات ـ: «**وأما الضرب بالسيوف والقامات على الرؤوس فمحرّم.. فهو فعل همجي وحشي، مثل الضرب بسلسلة من الحديد، ولم يرد دليل شرعي على تجويزها، وما من سيرة يستند إليها فيها، بل هي بنظر أرباب العقول والمعرفة أفعال وحشية، وما فيها من ثمرة في التعزية**»[1].

واستدلّ السيّد الأمين أيضاً على حرمة التطبير وأمثاله بالعقل والنقل[2]، وأن ذلك يوجب نسبة المذهب وأهله «**إلى الجهل والجنون وسخافة العقول، والبعد عن محاسن الشرع الإسلامي، واستحلال ما حكم الشرع والعقل بتحريمه، من إيذاء النفس وإدخال الضرر عليها.. مما يُلصق العار بالمذهب وأهله، ويُنفِّر الناس عنه، ويفتح باب القدح فيه**»[3].

والكلمات في هذ المجال كثيرة جدّاً، وقد تمّ توظيف العقل والإنتاج البشري العقلاني فيها للدفاع عن الدين ومنظومته العقديّة وأحكامه الشرعية.

في أدبيات المدافعين

كذلك تمّ توظيف العقل البشري والنتاج الإنساني لدعم الشعائرية حكماً وموضوعاً، وعبارات العلماء واستدلالاتهم العقلية التوظيفيّة كثيرة في هذا المجال، كما جاء ذلك كثيراً في بيان فلسفة شعيرة البكاء وما يرتبط ببعض المراسم والفلكلوريات الشعبية العاشورائية وغير ذلك.

ومن ذلك ما صدّر به المامقاني رسالته في الردّ على القزويني في صولته، حيث يقول: «**إنه تطابق العقل والشرع، ونطق الكتاب والسنَّة من الفريقين بإباحة كلّما لم يُدرك العقل فيه قبحاً ولا ضرراً، أو لم يرد فيه من المولى نهي ولا تحريم، بل على ذلك**

(١) المصدر السابق: ص١٩١.
(٢) أُنظر: المصدر السابق: ج٢، ص١٧١.
(٣) المصدر السابق: ص١٧٧ـ١٧٨.

إجماع العقلاء وأهل الملل والأديان... ومن البيّن عند كلّ محيط بالأخبار، متطلّع في كلمات فقهائنا الأخيار، عدم ورود آية ولا رواية ضعيفة أو مرسلة بحرمة تشبيه شخص بشخص»[1].

وقريب من ذلك ما ذكره الشيخ مرتضى آل ياسين رحمه الله في رسالته (نظرة دامعة)[2]، والشيخ محمد جواد الحجامي رحمه الله في رسالته (كلمة حول التذكار الحسيني)[3]، والشيخ حسن المظفر رحمه الله في رسالته (نصرة المظلوم)[4]، وغيرهم الكثير.

ومن كلا الطرفين تمّ توظيف العقل والنتاج البشري توظيفاً آلياً للدفاع عن حريم الدين ومنظومة الأحكام الشرعية.

الاتجاه الثاني: الحركة العقلية والعقلانيّة بعيداً عن المنظومة الدينيّة والأدلجة بشكل عام

يُعدّ هذا الاتجاه من المحور الثاني هو الأهمّ في موضوع بحثنا، ولا نريد أن ندّعي أهميّته على دراسة المنظومة الشعائرية من الناحية الدينيّة والشرعية، وإنما كلّ ما نريد أن نقوله في هذا المجال هو: أننا لم نجد دراسات إنسانية جادّة ومختصّة في هذا المجال إلّا نادراً، وقد اعتمدنا في ذلك على مسح ميداني واسع في مجال الإنتاج العلمي الحسيني المختصّ في مؤسسة وارث الأنبياء للدراسات التخصّصية في النهضة الحسينيّة، وهو من الأُمور الواضحة التي لا تخفى على ذوي الاختصاص.

ونحن اليوم بحاجة ماسّة ـ أكثر من كلّ زمان مضى ـ إلى دراسات إنسانية بشريّة حيادية قدر الإمكان في مجال الشعائر الحسينية، وإن كنت أُقرّ وأعترف بصعوبة وخطورة هذا اللون من الدراسات الإنسانيّة المتجوّلة في دوائر الدين وأروقته الحسّاسة.

(١) المصدر السابق: ج١، ص٢٠٢ـ٢٠٣.
(٢) المصدر السابق: ص٢٤٧.
(٣) المصدر السابق: ص٢٧٢.
(٤) المصدر السابق: ص٣١٢.

إذن؛ بعيداً عن حناننا ومشاعرنا العطوفة تجاه الحكم الشرعي، بعد أن شكّلت جملة من الشعائر الحسينية ظواهر اجتماعية بارزة ألفتت نظر العالم والمجتمع الدولي، وشغلت المؤسّسات الإعلاميّة والسياسيّة، ليس من المهنية حينئذ ـ وفي المجال الإنساني ـ ترك الدراسات الإنسانية المحايدة ذات الصلة.

فمثلاً: في مجال علوم الاجتماع، إن كنت ـ أنا عالم الاجتماع ـ متديّناً مؤمناً، ومقلّداً في الوقت ذاته لمن يُحرّم أو يحلّل ظاهرة التطبير ـ مثلاً ـ في المراسم الحسينيّة، ينبغي أن لا يستميلني تقليدي وتبعيتي للحكم الشرعي أو تؤثّر سطوته في نفسي، بما قد يؤدّي في دراساتي الاجتماعية المختصّة إلى إهمال أو تحوير أو تعظيم أو تقزيم وتشويه هذه الظاهرة من الوجهة الاجتماعية، فقداسة المقدّس الديني شيء، والتجربة الاجتماعية الإنسانية ومعطياتها الحياتية شيء آخر، وليس بالضرورة أن يتوافق عالم الغيب (المعطى الديني) مع عالم الحسّ والإدراك والشهادة (المعطى الإنساني).

كما ينبغي أن تُدرس هذه الظاهرة أيضاً ـ وبالمنهج والأُسلوب ذاته ـ من وجهتها القانونية والإدارية، والسياسية والأمنية، والعسكرية والاقتصادية، والصحّية والبيئية وأمثال ذلك. وأن تبقى هذه الدراسات الإنسانيّة مفتوحة ومتواصلة، ثم يتبع ذلك العمل الجاد على إعطاء دراسات متكاملة ومشتركة ومقارنة بين مجمل المعطيات العلميّة لمجموع تلك العلوم الإنسانيّة المتنوّعة؛ بهدف الخروج بنتائج وتوصيات علميّة حقيقية ومفيدة في توصيف وتقنين وتقويم تلك الظاهرة في الشعائر الحسينيّة، ومن ثمّ مواءمة تلك التوصيات في مرحلة لاحقة مع المنتجات الدينيّة المرتبطة بتلك الظاهرة؛ لإعطاء دراسة علميّة متكاملة ومقارنة، تعتمد ثنائية المنتوج الديني/ البشري.

وهكذا الحال فيما يرتبط بمراسم الشبيه العاشورائية، يأتي الباحث في مجال الآداب والمسرح والتمثيل والدراما والسينما والفنون الجميلة عموماً، ليدرس ظاهرة الشبيه والتمثيل الحسيني، والتي هي الأُخرى من طقوس عاشوراء ومراسمها.

ونرتقب منه أن يزوّدنا بدراسات تخصّصية مفيدة وبنّاءة، فمثلاً: ما هي توصيفاته العلميّة والواقعية لهذه الظاهرة؟ وما هو رأيه بها؟ وما هي انتقاداته لها؟ وما هي أهمّ التحدّيات التي تواجهها؟ وهل يمكننا تنميتها وتطويرها؟ وما هو السبيل إلى ذلك؟ وأسئلة أُخرى كثيرة جدّاً تبقى عالقة، لا يمكننا الإجابة عنها إلّا عن طريق معطيات الدراسات الإنسانية المختصّة ذات الصلة.

ولا أشك أبداً في كوننا بحاجة ماسّة للإنتاج الإنساني في مجالاته الفنيّة، لو أردنا أن نضع شعيرة التمثيل في نصابها البشري الصحيح، ونرتقي بها إلى مستوى رفيع يتناسب في عطائه مع النهضة الحسينية المعطاء.

وكذلك الحال أيضاً بالنسبة إلى كلّ ما يرتبط بهذه الشعيرة الحسينية من مفاهيم ومفردات وطقوس، نفتقر في تأطيرها وبنائها إلى المنتوج الإنساني البشري، كالشِّعر، والأناشيد، والرسم، والتصوير، ولسان الحال، والقصّة وأمثالها.

وهكذا أيضاً هو حال شعيرة وظاهرة المواكب و(المشّاية) أو التحشيد البشري والمسيرات السلمية، وما يرتبط بها مثلاً من مفاهيم سياسية وحكومية، وأمنية وعسكرية واجتماعية، كالإدانة، والتضامن، والإرهاب، والثورة، والمعارضة، والمظاهرات، والانقلابات، والاعتصامات، والسعي لتغيير السلطة، ومحاربة الفساد، ونحو ذلك.

فإن هذه المفاهيم المهمّة وغيرها، الناتجة والمنبثقة عن الطقوس والشعائر الحسينيّة، كلّها بحاجة ماسّة إلى دراسات اجتماعية ونفسية وأخلاقية، وقانونيّة وعسكرية، وسياسيّة واقتصاديّة وغير ذلك من العلوم والمعارف الإنسانية.

وفي هذا الضوء ـ وانطلاقاً مما بيَّناه هنا ـ نرى أن نختصر توصيتنا بالقول: إنّ على العلماء والباحثين في مجالات العلوم الإنسانية ذات الصلة القريبة والماسّة بالشعائر الحسينيّة، أن يبذلوا قصارى جهدهم ـ كلّ بحسب اختصاصه ـ للعمل الجادّ على تطوير وإصلاح وبناء الشعائر الحسينية في مجالاتها الإنسانية.

ولســتُ أشكّ بالفائدة العظيمة والتأثير البالغ والبنّاء لرسالة أو أُطروحة أو مقال أو كتاب أو موسوعة، تختصّ بالطقوس والشعائر الحسينية، وتدرسها دراسة إنسانية علمية مختصّة ومحايدة، بعيدة عن كافّة أشـكال الأدلجة ومظاهرها، وتأثيرات المعتقد والفتاوى والأحكام الشرعية، سلباً أو إيجاباً. والحمد لله ربّ العالمين.

ملف العدد

الشعائر الحسينية.. تاريخ وتطور (٢)

- الحاضنة التاريخية لمراسم عزاء الإمام الحسين عليه السلام عند أهل السنّة
- الشعائر الحسينية.. آثارٌ ونتائج
- الشعائر الحسينية في العصر الصفوي.. عرضٌ وتوصيف
- تطور المراسيم الحسينية في كتاب تراجيديا كربلاء.. نقدٌ وتحليل
- تاريخ الشعائر الحسينية في دراسات المستشرقين.. الألماني المعاصر (هاينس هالم) أُنموذجاً (دراسة نقدية)
- دور المرجعية في حفظ الشعائر الحسينية
- الشعائر الحسينية عند النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام.. التأسيس والتأصيل (قراءة تاريخية)
- محاربة الأنظمة المستبدة للشعائر الحسينية عبر التاريخ.. الأساليب والدواعي

الحاضنة التاريخية لمراسم عزاء الإمام الحسين عليه السلام عند أهل السنّة

الشيخ رسول جعفريّان*

تعريب: حسن مطر

المدخل

من نتائج نهضة الإمام الحسين عليه السلام عبر التاريخ اندلاع الكثير من الثورات العلوية في أواخر العصر الأُموي، ومن بعده العصر العباسي، وقد جاءت هذه الثورات بوصفها امتداداً طبيعياً للملحمة الحسينية الخالدة في كربلاء، حيث واصل العلويون تحركاتهم الثورية على خطى كربلاء، مؤكّدين بذلك حقّهم في الإمامة والخلافة دون غيرهم.

وقد قاد زيد بن الإمام علي (حفيد الإمام الحسين عليه السلام) أوّل ثورة علوية مهمّة بعد واقعة كربلاء سنة (١٢٢هـ)، ثمّ تسلّم القيادة من بعده نجله يحيى بن زيد الذي استُشهد في خراسان سنة (١٢٦هـ)، وبعد ظهور العباسيين واصل العلويون نشاطهم الثوري هذه المرّة ضدّ العباسيين، ومنذ ذلك الحين ظهرت فرقتان بين العلويين، وهما: الحسنيّون والحسينيون، فمن المسلّم به أنّ ثورة الطف في كربلاء كانت بقيادة الإمام الحسين عليه السلام، بيد أنّه ممن استُشهد في كربلاء أيضاً القاسم وعبد الله، وهما من أولاد الإمام الحسن عليه السلام.

---

* كاتب وباحث إسلامي من إيران، متخصص في الدراسات التاريخية، أُستاذ في جامعة طهران، ورئيس المكتبة التخصّصية في تاريخ الإسلام وإيران.

بعـد ظهور العباسـيين، تبلور تيّـار الزيدية بقيادة الحسـنيين الثوريين، وفي المقابل بادر الحسينيون ـ أو أكثرهم ـ إلى اتّباع منهج المذهب الإمامي، وانشغلوا بالنشاطات الفكرية والفقهية والكلامية.

وعلى كل حال، فقد اسـتمرت الحركة الزيدية، وكان من أبرز سـمات هذه الحركة مقارنـة بنشـاط الإمامية، أنها حافظت ـ أولاً ـ على المنهـج الثوري الذي بدأ الإمامية يتجنبونـه بحسـب الظاهـر، والأمر الآخر الـذي ميّز التيـار الزيدي يكمـن في عدم التشـدّد في المسـائل الكلامية والفقهية، وهذه حقيقة، فحتى ذلك العهد كان الزيدية شـيعة يحتفظـون بآراء الإمامية في مسـائل مـن قبيل، قول: «**حي على خـير العمل**» في الأذان، حتّى بدأوا فيما بعد يقتربون إلى حدّ كبير من الفقه الحنفي.

وإنّ دراسة السيرة الذاتية لعلماء القرن الخامس الهجري، تثبت بوضوح أنّ الزيدية كانت المحطة التي التقى عندها الأحناف والمعتزلة، وبعبارة أُخرى: إنّ الزيدية كانوا أحنافـاً في كثـير من المسـائل الفقهية، ومعتزلة مـن الناحية الكلاميـة، وبطبيعة الحال فإنّ جميع الأحناف ليسـوا زيدية ولا معتزلة؛ وإنما اختاروا لأنفسهم منهجاً آخر، ولم يتبعوا أبا حنيفة في الكلام والسياسة، بل اتبعوه في الفتاوى الفقهية فقط.

تكمن الإجابة عن أسباب التقاء الزيدية والأحناف والمعتزلة، في المتغيّرات الثورية والفكرية في أواسط القرن الثاني الهجري، ففي تلك الفترة اندلعت ثورتان زيديتان في كل مـن البصرة والمدينة المنوّرة عام (١٤٥و١٤٦هـ)، كانت إحداهما بقيادة محمد بن عبـد الله المعروف بـ (النفس الزكية)، وقاد الأُخرى أخوه إبراهيم، وفي ثورة إبراهيم التي قادها في العراق، أفتى أبو حنيفة بوجوب الخروج معه ونصرته، كما فعل الشيء ذاتـه أغلب فقهاء العراق، بل هناك مَن شـارك منهم فيها وقُتل، كما عمد بعض كبار المعتزلـة إلى دعـم هذه الثـورة، وبالتدريج أدّى هذا التقارب إلى انتشـار الفقه الحنفي والكلام المعتزلي في وسط الزيدية.

إنّ هذا المسار الذي امتد إلى القرن السابع الهجري يحتاج إلى المزيد من الدراسة التاريخية، وفي مطلع القرن الهجري الرابع قام ابن عقدة (ت٣٣٣هـ) ـ وهو من أكبر المحدّثين في العالم الإسلامي، وكان على المذهب الشيعي الزيدي الجارودي ـ بتأليف كتاب (أخبار أبي حنيفة ومسنده)، ولا زال الكثير من مسائله موجوداً[1]، ومن أبرز وأوضح المصاديق لهذه الحقيقة، موفق بن أحمد الخوارزمي الحنفي (ت ٥٦٨هـ)؛ حيث كان حنفياً معتزلاً وزيدياً في الوقت نفسه، وهو خطيب خوارزم الشهير في النصف الأوّل من القرن السادس الهجري، ومؤلّف كتاب (مقتل الحسين) الذي سنعرّف به لاحقاً.

والذي يحظى باهتمامنا هنا مجاراة أبي حنيفة لثورات العلويين، التي أدّت فيما بعد إلى مجاراة بعض الأحناف لهذه الثورات، وإن لم تحظ بينهم بمكانتها المناسبة، وبعبارة أُخرى: إنّ المنحى الثوري لأبي حنيفة ـ على ما سيأتي بيانه ـ لم يُحافَظ عليه من قبل أتباعه من الأحناف، ولا شك في أنّ هذا المقال المقتضب لا يسعه أن يستوعب المزيد من الكلام في هذا الشأن، وكل ما يمكننا بحثه هو مجاراة أبي حنيفة لثورة زيد بن علي وإبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن.

أبو حنيفة شيعي زيدي!

لعل من الضروري ابتداء تقديم توضيح لمصطلح (الشيعة الزيدية)، فنقول: يمكن القول إجمالاً وبشكل صريح: إنّ مصطلح الشيعي الزيدي يمكن إطلاقه ـ بشيء من التسامح ـ على الذي يقف إلى جانب الثورات الزيدية، ويؤيّد الإمامة السياسية للعلويين.

وعليه؛ ليس من الضروري أن يعتنق هذا الشخص العقائد الشيعية، وإنما يكفي

(١) أُنظر: ابن عقدة، أحمد بن محمد، كتاب الولاية: ص٥٩.

فيه أن يوالي الدولة العلوية من الناحية السياسية، ولو ابتعدنا عن هذا التسامح فإن مصطلح الشيعي الزيدي إنما يطلق ـ بطبيعة الحال ـ على الذي يتبنّى مزيجاً من الفقه الشيعي والفقه الحنفي والكلام المعتزلي، ولا سيما في القرن الثالث الهجري فما بعد، أما في عصر أبي حنيفة ـ حيث كان العهد قريباً من ثورة زيد بن علي ـ فلم تكن هذه العقائد قد تبلورت بعد على شكل فرقة مذهبية، من قبيل: الزيدية.

وعلى هذا الأساس؛ يمكن القول: بأنّنا عندما نعدّ شخصاً مثل أبي حنيفة شيعياً زيدياً، نحتاج في إثبات ذلك إلى أدلة وشواهد تثبت أنه كان مؤيداً للقيادة العلوية في العصر العباسي، وأول شاهد على ذلك دفاعه عن زيد بن علي في ثورته ضد الدولة الأُموية في الكوفة سنة (١٢٢هـ)، وقد شارك في هذه الثورة الكثير من الشخصيات والعلماء الكبار في العراق.

والرواية المسندة والموثوقة الواردة في هذا الشأن ما نجده في كتاب (مقاتل الطالبيين) لأبي الفرج علي بن الحسين الأُموي الإصفهاني (٢٨٤ـ٣٥٦هـ)، وهو ـ بالمناسبة ـ أُموي النسب، ولكنه علوي العقيدة؛ حيث يقول نقلاً عن الفضيل بن الزبير: «**قال أبو حنيفة: مَن يأتي زيداً في هذا الشأن من فقهاء الناس؟ قال: قلت: سليمة ابن كهيل، ويزيد بن أبي زياد، وهارون بن سعد، وهاشم بن البريد، وأبو هاشم الرماني، والحجاج بن دينار، وغيرهم.**

فقال لي: قل لزيد: لك عندي معونة وقوّة على جهاد عدوك، فاستعن بها أنت وأصحابك في الكراع والسلاح. ثم بعث ذلك معي إلى زيد، فأخذه زيد»[1].

أما في العصر العباسي، فقد تحدّث أبو الفرج عن دعم أبي حنيفة لثورة إبراهيم بن عبد الله العلوي؛ حيث خرج في البصرة سنة (١٤٦هـ)، وقد سبقه أخوه (ذو النفس الزكية) في المدينة المنوّرة بسنة، وذلك في عام (١٤٥هـ)، وقد قُمعت ثورته. وهناك

(١) أبو الفرج الإصفهاني، علي بن الحسين، مقاتل الطالبيين: ص١٤١.

عدّة شـواهد على دعـم أبي حنيفة لثورة إبراهيم بن عبـد الله العلوي، أوّلها ما جاء في رواية زفر بن هذيل، أنه قال: «**كان أبو حنيفة يجهر في أمر إبراهيم جهراً شديداً، ويفتي الناس بالخروج معه**»[1]، وأضاف قائلاً: «**وكتب إليه هو** [أبو حنيفة] **ومسـعر بن كدام يدعوانه إلى أن يقصد الكوفة، ويضمنا له نصرتها ومعونتها، وإخراج أهل الكوفة معه، فكانت المرجئة تعيبها بذلك**»[2]، وذكر في موضع آخر: «**وكانت المرجئة تنكر ذلك على أبي حنيفة، وتعيبه به**»[3].

وفي رواية أُخرى عن أبي إسـحاق الفزاري، أنه قال: «**جئت إلى أبي حنيفة، فقلت لـه: مـا اتقيـت الله حيث أفتيت أخـي بالخروج مـع إبراهيم بن عبد الله بن الحسـن حتى قُتـل؟! فقـال: قتل أخيـك حيث قُتل يعدل قتله لـو قُتل يوم بدر، وشـهادته مع إبراهيم خير له من الحياة. قلت له: ما منعك أنت من ذاك؟ قال: ودائع للناس كانت عندي**»[4].

وفي رواية أُخرى: «**عن أبي إسحاق الفزاري، واسمه إبراهيم بن محمد بن الحرث بن أسـماء بن حارثة، قال: لما خرج إبراهيم ذهب أخي إلى أبي حنيفة فاسـتفتاه، فأشـار عليه بالخروج، فقُتل معه، فلا أُحبّ أبا حنيفة أبداً**»[5].

وعن عبد الله بن إدريس أنه قال أيضاً: «**سـمعت أبا حنيفة، وهو قائم على درجته، ورجلان يستفتيانه في الخروج مع إبراهيم، وهو يقول: أُخرجا**»[6].

هـذا، وقد روى أبو الفرج الإصفهاني بسـنده عن محمد بـن منصور الرازي، عن مشايخه، قال: «**إنّ أبا حنيفة كتب إلى إبراهيم بن عبد الله لما توجّه إلى عيسى بن موسى:**

---

(١) المصدر السابق: ص٣١٠.
(٢) المصدر السابق.
(٣) المصدر السابق: ص٣١٤.
(٤) المصدر السابق: ص٣١٣.
(٥) المصدر السابق: ص٣١٤.
(٦) المصدر السابق.

إذا أظفرك الله بعيسى وأصحابه، فلا تسرْ فيهم سيرة أبيك في أهل الجمل؛ فإنّه لم يقتل المنهزم، ولم يأخذ الأموال، ولم يتبع مدبراً، ولم يذفف على جريح؛ لأنّ القوم لم يكن لهم فئة، ولكن سرْ فيهم بسيرة يوم صفين، فإنّه سبى الذرّية، وذفف على الجريح، وقسّم الغنيمة؛ لأنّ أهل الشام كانت لهم فئة، وكانوا في بلادهم. فظفر أبو جعفر بكتابه، فسيره وبعث إليه فأشخصه، وسقاه شربة فمات منها، ودُفن ببغداد»[1]. وقد ذكر أبو الفرج رواية أُخرى بشأن وفاة أبي حنيفة متأثراً بسم سقاه إياه المنصور[2].

وعن إبراهيم بن سويد الحنفي، قال: «**سألت أبا حنيفة، وكان لي مكرماً أيام إبراهيم، قلت: أيّهما أحبّ إليك بعد حجّة الإسلام: الخروج إلى هذا أو الحج؟ فقال: غزوة بعد حجّة الإسلام أفضل من خمسين حجّة**»[3].

وعنه أيضاً: «**جاءت امرأة إلى أبي حنيفة أيام إبراهيم، فقالت: إن ابني يريد هذا الرجل، وأنا أمنعه. فقال: لا تمنعيه**»[4].

وعن حماد بن أعين، أنه قال: «**كان أبو حنيفة يحضّ الناس على الخروج مع إبراهيم، ويأمرهم باتّباعه**»[5].

حدود الشيّع والتسنّن منذ القرن الثالث الهجري فما بعد

يجب القول من الناحية التاريخية: إنّه إلى جوار انتشار العثمانية في القرون الإسلامية الأُولى، متمثلة بأُولئك الذين كانوا ينكرون خلافة الإمام علي عليه السلام من الأساس، كان هناك من علماء الإسلام ـ ولا سيما في العراق ـ رجال أصرّوا على نشر الروايات المأثورة عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله في فضائل الإمام علي عليه السلام وسائر الأئمة من أهل البيت عليهم السلام، وقد

(١) المصدر السابق: ص٣١٥. توفِّي أبو حنيفة سنة (١٥٠ هـ) عن عمر ناهز السبعين سنة.
(٢) أُنظر: المصدر السابق: ص٣١٦.
(٣) المصدر السابق: ص٣٢٤.
(٤) المصدر السابق.
(٥) المصدر السابق: ص٣٢٥.

وُصِف هؤلاء في الكتب الرجالية المتقدّمة لأهل السنَّة بعبارة: «**فيه تشيُّع**»، ولم ينكروا عليهم سوى روايتهم لفضائل أهل البيت عليهم السلام. هذا في حين أنّ الكثير منهم كانوا من العلماء والمحدّثين البارزين من أهل السنَّة، وقد وردت أسماؤهم في أسانيد كتاب مسلم والبخاري، حيث رويا من طرقهم الكثير من الأحاديث.

وفي كُتيِّب له يحمل عنوان (الاختلاف في اللفظ) ينتقد ابن قتيبة ـ وهو من علماء أواسط القرن الثالث الهجري ـ بشدّة أهل الحديث في زمانه، وفي الواقع ينتقد الجماعة التي تنتمي إلى العثمانية منهم؛ وذلك بسبب إنكارهم للروايات الواردة في فضائل الإمام علي عليه السلام. وإنّ نظرة واحدة إلى كتاب (ميزان الاعتدال) لشمس الدين الذهبي، تكفي للوقوف على مئات المحدّثين الذين اتُهموا بالتشيّع لمجرّد نقلهم فضائل أهل البيت عليهم السلام.

وفي سياق هذا التوجّه المتطرّف من قِبل أهل الحديث، يُعتبر أحمد بن حنبل ـ وهو من أبرز علماء أهل الحديث ـ منعطفاً كبيراً من حيث الاهتمام بفضائل الإمام علي عليه السلام، وتثبيته بوصفه خليفة رابعاً بين أهل السنَّة في إطار ما يُسمّى بـ(عقيدة التربيع)، فقد ذكر في مسنده الكثير من الروايات في فضائل أهل البيت عليهم السلام، وهي للأسف الشديد روايات لم يرد ذكرها في الصحيحين، وسائر كتب الصحاح والسنن الأُخرى!

وعلاوة على ما ذكره ابن حنبل في مسنده، أورد كذلك في كتابه (فضائل الصحابة) العديد من الروايات في فضائل أهل البيت عليهم السلام، ولا سيّما حديث الغدير الذي ذكره من طرق متعدّدة، وبذلك بذل مجهوداً يستحق الثناء والتقدير في تعديل مذهب العثمانية[1].

وبعد ذلك خفّف الحنابلة في بغداد من حدّة تشدّدهم وتعصّبهم، وبمرور الأيام تأقلموا مع الأجواء الشيعية الناتجة عن ظهور البويهيين في بغداد، بعد أن كانوا يبدون

(١) أُنظر: جعفريان، رسول، نقش أحمد بن حنبل در تعديل مذهب أهل سنت (دور أحمد بن حنبل في تعديل مذهب أهل السنّة): مقالات تأريخية، الكتاب السادس.

في بداية الأمر مقاومة كبيرة، فقد كانت المواجهات تحتدم بسبب إقامة الشيعة لمراسم العزاء في عاشوراء على مدى مائة وخمسين سنة، بيد أنّ نشر فضائل الإمام علي عليه السلام وأهل البيت عليهم السلام بين أهل السنّة ـ الذي بدأ بأحمد بن حنبل ـ قد أسهم في التخفيف من عصبيّتهم وتشدّدهم، ففي نهاية القرن الثالث الهجري قام الحنابلة بطرد محمد ابن جرير الطبري ـ المؤرّخ الشهير في العالم الإسلامي ـ بسبب جمعه لطرق حديث الغدير، ولكنهم تخلّوا فيما بعد عن تشدّدهم في القرن الخامس الهجري، وحدث نوع من التعايش السلمي بينهم وبين أتباع المذهب الشيعي.

وعلى كل حال، فبعد أن فترت حدّة النزاع في القرن السادس الهجري، شهدت عملية تأليف الكتب في فضائل أهل البيت عليهم السلام وتيرة متسارعة، وظهرت آثار الاعتدال بين أهل السنَّة في التعاطي مع أهل البيت عليهم السلام بشكل ملحوظ.

ويُعدّ ظهور سبط بن الجوزي ـ الذي كان حنبلياً متشدّداً ـ مؤيداً لظهور الاعتدال بين الحنابلة في بغداد، فقد كان كتابه (تذكرة الخواص) من أفضل الشواهد على إيجاد الاعتدال في الوسط السنّي المتطرّف، وعلى الرغم من اتهامه بالتشيّع من قِبل المتطرفين، فإنّه كان يقف ـ كما يظهر نفسه ـ على حد فاصل بين التسنن والتشيّع.

والنموذج الآخر الذي يعود إلى القرن السادس الهجري، يتمثل في الإمام أبي الفضل يحيى بن سلامة الحصكفي (ت٥٥١ أو ٥٥٣هـ)[1]، فقد أنشد ـ بحسب رواية ابن طولون ـ قصيدة في مدح الأئمة الاثني عشر عليهم السلام، منها الأبيات الآتية التي تتضمن أسماء الأئمة الاثني عشر عليهم السلام:

حيدرةٌ والحسنانِ بعدَهُ ... ثمَّ عليٌّ وابنُهُ محمّدُ
وجعفرُ الصادقِ وابنُ جعفرِ ... موسى ويتلُوهُ عليُّ السيِّدُ
أعني الرِّضا، ثمّ ابنُهُ مُحمَّدٌ ... ثمَّ عليٌّ وابنُهُ المُسَدَّدُ
الحسُن التالي ويتلُو تِلوهُ ... مُحمَّدُ بن الحسنِ المُعتَقَدُ[2]

(١) أُنظر في شأنه: الحموي، ياقوت، معجم الأُدباء: ج٢٠، ص١٨.
(٢) أُنظر: ابن طولون، محمد، الشذرات الذهبية في تراجم الأئمة الاثني عشرية عند الإمامية: ص٤١.

وللحصكفي قصيدة في رثاء الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام، جاء في مطلعها:

ومصرعُ الطفِّ فلا أذكرُهُ ... ففي الحَشَى منهُ لهيبٌ يَقِدُ[1]
يَرى الفراتَ ابنُ الرسولِ ضامياً ... يَلْقَى الردَى وابنُ الدَّعي يَردُ
يا أهلَ بيتِ المصطفى يا عدَّتي ... ومَنْ على حبِّهمُ أعتمدُ
والشافعيُّ مَذْهَبِي مَذْهبُهُ ... لأنَّهُ في قولهِ مُؤَيَّدُ[2]

إنّ هذا الاعتدال والتقارب مع الشيعة لم يكن مقتصراً على جماعة بعينها من أهل السنّة، فمن بين الشافعية ألّف محمد بن طلحة الشافعي (ت٦٥٢هـ) كتاب (مطالب السؤول في مناقب آل الرسول)، الذي يبدو وكأنّ مؤلّفه شيعي إمامي اثنا عشري مع اختلاف يسير، كما قام محمد بن يوسف بن محمد الكنجي الشافعي (ت٦٥٨هـ) بتأليف كتاب (كفاية الطالب) في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام، وأهل البيت عليهم السلام.

ومن بين الحنابلة عمد أبو محمد عبد الرزاق بن عبد الله بن أبي بكر عزّ الدين الإربلي (ت٦٦٠هـ) إلى تأليف موسوعة في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام، بطلب من بدر الدين لؤلؤ الحاكم الإمامي للموصل، وقد أفاد صاحب كشف الغمّة من هذه الموسوعة كثيراً[3]، وكتب أبو محمد عبد العزيز بن محمد بن مبارك الحنبلي الجنابذي (ت٦١١هـ) كتاب (معالم العترة النبوية ومعارف أهل البيت الفاطمية العلوية) في بيان سيرة الأئمة عليهم السلام إلى الإمام الحادي عشر[4].

وقد تحدّث ابن خلكان الشافعي كذلك عن حياة الأئمة عليهم السلام في كتابه (وفيات الأعيان)، وكلامه ـ بطبيعة الحال ـ يختلف عن الآخرين، إلا أنّ اهتمامه بأئمة الشيعة

---

(١) يقد: يشتعل.

(٢) المحمودي، محمد باقر، زفرات الثقلين في مأتم الحسين: ج ٢، ص٢٩٤. (نقلاً عن: نسمة السحر، وجواهر المطالب، والمنتظم).

(٣) أُنظر: الإربلي، علي بن عيسى، كشف الغمّة: ج١، ص٧٧، وص٩٤، وص١١٦، وص١٣٧، وص١٦١، وص٣١، وص٣١٤، وص٣٢٥ـ٣٢٦.

(٤) أُنظر: المصدر السابق: ص٧٤.

يكشف في حدّ ذاته عن حضور الأئمة عليهم السلام في ذاكرة عصره.

وفي القرن الهجري الثامن نصل إلى حمد الله المستوفي (توفّي بعد عام ٧٥٠هـ)؛ حيث عمد في تاريخه المنتخب إلى ذكر الخلفاء الأوائل ضمن عناوين مألوفة تتسم بطابع الاحترام، ثم عرّج على الإمام علي عليه السلام، ومن بعد جاء على ذكر الإمام الحسن المجتبى عليه السلام واصفاً إياه بـ«**أمير المؤمنين، حفيد رسول ربّ العالمين، الإمام المجتبى الحسن بن علي المرتضى**»، ليفتح بعد ذلك باباً تحت عنوان: «**في ذكر جميع الأئمة المعصومين (رضوان الله تعالى عليهم أجمعين) الذين هم حجّة الحقّ على الخلق، مع ذكر مدّة إمامتهم من الرابع من شهر صفر سنة تسع وأربعين إلى شهر رمضان سنة أربع وستين ومائتين، وهي في مجموعها: مائتان وخمس عشرة سنة وسبعة أشهُر**»، وأضاف قائلاً: «**إنّ الأئمة المعصومين وإن لم ينالوا الخلافة، فإنهم كانوا أهلاً لها، ولذلك نذكر للتبرّك جانباً من سيرتهم وفضائلهم على سبيل الإيجاز**»[1].

وفي القرن الهجري التاسع، قام ابن الصباغ المالكي (٧٨٤ـ ٨٥٥هـ) بتأليف كتاب (الفصول المهمة في معرفة أحوال الأئمة).

وفي القرن الهجري العاشر عمد شمس الدين محمد بن طولون (ت٩٥٣هـ) إلى تأليف كتاب (الشذرات الذهبية في تراجم الأئمة الاثني عشرية عند الإمامية)، وكان ابن طولون من العلماء المولعين بالتصوّف والعرفان، وبعد الفراغ من بيان سيرة الأئمة عليهم السلام من المصادر المعتبرة، ختم الكلام بقصيدة له في وصف الأئمة الاثني عشر، ومن بينها الأبيات التي يقول فيها:

عليكَ بالأئمةِ الاثني عَشْر ... مِنْ آلِ بيتِ المصطفى خيرِ البَشَرْ
أبو ترابٍ، حسنٌ حسينُ ... وبغضُ زينِ العابدينَ شينُ
مُحمَّدُ الباقرُ كَمْ علمٍ دَرَى ... والصادقُ ادْعُ جعفراً بينَ الورَى
مُوسى هوَ الكاظمُ وابنُهُ علي ... لُقِّبَ بالرِّضا وقَدْرُهُ عَلي

(١) أُنظر: مستوفي، حمد الله، تاريخ گزيده (التاريخ المنتخب): ص١٩٨ـ ٢٣١.

مُحَمَّدُ التقيُّ قلبُهُ معمورُ عـليٌّ الـنـقـيُّ دُرُّهُ منثورُ
والعسكريُّ الحسنُ المُطهَّرُ مُحَمَّدُ المهديُّ سوفَ يظهرُ[1]

كما يتعيّن علينا أن نضيف إلى ما تقدّم من الكتب، كتاب (الإتحاف بحبّ الأشراف) للشبراوي (ت١١٧٢هـ)، و(نور الأبصار) للشبلنجي، و(ينابيع المودّة) للحنفي القندوزي (ت١٢٩٤هـ)، وهناك كتاب آخر عنوانه (كنه الأخبار) يعود إلى القرن العاشر الهجري، تحدّث فيه ـ مثل سائر الكتب المتقدّمة ـ عن سيرة الخلفاء والأئمة الاثني عشر[2]، والكتاب الآخر الذي يمكن أن نذكره في هذا الشأن (المقصد الأقصى في ترجمة المستصفى). كان أصل الكتاب باللغة العربية، ثمّ عمد كمال الدين حسين الخوارزمي إلى ترجمته إلى اللغة الفارسية تحت هذا العنوان، وموضوعه سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله والخلفاء، وعلى الرغم من مذهبه السنّي، فإنه لم يتجاهل سيرة الأئمة الاثني عشر عليهم السلام والسيدة فاطمة الزهراء عليها السلام في هذا الكتاب[3].

والنموذج الآخر كتاب (روضات الجنان وجنات الجنان) لمؤلفه درويش محمد الكربلائي، وهو على الرغم من تسنّنه ذكر سيرة الأئمة الشيعة عليهم السلام في المجلد الثاني من هذا الكتاب، وجزؤه الأعظم مأخوذ من كتاب (فصل الخطاب) للخواجة محمد بارسا، والخواجة محمد هذا، رغم إصراره على التسنّن، أورد بدوره في كتابه هذا بإسهاب تراجم الأئمة عليهم السلام[4]، كما أنّ كتاب (غاية الهمّة في ذكر الصحابة والأئمة) أو (الرسالة المحمدية) لمؤلفه محمد عليم بن محمد موسى إله آبادي هو في بيان سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله، والخلفاء الأوائل وأئمة الشيعة عليهم السلام[5].

ومن أكثر هذه المؤلفات أهمية كتاب (وسيلة الخادم إلى المخدوم در شرح

(١) ابن طولون، محمد، الأئمة الاثنا عشر: ص١١٨.
(٢) أُنظر بشأنه: مجلة (نشر دانش): السنة الرابعة عشرة، العدد ٧٩ـ٨٠، ص٥٨.
(٣) أُنظر: استوري، أدبيات فارسي: ص٧٧٥.
(٤) تمّ نشر هذا القسم من كتابه في الكتاب الرابع من (ميراث إسلامي إيران).
(٥) أُنظر: استوري، أدبيات فارسي: ص٩٤٩.

بـر چهارده معصوم)[1] باللغة الفارسـية، لمؤلفه فضل الله بن روزبهان الخنجي، وهو من مشـاهير علماء أهل السـنّة في إيران، وقد ضمّن هذا الكتاب مدحاً في حق الأئمة المعصومـين الأربعة عشر عليهم السلام، وتصدى لشرحها تاريخياً. وقد اختص قسـم من هذا الكتاب بسيرة الإمام الحسين عليه السلام وواقعة كربلاء.

وإليك نموذجاً من شعر الفضل بن روزبهان:

مهيمنـا بـه حبيـب محمـد عربـى ... بـه حـق شـاه ولايـت عـلى عـالى فـن
بـه هـر دو سـبط مبـارك شـاه زيـن عباد ... بـه حق باقر وصـادق به كاظم أحسـن
به حق شـاه رضا سـاكن حضـيرة قدس ... بـه حق شـاه تقـى ونقـى وصبـور محن
بـه حـق عسـكرى وحجت خـدا مهدى ... كزيـن دوازده بـده نجـات روح وبدن
فـداى خـاك رضـا بـاد صـد روان أمين ... كه اوست چاره درد وشفيع ذلت من[2]

مراسم العزاء عند أهل السنّة في القرن السادس الهجري برواية عبد الجليل الرازي

لقـد ألّف عبد الجليـل القزويني الرازي كتابه (نقض) المعـروف بـ(بعض مثالب النواصـب في نقـض فضائـح الروافـض) في حدود عـام (٥٦٠هـ)، وذلـك في الردّ عـلى كاتب سـنّي، وهـو يحتوي على معلومـات قيّمة بشـأن الجـذور التاريخية لإقامة مراسـم العزاء على الإمام الحسـين عليه السلام لدى أهل السـنّة، وقد عمد في البداية إلى نقل ما قاله ذلك الكاتب السـنّي، قائلاً: «**إنّ هذه الطائفة** [الشـيعة] **يقومون بإظهار الجزع**

---

(١) وسيلة الخادم إلى المخدوم في سيرة الأئمة المعصومين الأربعة عشر.

(٢) ترجمة الأبيات باللغة العربية إجمالاً:

إلهـي أقسـم عليـك بالحبيـب محمـد العربي ... وبحـق إمـام الولايـة العـالي عـلي
وبسـبطيه المباركـين وبزيـن العابديـن ... وبحق الباقر والـصـادق والكاظم
وبحق الإمام الرضا ساكن حضيرة القدس ... وبحق الإمام التقي والنقي الصبور على المحن
وبحـق العسـكري وحجـة الله المهـدي ... هبنـي النجـاة بحقهـم روحـاً وجسـداً
فـداء لـتراب الرضا مائة نفس أمينة ... فـهـو شـفـاء آلامـي وشـفـيـع ذلّـتـي

في يوم عاشوراء، ويقيمون مراسم العزاء، ويجددون مصيبة شهداء كربلاء، فيروون قصصها على المنابر، ويحسر العلماء عن رؤوسهم، ويشقُّ العامّة جيوبهم، وتخمش النساء وجوههن، ويجهشن بالبكاء والعويل».

ثم قال الشيخ عبد الجليل الرازي في جوابه:

«... لا يخفى على أحد أنّ كبار الأئمة من الفريقين من أصحاب الإمام المقدّم أبي حنيفة، والإمام المكرّم الشافعي، وسائر علماء وفقهاء الطوائف الأُخرى، قد حافظوا ـ خلفاً عن سلف ـ على هذه السنّة، واتبعوا هذه الطريقة في سلوكهم، فهذا الشافعي الذي يُعدّ أصلاً ويُنسب إليه المذهب، له ـ فضلاً عن المناقب ـ الكثير من المراثي في الحسين وسائر شهداء كربلاء، ومن بينها القصيدة التي يقول فيها:

أبكي الحسين وأرثي منهُ جحجاحا ... من أهلِ بيتِ رسولِ اللهِ مصباحا

إلى آخر القصيدة المبالغ في تمامها وكمالها. وقال في قصيدة أُخرى:

تأوَّبَ همِّي فالفؤادُ كئيبُ ... وأرَّق نومي فالرقادُ عجيبُ[1].

إلى آخر رثائيته المفعمة بالمفاهيم التي يعجز عن مجاراتها الآخرون، وإنّ رثاء شهداء كربلاء المروي عن أصحاب أبي حنيفة والشافعي لا يُحصى كثرة، فإذا كان ثمّة عيب في

---

(١) أورد الخوارزمي الحنفي تمام هذه القصيدة في كتابه (مقتل الحسين عليه السلام): ج١، ص١٣٦. ومن بين أشعاره الأُخرى:

وممّا نفى نومي وشيّب لمّتي ... تصاريف أيام لهنّ خطوبُ
فمن مبلغ عنّي الحسين رسالة ... وإن كرهتها أنفس وقلوبُ
قتيلاً بلا جرم كأنّ قميصه ... صبيغ بماء الأرجوان خضيبُ
تزلزلت الدنيا لآل محمد ... وكادت لهم صمّ الجبال تذوبُ
وغارت نجوم واقشعرّت كواكب ... وهتّك أستار وشقّ جيوبُ

كما نقل هذه الأشعار جمال الدين الزرندي المدني في كتاب (معراج الوصول في معرفة آل الرسول): نسخة مخطوطة، الورقة ٣١ ب، نقلاً عن زفرات الثقلين: ج١، ص٢٩٠. أُنظر: ابن شهرآشوب، محمد ابن علي، مناقب آل أبي طالب: ج٣، ص٢٦٩.

ذلك، فإنّه يطال أبا حنيفة والشافعي وأصحابهما أوّلاً، ثمّ يطالنا».

ثم انتقل بعد ذلك إلى بيان نماذج من مراسم العزاء التي يقيمها أهل السنّة في إيران ـ بما فيهم من الأحناف والشافعية ـ في القرن السادس الهجري، حيث يقول: «**ثم إذا ذهبت إلى أبعد من ذلك، فسيتضح لك أن (الخواجة أبو منصور ماشاده)**[1]**، وهو في عصره مقتدى أهل السنّة في إصفهان، كان يقيم مراسم العزاء في هذا اليوم من كل سنة بالنياحة والعزاء والبكاء والعويل، وقد وقف على ذلك وشاهده كل مَن حضر مجلسه، ولم ينكر منهم أحد**».

ثم ننتقل إلى بغداد ـ مدينة السلام ومقرّ دار الخلافة ـ لنصل إلى (الخواجة علي الغزنوي الحنفي)[2]، حيث يعرف الجميع مجلس العزاء الذي كان يقيمه، وكان يبالغ عند حلول اليوم العاشر من المحرم في لعن السفيانيين، وذات يوم قام شخص في مجلسه وسأله قائلاً: ماذا تقول في معاوية؟ فأجاب بصوت يسمعه الجميع: أيّها المسلمون، يسأل علياً عن رأيه في معاوية! أفلا تعلم يا هذا ما هو رأي عليّ في معاوية؟!

وهذا الأمير قطب الدين مظفر العبّادي[3] وهو علّامة دهره سيّد المعاني وسلطان الكلام، سُئل ذات يوم في مجلس المقتفي لأمر الله في الليلة السابقة للعاشر من المحرم: ما تقول في معاوية؟ فلم يُجب، حتى أعاد السائل سؤاله ثلاث مرّات؛ فقال في الثالثة: أيّها السائل، إن سؤالك مبهم، فأيّ معاوية تعني؟ هل تعني معاوية الذي كسر أبوه ثنايا رسول الله صلى الله عليه وآله؟! أم معاوية الذي بقرت أُمّه عن كبد حمزة ولاكتها؟! أم معاوية

---

(١) من علماء الشافعية البارزين، ذكره السبكي في طبقات الشافعية: ج ٤، ص٣٠٣. وكان من كبار العلماء في إصفهان، وقد توفّي في شهر ربيع الآخر من عام (٥٣٦هـ).

(٢) واعظ بغداد الكبير، كان السلطان مسعود السلجوقي يحضر مجالس وعظه، توفّي سنة (٥٥١هـ)، وردت ترجمته في الكثير من المصادر. اُنظر على سبيل المثال: ابن كثير، إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية: ج١٢، ص٢٣٥ ـ ٢٣٦.

(٣) قطب الدين المظفر، المعروف بالعبّادي، من وعّاظ بغداد المعروفين، ترجم له ابن خلكان بالتفصيل في كتابه وفيات الأعيان: ج٢، ص١٢٧.

الـذي جرّد السـيف بوجه علي عليه السلام بضعـاً وعشرين مرّة؟! أم معاويـة الذي حزّ ولده رأس الحسين سبط رسول الله صلى الله عليه وآله وطاف به في البلاد؟!.. ثم التفت إلى الحاضرين في المجلس قائلاً: ماذا تقولون في معاوية هذا؟ فضجّ المجلس وكل مَن فيه من الأحناف والشافعية بلعنه، والدعاء عليه بالويل والثبور.

وهنـاك الكثير من هذه المشـاهد، التي تعكس تفجّع أهل السـنّة في بغداد، وتجدد الحزن فيهم على الحسين عليه السلام في كل موسم من مواسم عاشوراء.

وأمـا في همـدان، فقد كان (مجـد الدين المذكّر الهمـداني)[1] ـ على الرغـم من غلبة المشـبّهة ـ يقيم العزاء لحضرة السـلطان وعسـاكر الأتراك في موسم عاشوراء من كل سنة، على نحو يثير ذهول القميين.

وهـذا الخواجـة الإمام نجم أبو المعالي بن أبي القاسـم البزاري النيسـابوري ـ على الرغـم من كونـه حنفياً ـ كان معروفـاً في إقامة العزاء، حتى روي عنـه أنه كان ينوح ويكفكف دموعه بمنديل، ويهيل التراب على رأسه، وهو ينشج نشيجاً عالياً بالبكاء.

وفي الـريّ التـي هي مـن أُمهات المدن السـنّية، لم يكن خافياً على أحـد ما يقوم به الشـيخ أبـو الفتـوح النصرآبادي والخواجة محمـود الحدادي الحنفـي ـ وغيرهما ـ من إقامـة العزاء والبراءة من الظالمين ولعنهم في نُزل (كوشـك) للمسـافرين والمسـاجد الكبرى يوم عاشوراء.

وكان معروفـاً في تلـك الفـترة ما يقوم بـه الخواجة الإمـام شرف الأئمة أبو نصر الهسنجاني في يوم عاشوراء من كل سنة، وذلك بحضور الأُمراء والأتراك والخواجات والأحناف، دون أن يُنكر عليه أحد، بل كانوا يوافقونه ويعينونه ويواسونه على ذلك، وكان هذا الأمر من الوضوح والشهرة بحيث لا يحتاج إلى إثبات.

---

(١) مجد الدين أبو الفتوح محمد بن أبي جعفر الهمداني، مؤلف كتاب الأربعين عن الأربعين، كان فقيهاً ومحدّثاً وواعظاً، توفّي سنة (٥٥٥هـ). أُنظر ترجمته في: تلخيص مجمع الأُدباء: حرف الميم، ص٢٤٥ ـ ٢٤٦. تعليقات النقض: ص١٠٩٧.

وهكـذا الخواجة الإمام أبو منصـور حفدة[1]، وكان ذا مكانة مُقدّماً بين أصحاب الشـافعي، حيـث اشـتُهرت عنه هـذه الحكاية عند مجيئـه إلى الري في يوم عاشـوراء، ومـا كان منه في (جامع سرهنج) من تفضيل الإمام الحسـين عليه السلام على عثمان، ووصفه معاوية بالباغي.

والقـاضي عمدة السـاوي[2] الحنفي صاحـب البيان المعـروف، حيث روى قصة المقتـل في جامع (طغرل) بحضور عشرين ألف شـخص، حتـى ضجّ الجميع بالبكاء والعويل، وحسروا عن رؤوسهم، وشقوا جيوبهم، على نحو لم يفعلوه من قبل، ولو أن مصنف الكتاب (يعني المؤلّف السنّي) كان من الريّ حقيقة، لكان ذلك معروفاً عنده.

وقـد شـهد الجميع ما قـام به الخواجة تاج الأشـعري الحنفي النيسـابوري في يوم عاشـوراء، بعـد الصـلاة في الجامـع العتيق، من المبالغـة في إظهار العزاء، سـنة خمس وخمسين وخمسمائة للهجرة، وذلك بإذن من القاضي وبحضور كبار الأُمراء.

وعليـه؛ فلـو كان هـذا الأمر بدعة ـ كما حـاول الخواجة المجـبر الانتقالي (المؤلف السـنّي) أن يُصـوّره ـ لما أذن به المفتي، ولما سـمح بفعله، ولما قـام به الأئمة من أعلام أهل السنّة على ما مرّ ذكره.

وإذ كان الخواجة الانتقالي لم يسـبق له أن شـهد مجالس الأحناف والشيعة، فلا بد أنه قد شـهد مجلس (شـهاب المشّـاط)، ففي شـهر محرّم من كل سـنة كان يقيم مقتل عثمان وعلي عليه السلام ابتداءً، وعندما يحلّ العاشر من المحرم يقيم مقتل الحسين بن علي عليه السلام، حتى إنه قبل سنتين سرد هذه القصة بحضور زوجات الأُمراء وزوجة الأمير الأجلّ عـلى نحو شـقّ له النـاس جيوبهـم، وأهالـوا التراب على رؤوسـهم، وحـسروا عن

(١) أبو منصور محمد بن أسعد الطوسي المعروف بـ(حفدة)، والملقّب بـ(عمدة الدين)، الفقيه الشافعي النيسابوري، من علماء نيسابور المعروفين، ترجم له ابن خلكان في (وفيات الأعيان)، وكان قبره مزاراً لعدّة قرون. أُنظر: تعليقات النقض: ص١٠٩٩.

(٢) من العلماء والواعظين المعروفين في مدينة ساوة، ترجم له عماد الكاتب في (خريدة القصر وجريدة العصر)، توفّي سنة (٥٦٧هـ) في مدينة ساوة. أُنظر: تعليقات النقض: ص١١٠٠.

رؤوسهم، والجميع في بكاء وعويل، حتى قال الحاضرون: لقد زاد في الكيل على ما تقيمه الشيعة.

فإذا كانت هذه الأفعال قد صدرت من العلماء والقضاة مداهنة وتقية وخوفاً من الأتراك والسلطان، فهم يوافقون الشيعة في القول بالتقية، وإذا صدرت منهم عن قناعة خلافاً له، فذلك نقص في إيمان الخواجة؛ فما عدا بلاد الخوارج والمشبّهة، حيث سكان تلك المناطق لا يقرّون هذه الأفعال، فإنّ الأحناف والشوافع يمارسون هذه السُّنّة كما يمارسها الشيعة، فكأنّ الخواجة خارجي قالٍ لهذه المذاهب الثلاثة، وعليه أن يشدّ الرحال إلى خوزستان ولرستان حيث يسكنها الخوارج، وبذلك يمكنه أن يبتعد عن هذه المشاهد التي لا تروق له بسبب عصبيّته، مع أنّ إقامة العزاء على الإمام الحسين بن علي عليه السلام، إنما هو اتّباع لقول المصطفى صلى الله عليه وآله؛ إذ يقول: «**مَن بكى على الحسين أو أبكى أو تباكى، وجبت له الجنة**»، ليكون الخطيب والمخاطب في كنف رحمة الله، ولا يكون منكر ذلك إلا منافقاً ومبتدعاً وضالاً وخارجياً، ومبغضاً لفاطمة الزهراء وآلها، وعلي وذريته عليهم السلام، والحمد لله بل أكثرهم لا يعقلون[1].

وعلى كل حال، فقد كان أكثر العلماء من أهل السنّة في بغداد يتحدّثون في القرن الثامن الهجري عن ظلامة الإمام الحسين عليه السلام، دون أن يبدوا أيّ عصبية كتلك التي خلّفها عصر بني أُمية. وبطبيعة الحال لا ننكر وجود بعض الاستثناءات في الوقت نفسه، ومن ذلك ما كتبه شخص يُدعى عبد المغيث بن زهير الحنبلي في فضائل يزيد ابن معاوية، فردّ عليه ابن الجوزي ـ العالم السنّي المعروف ـ في كتاب تحت عنوان: (الردّ على المتعصّب العنيد المانع من ذمّ يزيد)، وقد تحدّث ابن الأثير عن هذا المدعو عبد المغيث الحنبلي في (الكامل)، قائلاً: «**صنّف كتاباً في فضائل يزيد بن معاوية، أتى فيه بالعجائب**»[2]، وقال عنه الذهبي في كتابه (سير أعلام النبلاء) ـ ويا للعجب ـ:

(١) أُنظر: الرازي القزويني، عبد الجليل، (النقض، المعروف ببعض مثالب النواصب في نقض بعض فضائح الروافض): ص٣٧٠ـ٣٧٣.

(٢) أُنظر: ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج١١، ص٥٦٢.

«**وكان ثقة سنيّاً**»[1]. إلا أنّ هذا الاتجاه كان نادراً جداً، كما نشهد مثيلاً له حتى في وقتنا الراهن، وهو من الضعف بحيث لا يُعتنى به أصلاً.

وكما تقدّم، فقد كان في بغداد آنذاك واعظان معروفان يقيمان مجالس العزاء في أيام عاشوراء، أحدهما: علي بن الحسين الغزنوي الحنفي، وهو واعظ لا يشق له غبار، يحضر مجلسه السلاطين، والواعظ الآخر: الأمير العبّادي الذي كان يقرأ المقتل في يوم عاشوراء أيضاً، وقد نقل ابن الجوزي نفسه بعض التقارير عن مجالسه وكلماته القصار.

وهكذا يتضح أنّ إقامة مراسم العزاء والمآتم على الإمام الحسين بن علي عليه السلام في عاشوراء كانت مستمرة في بغداد بين السنّة والشيعة، ولم تتوقف أبداً.

خراسان في العهد التيموري ومراسم العزاء على الإمام الحسين عليه السلام

يبدو أنّ الفترة الزمنية التي سبقت مجيء الصفوية بقرنين قد شهدت في خراسان ـ التي كانت مركزاً للشيعة وأهل السنّة ـ إقامة مراسم العزاء على الإمام الحسين عليه السلام في أيام عاشوراء، وبما أنّ هذه المآتم كانت تقام حتى في هرات، كان هذا دليلاً على أنّ الأمر لم يكن مقتصراً على الشيعة فقط، بل إن أهل السنّة كانوا يقيمون هذه المراسم أيضاً.

وكان الكتاب الأكثر انتشاراً في هذه المنطقة يحمل عنوان (نور الأئمة)، وهو نوع ترجمة لكتاب (مقتل الحسين) لابن أحمد الخوارزمي الحنفي (٤٨٤ ـ ٥٦٨هـ)، وكانت هناك في هذا الشأن كتب أُخرى غيره أيضاً.

وفي نهاية هذه المرحلة ـ قبل وصول الصفوية إلى السلطة بثماني سنوات تحديداً ـ تم تأليف كتاب في المقتل، وكان كاتبه لا يعتقد بوجود حدّ فاصل بين التشيع والتسنّن، فكانوا يتهمونه في هرات بالتشيّع، وفي سبزوار بالتسنّن، ألا وهو الملا حسين الكاشفي، وكان يتمتّع بشعبية واسعة في هرات على عهد تيمور، ويحضر مجلس وعظه كبار رجال الدولة التي ظل يحكمها (السلطان حسين بايقرا) سنوات

(١) أُنظر: الذهبي، محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء: ج٢١، ص١٦٠.

مديدة، وقد ألّف كتابه هذا باسم واحد من كبار هذا البلاط.

وقد أشار الملا حسين الكاشفي في موضع من هذا الكتاب (روضة الشهداء)[1] قائلاً: «**كلّما تجدّد المحرم تجدّد معه هذا المأتم في قلوب أهل الإسلام وأتباع سيّد الأنام (عليه الصلاة والسلام)، حيث نداء من الغيب ينادي العالم، مخاطباً أصحاب المصاب بأهل البيت عليهم السلام والمفجوعين بهم، قائلاً:**

مهيمنا به حبيب محمد عربى — به حق شاه ولايت على عالى فن
كاى عزيزان در غم سبط نبى افغان كنيد — سينه را از سوز شاه كربلا بريان كنيد
از پى آن تشنه لب بر خاك ريزيد آب چشم — در ميان گريه، ياد آن لب خندان كنيد»[2].

ويبدو أنّ الكاشفي قد عقد العزم ـ استجابة لأحد أعيان وسادة هرات واسمه (مرشد الدولة) المعروف بـ (سيد ميرزا) ـ على تأليف كتاب لهذه المجالس، وبعد أن ذكر مقدّمة في أهمية البكاء على الإمام الحسين عليه السلام، والتذكير بالمأثور عن رسول الله صلى الله عليه وآله من أنّ: «**مَن بكى على الحسين وجبت له الجنة**»، قال: «**كتبته لجماعة من محبّي أهل البيت عليهم السلام؛ كي يجدّدوا العزاء في المحرّم من كل عام على مصائب الشهداء، ويقيموا المآتم على ذرّية رسول الله صلى الله عليه وآله، ويذوبوا حسرة عليهم:**

ز اندوه اين ماتم جان گسل — روان گردد از ديده ها خون دل»[3].

ثم قال الكاشفي بشأن ما يُقرأ في هذه المجالس: «**إنّ أخبار مقتل الشهداء التي يجددون ذكرها في هذه الكتب، ليزيحوا بالدموع غيمة الحزن المخيمة على صدورهم...**

---

(١) أُنظر: الكاشفي، الملا حسين، روضة الشهداء: ص٣٥٤.

(٢) ومعناه باللغة العربية:

ابكوا أيّها الأحبة حزناً على سبط النبي — ولتحرقوا صدوركم بنار اللوعة على قتيل كربلاء
واروا الأرض بدموعكم لأجل مَن قضى ظامئ الشفاه — واذكروا مبسمه الظامئ حين البكاء

(٣) ومعناه باللغة العربية:

تذوب النفس حسرة في هذه المآتم — وتجري دماء القلب من بين المآقي

مشـكلتها، ومشـكلة أيّ كتاب في هذا الشـأن، رغم اشـتماله على قصص الشـهداء، أنّها تفتقر إلى الاسـتيعاب والشمول لجميع فضائل السـبطين وتفاصيل سيرتهما، الأمر الذي دعا السيد ميرزا أن يأمرني، أنا الفقير الحقير حسين الواعظ الكاشفي، بالتصدي لتأليف كتاب جامع لحالات أهل البلاء من الأنبياء والأصفياء والشهداء وسائر أرباب الابتلاء وأحوال آل العباء؛ لتوضيح وتفصيل ما هو مسطور ومذكور بشأنهم»[1].

لم يقتصر نفوذ كتاب (روضة الشهداء) على شيعة إيران في العصر الصفوي فقط، بـل نجد له نفوذاً واسـعاً حتى بين السـنّة في أطـراف وأكناف إيران أيضـاً، ومن بين أحـدث المـؤشرات على تأثير هـذا الكتاب في أهل السـنّة، ما قام به الشـاعر السـنّي الكـردي العراقي عبد الله زيور (ت١٣٦٩هـ) المتخصص في اللغة الفارسـية، حيث عمد إلى تحويل النص الفارسي لـ (روضة الشـهداء) إلى قصيدة شـعرية بالفارسـية، دون أن يصرّح بذلك، وأطلق على قصيدته هذه عنوان: (داستان سوزناك كربلاء)[2].

ومـن المناسـب هنا أن نذكـر موقف العالم العارف، شـاعر خراسـان الكبير، عبد الرحمن الجامي (٨١٧ـ٨٩٨ هـ)، الذي كان سـنّياً حنفياً، متسـماً طبعاً بنزعة صوفية عميقة، فقد اسـتعرض في كتابه (سلسلة الذهب) عقائده المذهبية فيما يخص الخلافة، حيث عرّف نفسـه بوصفه سنّياً معتقداً، ومحبّاً لأهل البيت عليهم السلام في الوقت نفسه. وهو ـ كسـائر أهل السنّة ـ يذهب إلى الاعتقاد بأنّه ينبغي للسنّي أن لا يرسم حدود الولاء والعداء بين الصحابة بسـبب ما كان بينهم من الخلافات، وفي الوقت نفسـه عليه أن يعلم أنّ الحق في تلك الخلافات كان مع الإمام علي عليه السلام، وذلك إذ يقول:

«همـه را اعتقـاد نيكـو كـن ... دل ز انكارشـان بـه يـك سـو كـن
هـر خصومـت كه بودشـان با هم ... بـه تعصـب مـزن در انجـام دم

(١) الكاشفي، الملا حسين، روضة الشهداء: ص١٢ ـ ١٣.
(٢) قصة فاجعة كربلاء المؤلمة.

به سر انگشت اعتراض منه | دين خود رايگان ز دست مده
حكم آن قصه با خداى گذار | بندگى كن ترا به حكم چكار
وآن خلافى كه داشت با حيدر | در خلافت صحابتى ديگر
حق در آنجا به دست حيدر بود | جنگ با او خطا ومنكر بود»[1].

جدير بالذكر أنّ أهم المواجهات المذهبية التي حدثت بين الجامي والمعارضين له في عصره، هي مواجهته للشيعة الذين كان لهم نفوذ ملحوظ في خراسان، وقد شهدنا لاحقاً كيف تسلّم هذا المذهب زمام الحكم في تلك المنطقة بعد مجيء الصفويين. ولقد كانت للجامي هذا حملات كثيرة على الشيعة؛ سعياً منه إلى الحفاظ على مناخ هرات وفقاً للتعاليم السنّية، وهذا هو ذات الاتجاه الذي نراه لدى الأمير (علي شاه النوائي) أيضاً، وبطبيعة الحال كان هناك مَن يخالف هؤلاء من أهل السنّة الذين يميلون إلى التشيّع.

إلا أنّ الجامي ـ على الرغم من ذلك ـ كان يسعى إلى حفظ التوازن والحدود، فهو على الرغم من بغضه للرفض والرافضة، بمعنى مَن يسبّون الصحابة، فإنه هو الذي ترجم إلى اللغة الفارسية أبيات الشافعي المعروفة في حبّ أهل البيت عليهم السلام، والتي يقول فيها:

---

(١) الجامي، عبد الرحمن، سلسلة الذهب: ص١٧٨. ترجمة الأبيات بالعربية إجمالاً كالتالي:

أحسن الظنّ بهم جميعاً | ولا ينبغي لقلبك أن ينكر أحداً منهم
أيّما نزاع دار فيما بينهم | لا يكوننّ مدعاة للتعصب في الحديث عنهم
لا تعترضنّ عليهم قيد أنملة | فلا تفقد دينك من دون ثمن
دع القضاء في تلك القضية لله | وانشغل بالعبودية فما أنت والقضاء
أمّا ذلك الخلاف الذي أثاره ضد حيدر | في الخلافة أُولئك الصحابة الآخرون
فإن الحق هناك كان حليفاً لحيدرة | والحرب ضدّه كانت خطيئة ومنكراً

إنْ كانَ رفضاً حبُّ آلِ محمدٍ فليشهدِ الثقلانِ أنِّي رافضي

إذ ترجمها إلى الفارسية قائلاً:

گر بود رفض حبّ آل رسول يا تولّا به خاندان بتول
گو گوا باش آدمی وپری كه شدم من زغير رفض، بری
كيش من رفض ودين من رفض است رفع من رفض وما بقی خفض است[1].

يتأرجح الجامي بين الشيعة والسنّة، فمن جهة تعرض للطعن من قبل الشيعة في بغداد عندما ذهب إليها بسبب أشعاره في الروافض، وعندما كتب أشعاره في مدح أمير المؤمنين عليه السلام طعن عليه ـ من ناحية أُخرى ـ من قبل السنّة في خراسان، وقد كتب في ذلك قائلاً: «**حيث مدحت في نظم سلسلة الذهب أمير المؤمنين علياً وأولاده، عشت في خوف من سنّة خراسان، واتهامهم لي بالرفض.. ولا أدري فلعلي في بغداد أُبتلى بجفاء مماثل من قبل الروافض هناك**»[2].

وهذا الجامي نفسه عندما يشدّ الرحال إلى العراق قاصداً العتبات المقدسة، يكتب هناك قصيدة في وصف زيارة الإمام الحسين عليه السلام يقول فيها:

كردم ز ديده پای سوی مشهد حسين هست اين سفر به مذهب عشاق فرض عين
خدام مرقدش به سرم گر نهند پای حقا كه بگذرد سرم از فرق فرقدين
كعبه به گرد روضه او می كند طواف ركب الحجيج أين تروحون أين؟!
از قاف تا به قاف پر است از كرامتش آن به كه حيله جوی كند ترك شيد وشين
آن را كه بر عذار بود جعد مشكبار از موی مستعار چه حاجت به زيب وزين

(١) المصدر السابق: ص١٧٨.

(٢) أُنظر: الكاشفي، فخر الدين علي، الرشحات: ج١، ص٢٥٧. مقامات الجامي: ص١٦٩، نقلاً عن: الهروي، نجيب مائل، الجامي: ص١١٨.

جامی گدای حضرت او باش تا شود | با راحت وصال مبدّل عذاب بین
می ران ز دیده اشك كه در مذهب كريم | باشد قضای حاجت سائل أدای دين[1].

وفي سفرته هذه التي كان يقصد فيها حجّ بيت الله الحرام، يمّم شطر النجف الأشرف حيث مرقد أمير المؤمنين عليه السلام، وأنشد هناك قصيدة عصماء، جاء في مطلعها:

أصبحت زائراً لك يا شحنة النجف | بهر نثار مرقد تو جان بكف
تو قبله دعائی وأهل نياز را | روی اُميد، تو باشد زهر طرف[2].

بعض مؤلّفات العلماء الأحناف في الإمام الحسين عليه السلام

إنّ المؤلّفات التي كتبها علماء أهل السنّة في أهل البيت عليهم السلام منذ القرن الأول، وطوال القرون المنصرمة، تفوق العدّ والإحصاء، وأكثر هذه المؤلّفات كُتبت في بيان فضائل أهل البيت عليهم السلام، ولا سيّما أمير المؤمنين عليه السلام، وبعض هذه المؤلّفات التاريخية يدور حول سيرتهم وحياتهم، وفيما يلي نذكر ـ على سبيل المثال دون الحصر ـ عدداً

---

(١) المصدر السابق: ص٥٦. ومعنى هذه الأبيات في اللغة العربية:

صيّرت باصرتي قدماً في الطريق إلى مشهد الحسين | فهذا السفر فرضٌ عينيٌ في مذهب العاشقين
لو أنّ خدام مرقده وطأوا رأسي بأقدامهم | فسيعلو رأسي شموخاً فوق هام الفرقدين
هذا الذي تطوف الكعبة حول روضته | فيا ركب الحجيج أين تروحون أين؟!
فلتلتمس الوسيلة وتدع كلّ شين وحيلة | فلقد ملأت كراماته ما بين الخافقين
ما حاجة ذي العذار المعطر الجعد | أن يتخذ من الشعر المستعار زين
أيّها الجامي قف متسوّلاً على بابه | لتستبدل براحة الوصال عذاب بين
واسكب الدمع من المآقي ففي | مذهب الكريم قضاء حاجة السائل دين

(٢) اُنظر: ديوان الجامي: ص٧٨. ومعناه باللغة العربية:

أصبحت زائراً لك يا شحنة النجف | لأنثر روحي على قبرك بيدي
أنت قبلة الداعين والمتضرعين | حيث يقصدك الأمل من جميع الجهات

من مؤلّفات الأحناف في سيرة الإمام الحسين عليه السلام:

١ ـ ضياء الدين أبو المؤيّد، الموفق بن أحمد بن محمد المكي الخطيب الخوارزمي الحنفي (٤٨٤ ـ ٥٦٨ هـ)، وهو من أكبر علماء الحنفية الذين كتبوا في الإمام الحسين عليه السلام، ألّف كتابه الكبير والقيّم تحت عنوان (مقتل الحسين عليه السلام)، وقد تتلمذ على يد الزمخشري، حيث تعلَّم منه علوم الأدب، ثم تنقّل بين مختلف البقاع والمدن الإسلامية لسماع الحديث.

وقد ترجم له عماد الدين الإصفهاني الكاتب ـ وكان معاصراً له ـ في (خريدة القصر وجريدة العصر)، حيث ذكره في القسم المخصص لإيران، وأثنى عليه في الفقه والأدب، وترجم له القفطي (في إنباء الرواة)، (ج٣، ص٣٣٢)، وأرّخ وفاته بعام (٥٦٨ هـ)، كما ترجم له غيرهما من كبار علماء السِّيَر، من أمثال: ابن النجار، وابن الدبيثي أيضاً.

وله كتاب عنوانه (مناقب أبي حنيفة)، طبع في حيدر آباد سنة (١٣٢١ هـ)، وله كتاب مفقود عنوانه (قضايا أمير المؤمنين عليه السلام)، وكتاب آخر مفقود أيضاً عنوانه (ردّ الشمس على أمير المؤمنين عليه السلام)، وأهم مؤلّفاته كتاب (مقتل الحسين)، ولهذا الكتاب ثلاث نسخ خطية في الحدّ الأدنى، وقد طُبع في النجف الأشرف، ثم طُبع لاحقاً في قم المقدسة سنة (١٣٩٩ هـ)، وطُبع مؤخراً طبعة جديدة من قبل دار نشر أنوار الهدى في قم سنة (١٤١٨ هـ)، وجدير بالذكر أنّ له شعراً في مدح أبي حنيفة، ذكره الفقيد الراحل السماوي في مقدمة كتاب (مقتل الحسين عليه السلام)، وله أيضاً شعر في رثاء أهل البيت عليهم السلام، وإليك بعض أبياته:

لَقَدْ قَتَلُوا عليّاً مُذْ تجلى ... لأهلِ الحقِّ فَحْلاً في الضِّرابِ
وَقَدْ قَتَلُوا الرِّضا الحسنَ المُرَجَّى ... جوادَ العُربِ بالسَّمِّ المُذابِ
وَقَدْ مَنَعُوا الحسينَ الماءَ ظُلماً ... وَجُدِّلَ بالطِّعانِ وبالضِّرابِ

ولـولا زينـبٌ قَتَلُـوا عليّـاً صغـيراً قتـلَ بَـقٍّ أو ذُبـابِ
وَقَـدْ صَلَبُـوا إمـامَ الحـقِّ زيـداً فيـا للهِ مِـنْ ظلـمٍ عُجـابِ
بناتُ مُحمَّدٍ في الشـمسِ عَطْشَى وآلُ يَزِيـدَ في ظِـلِّ القِبـابِ
لآلِ يَـزِيـدَ مِـنْ أدَمٍ خيامٌ وأصحابُ الكِساءِ بلا ثِيابِ[1].

٢ـ عفيف الدين أبو السيادة، عبد الله بن إبراهيم الطائفي الحنفي (ت١٢٠٧هـ)، وردت ترجمته في كتاب (عجائب الآثار) للجبرتي (ج٢، ص١٤٧)، وهناك نسخة من كتابه محفوظة في مكتبة سليم آغا في إسطنبول، وله كتاب عنوانه (إتحاف السعداء بمناقب سيّد الشهداء).

٣ـ قادر بخش بن الحسن الحنفي الهندي الشهسرامي (١٢٧٣ـ ١٣٣٧هـ) من علماء الهند الأحناف، له كتاب عنوانه (جور الأشقياء على ريحانة سيّد الأنبياء)، وردت ترجمته في كتاب (نزهة الخواطر) (ج٨، ص٣٧٠)، حيث ورد الكلام عن هذا الكتاب هناك أيضاً.

٤ـ المولوي عبد العزيز بن الشاه ولي الله الدهلوي (١١٥٩ـ ١٢٣٩هـ)، له كتاب عنوانه (سرّ الشهادتين) في فلسفة استشهاد الإمام الحسين عليه السلام، وقد نُشرت ترجمته العربية في مجلة الموسم (العدد: ١٢، ص٨٣ـ ٩١)، وطُبع باللغة الأُردية أيضاً.

٥ـ الشيخ علي أنور بن علي أكبر بن حيدر علي العلوي الحنفي الكاكوري (١٢٦٩ـ ١٣٢٤هـ)، له كتاب عنوانه (شهادة الكونين في مقتل سيّدنا الحسين السبط)، وقد ورد ذكره ضمن بيان ترجمته في كتاب (نزهة الخواطر)، (ج٨، ص٣٢٨).

٦ـ محمد معين بن محمد أمين السندي التنوي الحنفي (ت١١٦١هـ)، له كتاب عنوانه (قرّة العين في البكاء على الحسين عليه السلام)، تحدّث فيه عن وجوب البكاء على الحسين عليه السلام، وأثبت أنّ إقامة العزاء على الحسين عليه السلام ليست من مختصات الشيعة فقط.

٧ـ محمد بن عثمان بن علي بن إلياس الحنفي الرومي (٨٧٨ـ ٩٣٨هـ)، له كتاب

(١) الخوارزمي، مقتل الحسين: ص٢٩٠.

عنوانـه (مقتل الإمام الحسـين بن علي بن أبي طالـب ـ رضي الله عنهما ـ في كربلاء)، وقد ذكره إسماعيل باشا في كتابه (هدية العارفين)، (ج٢، ص ٤١٢).

وعلاوة على الكتب والمؤلفات، هناك الكثير من شعراء أهل السنّة ـ وخاصة بين الرعيل الأول من الأحناف ـ ممن كتب القصائد والأشـعار في رثاء الإمام الحسين بن علي عليه السلام، وهو أمر مثير في نوعه، وقد جمع الخوارزمي نماذج من هذه الأشعار في كتابه (مقتل الحسين عليه السلام)[1].

الخاتمة

في هذه الأيام تقام مجالس العزاء على الإمام الحسين عليه السلام بين الشيعة والسنّة في كثير من مدن إيران والهند وباكسـتان بصورة مشـتركة أو مستقلة، وهي سنّة كانت جارية في شرق إيـران، ويعود جانب منها إلى منطقة خراسـان القديمة، لتنتقل بعد ذلك إلى محافظة سيستان وبلوشستان أيضاً.

وفي الهند وباكستان كانت هذه السنّة قائمة منذ أربعة قرون، تزامناً مع قيام بعض الـدول المتأثرة بإيران في شـمال وجنوب الهند. واليوم نشـهد إقامة مراسـم العزاء في المدن الكبرى في الهند، مثل: حيدر آباد، أو مدينة كراتشي في باكستان أيضاً، حيث يتمّ إحياء هذه المناسـبة بشـكل مشترك بين السنّة والشـيعة، ومنذ قرون قد اتسعت دائرة هـذه المواكب والمجالس في الهند لتطال الهندوس كذلك، حيث يشـارك الكثير منهم المسلمين في إحياء هذه المناسبة.

وهكـذا في العـراق ومنطقـة كردسـتان نجد اسـتمراراً لإحيـاء هذه المناسـبة من قبل أبناء السـنّة من سـكان تلك المنطقة، ممن يكنّون احتراماً وتقديسـاً خاصاً للإمام الحسين عليه السلام.

(١) أُنظر: المصدر السابق: ج٢، ص١٤٣ ـ ١٨٢.

وفي العقود الأخيرة، وبسبب ارتفاع حدة العصبية المذهبية في بعض مناطق العالم الإسلامي، ومحاولة فرضها على سائر المناطق، بدأنا نشهد ـ مع الأسف الشديد ـ حركة لإحياء نوع خاص من التسنّن، يسعى إلى رسم حدود معينة بين المسلمين، وتضخيم حجمها.

ولا شك في أنّ هذه الحركة تمثل ميراثاً لحقبة زمنية برز فيها ـ في القرن الثاني والثالث الهجري ـ توجّه يحمل عنوان (أهل الحديث) أو (المذهب العثماني)، كان يسعى إلى النأي بنفسه عن كل مَن يتصف بأدنى مخالفة لحركته؛ ومن هنا راح يُطلق التسميات على كل فرقة، متخذاً من ذلك مدعاة للطعن والقدح فيها؛ فالاتهام بالمرجئة والشيعة والمعتزلة والقدرية، وغير ذلك مما تحفل به الكتب الرجالية حالياً بصفته ميراثاً لتلك الفترة في مجال الجرح والتعديل لدى الرواة، ليس سوى ذكرى خلفتها تلك المرحلة.

بيد أن تلك الأجواء المتشنجة تمّ القضاء عليها بالتدريج بهمّة علماء من أمثال: أحمد بن حنبل في المرحلة الأُولى، ليكمل مسيرته العلماء الآخرون. وقد تهجّمت هذه الأجواء حتى على أبي حنيفة، وهو من كبار علماء أهل السنّة، وقد اتُّهم لذلك بالإرجاء ومعارضة أهل الحديث، وما إلى ذلك من التهم الباطلة التي أُلصقت به على مدى قرون من الزمن.

وفي المقابل، هناك تجربة أُخرى يمتد عمرها لمئات السنين، كان من نتائجها تقليص الفواصل والحدود بين المسلمين إلى حد كبير، ومن خصائص الوضع الجديد اهتمام كلتا الطائفتين بنهضة الإمام الحسين عليه السلام؛ ليس ذلك لكونها نهضة إسلامية يُعنى بها جميع المسلمين فحسب، بل لأنها ثورة إنسانية ضد الظلم، يُعنى بها جميع الأحرار في العالم.

الشعائر الحسينية.. آثارٌ ونتائج

د. الشيخ محمد الكروي القيسي*

المقدّمة

وتشتمل على:

١ـ تمهيد

لعلَّ من المسلّمات التي لا خلاف فيها تعسّر ـ إن لم نقل: تعذّر ـ الإحاطة التامّة، ومن جميع الجوانب، بأهداف وغايات وعلل النهضة الحسينية المباركة، تلك النهضة التي خطّطت لها السماء، وأخبر عنها وعن تفاصيلها الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، وأوصياؤه المعصومون عليهم السلام ـ بما فيهم صاحب تلك النهضة عليه السلام ـ قبل وقوعها، وكشف عن بعض أسرارها عشرات ـ بل مئات ـ العلماء والكتّاب والمختصّين، الذين حاولوا بكلّ ما أُوتوا الإلمام بها، وتفسير خطوات وأفعال وأهداف الإمام الحسين عليه السلام، قبل وإبّان تلك النهضة المباركة.

ولا يخفى أنّ الشعائر الحسينية، هي أحد أهمّ مفردات الإرث الحسيني المبارك لتلك النهضة العظيمة، وشعاع من قبسها الذي لم يزل وهّاجاً يخفق بالحياة في جسم الدين الإسلامي، وعلى ضوء ذلك، وتبعاً لقانون السنخية بين تلك النهضة وبين كلّ ما يمتُّ لها بصلة ـ ومنه الشعائر ـ سوف يكون من العسير على الباحث أن يحيط بجميع آثار ونتائج تلك الشعائر على مدى العصور والدهور، كيف لا وتلك الشعائر

---

* دكتوراه في الفقه الإسلامي، من العراق.

ـ في الجملـة لا بالجملـة ـ ممّا فعله المعصوم، وحـثَّ عليه، وندب إليه، قبل وبعد تلك النهضة الغرّاء.

٢ـ خصائص الموضوع مورد البحث

لا يخفـى أنّ مـن الضروري لكلّ مَـن أراد أن يقيّم أمراً مـا، أن ينظر لذلك الأمر، بدايةً ونشأة، واستمراراً وخاتمةً، نظرةً كلّية، ثمّ يدرسه بكلّ جوانبه دراسةً موضوعية معمّقة؛ كيما يخرج بالنتائج العلمية الدقيقة، فأنّى لنا ـ والحال هذه ـ أن نحيط بجميع آثار وجزئيات الشـعائر ونتائجها التي بدأت قبل تلك النهضة، وهي مسـتمرّةً إلى ما شاء الله تعالى.

أضـف لذلك تنوّع تلك الشـعائر بين مـا هو منصوص ومسـتنبط، وبين الأفعال والأقـوال، ثـمّ تنوّع تلـك الآثار بين الفرد وبـين والجمـاعة، وبين الآثار السياسـية، والاجتماعية، والاقتصادية، و... إلى ما شاء الله.

لذا؛ فحصر جميع تلك الآثار والنتائج يكاد يكون ضرباً من الخيال، فعلى هذا ليس مـن المبالغة القـول: إنّ هذا البحث لو أُريـد له الاقتراب والدنو من تمام الاسـتيفاء، ومقاربـة الواقع ولـو قليلاً، فلا بدّ لذلك من مؤلّفات وكتب كي تسـتوعبه بجزئياته وتفاصيله.

ولكـن ممّـا يهـوّن الخطب أنّنا سـنحاول هنـا ـ أوّلاً وبالذات ـ أن نصـبَّ جهودنا لوضـع هيكلـة عامّـة للبحث، عسـى الله تعـالى أن يأخـذ بأيدينا، أو أيـدي مَن يريد التوسعة لذلك؛ ليستوفي ما تبقّى بصورةٍ أوسع وأشمل.

وقبل الولوج في خِضّم البحث لا بدّ من التنويه بأنّ البحث سـيكون عن الشعائر بـما هي وحدة واحدة، بغـضّ النظر عن تفاصيلها وأقسـامها وأفرادها، إلّا على نحو الاستشهاد والتمثيل ليس إلّا.

لذا؛ فإنّ النتائج والآثار المتصوّرة ـ بحسب فهمنا ـ للشعائر عبر العصور ستكون في محورين:

المحور الأوّل: الآثار المتصوّرة للشعائر الحسينية ونتائجها على نفس النهضة الحسينية.

المحور الثاني: الآثار المتصوّرة للشعائر الحسينية ونتائجها على غير النهضة الحسينية.

وتفصيل ذلك:

المحور الأوّل: الآثار المتصورة للشعائر الحسينية ونتائجها على نفس النهضة الحسينية

ومن جملة تلك الآثار ما يلي:

أوّلاً: تثبيت أصل النهضة الحسينية وترسيخها

إذ لولا الشعائر لُمحيت أو لُمسخت تلك النهضة المباركة، وليس بخافٍ على أحد أنّنا حينما نقول: إنّ الشعائر الحسينية أحيت وتُحيي أصل النهضة الحسينية، فهذا لا يعني أبداً الانفكاك بين القضية الحسينية وبين أصل الدين، بل هما شيءٌ واحد؛ إذ إنّ النهضة الحسينية هي صلب الدين، وأساس قويم من أُسسه الراسخة، فلولا النهضة الحسينية لتزعزع أصل الإسلام، ولَطَغَتْ الصبغة الأُموية المقيتة عليه، ولصار الإسلام رقماً يُضاف لبقية الديانات ذات الأُصول السماوية التي تلاعبت بها الأيدي أيّما تلاعب، فمن الواضح الذي لا غبش فيه أنّ القضية الحسينية تعدّ علّة من علل بقاء الدين واستمراره؛ إذ «**إنّ الهداية البشرية، أو صرح هدايتها، له علّة مُحدثة، وعلّة مبقية، كبناء هذا المسجد، له علّة محدثة وعلّة مُبقية، والعلّة المُحدثة لهداية البشر هي بعثة الأنبياء (صلوات الله عليهم) من نبي الله آدم إلى الخاتم صلى الله عليه وآله، والعلّة المبقية إنّما هي الولاية الكبرى، ولاية الأئمّة من العترة الطاهرة عليهم السلام، فالحسين عليه السلام علّة مبقية، ولهذا كان زين**

السماوات والأرضين[1]**، فالنبوّة والإمامة به باقيتان»**[2].

ثمّ من الواضح أيضاً أنّ الشعائر الحسينية إنّما نشأت على يد النبي الأعظم صلى الله عليه وآله، الذي أسّس أحد أهمّ الشعائر الحسينية حين بكى الحسين عليه السلام حين ولادته، وهذا الفعل المعصومي، إضافةً إلى دلالاته التي يصعب الوقوف على دقائقها وكنهها، فيه تنبيه للأُمّة لضرورة الاصطفاف في صفّ الحسين عليه السلام، ونبذ الظلم ومعاداته.

فشعيرة البكاء على الحسين عليه السلام كان أوّل مَن فتح بابها في الإسلام على مصراعيه هو رسول الله صلى الله عليه وآله؛ لذا كان من المسلّم لدى الكثير من الصحابة والتابعين ما سيجري على الحسين عليه السلام من ظلم وجور وخذلان من قبل الأُمّة، بفضل تأكيدات الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام[3].

ثمّ توالت الشعائر المؤكّدة والمشيرة إلى أصل تلك النهضة المباركة، فمن مآتم أهل البيت عليهم السلام التي عُقدت في نفس يوم الفاجعة، سواء في الكوفة، أو في قصر إمارتها، أو في طريق السبي، أو في الشام، أو فيما بعد كلّ ذلك، لحفظ أصل النهضة من الاندراس، وضرورة التذكير بالواقعة؛ لتبقى حيّة في ضمائر الأجيال، ومحييةً للدين، ومائزة للحقّ من الباطل؛ إذ **«لا شكّ أنّ نهضة الحسين عليه السلام كان لها تأثيرٌ بالغ وكبير في حركة التاريخ الإسلامي وحياة المسلمين عامّة، بحيث أدّت تفاعلاتها الواقعية في حركة الأُمّة إلى حفظ الإسلام والأُمّة الإسلامية من كثير من مخاطر الانحراف، ولكن الشعائر**

---

(١) إشارة إلى قول النبي صلى الله عليه وآله للحسين عليه السلام حين دخوله عليه: «مرحباً بك يا أبا عبدالله، يا زين السماوات والأرضين...». الصدوق، محمد بن علي، عيون أخبار الرضا: ج١، ص٦٢.

(٢) الكوراني، علي، الحقّ المبين (مجموعة بحوث مستفادة من محاضرات آية الله العظمى وحيد الخراساني): ص٢٣٢.

(٣) لمّا وُلد الحسين عليه السلام قال رسول الله صلى الله عليه وآله لأسماء: «هلُمّي ابني... ووضعه في حجره فبكى، فقالت أسماء: قلت: فداك أبي وأُمّي، ممَّ بكاؤك؟ قال: على ابني هذا... تقتله الفئة الباغية من بعدي، لا أنالهم الله شفاعتي». المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٣، ص٢٣٩، وأيضاً عن أمير المؤمنين علي عليه السلام قال: «دخلت على النبي صلى الله عليه وآله ذات يوم وعيناه تذرفان... فحدّثني أنّ الحسين يُقتل بشطّ الفرات...». الهيثمي، علي بن أبي بكر، مجمع الزوائد: ج٩، ص١٨٧.

كان لها دورٌ آخر مكمّل لدور الثورة نفسها»[1].

إنّ كلّ نهضة تمتاز بهوية خاصّة بها، هي المحصّلة النهائية لـ: شخصية قائدها وانتمائه، وماهية مبادئها، ثمّ أهدافها، ثمّ طبيعة الجماعة التي قامت على أكتافها تلك الثورة، وفي كلّ ذلك استطاعت الشعائر أن:

١ـ تحفظ شخصية القائد وتبقي رمزيته وقدسيته

من خلال التذكير به، وبهويته وانتمائه وموقعه في رأس الهرم الإسلامي، عن طريق ذكر فضائله وشمائله من حين ولادته، فما من شعيرة من الشعائر إلّا وذكّرت بالحسين عليه السلام، وبتاريخه وحسبه ونسبه وفضائله، فنلحظ في البكاء مثلاً ورود نصوص شعائرية يصعب استقصاؤها تحثّ على البكاء عليه، بل وإنّ الموجودات كلها بكت الحسين عليه السلام[2]، وما دلّت عليه الروايات من أنه طهرٌ طاهر مُطهّر من طهرٍ طاهر مُطهّر[3]، وفي تلك النصوص دلالة على أنّ شخصية القائد ذات بعدٍ إلهي؛ إذن فتلك النصوص أبرزت جانباً مهمّاً من شخصية قائد تلك النهضة المباركة، وحفظتها على كرور الأيّام والسنين.

وكذا تفعل المجالس والمآتم ومواكب العزاء حين تذكّر بشخصية الحسين عليه السلام شعراً ونثراً و... فكلّ تلك الشعائر كان أحد أهدافها حفظ هوية القائد من التشويه، ولولا ذلك لمدّت بنو أُميّة ومَن لفّ لفّهم أياديهم لشخصية الحسين عليه السلام ـ وإن كانوا قد فعلوا ذلك باتّهامهم للحسين عليه السلام بأنّه محبٌّ للسلطة[4]، وأنّ حركته كانت لأجل ذلك تارة، وأُخرى بما روّجته مصادر التاريخ التي خطّتها أيادي وعّاظ السلاطين المائلين

(١) الحكيم، محمد باقر، دور أهل البيت عليهم السلام في بناء الجماعة الصالحة: ج١، ص١٤٤.
(٢) أُنظر: ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص٢٠١ فما بعد.
(٣) أُنظر: المصدر السابق: ص٤١٠.
(٤) كقول معاوية في كتابٍ بعثه للإمام الحسين عليه السلام: «إنّي لأظنّ أنّ في رأسك نزوة، فوددت أنّي أدركتها فأغفرها لك». ابن كثير، إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية: ج٨، ص١٧٥.

إلى بنـي أُميّة، والمنحرفين عن أهـل بيت النبيﷺ من أكاذيـب زُوّرت ولُفّقت بهتاناً عـلى لسـان بعض الصحابة، أو التابعـين[1] ـ فتلاحظ حقيقة الصراع بواقعه وشـدّته وعظمته بين «**إنّ في رأسك نزوة...**»[2]، وبين «**أشهد أنّك جاهدت في سبيل الله...**»[3]، أو بين «**لا تخرج، فإنّ رسول اللهﷺ خيره الله بين الدنيا والآخرة، فاختار الآخرة، وإنّك بضعةٌ منه، ولا تنالها**»[4] ـ التي توحي بأنّ الحسينعليه السلام خارجٌ لطلب الدنيا ـ وبين «**إنّك أَمَـرت بالقسـط ودعوت إليـه**»[5]، فنلحظ أنّ الشـعائر كانت في الواجهـة لمقاومة المدّ الأُموي المقيت، الذي حاول أن يشـوّه شـخصية قائد النهضة ورائدهاعليه السلام، فجاءت ـ أي الشـعائر ـ لتُحدِث توازناً، وتقف سـدّاً منيعاً أمام ذلك التيار الأُموي الجارف، ونجحت أيّما نجاح في حفظ شخصية القائد.

٢ـ استطاعت أن تحفظ ماهية مبادئ النهضة الحسينية

وفي هذا المجال لعبت الشعائر دوراً عظيمـاً؛ إذ تمكّنت ـ وبنجاحٍ منقطع النظير ـ أن تحفـظ الصبغـة الإصلاحية للنهضة الحسـينية، وأن تميّزها بطابـعٍ يختلف تماماً عن

---

(١) إنّ المُراجِع لتاريخ ابن كثير مثلاً المسمّى بـ(البداية والنهاية)، ليرى العجب العجاب من الأكاذيب التي حاولت تشويه شخصية سبط النبي المصطفى وخامس أهل الكساء وسيد الشهداءعليه السلام، فهناك جملة من الأكاذيب التي يقطع المنصف بوضعها وتلفيقها خدمة لبني أُميّة، وتزلّفاً لدنياهم ودرهمهم، وخوفاً من سيفهم وسوطهم، فتارةً: تصف تلك الأكاذيب بأنّ الحسينعليه السلام قليل الدراية والمعرفة بأهل زمانه، وأُخرى بأنه خارج على إمامه الشرعي، وثالثة بأنّ خروجه فتنة. أُنظر: ابن كثير، إسماعيل بن عمر، البداية النهاية: ج٨، ص١٧٥، فما بعد. و«تتبنّى الحركة الوهابية اليوم هذا النوع من التفسير مع تخفيف الخطاب، قال الشيخ الخضري ـ المؤلّف المصري ـ في كتابه (الدولة الأُموية): «وعلى الجملة، فإنّ الحسين أخطأ خطأً عظيماً في خروجه هذا، الذي جرَّ على الأُمة وبال الفرقة والاختلاف...». البدري، سامي، النهضة الحسينية في ضوء الإعلام الإمامي والعباسي والأُموي: ص٥ ـ ٦.

(٢) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية: ج٧، ص١٧٥.

(٣) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص٢٠٧.

(٤) وهو قول ابن عمر، على ما نقله عنه ابن كثير وغيره. أُنظر: ابن كثير، إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية: ج٨، ص١٧٥.

(٥) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص٣٦٠.

بقيـة الثورات، من خلال التأكيد على أنّ المبادئ التي أطّرت تلك النهضة هي مبادئ الإسـلام عينها من: الجهاد في سبيل الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإقامة فرائـض الديـن و... فهـذه النصوص الشـعائرية الـواردة بحـقّ الحسـين عليه السلام ومَن استُـشـهد معه تضـجّ بتلك المبادئ الحقّة، وتعجّ بها، فنقرأ مثلاً في الزيارات: «**أشهد أنّـك جاهدت في سـبيل الله حقّ جهـاده، لم تأخذك في الله لومة لائـم**»[1]، و«**إنّك أمرت بالقسط ودعوت إليه**»[2]، و«**أشهد أنّك أقمت الصلاة وآتيت الزكاة، وأمرت بالمعروف ونهيـت عـن المنكر، واتّبعت الرسـول، وتلوت الكتاب حقّ تلاوته، ودعوت إلى سـبيل ربّك بالحكمة والموعظة الحسـنة... وقد بلّغت ما أُمرت به، وقُمت بحقّه، وصدّقت مَن قبلك... أشهد أنّ الجهاد معك جهاد، وإنّ الحق معك وإليك...**»[3].

تلـك هي المبادئ الحقّـة للنهضة، والتي حُفِظت بفضل الشعائرالحسـينية، وأيضاً يمكننا هنا أن نلحظ البون الشاسـع، والهوّة الكبيرة، بين ما روّج له الإعلام الأُموي وأبـواق دعايته، وبين ما أكّدت عليه الشـعائر، وثبّتته وركّزتـه في أذهان المؤمنين، فما أعظم الهوّة بين ما تقدّم من نصوص شعائرية، وبين ما صوّرته النصوص الأُموية من أنّ الإمام الحسـين عليه السلام خارجٌ على إمامه[4]. وأنّه خارجٌ يقتل نفسـه[5]. وأنّه بخروجه يـضرب المسـلمين بعضهـم ببعـض[6]. أو أنّه غير عـارف بأهل العـراق؛ لذلك فقد غدروا به[7]. فلو لم تكن الشعـائر ـ لا سمح الله ـ لاستطاع الإعلام الأُموي أن يصوّر يزيـد ـ معاقـر الخمر، ملاعب القـرود، هادم الكعبة ـ إماماً للمسـلمين، وأنّ الخارج

(١) المصدر السابق: ص٢٠٧.
(٢) المصدر السابق: ص٣٦٠.
(٣) المصدر السابق: ص٣٧١ ـ ٣٧٢.
(٤) أُنظر: ابن كثير، إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية: ج٨، ص١٧٥ـ١٧٦.
(٥) أُنظر: المصدر السابق.
(٦) أُنظر: المصدر السابق.
(٧) أُنظر: المصدر السابق.

عليه خارجٌ عن ربقة الإسلام.

لذا؛ كانت الشعائر الحسينية بياناً عملياً لمبادئ النهضة وأُسسها، و«**لقد عمل أهل البيت**عليهم السلام **على ترسيخ الشعائر الحسينية في وجدان الأُمّة، واتخذوا سبلاً مختلفة لإحياء تلك الشعائر، التي من شأنها أن تجعل ذكرى الإمام الحسين**عليه السلام **ماثلة للعيان، ومتجدّدةً في كلّ حين، وهذا من شأنه أن يرسّخ لدى الأُمّة أهداف ومبادئ حركة الإمام الحسين**عليه السلام **...**»[1].

٣ـ استطاعت الشعائر أن تحفظ أهداف النهضة الحسينية

وذلك بإبرازها وبلورتها للأجيال على مدى الحقب والدهور؛ إذ طالما صرّح سيّد الشهداء عليه السلام بأهدافه وغاياته وما يصبو إليه في نهضته المباركة تلك من قبل النهضة، كقوله عليه السلام: «**اللهم، إنّك تعلم أنّه لم يكن ما كان منّا تنافساً في سلطان، ولا التماساً من فضول الحطام، ولكن لنُريَ المعالمَ من دينك، ونظهر الإصلاح في بلادك، ويأمن المظلمون من عبادك، ويُعمل بفرائضك، وسننك وأحكامك...**»[2]، وإبّانها بقوله: «**... وإنّي لم أخرج أشراً ولا بطراً، ولا مفسداً ولا ظالماً، إنّما خرجت لطلب الإصلاح في أُمّة جدّي**صلى الله عليه وآله**، أُريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدّي وأبي علي بن أبي طالب...**»[3].

فعندما تبكي العيون وتُذرَف الدموع، بدءاً بالأنبياء وأوصيائهم[4]، وانتهاءً بأصاغر الناس، فإنّها لا تبكي مُلكاً أُضِيعَ من مَلِك، أو حاكماً فقد حُكمه، أو رجلاً

---

(١) جعفر، محمد باقر، الشعائر الحسينية في العصرين الأُموي والعباسي: ص١٥٠.

(٢) الحرّاني، ابن شعبة، تحف العقول: ص٣٩.

(٣) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٣، ص٣٢٩.

(٤) لقد أخرج ابن عساكر في تاريخ دمشق ـ في ترجمة الإمام الحسين عليه السلام ـ ما يناهز الثلاثمائة رواية في بكاء النبي صلى الله عليه وآله على ولده الحسين عليه السلام، وأنّه مقتولٌ بشطّ الفرات، وقال ابن عساكر ما نصّه: «ما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله بنحو التواتر عن شهادة ريحانته الإمام الحسين عليه السلام بكربلاء، أو بأرض الطف، وبكائه عليه قبل وقوع الحادثة». ابن عساكر، علي بن الحسن، ترجمة الإمام الحسين عليه السلام من تاريخ دمشق: ص٢٣٦.

قدّر أمراً فأساء التقدير، أو خارجاً يريد شقّ عصا المسلمين، كلّا وحاشا، فهذا من أكبر الطعن بمقام النبوة أو الوصاية. وهكذا عندما تُلدم الصدور، وتُعقد المجالس، ويُنشِد الشعراء والمنشدون، فالجميع إنّما يندبون مصلحاً إلهيّاً سار إلى الشهادة بنفسه، مؤثراً لها على الحياة مع الظالمين والمفسدين المنحرفين عن نهج الهدى، لذلك فالشعائر عبّرت عن أهداف النهضة وغاياتها تعبيراً وافياً وواقعياً بكلّ ما للكلمة من معنى.

وهذا أمر أوضح من أن يُشار إليه، إذ «**الضرورة لائحة في كون الشعيرة الحسينية دالّة على المعاني والفضائل والقيم النبيلة، والأهداف الإصلاحية التي نهض من أجلها الإمام الحسين**»[1]، فكلّ منصف عندما يسمع ببكاء رسول الله صلى الله عليه وآله ـ بل وبكاء الأنبياء السابقين[2] ـ يذعن أنّ أهداف الحسين عليه السلام أهداف إلهيّة سامية، وفي ذلك يقول أحد المستبصرين ـ الذين بهرهم نور الحسين عليه السلام فحاموا حوله كما يحوم الفراش حول النور في الليلة الظلماء، فأيقنوا بسموّ أهدافه بسبب بكاء النبي صلى الله عليه وآله عليه ـ: «**ولقد شدّني الإمام الحسين عليه السلام نحو مذهب أهل البيت عليهم السلام، وأدركت أنّه صاحب حقّ، وأنّ بكاء النبي صلى الله عليه وآله عليه هو إعلانٌ عن سلب الشرعية عمَّن ناوأه وقاتله، حيث اعتبره رسول الله صلى الله عليه وآله سنخاً له حينما قال: حسين منّي وأنا من حسين. فمن هنا تبيّنت لي الأهداف التي جاهد من أجلها الإمام الحسين عليه السلام فتأثّرت بنهضته، وأعلنت استبصاري...**»[3].

وهذا كاشفٌ عن مدى تأثير الشعائر في بيان أهداف النهضة الحسينية المباركة.

٤ ـ استطاعت الشعائر أن تبيّن طبيعة الجماعة التي قامت على أكتافها تلك النهضة العظيمة

وهنا أيضاً لعبت الشعائر أعظم الأدوار في إبراز طبيعة أصحاب الإمام الحسين عليه السلام

(١) السند، محمد، الحداثة العولمة الإرهاب في ميزان النهضة الحسينية: ص٢٣٣.

(٢) قال الشيخ الصدوق رحمه الله: «... بل روي في بعض الأخبار عن غيرنا أنّ عيسى بن مريم عليه السلام مرَّ بكربلاء، وبكى بها، وبكى معه الحواريون، بعد أن قصَّ عليهم ما سيجري على الحسين عليه السلام». الصدوق، محمد ابن علي، كمال الدين وتمام النعمة: ص٥٣١.

(٣) مركز الأبحاث العقائدية، موسوعة (من حياة المستبصرين): ج١، ص٥٣٧.

وأنصـاره، حتى راح مَن يتولّى شـؤون الشـعائر ويهتـمّ بها، يفتّش في بطـون التاريخ وأغواره عن ماضي أُولئك الكرام البررة، وسِـيَرهم العَطِرة؛ كي يتسـنّى له تجسيدها عـلى أرض الواقع شـعراً، أو نثراً، أو مسرحاً أو أدبـاً أو... بل تعدّى الأمر ليصل إلى حدّ تسـمية المواكب والحسينيات والهيئات الشعائرية بأسـماء أُولئك الشهداء؛ إبرازاً لدورهم الذي لا يُوصف في رفد النهضة الحسـينية، والقيام بأعبائها، نصرةً منهـم لله تعالى ولدينه، وفوق كلّ ما تقدم تكفي شـعيرة الزيارة ـ التي هي من أعظم الشـعائر ـ في إبـراز دورهم وشـأنهم، ومـا هم فيه من مقامٍ رفيع، تُلقّـن الزائر تارةً بأن يفديهم بأبيه و أُمّه[1]، وأُخرى بأن يدعو الله أن يرزقه مقامهم، ويثبّت له قدم صدقٍ معهم[2].

فلكلّ ما تقدّم يمكننا القول ـ وبلا أدنى شـكّ أو تردّد ـ إنّ للشـعائر الحسينية اليد الطولى في تثبيت أصل النهضة الحسينية وترسيخها.

ثانياً: تعميق فهم القضية الحسينية والإلمام بأبعادها

فقد أزاحت الشـعائر الحسـينية السـتار عن حقائـق ذات مفاهيم غايـة في العمق والضخامة والرسـوخ في التراث الديني والعقدي في الإسـلام، يصعب الإحاطة بها وحصرها، فجاءت الشعائر لتكمل دور النصوص الدينية في ذلك، ومن تلك الحقائق:

١ـ القضية الحسينية هي إرثٌ نبوي

فهي سـيرة نبوية أسّسـها الأنبياء وأوصياؤهم في قيامهم ضدّ الظلم والممارسـات الفاسـدة، وإنّهـا حلقة ضمن سلسـلة إلهيـة، وهذا ما نلاحظـه في عدّة شـعائر، منها الزيارات المنصوصة المؤكّدة على مفهوم وراثة الحسـين عليه السلام للأنبياء السابقين، فعندما يكرّر الزائر «**السلام عليك يا وارث آدم صفوة الله، السلام عليك يا وارث نوح نبي الله،**

(١) وهو ما ورد في زيارة وارث من قوله عليه السلام: «السلام عليكم يا أنصار أبي عبد الله، بأبي أنتم وأُمّي، طِبتم وطابت الأرض التي فيها دُفنتم...». الشهيد الأوّل، محمد بن مكي، المزار: ص١٢٩.

(٢) وهو ما ورد في نص زيارة عاشوراء، أُنظر: الطوسي، محمد بن الحسن، مصباح المتهجّد: ص٧٦٦.

السلام عليك يا وارث...»[1]، فانّه يستشعر ذلك بوضوح.

فكثير من أحداث التاريخ عُدَّت وتعدُّ أحداثاً منقطعة، لا ربط لها بما تقدّمها، ولا ما تأخّر عنها، أمّا الحدث الحسيني ـ وتبعاً لما نصّت عليه وأكّدته الشعائر ـ فهو حلقة منيرة، ضمن سلسلة ربّانية خطّطت لها الإرادة الإلهيّة.

فأين هذه الحقيقة التي أبرزتها الشعائر، من القراءة الفردية المجزّئة للحدث الحسيني، التي شجّعت عليها السلطات الغاشمة على مرّ السنين.

فمن جهة الماضي، كان الحدث الحسيني مكمّلاً ومتوّجاً لما سبقه، بل هو الدرس العملي الأوضح والأبرز لسياسة جميع الأنبياء المتقدّمين في مواجهة الظلم والظلمة.

ومن جهة المستقبل ركّزت تلك الشعائر على الذرّية الطاهرة من نسل الحسين عليه السلام، وهم الأئمّة الذين نصَّ عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله من ذرية الحسين عليه السلام، فحينما نقرأ على سبيل المثال في زيارة الأربعين: «**أشهد أنّك من دعائم الدين...وأشهد أنّ الأئمّة من ولدك كلمة التقوى وأعلام الهدى**»[2].

تتّضح تلك السلسلة الإلهية بجلاء.

٢ـ ارتباط القضية الحسينية بمستقبل البشرية جمعاء

وذلك عن طريق بيان الصلة بينها وبين القضية المهدوية التي ستحدّد مستقبل الظلم على الأرض باستئصاله من جذوره، وهذا المعنى أيضاً قد أكّدته نصوص شعائرية كقول الإمام عليه السلام في زيارة عاشوراء: «**فأسأل الله الذي أكرمني بمعرفتكم... وأن يرزقني طلب ثأركم مع إمام مهدي ظاهر ناطق منكم**»[3]، وأكّده ما ورد في زيارة الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف: «**السلام عليك يا طالب ثأر الأنبياء، وأبناء الأنبياء، والثأر بدم المقتول بكربلاء**»[4].

---

(١) المصدر السابق: ص٧٢٠.

(٢) الفيض الكاشاني، محمد محسن، الوافي: ج١٤، ص١٥٨٢.

(٣) الطوسي، محمد بن الحسن، مصباح المتهجّد: ص٧٧٥.

(٤) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٩٩، ص٨٦.

وهذه الحقيقة الراسخة العظيمة تُعدّ قمّة من قمم المعارف في النهضة الحسينية، أبانتها وأفصحت عنها الشعائر الحسينية، إذ جعلت ظلم الظلمة ـ من أوّلهم إلى آخرهم ـ وحدة واحدة، وأنّ اجتثاثه سيكون على يد رجلٍ إلهي من ذرّية الحسين عليه السلام، و«**من الواضح أنّ مسألة التأثّر والانتقام في قضية الإمام المهدي عليه السلام ليست انتقاماً وتأثّراً من الأشخاص، بل هي انتقام وتأثّر من الواقع الفاسد الذي كان يعيشه الإنسان، وذلك بتغييره وتحويله إلى واقع العدل والحقّ**»[1].

٣ـ إبراز الرؤية الواقعية للنهضة الحسينية وإبعاد الرؤى المغايرة

إذ لا شكّ في أن أيّ حدثٍ ضخمٍ في تاريخ البشرية تتقاسمه تفسيرات قد تُشرِّق أو تُغرِّب، ولا بدّ من تفسير واقعيٍ لذلك الحدث، وهذا جارٍ في النهضة الحسينية المباركة، «**فالأعداء حاولوا أن يفسّروها بتفسيرٍ معيّن، ومَن آمن بالحسين، وبخطّ الحسين وإمامته عليه السلام فسّروها بتفسير آخر، ومَن لم يؤمن بالحسين وبإمامته هو الآخر حاول أن يفسّرها بتفسير ثالث، وقد لا يكون تفسيراً عدائياً، ولكنه فسّر هذه القضية من وجهة نظره الضيّقة**»[2].

فمن المقطوع به أنّ السلطة الأُموية لا يمكنها تصوير صراعها مع الحسين عليه السلام بأنّه صراع مبادئ وقيم، لذا فقد صوّرته تارةً بأنّه صراعٌ قبلي له جذوره القديمة بين بني أُميّة وبني هاشم، ولهذا جاء تصريح يزيد بقوله ـ مستقبلاً الركب الحسيني في الشام ـ:

«ليت أشياخي ببدرٍ شهدوا ... جزع الخزرج من وقع الأسل
لأهلّوا واستطاروا فرحاً ... ولقالوا يا يزيد لا تُشَل
لعبت هاشم بالملك فلا ... خبرٌ جاء ولا وحيٌ نزل»[3].

وتارةً بأنّه صراعٌ سلطوي بين رجلين في الدولة، كلٌّ منهما يريد الملك لنفسه.

---

(١) الحكيم، محمد باقر، دور أهل البيت عليهم السلام في بناء الجماعة الصالحة: ج١، ص٢٠٤.
(٢) الحكيم، محمد باقر، ثورة الحسين: النظرية، الموقف، النتائج: ص١٩.
(٣) الفتال النيسابوري، محمد، روضة الواعظين: ص١٩١.

كما فُسِّرت النهضة بأنّ واقعها الوحيد الأوحد هو كون الحسين عليه السلام رجلٌ أبيٌّ للضيم، وأنّ أخلاقه العربية والإسلامية، وكونه من بيتٍ عريقٍ عُرف بالشرف والعزّة، تمنعه من الخضوع والخنوع لحاكمٍ مثل يزيد، بل وفُسرت النهضة بالدافع الغيبي المحض، وأنّ الإمام الحسين عليه السلام إمامٌ معصوم، كتب الله تعالى عليه منذ الأزل أن يُقتل هكذا قتلة في كربلاء، وأنّ للأئمّة المصطفين أحكاماً خاصّة بهم[1].

في قبال كلّ ذلك، جاءت الشعائر الحسينية ـ ومن قبلها النصوص الحسينية المباركة ـ لتؤكّد أنّ النهضة الحسينية إنّما قامت من أجل الوقوف في وجه الطغيان الأُموي، ولتثبّت الحكم الشرعي الإسلامي تجاه ذلك الطغيان، وإنّ الإمام الحسين عليه السلام ـ وهو إمام المسلمين في زمانه ـ عمل بتكليفه الشرعي المنوط به في القيام بأعباء حفظ الرسالة، والذبّ عن حريمها المقدس.

فعندما نقرأ في كثير من الزيارات عبارات شتّى مثل: «**أشهد أنّك قد أقمت الصلاة، وآتيت الزكاة، وأمرت بالمعروف، ونهيت عن المنكر، وجاهدت الملحدين، وعبدت الله عزّ وجلّ حتى أتاك اليقين...**»[2]. أو مثل: «**أشهد أنّك حلّلت حلال الله، وحرّمت حرام الله، وأقمت الصلاة...ودعوت إلى سبيل ربّك بالحكمة والموعظة الحسنة...**»[3]، أو: «**أشهد أنّك قد بلّغت عن الله ما حُمّلت، وحفظت ما استُودعت، وحلّلت حلال الله...**»[4].

تتأكّد لدينا تلك الحقيقة الناصعة، وهي أنّ أساس خروج ذلك الإمام المصلح عليه السلام إنّما هو طاعةً لله تعالى، وعملاً منه بتكليفه، من أجل إقامة الأمت والعوج الذي أُصيب به الدين بفعل بني أُميّة، وتلك الحقيقة إنّما جلّاها وأبانها الإمام الحسين عليه السلام في نصوص كثيرة أوّلاً، ثمّ جاءت الشعائر لتؤكّد ذلك الفهم الدقيق والعميق، بل جاءت تلك الشعائر لتُثبت أنّ خطّ الظلم هو الخط الآني الدخيل على الفطرة البشرية،

(١) أُنظر في ذلك: الحكيم، محمد باقر، ثورة الحسين: النظرية، الموقف، النتائج: ص٢٠، فما بعد.
(٢) الكفعمي، إبراهيم، البلد الأمين والدرع الحصين: ص٢٨٠.
(٣) المصدر السابق: ص٢٨١.
(٤) المصدر السابق: ص٢٨٣.

وأنّ خطّ الإصلاح الذي انتهجته الثورة الحسينية هو خطّ الفطرة الإلهية التي فطر الناس عليها، «**فليست الثورة ـ من هذا المنظور ـ حدثاً لا سابقة له، وإنّما هي جزء من حركة الإسلام والتاريخ، وإنّها امتدادٌ لحركة أنبياء الله وأوصيائهم... ومن ثمَّ فإنّ الضدّ القانوني والسياسي لها ـ وهو النظام ـ هو الذي لا يتمتّع بالشرعية**»[1].

المحور الثاني: آثار الشعائر الحسينية ونتائجها على غير النهضة الحسينية

ويشتمل هذا المحور على المبحثين التاليين:

أوّلاً: آثار الشعائر الحسينية ونتائجها على الفرد من حيث علاقته بربّه

لا يخفى على كلّ لبيب ـ من خلال تتبّع التراث الإسلامي الأصيل ـ أنّ هناك أهدافاً سامية تقف وراء كلّ العبادات والممارسات التي أمرت بها الشريعة، ومن الصعوبة بمكان الإحاطة بجميع تلك الأهداف والغايات، ولكن يمكن القول: إنّ أحد أهم القمم الشامخة لتلك الأهداف هو تقريب العبد نحو ربّه (جلَّ وعلا)، مصلحةً للعبد، لا لله تعالى؛ إذ إنّه هو الغني المطلق الذي ليس في ساحة قدسه ذرّة احتياجٍ للغير، تعالى عن ذلك علواً كبيراً.

ومن تلك المقرّبات، بل أسرعها إيصالاً، وأخصرها طريقاً لله تعالى، هو ما يدخل في نطاق الشعائر من زيارة أولياء الله تعالى، وتتبّع آثارهم، وندبهم، كون تلك الأُمور ممّا أكّدت عليه الشريعة بنصوص وآثار يصعب حصرها واستقصاؤها، وإنّ تلك الأوامر الجمّة لا شكّ أنّها نابعة من مصلحةٍ وملاك ضخمين.

ومن المقطوع به أنّ البناء النفسي للإنسان، والارتقاء بالنفس إلى قمم الكمال، يسير جنباً إلى جنب مع علاقة العبد بربّه، فهما صنوان لا يفترقان، لذا تجد أنّ أولياء الله تعالى يمتلكون أقوى النفوس، وأكثرها استقراراً وثباتاً، وأشدّها تأثيراً بما حولها، لقربهم من الله تعالى.

---

(١) شمس الدين، محمد مهدي، واقعة كربلاء في الوجدان الشعبي: ص٩٣.

وعلى ضوء ذلك، يمكننا ـ بهذه العجالة ـ بيان أهمّ آثار الشعائر على النفس والبناء النفسي من جهة، ثمّ على علاقة تلك النفس ببارئها تعالى من جهةٍ أُخرى، فيُقال:

١ـ بملاحظة ما تقدّم من أهداف النهضة الحسينية، وغاياتها، ومبادئها، يتّضح بما لا يقبل الشك، أنّ تلك النهضة هي أحد أهمّ أوجه الدين، ومعلم بارز من معالمه المعّبرة عنه بأتمّ التعبير، لذا فإن زيارة الحسين عليه السلام، أو ندبه، أو ذكر مصائبه (التي هي من أهمّ الشعائر)، تعدّ ـ بلا شكّ ـ تقويةً لصلة الإنسان بدينه، وتذكيراً به، فالزيارة ـ مثلاً ـ «**ليست مجرّد عمل تكريمي، احتفالي، يقوم به إنسان حي، لتكريم إنسانٍ ميّتٍ، فإنّ الشيعي حين يقوم بالزيارة، يكون قد جدّد صلته بالإسلام ككل، وعاهد الله على التمسّك به، والحفاظ عليه، وتطبيقه في حياته**»[١].

يظهر هذا التعهد في نصوص بعض الزيارات بشكل بارز، يقول الزائر ـ على ما علّمه الأئمّة عليهم السلام شيعتهم ـ فيها: «**فأُشهد الله، وأُشهدكم، أنّي بكم مؤمن، وبإيابكم موقن، ولكم تابع في ذات نفسي، وشرائع ديني...**»[٢]، فالشعائر ترسيخٌ للدين بما فيه من عقائد وأحكام ومعارف إلهيّة.

٢ـ إنّ الشعائر هي عبادة روحية اشتملت على ثوابٍ جمّ لا يُحصى، وبركاتٍ كثيرة من الجانب المادي والروحي، فهي من هذا الجانب لا شكّ في مقرّبيتها؛ لما تضمّنته من الوعد بالثواب الجزيل، الذي يعدّ بنفسه من أعظم المقرّبات[٣].

٣ـ إنّ كثيراً من الشعائر احتشدت فيها نصوص جمّة، مُلئت بذكر الله، وتسبيحه، وتحميده[٤]... إلى ما شاء الله من أصناف ذكر الله تعالى، أو بالأمر بتلك الأذكار[٥]، وذكر الله ـ كما لا يخفى ـ يُعدّ بنفسه من أعظم المقرّبات له تعالى.

---

(١) المصدر السابق: ص٦١.

(٢) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص٣٧٠.

(٣) أُنظر: المصدر السابق: ص٣١٦ـ٣٤٩.

(٤) أُنظر: المصدر السابق: ص٣٦١.

(٥) أُنظر: المصدر السابق: ص٣٦٤.

٤ـ إنّ وجـود عنـصر الجـذب البارز في الشـعائر، أمرٌ لا يخفى عـلى الفطن، إذ إنّ وجـود قمّةٍ إنسـانية شـاهقة كالجبال، هـي في مقعد صدقٍ عند مليـكٍ مقتدر، يتمنى كلّ إنسـان أن يصل إليها ـ أعني بذلك الإمام الحسـين عليه السلام يشـكّل بحدّ ذاته عنصراً جاذبـاً لقلوب جميع بني البشر للاحتذاء به، والنيل من معينه، وهذا أيضاً من أوضح المقرّبات إلى الله تعالى.

٥ـ إنّ تشـكيل حلقات الذكر، من المجالس، أو المواكب التي يُذكر بها أولياء الله، الدالّـون عليـه، القائدون إليـه، هي أيضاً تُعدّ ذكراً لله تعالى من جهـة، كما تُعدّ امتثالاً لأمـر الله تعالى مـن جهةٍ أُخرى، فهي من المقرّبات لله تعـالى، لذا فقد ورد عن الإمام الرضـا عليه السلام قولـه: «**مَن تذكّـر مصابنا، وبكى لمـا ارتُكب منّـا، كان معنـا في درجتنا يوم القيامـة، ومَـن ذُكّرَ بمصابنا، فبكـى وأبكى، لم تبكِ عينه يوم تبكـي العيون، ومَن جلس مجلساً يُحيـى فيه أمرنا، لم يمُت قلبه يوم تموت القلوب**»[1].

٦ـ إنّ تلك الشعائر تعدّ معاهد تعليمية جوّالة، فالمجالس، والمواكب، والتجمّعات الحسينية هي ملتقيات توعوية، دينية وثقافية، يتسامى فيها الفرد المؤمن على المستوى المعـرفي والروحـي، وهذا ممّـا لا يُختَلَف فيـه؛ إذ لعبت المواكـب والمجالس وحلقات النـدب الحسـينية ـ على مـرّ الدهور والعصـور ـ دوراً لا يُغفَل في مجـال التوعية، على المستوى الفردي.

فمثلاً لخّصت بعض نصوص الزيارات كثيراً من المفاهيم الإسلامية التي لم يمكن البوح بها على مرّ العصور لظروف معينة، وملابسات جمّة ذُكرت في التاريخ، فنلاحظ ـ كمصـداق لذلـك ـ قوله عليه السلام: «**اللهم اكتب لي إيمـانـاً، وثبّته في قلبي، اللّهم اجعل ما أقول بلساني حقيقةً في قلبي، وشريعةً في عملي، اللّهم اجعلني ممَّن له مع الحسين عليه السلام قدم ثبات، واثبتني فيمَن استُشهد معه**»[2].

---

(١) الصدوق، محمد بن علي، الأمالي: ص١٣١.

(٢) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص٣٦٠.

فقد تضمّن هذا النص المقدّس «**التأكيد على مسألة كبرى من مسائل الإيمان الصحيح، بل هي المسألة الكبرى في هذا الإيمان، وهي أنّ الإيمان ليس اعتقاداً فقط، وإنّما هو اعتقادٌ وعمل، نظرية وسلوك، فما يطمح إليه الزائر ليس إيماناً نظرياً، وإنّما إيمانٌ حيٌّ متحرّك**»[1].

٧ـ إنّ تلك الشعائر هي بمثابة إعلان من قبل الفرد لحالة تولّي أولياءالله تعالى، والاصطفاف في صفّهم، والكون معهم، ثمّ التبرّي من أعدائهم، وهذا المفهوم هو أحد الركائز الأساسية في تصحيح علاقة العبد بربّه، فقد ورد في زيارة عاشوراء مثلاً: «**يا أباعبد الله، إنّي سلمٌ لَمن سالمكم، وحربٌ لَمن حاربكم إلى يوم القيامة**»[2].

وقد أورد الشعراء في قصائدهم ألواناً من هذا المفهوم الديني الأصيل ـ أعني الولاء لأولياء الله تعالى، والتبرّي من أعدائهم ـ فهذا الكميت الأسدي يقول في قصيدةٍ له في ذلك:

مَن لقلبٍ متيّمٍ مستهام ... غير ما صبوةٍ ولا أحلام

إلى أن يقول:

بل هواي الذي أجِنُّ وأُبدي ... لبني هاشم فروع الأنام
للقريبين من ندى، والبعيدين ... من الجور في عرى الأحكام
والمصيبين باب ما أخطأ الناس ... ومرسى قواعد الإسلام[3].

أو قول أبي الأسود الدؤلي، يرثي الإمام الحسين عليه السلام:

سأجعل نفسي لهم جُنّة ... فلا تكثري لي من اللائمة
أرجو بذلك حوض الرسول ... والفوز والنعمة الدائمة[4]

(١) شمس الدين، محمد مهدي، واقعة كربلاء في الوجدان الشعبي: ص٩٦.
(٢) الطوسي، محمد بن الحسن، مصباح المتهجد: ص٧٧٤.
(٣) المدني، علي خان، الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة: ص٥٦٨.
(٤) الأمين، حسن، مستدركات أعيان الشيعة: ج١، ص٦٣.

ولو تتبّعنا ذلك لاحتجنا إلى كتبٍ تؤرّخ لهذا المفهوم الضخم العظيم.

٨ ـ إنّ تلك الشعائر كانت سبباً مباشراً في تعريف الكثير من المسلمين وغيرهم بالمذهب الحق ـ مذهب أهل البيت عليهم السلام ـ ولفت أنظارهم لذلك، وتحوّلهم واعتناقهم لمذهب أهل البيت عليهم السلام، وتغيير مسار علاقتهم بربّهم.

يقول في ذلك أحد العلماء ممّن تحوّل إلى مذهب الحقّ متأثراً ببعض الشعائر: «**هكذا كانت البداية، مع الحسين ـ مصباح الهدى ـ كانت البداية، ومع الحسين سفينة النجاة كان الشروع، بداية لم أقصدها أنا، وإنّما هي التي قصدتني... وذلك كان يوم ملك عليَّ مسامعي صوتٌ شجيّ، ربَّما كان قد طرقها من قبل كثيراً، فأغضّت عنه... حتى دعاني هذه المرّة وأنا في خلوةٍ أو شبهها، فاهتزّت له مشاعري، ومنحته كلّ إحساسي وعواطفي، من حيث أدري ولا أدري، فجذبني إليه... تلك كانت قصّة الإمام الحسين عليه السلام بصوت الشيخ عبد الزهراء الكعبي رحمه الله[1] في العاشر من محرم الحرام سنة (١٤٠٢هـ)، فأصغيت عنده أيّما إصغاء لنداءات الإمام الحسين، وترتعد جوارحي مع الدمعة والعبرة، وشيء في دمي كأنّه الثورة، وهتاف في جوارحي: لبيك يا سيدي يا بن رسول الله. وتنطلق في رأسي أسئلة لا تكاد تنتهي، وكأنّه نورٌ كان محجوباً، فانبعث يشقّ الفضاء الرحيب دفعة واحدة... وعندما رحت أتعجّب من هذا الانقسام، عدت مع هذه الواقعة إلى الوراء، فإذا الناس من حينها كحالهم الآن، فهم بين مَن حمل الحسين مبدءاً، وتمسّك به إماماً وأُسوة... وبين مَن حمل رأس الحسين هديةً إلى يزيد، وبين هذا وذاك منازلٌ شتى في القرب والبعد من معالم الحسين... فقد استضاءت الدنيا كلّها من حولي، وبدَت لي شاخصةً معالم الطريق...**»[2].

---

(١) هو عبد الزهراء بن الشيخ فلاح الكعبي، نسبه إلى قبيلة كعب، وُلِد في كربلاء سنة ١٣٢٧هـ.ق، ودرس فيها، وهو من أشهر خطباء المنبر الحسيني، ومن أشهر مجالسه قراءة نص مقتل الحسين عليه السلام في يوم العاشر من المحرم، وقراءته للمقتل تلك كانت ولا تزال تذاع من دار الإذاعة العراقية، توفّي سنة ١٣٩٤هـ. أُنظر: الجلالي، محمد حسين، فهرس التراث: ج٢، ص٥٣٧.

(٢) عبد الحميد، صائب، منهج في الانتماء المذهبي: ص٣١ ـ ٣٤.

كما قال آخر في ذلك[1]: «... اتّخذت الشيعة مواقف عديدة لتبيين أحقّيتهم، وإلفات انتباه الناس إلى ولاية أهل البيت عليهم السلام... الموقف الأوّل: إحياء نهضة الحسين عليه السلام: إنّ الشيعة بذلوا اهتماماً خاصاً لإحياء نهضة الإمام الحسين عليه السلام... ومن هنا تصدّى الشيعة لإحياء هذه النهضة، فجعلوها وسيلةً إعلامية لتبيين الحقيقة للناس، وجعلوها سبيلاً لإحياء المفاهيم الحقّة، وإضفاء الوعي في المجتمعات؛ لئلّا ينخدعوا بالتيارات المنحرفة التي مثّلت امتداداً للحركة الأُموية ضدّ الإسلام»[2]، إلى أن يقول: «ولهذا آل أمري وأمر أُستاذي إلى الاستبصار والانتماء إلى مذهب أهل البيت عليهم السلام...»[3].

وقال ثالث[4] ـ وكان إمامُ مسجدٍ من مساجد الإخوة من أهل السنّة ـ: «كان الملحوظ في أوساط الناس ـ بمختلف انتماءاتهم القومية والعقائدية ـ في شبه القارّة الهندية عند مباشرتي لعملي التبليغي، أنّهم يتفاعلون مع الشيعة في إحياء ذكرى عاشوراء، فامتعضت من حضور الحشود الضخمة في هذه المجالس، لا لأنّي أبغض الإمام الحسين عليه السلام، بل لنفوري من الشيعة وكراهتي لهم... ومن ذلك الحين قرّرت تولّي هذا الأمر... فحملت على عاتقي مهمّة ذكر مصيبة الحسين عليه السلام، وقراءة مجلس التعزية في المسجد الذي كنت إماماً فيه... [و] عندما كثرت خطاباتي ومحاضراتي حول أهل البيت عليهم السلام ـ ولا سيما الإمام الحسين عليه السلام ـ بدأ أهل العامّة يشيرون إليَّ بأصابع الاتّهام، فرموني بالتشيّع، مع أنّني كنت منهم ومعهم في كلّ المعتقدات، لكنّني كنت أنقل الأحاديث الواردة في فضل أهل البيت عليهم السلام، وفق قناعاتي الحاصلة من كتب علماء العامّة؛ كي لا يحضر أهل مذهبي في مجالس الشيعة، ولا يشاركوهم في مثل هذه الاجتماعات... وبهذا كانت إقامة المآتم على الحسين عليه السلام شعلة الهداية التي أنارت لي الطريق الحقيقي الموصل إلى رضوان الله تعالى، وببركة الحسين عليه السلام أعلنت تشيّعي في الجامع الذي كنت

(١) اسمه (آتوماني محمد) من دولة جزر القمر، وكان شافعي المذهب.

(٢) مركز الأبحاث العقائدية، موسوعة من حياة المستبصرين: ج١، ص٥٤.

(٣) المصدر السابق: ص٥٨.

(٤) واسمه (حافظ سيف الله حفيظ الله) من دولة الهند، وكان وهابي الانتماء.

أؤمّ المصلين فيه في مدينة (نوشهره وركان) عام ١٩٥٢ ...»[١].

وذكر رابعٌ ممَّن كان على المسيحية ثمّ تحول إلى إسلام الحقّ ببركة نور الشعائر الحسينية: «**صادف أن شاركت ذات يوم في المجالس الحسينية التي يقيمها الشيعة في بريطانيا، فتأثّرت كثيراً بما سمعت من الأحداث التي وقعت في النهضة الحسينية، ورأيت مدى تأثّر الناس بها، وما فيها من آثار وبركات عظيمة من شأنها إعادة التوازن في الصعيد الاجتماعي**»[٢].

وكم من أُولئك على مدى التاريخ، إنّما جذبتهم الشعائر الحسينية لنور الحسين عليه السلام وولاية أهل البيت عليهم السلام[٣]، وعلى ضوء ذلك تبدّلت علاقتهم بالله تعالى بفضل تلك الشعائر.

ثانياً: آثار الشعائر الحسينية على المجتمع ككلّ بما هو وحدة واحدة

لعلّ هذا المبحث من أكثر المباحث احتياجاً إلى وقفاتٍ طويلة، وتأمّل واستقصاء واسعين؛ إذ إنّ النهضة الحسينية كانت ولا زالت أحد المعالم ذات البعد الاستراتيجي للدين الإسلامي، فيها حُفظت الكثير الكثير من قيم الدين الحنيف ومبادئه، بل أحيت تلك النهضة المباركة عناصر الرقابة والإصلاح الذاتيين للدين، وذلك بتثبيتها لقيمٍ أصيلةٍ كادت تغيّب، يُعدّ تجاوزها تجاوزاً لقيم الدين الحنيف، وتقدّم سابقاً في هذا المقال أنّ هناك سنخية بين النهضة الحسينية والشعائر الحسينية؛ لأنّ الشعائر أحد أهمّ أوجه النهضة الحسينية المباركة، ويمكننا أن نستقرئ ـ ولو استقراءً ناقصاً ـ أهم الآثار والبركات التي ترجع للمجتمع الإسلامي ـ بل الإنساني ـ ككلّ من جرّاء ممارسة تلك الشعائر، ومنها:

(١) مركز الأبحاث العقائدية، موسوعة من حياة المستبصرين: ج١، ص١٨٢ ـ ١٩٢، تحت ترجمة حافظ سيف الله.

(٢) المصدر السابق: ج٦، ص٢٧٥، تحت ترجمة (نوئيل ماهوني).

(٣) أُنظر: المصدر السابق.

١ـ حفظ الهوية الإسلامية للمجتمع

إذ لا يخفى أنّ أغلب الشعائر الحسينية من زيارات ومجالس و... ممارسات اجتماعية جمعية تضجّ بمفاهيم التوحيد والنبوة و... التي هي (أُصول الدين)، ثمّ إقامة الصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر و... وهي (فروع الدين)، فهي عبارة أُخرى عن التذكير بالدين كلّه، وأنّ الحسين عليه السلام نهض من أجل ذلك، و«**لا شكّ أنّه لا غرض للأئمّة عليهم السلام ـ وهم حكماء الأُمّة ـ من الأمر بذلك الاجتماع المحزن، وتذكّر تلك المصيبة المقرحة، في أحوال مخصوصة كثيرة، وزيارته التي لم يكفِهم الترغيب إليها، والمبالغة في ثوابها، حتى حذّروا من تركها، وبعبارة جامعة: ليس أمرهم بتلك الروابط الحسينية إلّا حفظ المذهب من الاندراس، وهو الغاية التي قُتل لها الحسين... [و] إنّ تلك المجالس والمجتمعات ألبستها الأئمّة الأطهار عليهم السلام ـ بواسع علمهم وبعد نظرهم للمستقبل ـ لباساً مذهبياً؛ لأنّها السبب الوحيد لاجتماع كلمة الشيعة، ورسوخ عقائدهم**»[1]. وفي ذلك حفظ أصل الدين وأساسه القويم.

و«**إنّ هذه المنابر والمجالس، والمراسم والشعائر، التي تُقام بهذه المناسبة هي التي حفظت لنا الإسلام خلال ألف وأربعمائة عام**»[2].

بل إنّ الأمر بحدّ ذاته هو حفظ للنهضة الحسينية ـ كما تقدّم ـ الذي هو بعينه حفظ للدين؛ لأنّ النهضة ـ كما قلنا ـ أحد أوجه الدين الناصعة ـ لذا فـ «**المحافظة على هذا الحدث المهم** [أي النهضة الحسينية] **الذي يمثّل أُطروحة إلهية لتوعية الأُمّة الإسلامية، لحفظ الرسالة الخاتمة من الضياع والتشويه والتحريف**»[3].

ولا يختلف عاقلان على أنّ نفس النهضة الحسينية قد أعادت التوازن الديني القيمي للأُمّة الإسلامية، إذ لولاها لأضحى الإسلام المحمدي الأصيل إسلاماً

(١) المظفر، حسن عبد المهدي، نصرة المظلوم: ص٧.

(٢) من كلام لآية الله العظمى السيّد الخميني رحمه الله. أُنظر: مجلة الثقافة الإسلامية: العدد٤٤، ص١٢.

(٣) الحكيم، محمد باقر، دور أهل البيت في بناء الجماعة الصالحة: ج١، ص١٥٦.

أُمويـاً محضـاً، ومُحيت معالمه الإلهية، وليس هذا فرضـاً خيالياً، بل نطق الواقع بذلك، فقـد أخـرج (البخـاري) في كتابه (الصحيـح) قول الزهـري: «**دخلت عـلى أنس بن مالـك بدمشـق، وهو يبكي، فقلت لـه: ما يبكيك؟ فقال: لا أعرف شـيئاً ممّا أدركت إلّا هذه الصلاة وهذه الصلاة قد ضُيّعت**»[1]، وهذا يعني أنّ الإسـلام الدمشـقي في زمان معاوية ويزيد ومَن تلاهما لم يكن يشـبه الإسـلام المحمدي، الإسلام آنذاك لم يعد فيه إلّا الاسـم فقط، فلولا النهضة الحسينية المباركة لتفرّد بنو أُميّة بالدين كلّه، ولأنتجوا لنا ديناً آخر.

٢ـ أثر الشعائر على المجتمع من الناحية السياسية

من الواضح اللائح أنّ الشـعائر الحسـينية هي «**أحد الخطـوط الهامّة التي اعتمدها أهـل البيت**عليهم السلام **في بناء الجماعة الصالحة عموماً، كما أنّها كانت القاعدة الهامّة التي يرتكز عليها تحرّكهم في الأُمّة؛ لأنّها تسـتلهم من ثورة الحسـين**عليه السلام**، وتمجّدها وتؤكّد أهدافها، فهي أهداف ذات جوانب متعدّدة، سياسية، وثقافية، وعقائدية، وروحية**»[2].

ولشـدّة الأثـر السـياسي العظيـم الـذي أحدثتـه النهضة الحسـينية المباركـة، قال بعضهم: إنّ التشيّع تبلور كقوةٍ سياسية بعد مقتل الإمام الحسين عليه السلام[3].

ثمَّ للسـنخية بين النهضة وبين شـعائرها ـ كما تقدّم ـ كان لا بدّ لتلك الشـعائر أن يكون لها أعظم الأثر على المجتمع سياسياً وفكرياً.

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري: ج١، ص١٣٤، ح٥٠٧.

(٢) الحكيم، محمد باقر، دور أهل البيت في بناء الجماعة الصالحة: ج١، ص١٤٣.

(٣) قال العلّامة الشيخ أحمد الوائلي رحمه الله وهو يعدّد الآراء المطروحة تاريخياً في نشوء التشيع، قال: «د ـ [أي الرأي الرابع من الآراء] الرأي الذي يذهب إلى أنّ ظهور التشيّع كان بعد واقعة الطف على اختلاف في الكيفية، بين الذاهبين لهذا الرأي؛ حيث يرى بعضهم أنّ بوادر التشيع التي سبقت واقعة الطف لم تصل إلى حدّ تكوين مذهب متميّز له طابعه وخواصّه، وإنّما حدث ذلك بعد واقعة الطف، بينما يذهب آخرون إلى أنّ وجود المذهب قبل واقعة الطف كان لا يعدو النزعة الروحية، ولكن بعد واقعة الطف أخذ طابعاً سياسياً، وعمّقت جذوره في النفوس وتحدّدت أبعاده إلى كثير من المضامين، وكثير من المستشرقين يذهبون لهذا الرأي، وأغلب المحدثين من الكُتّاب». الوائلي، أحمد، هوية التشيع: ص٢٦.

وللأثـر السـياسي للشـعائر مراتب متعـدّدة، تبدأ مـن الأدنى، ولعـلَّ البكاء على الحسين عليه السلام هو الحدّ الأدنى من التأثير السياسي؛ إذ البكاء يمثّل رفضاً معمّقاً للظلم، فـ«**البكاء له بعدٌ سياسي؛ لأنّه طريقة فُضلى إنسانية واجتماعية ـ سليمة وهادئة ـ لاستنكار الظلم، والتعبير عن عمق المأساة والمظلومية التي تعرض لها الإمام الحسين عليه السلام، وأهدافه النبيلـة، وتظهـر أهمّية هذا الأُسـلوب في هـذا البعد السـياسي في ظروف المحنـة والقمع والإرهاب، عندما تعجز بقية الأساليب عن التعبير عن ذلك**»[1]،ثمّ تتدرّج تلك الآثار حتى تصل إلى تعبئة الجماهير نفسـياً ومادياً لعملية التغيير والتضحية، وهذا ما حدث في كثـير من مواسـم الزيـارات التي كانـت الـشرارة الأُولى لتغيير حكـم الطواغيت والجبابرة، كما حدث في ثورة التوّابين ـ قديماً، وثورة صفر في العراق عام (١٩٧٧م)[2] ومـا بينهما، وما بعد ذلك مـن تاريخ طويل عريض من الثورات والانتفاضات، التي قد تحتاج إلى مجلّدات لإحصائها، والتي هزّت عروش الظلمة وقضّت مضاجعهم.

كما أنّ الشـعائر أسـهمت إسهاماً رائعاً في إثراء «**الوعي السياسي للأحداث التي تمرّ بها الأُمّة، خصوصاً في إطار الجماعة الصالحة التي تميّزت من بين جميع المذاهب الإسلامية بهذا الوعي العميق والأصيل للأحداث السياسـية**»[3]، ولعلّ ذلك من الأسـباب التي جعلـت الطائفـة الحقّة تمتاز بوعي سـياسي منقطع النظير، لا تكاد تـراه في غيرها من الطوائـف، بـل وأسـهمت تلـك الشـعائر في توظيـف وتوضيـح «**الرؤية الإسـلامية الصحيحة للحكم الإسـلامي ومقوّماته، وتشخيص الموقف تجاهه، والقدرة على التمييز بـين الصحيح والخطأ في ممارسـات هذا الحكـم، مع القدرة على تمييـز الخطوط الخضراء والحمراء التي يصحّ السكوت عنها؛ رعايةً للمصلحة الإسلامية**»[4].

---

(١) الحكيم، محمد باقر، دور أهل البيت عليهم السلام في بناء الجماعة الصالحة: ج١، ص١٤٨.

(٢) أُنظر: العارضي، محسن جبار، مقال: (نافذة على التاريخ السياسي للعراق المعاصر من الاحتلال البريطاني إلى الاحتلال الأمريكي، القسم السادس)، صحيفة الزمان، بتاريخ: ٨/ ٢/ ٢٠١٦م.

(٣) الحكيم، محمد باقر، دور أهل البيت في بناء الجماعة الصالحة: ج١، ص١٥٩.

(٤) المصدر السابق.

وليس من المبالغة أو المجاملة أن يقول مؤسّس أهمّ دولة إسلامية في حاضرنا المعاصر قدس سره: «**المهمّ في الأمر هو البعد السياسي لهذه الأدعية وهذه الشعائر، المهمّ هو ذلك التوجّه إلى الله، وتمركز أنظار الناس إلى نقطة واحدة وهدف واحد، وهذا هو الذي يعبّئ الشعب باتّجاه هدف وغاية إسلامية، فمجلس العزاء لا يهدف للبكاء على سيّد الشهداء عليه السلام والحصول على الأجر ـ وطبعاً فإنّ هذا حاصلٌ وموجود ـ الأهمّ من ذلك هو البعد السياسي الذي خطّط له أئمّتنا عليهم السلام في صدر الإسلام، كي يدوم حتى النهاية، وهو الاجتماع تحت لواءٍ واحد وبهدفٍ واحد، ولا يمكن لأيّ شيءٍ آخر أن يحقّق ذلك بالقدر الذي يفعله عزاء سيّد الشهداء عليه السلام**»[1].

٣ـ آثار الشعائر ونتائجها على المجتمع من الناحية الاجتماعية

ممّا لا شكّ فيه أنّ الشريعة قد حثّت على بناء العلاقات الاجتماعية الرصينة في المجتمع، وأنّ الله ـ تعالى ـ جعل علاقة المؤمن بالمؤمن كعلاقة الأخ بأخيه قائلاً: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[2]، كما ندبت الشريعة إلى التزاور والمجالسة والتذاكر بين المؤمنين[3]، فكيف إذا اجتمع كلّ ذلك مع ذكر الله تعالى، وذكر دين الله، وذكر الحسين عليه السلام وأولياء الله الصالحين، سواء في مجالس العزاء، أم في المواكب، أم في الزيارات الحسينية.

فلا شكّ حينئذٍ في أنّ البركات التي تعمّ تلك المجالس ـ سواء البركات الدنيوية أم الأُخروية، والمادية أم المعنوية ـ ممّا يعسر الإحاطة بها.

---

(١) من كلام لآية الله العظمى السيد الموسوي الخميني قدس سره. أُنظر: موقع: *imam-khomeini.com*.

(٢) الحجرات: آية ١٠.

(٣) كما في قول الإمام الصادق عليه السلام: «تجلسون وتتحدّثون... إنّ تلك المجالس أُحبّها...». ابن إدريس الحلي، محمد، مستطرفات السرائر: ص٢٢٩، وقول الإمام الجواد عليه السلام: «رحم الله عبداً أحيى ذكرنا، قلت: وما إحياء ذكركم؟ قال: التلاقي والتذاكر عند أهل الثبات». الصدوق، محمد بن علي، مصادقة الإخوان: ص٣٢.

فالحفاظ على بنية المجتمع كوحدة واحدة، ونسيج متجانس، هي واحدة من أهداف الشعائر الحسينية، بما حوته من تلاقٍ وتزاور وتعارف «**وكثيراً ما كانت المجالس الحسينية سبباً أساسياً في تعارف أبناء المجتمع مع بعضهم بعضاً، وإزالة أسباب الخصومات التي قد تنشأ في غمرة مشاكل الحياة الكثيرة، كما أنّ هذه المجالس تُشْعِرُ الجميعَ بالوحدة والوقوف صفّاً واحداً حول نصرة الدين الإسلامي الحنيف، إضافةً إلى ذلك فإنّ الأيتام والأرامل والفقراء والمساكين ـ وما أكثرهم في يومنا هذا ـ يحظَون برعاية خاصّة عند إقامة مجالس العزاء الحسينية، وكذلك الأُسر الفقيرة والمتعفّفة، ومَن تأبى نفسُهُ سؤال الناس لحاجة، فيشملهم الإمام الحسين عليه السلام ـ عن طريق مجالس عزائه ـ بالودّ والرحمة وبذل المال والطعام والاحترام، بل تعدّى الأمر إلى أن أصبح للمجالس الحسينية آثار على التقارب بين الأُسر والقبائل، عن طريق المصاهرات والزيجات بين العوائل**»[1].

«**ولم تقف آثار المجالس الحسينية في العلاقات الاجتماعية إلى هذا الحد، بل تعدّته إلى زيادة أواصر المحبّة والأُلفة، والتعاون بين الشيعة وغيرهم من أصحاب المذاهب الإسلامية المعتدلة والديانات الأُخرى، الذين وجدوا في الإمام الحسين عليه السلام الراية التي يجب على الجميع الوقوف خلفها والاقتداء بصاحبها، لنشر العدل والمساواة بين البشر، فشاركوا الإمامية في إقامة مجالس العزاء، وخدمة المعزّين وزوار أبي عبد الله الحسين عليه السلام، لا سيما في شهر محرم الحرام وما تبعه من أيّام كانت شاهدة على الفاجعة التي ألّمت بآل بيت النبي محمد صلى الله عليه وآله، فكان ذلك سبباً في أن يعي أصحاب المذاهب والديانات الأُخرى ـ مثل المسيحية، والصابئة المندائيين، والإزيديين، وغيرهم ـ فكر أهل البيت عليهم السلام والأهداف التي جعلت الإمام الحسين عليه السلام يخرج متحدّياً الظلم والاستبداد؛ فكان ذلك سبباً رئيساً في تحسين العلاقات الاجتماعية بين المجتمعات في جميع دول العالم، لا سيما الإسلامية منها**»[2].

---

(١) السلطاني، حيدر عامر، مقال بعنوان: المجالس الحسينية وآثارها الاجتماعية والدولية: موقع: *imamhussain.org*.

(٢) المصدر السابق.

وبذلـك تمكنت الشـعائر من «**المحافظة عـلى العلاقات الإنسـانية و الاجتماعية بين أفـراد الجماعـة الصالحـة، ومَن يتفاعـل معها مـن المسـلمين... فقد أصبحـت المجالس الحسينية** [باعتبارها من أهمّ الشعائر] **مجالاً لتأكيد هذه العلاقات، وتمتين أواصر المحبّة والصلـة بين أفراد الجماعة، وفرصةً للتعبير عن روح التعاون والأُخوّة... وقد حفظ هذا البعد في التخطيط وحدة الجماعة الصالحة في حركتها الاجتماعية والإنسانية**»[1].

بل «**إذا أردنا أن ندرس الشـعائر الحسـينية دراسةً شـاملةً: فلا بدّ أن ندرسها في إطار بحث العولمة، وذلك بسبب وجود حالة الانفتاح والحوار بين الأُمم، ويمكننا أن ندرس الخطـاب الحسـيني في إطـار العولمة؛ باعتبـار أنّ الإمام الحسـين**عليه السلام **إمـامٌ معصوم، وهو القرآن الناطق**»[2]، على أسـاس مجتمعٍ إنسـانيٍّ واحد، تذوب فيـه الفوارق القومية أو الجغرافية أو العِرقية.

٤ـ آثار الشعائر ونتائجها على المجتمع من الناحية الاقتصادية

إنّ أهمّ عنصر ممكن أن يلحظ في هذا الشق هو حثّ الشعائر على مسألة البذل في سبيل الله، والإنفاق في إحياء أمر الله تعالى؛ إذ ممّا لا شكّ فيه أنّ البذل في هذا السبيل هو بذلٌ في أمرٍ راجح محبّب عند الله تعالى، بل العقل حاكمٌ بذلك، فلا يختلف عاقلان أنّ الإطعام ـ مثلاً ـ أمر محبّب عند جميع العقلاء، وبذل المال في سبيل ذلك وفي سبيل إحياء ذكرى رمزٍ من رموز الصلاح والتقوى أمرٌ راجحٌ لا محالة.

ولعلّ أهمّ ما يبرز في ذلك هو مسـألة التكافل الاجتماعي، الذي يظهر جلياً بأبهى صوره في كثيرٍ من الشعائر، فترى الجميع صغاراً وكباراً، نساءً ورجالاً، يشعرون بأنهم مكلّفـون وموظّفـون بالبذل بما جـادت به أيديهم، كلّ ذلك حبّاً منهم للحسـين**عليه السلام**، وتمسّكاً بحبل ولائه المتين.

---

(١) الحكيم، محمد باقر، دور أهل البيت**عليهم السلام** في بناء الجماعة الصالحة: ج١، ص١٥٩.

(٢) السند، محمد، بحوث معاصرة في الساحة الدولية: ص٢١٣.

ومن المُلفت للنظر عدم وجود إعداد وتحضير مُسبقَين لمعظم الظواهر والنشاطات الاقتصادية في الشعائر الحسينية، بل هي في الأعمّ الأغلب جهود فردية بحتة، فما هي تلك الطاقة الكامنة العظيمة التي أودعها الحسين عليه السلام في قلوب أحبّائه؟ وأيّ بركةٍ للشعائر التي حرّرت تلك الطاقة الكامنة؟

ففي إحصائيات شبه رسمية، وصل عدد المواكب والهيئات المسجّلة لدى المؤسّسات المعنية إلى ما يقارب الـ(٢٤٠٠٠)[١] موكب وهيئة عزائية ـ هذا في العراق فقط، أمّا في خارجه فالأمر متعسّر الضبط والإحصاء ـ أضِف إلى ذلك (المضائف الخدمية) التي تقدّم الخدمة للزوار المشاة على مجموع الطرق المؤدّية لضريح الإمام الحسين عليه السلام، التي بلغ عددها ما يقرب من **(ثلاثة ملايين)**[٢]، وللقارئ أن يتصوّر مقدار ما يُبذل في العام الواحد من خدمات متنوّعة، فأيّ نظام يضاهي النظام الاقتصادي الحسيني، فهو نظام التكافل الاجتماعي بكلّ ما للكلمة من معنى.

وتعدّى الأمر حدود ذلك ليصل إلى مساهمة الشعائر بإعادة التوازن الاستراتيجي المجتمعي ـ العسكري والأمني ـ لأتباع الحسين عليه السلام ومحبّيه، وخير مصداق لذلك في عصرنا الحاضر ما حصل للحشد الشعبي المبارك، ووقوف المواكب الحسينية ـ متّكئةً على الشعائر الحسينية ـ في دعمها له في مواجهة الإرهاب الداعشي، وهذه الظاهرة ـ بحدّ ذاتها ـ تحتاج إلى دراسة معمّقة، ونحن بدورنا ندعو المختصّين لتوثيق ودراسة ذلك بجِدٍّ وعلمية.

أو ظاهرة تكفّل العوائل المهجّرة قسراً بفعل الإرهاب الداعشي، والتي احتضنتها المواكب والهيئات الحسينية، إسكاناً وإطعاماً وقضاء حوائج لا تُعدّ ولا تُحصى[٣]، وهو ما تعجز عنه دول بعدّتها وعديدها.

---

(١) أُنظر: موقع الولاية الإخباري: *Ahrar.imamhussain.org*.

(٢) أُنظر: موقع: *Arabic.tebyan.net*.

(٣) أُنظر: موقع الكفيل: *Alkafeel.net*. وموقع وزارة الهجرة والمهجّرين العراقية: *Momd.gov.iq*.

وختاماً ينبغي القول: إنّ هناك الكثير ممّن أراد تحليل الشعائر الحسينية، وربطها بالعلوم الأكاديمية النظرية، كعلم الاجتماع، وعلم النفس، وعلم الاقتصاد، وعلم السياسة، وكان القاسم المشترك للكثير من تلك التحليلات هو نسيانها للبعد الغيبي، والإرادة الإلهية لتلك الشعائر، فالبعد الغيبي والدفع الرباني ـ تشريعاً وتكويناً ـ هو الخطوة المحدّدة للتفاعل، على حدّ تعبير أهل الكيمياء الحديثة، فهو المحرّك الأساس الذي لو رُفع ـ جدلاً ـ لماتت تلك الشعائر، وخَبَت جذوتها، وعليه يجب حساب تلك الخطوة دقيقاً قبل أيّ تحليلٍ علمي أكاديمي، ولا ينبغي إغفال ذلك مطلقاً.

الشعائر الحسينية في العصر الصفوي
عرضٌ وتوصيف

د. الشيخ حيدر خماس الساعدي*

مقدّمة

يكتسب البحث في تاريخ الشعائر الحسينية أهميته من الشعائر نفسها، كما أنّه يعكس لنا ما مرّت به تلك الشعائر من أحداث، ويوثّق لنا أشكال ممارستها وامتداداتها عبر العصور، وحين يُدرس تاريخ الشعائر ضمن مراحل ينتج ذلك ثماراً متنوعة، لكن ما يؤسف له أنّ الشعائر الحسينية لم يؤرّخ لها كما تستحق، وبقيت مراحل مهمّة من حياتها بعيدة عن اهتمام باحثينا.

وللعهد الصفوي أهمية خاصّة في تاريخ الشعائر، حيث دخلت فيه الشعائر الحسينية مرحلة جديدة على مستوى الممارسة والاهتمام، كما أُثيرت بعض الشبهات التي تتعلّق بهذا العهد. من هنا سنقوم في هذا البحث باستعراض تاريخ الشعائر إبان الحقبة الصفوية، محاولين الاقتصار على تقديم صورة جامعة مختصرة، ولسنا بصدد تأييد أو رفض أعمال الصفويين، ولا تقييم نوع الممارسة الشعائرية آنذاك.

نسب الأُسرة الصفوية وتوجّهها الديني

من الواضح تاريخياً أنّ الأُسرة الصفوية تعود إلى الشيخ صفي الدين إسحاق

---

* دكتوراه في الاستشراق والدراسات القرآنية، عضو هيئة تحرير مجلة الإصلاح الحسيني، من العراق.

الأردبيلي (١٢٥٢ـ ١٣٣٤م)، وهو الجد الكبير للسلالة الصفوية[١]، وكان شَيخ طريقة صوفية[٢]. ويختلف الباحثون في نسب هذه السلالة، فهناك مَن يرى أنّها تعود إلى الإمام موسى الكاظم عليه السلام[٣]، وهناك مَن يرى أنّ انتساب هذه السلالة إلى الإمام السابع مجرّد دعاية، وأنّ أُصولها كردية من جبل سنجار، ويعود نسبها إلى الجد السابع (فيروز شاه)، أمّا ما ذُكر لها من نسب يربط الجد السابع بالإمام الكاظم عليه السلام، فهو منتحل لا دليل عليه[٤]، لكن مؤلف كتاب (عالم آراي صفوي) الذي كان معاصراً للدولة الصفوية وموظفاً فيها، يذكر اتصال نسب هذه الأُسرة من (فيروز شاه) بالإمام الكاظم عليه السلام[٥].

إنّ الأمر الذي لا خلاف فيه أنّ السلسلة الصفوية ورثت الطريقة الصوفية من الشيخ صفي الدين، وراحت تتوارثها بشكل لافت للنظر؛ ممّا جعل لهذه الأُسرة مركزية دينية، ومرجعية خاصّة في الأوساط الاجتماعية، وجلب لها أنصاراً ومريدين عبر فترات زمنية متعاقبة، وحينما وصل الأمر إلى الشيخ جنيد (ت١٤٦٠م) بدأ تحوّل في الأُسرة الصفوية عدّه البعض مفاجئاً[٦]، وهو الانتماء الرسمي العلني للمذهب الشيعي، بعد أن أصبحت الطريقة الصوفية ذات طابع شيعي علني على يد والده الشيخ خواجه علي[٧].

وثمّت وجهة نظر ترى أنّ امتداد التشيع في الواقع الإسلامي قد اتخذ أشكالاً متعددة، يشكّل اختلاط التشيع بالتصوّف واحداً منها، فقد وجد الكثير من العقائد

---

(١) أُنظر: كسروي، أحمد، شيخ صفي وتبارش (الشيخ صفي ونسبه): ص٤.
(٢) أُنظر: الأمين، حسن، مستدركات أعيان الشيعة: ج١، ص١٦.
(٣) أُنظر: شكري، يد الله، مقدّمة كتاب عالم آراي صفوي: ص٢٦. اسكندر بك، عالم آراي صفوي: ص٤.
(٤) أُنظر: كسروي، أحمد، شيخ صفي وتبارش (الشيخ صفي ونسبه): ص١٧.
(٥) أُنظر: اسكندر بك، عالم آراي صفوي: ص٣.
(٦) أُنظر: كولن تيرن، التشيع والتحوّل في العصر الصفوي، ترجمة حسين عبد الساتر: ص١١٩.
(٧) أُنظر: مجموعة من الباحثين، الصفوية التاريخ والصراع والرواسب: ص١٧٦.

الشيعية طريقه إلى فرق صوفيّة مختلفة، وبما أنّ التصوّف له حضوره الواضح في العالم السني، فقد هيّأ ذلك أرضية خصبة للتشيع وانتشاره في بلدان العالم الإسلامي[1].

ومن جهة أُخرى فإنّ جملة من الفرق المحبّة لأهل البيت عليهم السلام، أو المغالية فيهم، قد حافظت على معتقداتها بعيداً عن أنظار السلطات، وبعد أن ترك الشيخ جنيد أردبيل ـ بعد نزاع مع عمّه على القيادة ـ وهاجر إلى آسيا الصغرى، التقى هناك بتلك الجماعات، وكان كثير منهم مزارعين، وأخذت أعداد غفيرة منها تلتحق بأُسرة الشيخ صفي الدين وطريقته[2]؛ ممّا شكّل ثقلاً لهذه الأُسرة ومكانتها الاجتماعية والسياسية، كما أنّ ظلم السلطات التي تنتسب إلى المذهب السني، وحملات التكفير والتنكيل بالشيعة، قد جعلت منهم ناراً تحت الرماد، بانتظار الفرصة المناسبة ليظهروا ويستعيدوا حقوقهم، ويأخذوا بثأرهم، وحين انتهى الأمر إلى الشيخ حيدر، والد الشاه إسماعيل الصفوي، بدأ بنشر التشيع بشكل علني، «**وقد اتخذ شعاراً يميّز أتباعه عن غيره على صورة قلنسوة حمراء ذات اثنتي عشرة ذؤابة، كناية عن الأئمّة الاثني عشر، إنّه تاج حيدر، من هنا أطلق العثمانيون على كل مَن يلبس تاج حيدر قزلباش، أي: الرؤوس الحمراء**»[3].

حدود العهد الصفوي

لم تفلح محاولات والد الشاه إسماعيل وجدّه في بسط دولة والاستقلال بحكم، غير أنّ الشاب الذي لم يرَ أباه منذ طفولته، قُدِّر له أن يكون أوّل قائد يفرض سلطته، ويجتاح مدناً، وتخضع لسيطرته مساحات في فترات قياسية، وهنا يبدأ العهد

(١) أُنظر: جعفريان، رسول، صفويه در عرصه دين فرهنگ وسياست (الصفوية في ميدان الدين والثقافة والسياسة): ج١، ص١٧.

(٢) أُنظر: المصدر السابق: ص٢٠. مجموعة من الباحثين، الصفوية التاريخ والصراع والرواسب: ص١٧٦.

(٣) طقوش، محمد سهيل، تاريخ الدولة الصفوية في إيران: ص٨.

الصفوي حينما تسلّم الشاه إسماعيل الصفوي (١٤٨٧ـ١٥٢٤م) عرش السلطة سنة (١٥٠٢م)، و بعد سلسلة انتصارات مهمّة على خصومه في أوقات قياسية، أعلن عن دولته ومذهبها المتمثّل بالتشيع الاثني عشري.

وحينما توفّي الشاه إسماعيل تسلّم ولده الشاه طهماسب (١٥١٤ـ١٥٧٦م) الأمر، وهو الذي طلب من المحقق الكركي قدس سره[1] القدوم إلى إيران بعد أن غادرها إلى العراق، وقد استقبله استقبالاً منقطع النظير، وأصدر بعد ذلك قراراً بيّن فيه أنّ الشيخ الكركي هو صاحب الدولة الحقيقي؛ باعتباره نائباً للإمام صاحب العصر والزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف[2]. وبقيت الدولة الصفوية كقوة تقابل القوة العثمانية، رغم المشاكل الداخلية والتهديدات الخارجية.

وتنازع بعده أولاده الحكم، فحكم الشاه إسماعيل الثاني(١٥٣٧ـ١٥٧٧م) سنة وأشهر، ثمّ حكم بعده أخوه محمد خدابنده، واضطربت الأُمور أيّامه، حتّى انشق عنه ولده الشاه عباس الأوّل (١٥٧١ـ١٦٢٩م)، واضطر الوالد إلى وضع التاج على رأس ولده في مراسيم تسليمه زمام الحكم. وقد وسّع الابن نطاق الدولة الصفوية، ورمّم ما تصدّع منها، وانفتح على العالم الأُوربي، وهي المرحلة الذهبية في العهد الصفوي.

---

(١) «علي بن الحسين بن عبد العالي العاملي الكركي... والكركي نسبة إلى كرك نوح قرية ببلاد بعلبك... رحل في أوّل أمره إلى مصر وأخذ عن علمائها بعد ما أخذ عن علماء الشام... ثمّ رجع من مصر وتوجه إلى بلاد العراق، فورد النجف وأقام فيها زماناً طويلاً يُفيد ويستفيد، ثمّ رحل إلى بلاد العجم لترويج المذهب، والسلطان حينئذٍ الشاه إسماعيل الصفوي، فدخل عليه بهراة، فأكرمه وعرف قدره، وكان له عنده المنزلة العظيمة، وعيّن له وظائف وإدارات كثيرة ببلاد العراق، وكذلك كان عند ولده السلطان الشاه طهماسب الأول ـ ثاني السلاطين الصفوية ـ معظّماً مبجّلاً في الغاية، وصاحب الكلمة النافذة عنده، موقّراً في جميع بلاد العجم، وعيّنه حاكماً في الأُمور الشرعية لجميع بلاد إيران، وكتب له بذلك فرماناً عجيباً، حتى أنّه ذكر فيه أنّ معزول الشيخ لا يستخدم، ومنصوبه لا يعزل، وعيّن له وظائف وإدارات كثيرة»، (الأمين، محسن، أعيان الشيعة: ج٨، ص٢٠٨ ـ ٢٠٩). له مؤلفات كثيرة من أشهرها كتابه الفقهي الموسوم بـ(جامع المقاصد). توفّي سنة (٩٣٧ هـ)، وقد زاد عمره على السبعين. الحر العاملي، محمد بن الحسن، أمل الآمل: ج١، ص١٢٢.

(٢) اُنظر: الأمين، محسن، أعيان الشيعة: ج٨، ص٢٠٩.

وجاء بعده حفيده صفي الأوّل بن صفي ميرزا (١٦١١ـ١٦٤٢م)، ولم تكن هذه الحقبة ـ التي استمرت ثلاث عشرة سنة ـ جيّدة في عمر الدولة الصفوية.

ثـمّ حكم بعده الشـاه عباس الثـاني (١٦٣٣ـ١٦٦٦م)، وقد شـهدت الحكومة الصفويـة في عهـده نوعاً من الرفاهية والتبادل التجاري مـع أُوروبا، والانفتاح حتى على المناوئين.

ثـمّ جـاء الشـاه صفي الثـاني بـن عبـاس الثـاني (١٦٤٥ـ١٦٩٤م) الـذي طوّر العلاقـات الصفوية الأُوروبية، وشـهدت فترة حكمه حضـور الرحّالة الأُوروبيين، وقد دوّنوا مشاهداتهم، وصارت فيما بعد مصادر مهمّة عن العهد الصفوي.

ثـمّ بـدأت الدولة الصفويـة بالانحطاط الواضح على يد الشـاه حسـين الأول[1] (١٦٦٨ـ١٧٢٦م)، وانتهـى حكم الدولة الصفوية عام (١٧٣٦م)، وحلّت الأُسرة الأفشـارية مكانهـا في حكم إيـران[2]. وبذلك تكون الدولة الصفويـة قد حكمت ما يقارب قرنين وأربعة عقود من الزمن.

التجاذبات الدينية في العهد الصفوي

شـهد العهـد الصفـوي تجاذبات دينيـة ومذهبيـة عديـدة، فقد جـاورت المنطقة الجغرافيـة للحكومة الصفوية مذاهب نكّلت وقتلـت مخالفيها من المذاهب الأُخرى بشـكل مريـع، بل بالغـت في تكفيرها، ومـا إن أعلنت عـن مذهبها المنـاوئ لمذهب المناطـق المجاورة، حتّـى بدأت مرحلة جديدة من ذلك الـصراع، وأصبحت الحرب دينية سياسية.

واستمر صراع الدولة العثمانية، بصفتها دولة سنّية، مع الدولة الصفوية، بصفتها دولة شـيعية، وسـالت أنهر من الدمـاء إثر تلـك النزاعات، فكانت الدولـة العثمانية

(١) أُنظر: طقوش، محمد سهيل، تاريخ الدولة الصفوية في إيران: ص٢٣٣.
(٢) أُنظر: المصدر السابق: ص٢٥٢.

تضغط على المناطق الشيعية بشكل عام، حتّى أنّ جبل عامل شهد ظاهرة نزوح على مستوى العلماء، بعد اضطهاد الدولة العثمانية للشيعة[1].

وقد كان أحد أهم عوامل هجرة العلويين الأتراك إلى إيران، هو الضغط الذي مارسه العثمانيون آنذاك عليهم، ومع بداية تشكيل الحكومة الصفوية، وشدّة الضغوطات التي مورست ضدّ محبّي الأُسرة الصفوية، قصد كثير من الأتراك إيران، وقد شكّل هؤلاء النظام السياسي والعسكري للدولة الصفوية فيما بعد[2]، حيث بلغ الشيعة في الأناضول بداية القرن العاشر أكثر من أربعة أخماس[3] نفوسها، وهاجر أغلب هؤلاء نحو إيران، وانصهروا في النظام السياسي والعسكري الصفوي.

ونتيجة للممارسات القمعيّة التي مارستها الحكومات ضدّ التشيع، والتعامل معه على أنّه ندّ للحكومات السنّية، ومحاولة عزله عن الوضع العام، وحملات التكفير التي كانت منتشرة في العالم الإسلامي آنذاك، شكّل كل ذلك عوامل قوة لنشوء الدولة الصفوية؛ باعتبارها ممثلة للتشيع ـ ظاهراً ـ في بداية تأسيسها، وإعلانها أنّ التشيع هو المذهب الرسمي للدولة.

ولم تواجه الدولة الصفوية صعوبة تُذكر بسبب إعلانها التشيع مذهباً رسمياً للدولة؛ وذلك لأنّ التشيع كان له نفوذ في تلك الأوساط بشكل أو بآخر، وإن لم يكن بعنوانه الخاص[4]. هذا من جهة، ومن جهة أُخرى فإنّ الملك الشاب إسماعيل الصفوي كان حازماً في تثبيت التشيع بعنوان أنّه المذهب الرسمي للدولة مهما كلّف الأمر[5].

---

(١) أُنظر: جعفريان، رسول، صفويه در عرصه دين فرهنگ وسياست (الصفوية في ميدان الدين والثقافة والسياسة): ج١، ص١٨.

(٢) أُنظر: جعفريان، رسول، صفويه از ظهور تا زوال (الصفوية من الظهور إلى الزوال): ص٢١.

(٣) أُنظر: جعفريان، رسول، صفويه در عرصه دين فرهنگ وسياست (الصفوية في ميدان الدين والثقافة والسياسة): ص١٧.

(٤) أُنظر: جعفريان، رسول، صفويه از ظهور تا زوال (الصفوية من الظهور إلى الزوال): ص٣٨.

(٥) أُنظر: جعفريان، رسول، صفويه در عرصه دين فرهنگ وسياست (الصفوية في ميدان الدين والثقافة والسياسة): ج١، ص:٢١.

جديـر بالذكر أنّ إعلان التشـيع مذهباً رسـمياً للدولة، والالتـزام ببعض مظاهر التشـيّع ـ كالشـهادة الثالثـة وذكر الأئمّة المعصومين في المناسـبات الدينيـة ـ لا يعني تطبيقـه بتمامه، كما لا يعني ذلك خلو الدولة من تصرفات غير لائقة بالتشـيع؛ فليس من الصحيح تفسـير أفعال الدولة الصفوية على أسـاس طائفي، ونسبتها إلى التشيع، فهـي ـ كسـائر الحكومات ـ لها مصالحها وأهدافهـا وثاراتها، ومن هذا المنطلق فما قام به الشاه إسماعيل من انتقام من قتلة جدّه وأبيه، وقتل كل مَن اشترك في حرب والده الشـيخ حيـدر لا ربـط له بالتشـيّع[1]. وتدلنـا الحادثـة الآتية على مـدى ابتعاد بعض تصرفات حكام الدولة الصفوية عن روح التشيع وفكره:

«قـال المـيرزا بيـك المنـشي الجنابـذي المعاصر للشـاه عباس المـاضي في تاريخـه كما في الرياض: إنّ المولى سـيف الدين قد كان في جملة علماء السـنّة الذيـن جمعوا في دار الإمارة بهـراة؛ لتعيين المنزل لحضرة الشـاه إسـماعيل المـاضي الصفوي يوم وصل خـبر فتحه إلى الهراة، وغلبته على شاه بيك خان ملك الأوزبك، وقهره وقتله. ثمّ قال: إنّ السلطان شاه إسـماعيل أمر بقتل المولى سـيف الدين أحمـد بن يحيى المذكور؛ لأجـل تعصبه في مذهب التسـنن فقُتل. وقد دخل على الهراة خاتم المجتهدين الشـيخ علي بن عبد العالي الكركي، واعـترض عليهم في قتلهم إيّـاه، وخطأهم في ذلك، وقال: لو لم يقتل لأمكن أن يتم عليه بالحجـج والبراهين العقليـة والنقلية حقية مذهب الإمامية، وبطلان مذهب أهل السـنّة والجماعة، ويردع عن مذهبه الباطل، ويلزم بذلك ويسكت، ويذعن من إلزامه جميع أهل ما وراء النهر وخراسان بحقية مذهب الشيعة الاثني عشرية»[2].

الشعائر الحسينية قبل العهد الصفوي

لا شـك في أنّ ممارسـة الشعائر الحسينية تعود إلى زمن المعصومين عليهم السلام، وقد مرّت

(١) اُنظر: جعفريان، رسول، صفويه از ظهور تا زوال (الصفوية من الظهور إلى الزوال): ص٣٩.
(٢) النوري، ميرزا حسين، خاتمة المستدرك: ج٢، ص٢٧٩.

بمراحل متعدّدة وظروف مختلفة، ولم تَخفِ كتب التاريخ ـ رغم تعدّد توجهاتها ـ ممارسة الشعائر عبر مراحل زمنية مختلفة، ولم تنقطع مسيرة الشعائر رغم كل الظروف والمتغيرات التي مرّت بها، فقد مارس الشيعة الشعائر في بقاع مختلفة من العالم، كما أنّها دخلت مرحلة الممارسة الرسمية حينما حكمت بعض الحكومات المنتمية إلى المذهب الشيعي، كالدولة البويهية والفاطمية، كما تعاطف مع الشعائر حكام ومجتمعات غير منتمين إلى المذهب الشيعي، بل مارس جماعة من علماء المذاهب الأُخرى شعائر سيّد الشهداء كما يمارسها الشيعة وعلماؤهم[1].

مراحل الشعائر الحسينية في العهد الصفوي

مرّت الشعائر الحسينية في العهد الصفوي بمراحل، تبعاً لتوجّهات الدولة ووضعها السياسي، الأمر الذي انعكس على واقع الشعائر الحسينية آنذاك من حيث الممارسة والاهتمام.

١ـ اهتمام الدولة بالشعائر

شهدت بعض عصور الدولة الصفوية حرصاً واضحاً على إقامة مراسم العزاء، حتّى في أحلك الظروف والحالات، فقد اهتم الشاه إسماعيل بإقامة الشعائر الحسينية، وأمر بإقامتها ونشرها، كما أقام الشاه عباس مأتماً، وهو يطوّق قلعة إيروان، وقد صادف ذلك ليلة عاشوراء، ممّا سبب ذعر القرية، وظنّوا أنّهم هوجموا، فبعثوا رسلاً، وأعلنوا استسلامهم. كما صادف قتال الأُوزبك يوم العاشر من المحرّم، فأمر بإيقاف القتال، وإقامة المأتم[2].

ومن جهة أُخرى فإنّ الشاه عباس الصفوي رغم اهتمامه الكبير بالشعائر الحسينية

(١) أُنظر: الريشهري وآخرون، موسوعة الإمام الحسين عليه السلام: ج٦، ص٢٧٦ فما بعد.
(٢) أُنظر: فلسفي، نصر الله، زندگاني شاه عباس أوّل (حياة شاه عباس الأوّل): ج٣، ص١٠.

قد منع من ممارسة بعض العادات والتصرفات التي تُمارس أيام عاشوراء[1]؛ لما فيها من إزهاق الأنفس وتشويه صورة الشعائر.

سبب اهتمام الدولة الصفوية بالشعائر الحسينية

اهتمت الدولة الصفوية بالشعائر الحسينية اهتماماً بالغاً، ولعلّ هذا الاهتمام يعود إلى عدّة أُمور:

الأمر الأوّل: حبٌّ أو ميول حكام الدولة الصفوية لأهل البيت عليهم السلام، والتزامهم بالتشيع كما يظهر من بعض ملوكها[2]. وقد ظهر ذلك في مجالات متعدّدة، منها: الاهتمام بالمراقد المقدّسة في إيران والعراق، والاهتمام بنشر روايات وفضائل أهل البيت عليهم السلام، ومن ذلك أيضاً الاهتمام بالشعائر الحسينية ووفيات الأئمّة عليهم السلام.

الأمر الثاني: بعد أن أعلنت الدولة الصفوية عن مذهب الدولة الرسمي، كان عليها الالتزام بالشعائر الحسينية؛ لما لها من محورية في التشيع، خصوصاً في بداية تأسيس الدولة الصفوية، وتشدّدها في أمر التشيّع[3]؛ لذا أصبحت الشعائر الحسينية في هذا العهد بمثابة الشعار للشيعة[4].

الأمر الثالث: يعزو بعض الباحثين هذا الاهتمام بالتشيع عموماً، والشعائر خصوصاً، إلى العامل السياسي؛ لأنّ الشعائر تمثّل جانباً إعلامياً مهمّاً للتشيع، ممّا يعزّز مكانة الدولة السياسية، باعتبارها منافساً للعثمانيين[5].

وعلى كل حال، فإنّ هذا الاهتمام بات ملحوظاً في توجّه الدولة الصفوية طوال

---

(١) أُنظر: فلسفي، نصر الله، زندگاني شاه عباس أوّل (حياة الشاه عباس الأوّل): ج٣، ص١٠، نقلاً عن مذكرات (آنتونيودوگوآ): ص٧٥،٧٦.

(٢) أُنظر: فلسفي، نصر الله، زندگاني شاه عباس أوّل (حياة الشاه عباس الأوّل): ج٣، ص٤.

(٣) أُنظر: مجموعة من الباحثين، الدولة الصفوية التاريخ والصراع والرواسب: ص٩٦.

(٤) أُنظر: جعفريان، رسول، صفويه در عرصه دين فرهنگ وسياست (الصفوية في ميدان الدين والثقافة والسياسة): ج١، ص٤٥٦.

(٥) أُنظر: مجموعة من الباحثين، الدولة الصفوية التاريخ والصراع والرواسب: ص٩٦.

الفترة التي حكموا فيها، وقد لفت ذلك أنظار الباحثين والرحّالة، وأصبح جزءاً مهمّاً من عمر الشعائر الحسينية.

٢ـ الممارسة العامّة للشعائر الحسينية

كانت الشعائر الحسينية في العهد الصفوي تُمارس من قبل شيعة أهل البيت عليهم السلام المتواجدين آنذاك في مناطق مختلفة من إيران، فلم يكن الصفويون سباقين في هذا المجال، لكن دور الصفويين يكمن في دعمها وإقامتها والاهتمام بها، وفسح المجال أمامها لتأخذ مداها في عموم إيران، ومنحها صفة رسمية على المستوى الحكومي والشعبي.

فدخلت الشعائر في ذلك الزمان مرحلة العموم، وأصبحت تُمارس على نطاق واسع في أنحاء الدولة الصفوية، وهكذا توسّع نطاق الممارسة من قِبل ثقافات وطبقات مختلفة، ومن الطبيعي أن تتنوّع أشكال الممارسة وثقافتها، فدخلت أنواع من الممارسة لم تكن موجودة في مناطق أُخرى، وأُضيفت إلى مفردات الشعائر السابقة مفردات جديدة، وكانت تلك الشعائر تُمارس من قِبل طبقات مختلفة، وينظر إليها العلماء بشكل عام بعين الرضا[1].

٣ـ موقف النخب العلمية من الشعائر الحسينية

بدأ حضور علماء الدين ودورهم الفعّال في الساحة في عهد الشاه طهماسب، وبدأت الحياة الدينية في الدولة الصفوية تأخذ ميادين واسعة، وحال الشعائر الحسينية كظاهرة دينية حال بقيّة الممارسات الدينية الأُخرى، وقد كان العلماء يشاركون في الشعائر الحسينية، وكانت بعض الممارسات محل أخذ ورد من قبل بعض العلماء آنذاك.

---

(١) أُنظر: جعفريان، رسول، صفويه در عرصه دين فرهنگ وسياست (الصفوية في ميدان الدين والثقافة والسياسة): ج١، ص٤٦٥، نقلاً عن كتاب (فيروزيه) لعبد الله أفندي.

ومن ذلك ما نُقل في هذا المجال عن موقف المقدّس الأردبيلي من بعض الممارسات الشعائرية التي كانت تُمارس، وهي شعائر محلّية تسمّى (ضرب الحجر)، ولمّا لم يصل اعتراضه إلى نتائج ملموسة على أرض الواقع، قرّر اجتناب المرور بالسوق، بل أحجم عن الخروج مطلقاً، فرأى رؤيا غيّرت نظرته وتعامله مع هذه الممارسة، حيث رأى الإمام الحسين عليه السلام في المنام، وقال عليه السلام للمقدّس الأردبيلي ما خلاصته: لماذا تمنع الناس من العزاء؟ فقرّر بعد ذلك ممارسة تلك الشعائر مع عموم الناس[1].

ويظهر بوضوح من خلال ما ينقله لنا عبد الله أفندي ـ الشخصية المعروفة في العقود الثلاثة الأخيرة من العهد الصفوي ـ وجود تشكيكات واعتراضات من بعض الجهات غير الشيعية، مفادها أنّ الشعائر الحسينية وما يمارسه المعزّون آنذاك بدعة، وأنّها من مستحدثاتهم[2].

مظاهر العزاء الحسيني في العهد الصفوي

تتمثل مراسم العزاء في العهد الصفوي في جانبين:

الجانب الأوّل: الجانب الحماسي التعبوي، تؤدّيه المواكب والتجمّعات العزائية التي تخرج في الأزقة والشوارع والساحات.

الجانب الثاني: جانب الموعظة والتذكير بالأخلاق والقيم، وذلك عن طريق المجالس، حيث يرتقي المنبر علماء الدين في العشرة الأُولى من شهر محرّم، بعد الظهر أو قبله وفي الليل، وتستمر هذه المجالس طوال شهري محرّم وصفر، لكنّ أوجها وحماسها الأكثر في العشرة الأُولى من شهر محرّم الحرام.

ويبدأ العزاء بجميع أشكاله مع بداية شهر محرّم، ويشتد في العاشر منه، تُكسَى المدن والشوارع بمظاهر الحزن، وتُرفع رايات سوداء على البيوت، وتجوب مواكب

(١) أُنظر: المصدر السابق.
(٢) أُنظر: المصدر السابق.

العـزاء أنحاء المدن والحارات، كما يظهـر الناس بمظاهر الحزن، ويبتعدون عن الزينة والفرح، ويجتنبون الذنوب والمعاصي[1].

وبعـد أن دخـل العزاء مرحلة العموم واتخذ طابع الشـعبية، اختصّت بعض مدن إيـران بطرق وعادات خاصّة في العزاء، ففي أردبيل ـ على سـبيل المثال ـ كانت هناك خمسة شوارع عامّة، تدخل كل شارع طبقة من المجتمع.

أشكال ممارسة الشعائر الحسينية في العهد الصفوي

تنوّعت أشـكال الشعائر الحسـينية، وتعدّدت آليات ممارستها في العهد الصفوي، ولعـلّ الانفتاح وفسـح المجال أمام طبقات المجتمع لممارسـة الشـعائر، مع اختلاف ثقافاته، فتح الباب أمام أشكال كثيرة من الممارسات الشعائرية الحسينية، رغم بعض الاعتراضات التي كان يبديها بعض العلماء.

وقد شـكّلت بعض الشـعائر مصدر تمويل لمشـاريع دينية أُخرى في ذلك العهد، فقد قام الشـاه إسـماعيل ببناء دار علم في محافظات متعددة من إيران، وقد موّل تلك المشاريع من قنوات متعدّدة، منها حاصل وقف التكايا[2].

وسنقدّم فيما يلي مفردات الشعائر التي كانت تمارس آنذاك:

المجالس والبكاء

شـكّلت مجالس العزاء، وذكر مصائب الإمام الحسـين وأهل بيته عليهم السلام، جانباً مهمّاً من أشـكال العـزاء في العهد الصفوي، ويمكن القول: إنّها أوسـع شـعيرة، وأكثرها ممارسـةً في ذلـك العهـد. وعـادةً مـا كانت تلـك المجالس تُقـام في محـرّم وصفر، كما

(١) أُنظر: بيترو دلاواله، سفرنامه بيترو دلاواله (رحلة بيترو ديلا فالي)، ترجمة د. شعاع الدين شفا: ص١٢٣ ـ ١٢٤. فلسفي، نصر الله، زندگاني شاه عباس أوّل (حياة شاه عباس الأوّل): ج٣، ص٨.

(٢) جماعة من الأساتذة الجامعيين، تاريخ تمدن وفرهنگ صفوي (تاريخ الحضارة والثقافة الصفوية): ص٥٩.

كانـت تُقام مجالس عزاء في وفيـات بقيّة الأئمّة المعصومين عليهم السلام، وبخاصّة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، والإمام الرضا عليه السلام.

وقـد كان كتـاب (روضة الشـهداء) للكاشـفي مصدراً مهـمّاً لقراءة عـزاء الإمام الحسـين عليه السلام، حتّـى بـات يطلق على قـارئ العزاء اسـم (روضه خـوان)، أي: قارئ الروضـة، بمعنـى: قارئ كتاب الروضـة، وأصبحت لهذا الكتـاب محورية خاصّة في ذلك العهد، وأخذ الخطباء وقرّاء العزاء يعتمدون عليه بشكل واضح.

وكانـت مجالـس العـزاء آنذاك تُقـام في أوقات وأماكـن متفرّقة، حيـث تعقد ليلاً وظهـراً، كـما تعقد في المسـاجد والبيـوت والسـاحات والطرقات. وعـادةً ما يرتدي القارئ زيّ العلماء أو زياً خاصّاً، ويرتدي عموم الناس السواد؛ تعبيراً عن الحزن[1].

كما يشـكل ناتج الوقف بشـكل عام مصدر تمويل لمجالـس العزاء في محرم وصفر والحادي والعشرين من شهر رمضان[2].

وفي زمـن الشـاه عباس كانـت مجالس العزاء تُقام بصورة رسـمية مـن قبل الملك والأعيـان في عمـوم إيـران[3]، ويحـضر تلـك المجالس طبقـات متعددة مـن الناس، ويجلـس الخطيـب على المنـبر، ويكون مشرفـاً على الحضور مـن الرجال والنسـاء[4]، ويردّد الحاضرون نهاية البيت الذي يقرأُه الخطيب، كما تلطم النسـاء، ويعلو صوتهن بالبكاء والنحيب، ويردّدن: (حسين حسين)[5].

---

(١) أُنظر: بيترو دلاواله، سفرنامه بيترو دلاواله (رحلة بيترو ديلا فالي)، ترجمة د. شعاع الدين شفا: ص١٢٣.

(٢) أُنظر: جماعة من الأساتذة الجامعيين، تاريخ تمدن وفرهنگ صفوي (تاريخ الحضارة والثقافة الصفوية): ص٧٠.

(٣) أُنظر: فلسفي، نصر الله، زندگاني شاه عباس أوّل (حياة شاه عباس الأوّل): ج٣، ص٦.

(٤) أُنظر: بيترو دلاواله، سفرنامه بيترو دلاواله (رحلة بيترو ديلا فالي)، ترجمة د. شعاع الدين شفا: ص١٢٤.

(٥) أُنظر: المصدر السابق.

الشعر وإنشاده

راج شعر الرثاء الحسيني، ووصف مصائب أهل البيت في العصر الصفوي، وقد انتشر الشعر الحسيني آنذاك، حتّى نظم محتشم كاشاني بطلب الشاه طهماسب القصيدة المعروفة التي مطلعها:

باز این چه شورش استکه در خلق عالم است

باز این چه نوحه و چه عزا و چه ماتم است[1]

وقد توجّه الشعر آنذاك نحو القضايا الدينية، وقد كان بعض الحكّام الصفويين يرفض الشعر في مدحه، ويفضل أن يكون الشعر في حق أهل البيت عليهم السلام، وكان بعضهم يحاسب مَن ينظم شعراً ضدّ أهل البيت عليهم السلام. كما نُظِّم كتاب (روضة الشهداء) على شكل شعر حماسي، وأُهدي للشاه إسماعيل، نظمه (حسين ندائي اليزدي النيشابوري)، وفيما يخصّ هذا الكتاب قال صاحب الذريعة: «**(٩٥٧: مثنوي سيف النبوة) لحسين ندائي اليزدي النيشابوري المذكور في (٩: ١١٧٩) من المنظومات الحماسية الدينية، نظم فيها (روضة الشهداء) لملا حسين الكاشفي، وأحوالات الأنبياء ورجال الإسلام والأئمّة، وفي نسخة (دانشگاه: ٣٦٥٨) جاء باسم (سيف الأُمة ومشهد الشهداء)**»[2].

اللطم

من الشعائر الحسينية التي مورست بشكل لافت في العهد الصفوي أيّام محرّم وصفر هو اللطم؛ تعبيراً عن الحزن على سيّد الشهداء عليه السلام، وقد برز اللطم المنظم في العهد الصفوي بشكل لافت، حتى رجّح بعض الباحثين نشأة هذا النوع من اللطم في ذلك العهد[3].

---

(١) أُنظر: الريشهري وآخرون، موسوعة الإمام الحسين عليه السلام: ج٦، ص٢٩٣. ومعنى البيت: ما هذه الثورة والحماس اللذان نراهما في العالم؟! وما هذا النوح والعزاء والمأتم؟!

(٢) آقا بزرگ الطهراني، محمد محسن، الذريعة: ج١٩، ص٢١٤ ـ ٢١٥.

(٣) أُنظر: حيدري، أصغر، تاريخ جلوهاي عزاداري إمام حسين عليه السلام در ايران با تكيه بر دوره صفويه (تاريخ ومظاهر عزاء الإمام الحسين عليه السلام في إيران في العهد الصفوي): ص٨٩.

وعادةً ما كان هذا النوع من الشعائر يُمارس بشكل جماعي، كما يُمارسه المعزّون في التجمّعات التي تخرج إلى الأزقة والشوارع، وهو ما يعبّر عنه بالمواكب[1].

المواكب

راجت المواكب والتجمّعات العزائية في العهد الصفوي بشكل واضح، حتّى ذهب بعض إلى أنّها ظهرت في ذلك العهد، وقد اتخذت المواكب آنذاك أشكالاً متعدّدة، منها خروج تجمّعات تلطم بطريقة خاصّة، ومنها الاستعراض أمام ملوك العهد الصفوي، ومنها خروج جماعات من الناس حاملين أعلاماً رمزية، وتسير معهم خيول وجمال، وأحياناً يُحمل عليها بعض ما يرمز إلى شهادة الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه، أو سبي أهل بيته عليهم السلام.

يقول بيترو: «**في العاشر من محرّم، والذي يصادف الثامن من يناير (١٦١٧م)، تُقام في جميع شوارع إصفهان تجمّعات عزائية... وتحمل توابيت مغطاة بقماش أسود، وعليها عمائم، بعضها خضراء اللّون، وتسير خيول مزينة وجمال، كما يوضع سيف أو غيره من الأسلحة على كل تابوت، كما يستخدم المعزّون في تلك المواكب أحياناً آلات أُخرى كالصنج والناي**»[2].

وتُمارس تلك المواكب الشعائر في الشوارع والأزقة، وغالباً ما يُصاحب خروجها متفرّجين، كما تنتهي هذه المواكب عادةً إلى ساحات خاصّة يحضرها الناس، وفي المدن المركزية كإصفهان وتبريز، يحضر كبار الدولة الصفوية في ساحات خاصّة، فتمرّ المواكب من أمامهم. ففي إصفهان يسير المعزّون نحو ساحة إصفهان يدورون فيها، ثمّ يتوقفون أمام قصر الملك (عالي قاپو) والمسجد الكبير، ويتفرّقون بعد أداء مراسم العزاء والدعاء...[3].

---

(١) أُنظر: فلسفي، نصر الله، زندگانی شاه عباس أوّل (حياة شاه عباس الأوّل): ج٣، ص٦.

(٢) بيترو دلاواله، سفرنامه بيترو دلاواله (رحلة بيترو ديلا فالي)، ترجمة د. شعاع الدين شفا: ص١٢٥. قام الباحث بترجمة النص المذكور من النسخة الفارسية إلى العربية.

(٣) أُنظر: فلسفي، نصر الله، زندگاني شاه عباس أوّل (حياة شاه عباس الأوّل): ج٣، ص٦.

وكان الشـاه عباس الصفوي يشـترك في تلك المواكب، ويسير مع المعزّين إذا كان متواجداً[1]، كما يوجد مُنظّمون لهذه المواكب معيّنون من قِبل الملك[2].

ضرب الأحجار

عزاء شـعبي ما زال يُمارس في بعض مناطق إيران، وبخاصّة سمنان، وهو خروج جماعة من الناس، وبيدي كل واحد منهم حجران أو خشبتان يملآن الكفين، فيُضرب بعضهـما ببعض، فيصدر نتيجة لذلك صوت ذو إيقاع خاص، وهذا النوع من العزاء شـبيه بمواكـب اللطم، ففيـه قارئ يردّد أشـعاراً في مصيبة الإمام الحسـين عليه السلام، وفيه تنظيم خاص، لكنّ المعزّين يضربون هذه الأحجار أو الأخشاب بعضها ببعض بدل اللطم، فيصدر صوت يشـابه ذلك الذي يُسـمع في اللطم، كما يصحب ذلك نداء (يا حسـين) من المعزّين، أو ما شـابه ذلـك من الهتافات. ولهذا النوع مـن العزاء مواكب خاصّة، وجماعات تجيده وتؤدّيه بحرفية عالية[3].

مراسم الشبيه

انتـشرت مراسـم الشـبيه في العـصر الصفوي بطـرق مختلفـة، ويبدو أنّهـا كانت تُمـارس بطريقـة عشـوائية، وتختلط أحياناً بأنواع أُخرى من الشـعائر الحسـينية، ففي المواكب كان هناك نوع من مراسـم الشـبيه، حيث يصاحب المواكـب أحياناً ما يرمز إلى حوادث عاشوراء، كوجود أطفال يُذكّرون المتفرّجين بأطفال الإمام الحسين عليه السلام، أو جماعـة يحملون السـيوف وبعـض آلات القتـال، يمثّلـون حالة الحـرب، وأحياناً يصاحب مراسـم الشـبيه ذكر المصائب التي جرت على سيّد الشهداء عليه السلام، وأهل بيته

(١) أُنظر: المصدر السابق.

(٢) أُنظر: الريشهري وآخرون، موسوعة الإمام الحسين عليه السلام: ج٦، ص٢٩٧، نقلاً عن سفرنامه (رحلة تاورنيه.

(٣) أُنظر: فلسفي، نصر الله، زندگاني شاه عباس أوّل (حياة شاه عباس الأوّل): ج٣، ص٦.

وصحبه عليهم السلام[1]، كما تخرج جماعة عليها علامات الفرح والسرور، تمثّل معسكر يزيد، تلبس ملابس الزينة، الأمر الذي خفي على بعض الرحّالة، فقال: لم أعد أفهم هل هذا اليوم يوم فرح أم يوم عزاء؛ لوجود جماعة في اليوم العاشر تتصف بمظاهر الفرح والسرور، وآخرون يبكون ويحزنون[2].

وهذا النوع من العزاء في حقيقته صورة عن نوع من العزاء الذي مارسه محبّو أهل البيت عليهم السلام بعد شهادة الإمام الحسين عليه السلام، وعُرِف بشكل رسمي وبدائي في العهد البويهي، لكن لا يوجد ما يدل على وجود هذه الممارسة بشكلها الحالي قبل نهايات العهد الصفوي[3].

استخدام السلاسل والآلات الجارحة والمشاعل

استخدم بعض المعزّين في العهد الصفوي آلات جارحة تعبيراً عن الحزن، يضرب المعزّون أنفسهم بها حتى مرحلة الإدماء. علماً بأنّ تفاصيل هذا النوع من العزاء غير متوفرة بين أيدينا، فما وجدناه يقتصر على خروج جماعة على هيئة موكب تستخدم آلات جارحة[4].

وكانت تُستخدم أيضاً مشاعل وشموع أحياناً في تلك المراسم، وتُحمل هذه المشاعل والشموع من قبل أشخاص يسيرون أمام المواكب، إضافة إلى حمل الرايات والأعلام[5].

---

(١) أُنظر: بيترو دلاواله، سفرنامه بيترو دلاواله (رحلة بيترو ديلا فالي)، ترجمة د. شعاع الدين شفا: ص١٢٥.

(٢) أُنظر: فلسفي، نصر الله، زندگاني شاه عباس أوّل (حياة شاه عباس الأوّل): ج٣، ص٩.

(٣) مؤسسة دائرة المعارف الإسلامية، إيران ـ طهران، دانشنامه جهان إسلام (دائرة معارف العالم الإسلامي)، مدخل تعزيه.

(٤) الريشهري وآخرون، موسوعة الإمام الحسين عليه السلام: ج٦، ص٢٩٨.

(٥) أُنظر: المصدر السابق: ص٢٩٩.

النتائج والمقترحات

عرفنا من خلال هذه السطور أهمية الشعائر الحسينية في العهد الصفوي، كما تعرفنا صورة الشعائر في ذلك العهد، وأشكال ممارستها، ومدى اهتمام الدولة الصفوية بممارستها.

ورغم ذلك يبقى هناك مجال واسع للبحث في الموضوع ذاته، وما هذا المقال إلّا نواة يمكن للباحث أن ينطلق منها إلى آفاق أوسع وتفاصيل أكثر.

الأمر المؤسف أنّنا لم نجد في مصادرنا تفاصيل تناسب حجم الشعائر الحسينية في العهد الصفوي، وبعكس ذلك نرى اهتماماً بذلك من قِبل غير المسلمين في عهد متأخر، وإن لم يكن اهتماماً مباشراً، وهو عادةً ما يكون ممزوجاً بتصوّرات غير واقعية[1]؛ لذا نقترح بعض الأُمور التي نراها نافعة في هذا المجال:

الأوّل: تخصيص مساحة واسعة لكل مرحلة من مراحل الشعائر عبر التاريخ، وبحثها بشكل مستوفى.

الثاني: الالتفات إلى وضع الشعائر في العصر الحاضر، وتدوين تفاصيل الشعائر بشكلها الحالي؛ لتكون وثائق ومصادر بحث للأجيال اللاحقة.

الثالث: متابعة ما كُتب عن تاريخ الشعائر في الأبحاث والدراسات الأجنبية، وتقويمها، ونقد الأفكار الخاطئة فيها، ونشرها بشكل منهجي لائق.

(١) أُنظر: هالم، هاينس، الشيعة، ترجمة محمود كبيبو: ص٦٤.

تطور المراسم الحسينية في كتاب (تراجيديا كربلاء)
نقدٌ وتحليل

الشيخ صباح عباس الساعدي*

مدخل

تحدّثنا في مقال سابق عن رؤية مؤلف كتاب (تراجيديا كربلاء) حول نشأة المراسم الحسينية وبعض الجوانب المرتبطة بها، وقد ناقشنا ذلك مفصّلاً، وبرهنَّا على بطلان كلامه ومخالفته للحقائق التاريخية الواضحة، وذكرنا الأدلة الكثيرة التي تُبيّن صحّة المطالب التي ذكرناها، وفي هذا المقال نحاول تسليط الضوء على مخالفة أُخرى من المخالفات التي سُجِّلت عليه، وهو ما يرتبط بكلامه حول التطور الملحوظ الذي طرأ على مراسم العزاء الحسيني، والتي رصدها بشكل ميداني؛ إذ تخبّط في هذا الجانب، وشوَّه الصورة في هذه المرحلة أيضاً وبشكل سافر وصريح، فألصق بها بعض الأحكام التي تبدو أنها مسبقة أو مرتكزة في ذهنه.

وقبل أن نواصل حديثنا حول نقاط الخلل في هذا الجانب، نُلفت أنظار القرّاء الأعزاء إلى أن التطور الذي يطرأ على أيِّ موضوعة من الموضوعات لا يُعدُّ مؤشراً خطيراً وظاهرة مخيفة، فيما لو كان ذلك النمو والتطور ضمن النطاق المرسوم والمخطَّط له في الموضوعة التي طرأ عليها؛ إذ إن أيَّ تطور كهذا يُعتبر أمراً طبيعياً وظاهرة إيجابية يستأنس بها كل مَن له اهتمام بهذا الشأن.

فبما أن الدين في روحه وقواعده وأساسياته ثابت ومصون من التحريف

---

* باحث إسلامي، مدير تحرير مجلة الإصلاح الحسيني، من العراق.

والتزييف؛ فلا ضير ولا مشكلة في أن يطرأ بعض التغيير والتطور على الجزئيات أو الطقوس في الشريعة الواحدة، فضلاً عن الشرائع المتعددة؛ تبعاً لمتطلبات الأُمة، ومواكبة لما يحدث من تطور في خصائص وشرائط المواضيع[1].

نعم، لو لم يكن التطور والنمو ضمن النطاق والأُطر التي تحفظه من التلاعب، ولم يكن مبتنياً على الأُسس والقواعد التي تحدده وتحميه من التحريف والتزييف، أو أدى ذلك إلى التغيّر والتبدل لجميع أجزائه ومفرداته بالكامل؛ فحينئذ يصبح لزاماً على ذوي الشأن ـ أي: الباحثين والدارسين في المجال المرتبط بهذه الظاهرة ـ أن ينتابهم القلق والتخوف من هذا التطور وهذا التبدل.

عوداً على بدء

لقد تطرّق الحيدري في كتابه (تراجيديا كربلاء) إلى العوامل المؤثِّرة في تطور المراسم الحسينية، فذكر كلاماً مخالفاً للحقيقة ومشوِّهاً لصورة المراسم الحسينية؛

---

(١) يُعدّ موضوع التدرّج في تبليغ الأحكام أو نسخ بعضها واستبدالها بأُخرى ـ تبعاً لملاكات يراعيها المشرّع الأقدس ـ نوعاً من أنواع التطور والتغيّر في الشريعة، كما تدرَّج القرآن في تبليغ حكم الخمر، فأمر المسلمين في بادئ الأمر بعدم الاقتراب إلى الصلاة وهم سكارى، فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ ... ﴾ (النساء: آية ٤٣). ثم جاء من بعد ذلك ليُحرِّم الخمر بشكل نهائي ورأي حاسم، فقال عزّ وجلّ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ (المائدة : آية ٩٠).

وقال الشهيد الأول: «يجوز تغيّر الأحكام بتغيّر العادات، كما في النقود المتعاورة، والأوزان المتداولة، ونفقات الزوجات والأقارب، فإنها تتبع عادة ذلك الزمان الذي وقعت فيه، وكذا تقدير العواري بالعوائد. ومنه: الاختلاف بعد الدخول في قبض الصداق، فالمروي تقديم قول الزوج، عملاً بما كان عليه السلف من تقديم المهر على الدخول. ومنه: إذا قدَّم شيئاً قبل الدخول كان مهراً إذا لم يسمِّ غيره؛ تبعاً لتلك العادة. فالآن ينبغي تقديم قول الزوجة، واحتساب ذلك من مهر المثل. ومنه: اعتبار الشبر في الكر، والذراع في المسافة، فإنه معتبر بما تقدّم، لا بما هو الآن، إن ثبت اختلاف المقادير، كما هو الظاهر». القواعد والفوائد: ج١، ص١٥٢.

ومن وجهة نظرنا، فإن هذه الظاهرة تشمل المراسم الحسينية أيضاً؛ كونها جزءاً من هذه المنظومة التشريعية الإلهية، كما سوف نبرهن على ذلك فيما سيأتي إن شاء الله تعالى.

مما يحتّم علينا نقله إلى القرّاء الكرام ومن ثم إبداء نقاط الخلل فيه:

الملاحظة الأُولى: الرؤية الخاطئة حول العلاقة بين تطور مراسم العزاء والصعوبات الاجتماعية والسياسية

عنون الكاتب الفصل الثالث من كتابه (تراجيديا كربلاء) بعنوان: (العوامل المؤثِّرة على تطور مراسيم العزاء الحسيني في العراق)، وهو عنوان يحمل في طياته من الإيحاءات السلبية ما لا يحتاج إلى بيان؛ إذ من إيحاءاته الواضحة أن هناك عوامل خارجية مؤثِّرة على العزاء الحسيني، ومعنى ذلك أن مراسم العزاء ليس لها القدرة والقابلية على التطور والتوسع الذاتي.

وفي مدخل هذا الفصل تطرّق إلى تساؤل مثير حول ظاهرة وصفها بالفريدة من نوعها، وهي ظاهرة تطور وازدهار مراسم العزاء الحسيني خصوصاً في بعض مفرداته، كالمسرح الشعبي، ومواكب اللطم وغيرهما، وفي مقام تفسيره لهذا التطور أجرى مقارنة سريعة بين ما كان عليه حال المراسم قبل الحرب العالمية الثانية وما آلت إليه بعد ذلك، فقال: «**يلاحظ المرء بوضوح منذ الحرب العالمية الثانية بأن مراسيم العزاء الحسيني في العراق وما يرتبط بها من شعائر وطقوس كانت قد تطورت بشكل ملفت للنظر... ومن الملاحظ أيضاً أن المواكب الحسينية وغيرها من الشعائر والطقوس لم تكن تطورت خلال أكثر من قرن بقدر ما تطورت وازدهرت خلال عقدي الستينات والسبعينات من هذا القرن، فكيف يمكننا تفسير هذه الظاهرة الفريدة؟**»[1].

ثم طرح فرضية اعتبرها سبباً مسلَّماً لهذه الظاهرة التي يبدو أنها لفتت أنظار الباحثين والمهتمين بالشأن العراقي في ذلك الوقت، فقال: «**ومن خلال هذه المقارنة البسيطة يمكننا أن نفترض وجود علاقة وثيقة بين نمو وازدهار مراسيم العزاء الحسيني في الكاظمية، والصعوبات والتحولات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي**

(١) الحيدري، إبراهيم، تراجيديا كربلاء: ص١٧٨.

استجدّت بعد الحرب العالمية الثانية والتزايد السكاني في المدن...»[1].

وقال أيضاً: «**ومنذ الحرب العالمية الثانية بدأ آلاف (المعدان) و(الشروگيين) يتركون موطنهم في جنوب العراق ويتوجهون إلى المدن الكبرى لأسباب اقتصادية واجتماعية وسياسية عديدة سنتطرق إلى بحثها فيما بعد، محاولين معرفة تأثيرها على مراسيم العزاء الحسيني، وتوسيع قاعدتها الشعبية**»[2].

وبعد ذلك ـ ولتعزيز هذه الفرضية وتدعيمها بالوثائق الثابتة حسب اعتقاده ـ توسَّع في استعراض بعض الأُمور المتعلقة بالتركيبة السكانية العراقية، وكذا الهجرة القسرية التي مرَّت بها بعض العشائر العربية الأصيلة في فترة الستينات من القرن المنصرم.

وقد أطال الحديث حول الأوضاع التي مرَّ بها المجتمع العراقي في تلك الحقبة الزمنية، إلى درجة استوعب الفصل الثالث بأكمله والمتكوّن من أربع وخمسين صفحة[3]، مع أن الفكرة الأساسية التي يعتمد عليها حول أسباب وعوامل تطور المراسم الحسينية تبتني على اعتقاده بأن مراسم العزاء الحسيني في العراق متأثرة بشكل واضح بالظروف والمتغيرات التي يمرُّ بها المجتمع العراقي آنذاك البسيط في أفكاره ومعتقداته والمستضعف في إرادته، ليس إلّا؛ مما يعني أن الفقر والنكوص والعوز الذي مرَّ به ذلك المجتمع المستضعف هو الذي أقحمه ضمن هذه الدائرة الرثائية التي يُفرِغ من خلالها همومه وآهاته وآلامه.

وسوف نكتفي بذكر العناوين الرئيسية لما اعتبره أسباباً وعوامل مؤثِّرة في تطور العزاء الحسيني، مع ذكر خلاصة سريعة ومختصرة لما أراد ذِكْره في كل عنوان؛ كون التطرق إلى تفاصيل ما ذكره بأجمعه يخرج بنا عمّا رسمناه في هذه الدراسة المختصرة:

---

(١) المصدر السابق: ص١٧٩.

(٢) المصدر السابق: ص١٨١.

(٣) بدأ الفصل الثالث من كتاب (تراجيديا كربلاء) من ص١٧٨، وانتهى في ص٢٣١.

١ـ العلاقات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في العراق في العصر الحديث[١].

وقد تحدث في هذه النقطة بإسهاب مملٍّ عن كيفية استملاك الأراضي في العراق، والمراحل التي مرَّت بها الطبقات الاجتماعية آنذاك، كما تطرق إلى الصعوبات التي يواجهها الفلاح العراقي في سبيل حصوله على لقمة لا تكفي لسدِّ رمقه غالباً.

وقال في ختام هذه النقطة: «**نورد هنا أبياتاً من الشعر الشعبي الذي يُعبِّر عن ثقل الهمِّ الذي يحمله الفلاح على أكتافه، من ظلم المجتمع له، جنباً إلى جنب مع النكوص والإذعان له، مثلما ينعكس أيضاً في الشعائر والطقوس وردّات العزاء الحسيني في عاشوراء...**»[٢].

فشرع في نقل أبيات من الشعر الشعبي وكلمات لبعض المغنّين أيضاً نترفّع عن نقلها هنا، إلّا أنه لم يورِد أيَّ نحو من أنحاء الشعر الرثائي الحسيني الدال على مدّعاه إطلاقاً، وإنما اكتفى بالدعوى الخالية من الدليل.

٢ـ الهجرة من الريف إلى المدن وتأثيرها على العزاء الحسيني[٣].

من المفترض أن يكون محتوى هذه النقطة ثرياً بالمعلومات والوثائق التي تُدلل على تأثُّر المراسم العزائية بالهجرة التي شهدها بلد العراق آنذاك، كما يوحي إلى ذلك عنوانها بصراحة لا تقبل الترديد، إلّا أنه ـ بعد أن توسع في كلامه حول الإحصائيات التي سُجّلت لظاهرة الهجرة مع ذكر المعاناة التي يواجهها المهاجرون من أرياف الجنوب إلى بغداد ـ اكتفى بما ذكره في نهاية هذه النقطة بقوله: «**إن ثقل الحياة البائسة التي يحمله الفلاح العراقي على عاتقه، وظلم المجتمع والعجز والنكوص والإذعان له، نجد تعبيره في الشعر الشعبي وبخاصة في الأبوذيات والعتابات وفي زيارة العتبات المقدسة والمشاركة في الشعائر والطقوس الدينية**»[٤].

---

(١) الحيدري، إبراهيم، تراجيديا كربلاء: ص١٨١.

(٢) المصدر السابق: ص١٩٤.

(٣) المصدر السابق: ص١٩٥.

(٤) المصدر السابق: ص٢٠٢.

على أنه ـ كعادته فيما تقدّم ـ لم يورد أيَّ وثيقة على ما ادعاه من تجليات للتظلم من الواقع المأساوي والعجز والنكوص في المراسم العزائية أو زيارة العتبات المقدسة.

٣ـ توزيع القبائل العربية واستقرارها في العراق[١].

لم يتطرق المؤلف في هذه النقطة إلى أيِّ دال من دلائل التأثير على المراسم الحسينية، وإنما اكتفى بالعرض والتوصيف للطبيعة السكانية والتشكيلة التي كان عليها المجتمع العراقي وقتئذ، والتقسيم الذي اعتمده بعض القبائل في اختيار مستوطناتهم، ومراحل تنقّلهم في مناطق العراق من شماله إلى جنوبه.

٤ـ استيطان البدو وتحوّلهم إلى الزراعة[٢].

شابهت هذه النقطة سابقتها في عدم تطرق الكاتب إلى العلاقة بينها وبين المراسم الحسينية، ولعله اعتمد على ما سوف يأتي في النقطة الخامسة، وإن لم يُشر إلى ذلك.

٥ـ العشائر العراقية والشعائر والطقوس الدينية[٣].

في النقطة الخامسة من هذا الفصل تألّق الكاتب في بيان الأسباب والعوامل المؤثِّرة على تطور المراسم الحسينية، وتبنّي ذلك المجتمع المضطهَد للطقوس الدينية بشكل عام والمراسم العزائية على وجه الخصوص؛ إذ استطاع ـ حسب اعتقاده ـ أن يربط بين الواقع المأساوي للمجتمع العراقي وبين التعلق البارز والانشداد الكبير إلى المراسم الحسينية، فبعد استعراضه للمصاعب والتحديات التي تواجه الفرد العراقي استخلص لنا النتيجة التالية؛ فقال: «**كل هذه الظروف والشروط الاجتماعية/ الاقتصادية التي تراكمت فوق كاهل المستوطنين الجدد، جعلتهم ينتظرون مَن يخلّصهم من ثقل آلامهم ومشاكلهم... في مثل هذه الظروف والأوضاع تصبح العقيدة الشيعية بشعائرها وطقوسها وقيمها الروحية أقرب إلى نفوسهم؛ حيث تعطيهم السلوى والأمل**

(١) المصدر السابق: ص٢٠٢.

(٢) المصدر السابق: ص٢٠٨.

(٣) المصدر السابق: ص٢١٤.

وتساعدهم في حلِّ بعض مشاكلهم الاجتماعية والنفسية...»[1].

وأردف ـ بعد ذلك ـ قائلاً: «وهناك حقيقة هامة: هي أن البدو لا يميلون بقوة إلى ممارسة الشعائر والطقوس الدينية... وبالعكس من ذلك يميل الحضر إلى ممارسات وشعائر وطقوس دينية تساعدهم على حلِّ مشاكلهم، وتُقدِّم لهم العزاء في محنهم، وتبعث فيهم الثقة والأمل والتفاؤل بالمستقبل. إن هذا العزاء والمساعدة والأمل يجدونها في الواقع في المؤسسات الدينية وفي شعائرها... ومن الجدير بالذكر أن التقرب إلى الله غالباً ما يتم عن طريق إمام من الأئمة أو وليّ. وبهذا الصدد ذكر ابن خلدون في مقدمته: بأن الحضر يخضعون دوماً ومنذ قديم الزمان لقهر الدولة وظلم السلاطين؛ ولذلك نجدهم خاضعين ومقهورين...»[2].

ويتسلسل بحديثه لاستخلاص النتيجة التي أجهد نفسه في سبيل الوصول إليها؛ فيقول: «... الخطب والقصائد والمراثي والشعارات والرموز التي تُطرح في مراسيم العزاء الحسيني، والزيارات والأدعية، والتي تبيّن الآلام والمصائب التي لاقاها الأئمة من أهل البيت، وبخاصة مأساة كربلاء المروّعة، كان لها تأثير فعال ديني واجتماعي ونفسي عند أُولئك الذين يعيشون ظروفاً سيئة ويشعرون بالضعف وعدم الاستقرار... لأن هذه الشعائر والطقوس يمكن أن تكون من أنجع الوسائل التي تمنحهم الثقة والطمأنينة وتساعدهم على التنفيس عن هموم الحياة الثقيلة وصعوباتها، وهي في الوقت نفسه تضرب على الأوتار الحساسة في قلوب الناس فتجذبهم إلى التشيع»[3].

وقال أيضاً: «وإن الظروف والعلاقات الاجتماعية والاقتصادية التي كانت تعيش في ظلها القبائل العربية في العراق، ساعدت على تأثُّر تلك القبائل وتقبُّلها لمثل هذه الأفكار التي لم تكن قد تعرفت عليها من قبل...»[4].

---

(١) المصدر السابق: ص٢١٨.

(٢) المصدر السابق: ص٢١٩.

(٣) المصدر السابق: ص٢٢٨ـ٢٢٩.

(٤) المصدر السابق: ص٢٣١.

وفي هـذه العبائر التي ذكرناها هنا يريد أن يقول الكاتب: إن الحقبة التي شـهدت تحـولاً ملحوظاً مـن البداوة إلى المدن والأريـاف كان لها الدور البارز في تغيير مسـار المراسم الحسينية؛ إذ المعاناة التي يعيشها أبناء هذا البلد، والضغظ الحكومي والسياسي والاقتصادي، كانت عاملاً أساسياً في تحول البدو ـ الذين لم يكن لهم ميول إلى الدين، ولم يكونـوا متفاعلـين مـع الطقـوس والمراسـم الدينيـة ـ إلى الحياة المدنيـة؛ كما تحوّل بعضهـم إلى فلاحـين يعملون أُجراء عنـد أصحاب الأراضي؛ ممـا جعلهم خاضعين للأطراف الضاغطة ومستسلمين للأمر الواقع الذي فُرض عليهم؛ ولذا تجدهم ـ قد أصبحـوا كبقية الحضر ـ يبحثون عن شيء يُنفِّس عنهم ويُخلِّصهم من الهموم والآلام والمعاناة التي اصطدموا بها، فوجدوا أنفسهم في سرب الحضر وسكان المدن المغلوب على أمرهم، وانساقوا إلى تفريغ ما في داخلهم عن طريق الطقوس والشعائر والمراسم الدينية، وبالأخص الحسينية منها.

هذه هي الفكرة التي ارتكز عليها الفصل الثالث من كتابه بكل بساطة، وإن كان قد أطال الحديث في أغلب النقاط التي ذكرنا عناوينها آنفاً.

ويعتقد الكاتب من خلال هذه النقاط المتقدمة أنه استطاع أن يتدرج مع القرّاء في إيصال مراده استناداً إلى النقاط المتقدمة.

التداعيات المترتبة على كلامه المتقدم

يسـتنتج القـارئ الكريـم من خـلال النقاط المتقدمـة ـ وما قدّمناه لهـا من عرض وتوصيف ـ أن التوسـع والتطور الحاصل في المراسـم الحسينية في العراق وفي التاريخ الذي حدده الكاتب، إنما كان نتيجةً للأُمور التالية:

أولاً: الظـروف التـي يمـرّ بهـا المجتمـع العراقي آنـذاك، من صعوبات معيشـية واقتصادية وتحديات سياسية.

ثانياً: السطح المعرفي والثقافي الذي يعيشه أغلب المجتمع العراقي، وهم: (المعدان) و(الشروگية) أو أنصاف البدو الذين قدموا مهاجرين من مناطقهم إلى المدن الكبرى ـ وبالأخص بغداد والبصرة ـ فراراً من واقعهم المرير.

ثالثاً: تبنّي إقامة العزاء والمسيرات الجماهيرية المعزّية والمتمثلة بمواكب اللطم والزنجيل من قِبَل كبار المالكين للأراضي الزراعية؛ مما يضطر الفلاحين ـ وهم الغالبية العظمى في المجتمع ـ إلى المشاركة في تلك المواكب مجاملة أو محاباةً لرؤساء المواكب وأولياء نعمتهم[1].

رابعاً: التحول الديمغرافي الذي شهده العراق ـ في تلك الحقبة ـ من البداوة إلى التحضر والسكنى في المدن؛ ما أدى بشكل تدريجي إلى تحولهم من مجتمع لا يميل إلى التديّن، وغير متفاعل مع الطقوس والمراسم الدينية ـ التي ليست مورد حاجاتهم ـ إلى مجتمع يبحث عن ذلك في سبيل تفريغ همومه وآلامه.

خامساً: التحول المذهبي الملحوظ من قبل بعض العشائر السنّية الكبيرة التي تراكمت عليها الظروف الضاغطة؛ فتركت مذهبها الأول مفضلة الانتقال إلى المذهب الشيعي؛ كونه يتناغم مع متطلبات حياتهم القاسية.

إن الانطباع الذي يتكوّن لدى القارئ الكريم عن المجتمع العراقي آنذاك هو عبارة عن صورة مشوهة لمجتمع متلوّن لا يحمل من القيم والمبادئ شيئاً؛ فهو مجتمع يتعاطى مع الدين والطقوس الدينية على أساس مصالحه؛ ففي الوقت الذي لا يعاني من مشكلة ولا يكون محتاجاً إلى الدين لا يُعير له أهمية إطلاقاً، وأما فيما لو كانت الظروف القاهرة تنتابه من كل جانب ومكان فإنه يهرع إلى الدين ويتخذه وسيلة لتفريغ همومه.

ناهيك عن التصور الذي يحصل لدى القارئ عن الشعائر الحسينية، ليحمل عنها

(١) أُنظر: المصدر السابق: ص١٧٩.

فكرة خاطئة تبتني على أن مراسم العزاء الحسيني إنما هي وليدة الإرهاصات التي تمرّ بها المجتمعات، وأن لا أساس ولا ارتباط لها بالدين إطلاقاً.

نقاط الخلل في كلامه

مع أننا نعتقد أن كلامه الذي ذكره في هذا الفصل لا يستحق الرد وصرف الوقت فيه، وأن ذلك مضيعة لجزء من العمر؛ لبساطة الفكرة التي ذكرها، وعدم احتوائها على مطلب علمي أساساً.. لكن الذي يلجئنا إلى تسليط الضوء على نقاط الخلل فيه ومناقشته بالأدلة المؤكّدة، هو الترويج الذي حصل للكتاب ومؤلفه، والمساحة التي أخذها في الأوساط الأكاديمية، كما ذكرنا ذلك في مقال سابق[1]؛ فحدت بنا المسؤولية العلمية إلى بيان مواضع الخلل والمؤاخذات التي يمكن أن تُسجّل عليه، وسنشير إلى ذلك في ضمن مجموعة من النقاط:

النقطة الأُولى: إن هذه الرؤية التي تبنّاها المؤلف حول العوامل المؤثرة في المراسم الحسينية مخالفة تماماً للوثائق التاريخية؛ إذ بيّنت لنا الأمر على عكس ما يدّعيه المؤلف، فهي تثبت لنا أن الانتعاش والتوسع الذي شهدته المراسم الحسينية إنما بلغ ذروته وانتشر بشكل ملفت للأنظار بعد أن انتشر التشيع ورُفع الخناق عن أتباع أهل البيت عليهم السلام، ووجدوا من الحكام مَن يؤيدهم في ذلك، وإلّا فكيف يُفسَّر التطور الذي حصل في العصر البويهي وما كان قُبيله بفترة من الزمن إبان ضعف الدولة العباسية؛ حيث أخذت النياحة والعزاء والمراسم الحسينية بشكل عام بالتطور والازدهار الذي لا سابقة له؟! وقد ذكر ابن الأثير ذلك بقوله: «**سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة: في هذه السنة عاشر المحرم أمر معزّ الدولة الناس أن يغلقوا دكاكينهم ويبطلوا الأسواق والبيع والشراء، وأن يظهروا النياحة، ويلبسوا قباباً عملوها بالمسوح... ففعل الناس ذلك، ولم**

(١) أُنظر: الساعدي، صباح عباس، نشأة المراسم الحسينية في كتاب (تراجيديا كربلاء) نقد وتحليل، مجلة الإصلاح الحسيني: العدد١٢، ص٨٦.

يكن للسُّنيَّة قدرة على المنع منه؛ لكثرة الشيعة؛ ولأن السلطان معهم»[1].

فعلى نظرية المؤلف القائلة: بأن المجتمع العراقي اتخذ المراسم الحسينية وسيلة للتفريغ من همومهم، يأتي إلى أذهان القرّاء تساؤل جادٌّ عن الداعي إلى إقامة هذه المراسم وبالكثافة التي يصفها هذا المؤرخ المنزعج والمغلوب على أمره، مع كثرة الشيعة وكون السلطان معهم. وقد أشار ابن كثير إلى هذه الظاهرة أيضاً بقوله: «...**ثم دخلت سنة خمس وخمسين وثلاثمائة: في عاشر المحرم عملت الروافض بدعتهم الشنعاء وضلالتهم الصلعاء على عادتهم ببغداد»**[2]. والواضح من (عادتهم) هذه التي أغاضت ابن كثير أنها قد شكّلت ظاهرة في المجتمع الإسلامي آنذاك يمارسها أتباع أهل البيت عليهم السلام ومحبّوهم في المحرم من كل سنة؛ ولهذا نجده يصفها بهذه الأوصاف المدقعة.

فمع أن الشيعة في ذلك الزمان تمتعوا بحرّية منقطعة النظير ـ والتي لم يروا مثلها من قبل ـ إلّا أننا نجدهم قد اهتموا أيّما اهتمام بإحياء الشعائر الدينية عموماً والحسينية بوجه خاص.

ولست أدري هل مرَّ على المؤلف أن معز الدولة البويهي قد أصدر أمراً عاماً في إعلان المأتم الحسيني كمؤسسة رسمية[3]؟! بعد أن استتبّت الأُمور وترسّخت حكومته في الأمصار، فهل الحاكم البويهي في فترة حكومته كان يعاني من الظلم والاضطهاد فالتجأ إلى المراسم الحسينية لينفّس من خلالها عن همومه وآلامه؟!

ومما تقدم؛ نستنتج أن التطور والتوسع الذي شهدته المراسم الحسينية في الأزمنة التي كان الشيعة يتمتعون بالحرية.. أكثر بكثير مما لو ضيَّقت الحكومات الظالمة الخناق عليها أو منعتها من الممارسة العلنية. أما فيما لو مُنِعُوا من الإعلان عن مراسمهم

(١) ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج٨، ص٥٤٩.
(٢) ابن كثير، إسماعيل، البداية والنهاية: ج١١، ص٢٩٤.
(٣) ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج٨، ص٥٤٩.

التي اعتادوا على إحيائها، فقد ذكرنا في مقال سابق[1] الآليات التي تُحفظ من خلالها الشعائر الحسينية في ذاكرة الأجيال، كل ذلك بتوصيات صريحة وواضحة من قبل الأئمة عليهم السلام؛ كما أوصى الإمام الباقر عليه السلام بعض أصحابه، فقال: «... **إذا كان ذلك اليوم برز إلى الصحراء أو صعد سطحاً مرتفعاً في داره، وأومأ إليه بالسلام واجتهد على قاتله بالدعاء، وصلّى بعده ركعتين، يفعل ذلك في صدر النهار قبل الزوال، ثم ليندب الحسين عليه السلام ويبكيه، ويأمر مَن في داره بالبكاء عليه، ويُقيم في داره مصيبته بإظهار الجزع عليه، ويتلاقون بالبكاء بعضهم بعضاً بمصاب الحسين...**»[2].

وما ذكرناه في هذه النقطة كافٍ للبرهنة على بطلان كلام المؤلف، وإثبات عدم دقته في تقييمه لهذه الظاهرة الضاربة في أعماق التاريخ الإسلامي، والمتجذرة لدى المسلمين في المجتمع العراقي، فضلاً عن المجتمعات الأُخرى التي انتشرت فيها ظاهرة إحياء المراسم العزائية بشكل واسع أيضاً، إلّا أننا لم نتعرض لذلك لعدم ارتباطه بموضوع بحثنا.

النقطة الثانية: إننا لا نتّفق مع الكاتب في كون المراسم الحسينية ـ وبكل أشكالها ـ إنما شهدت تطوراً ملموساً في تلك الفترة التي حددها وأرّخ لها فقط، بل نعتقد بأنها كانت موجودة منذ زمن أهل البيت عليهم السلام وبمساحة جغرافية كبيرة، كما برهنَّا على ذلك سابقاً[3]، غاية الأمر قد حصل لها تراجع نسبي؛ نتيجة ظروف قاسية وقسرية واجهها أتباع أئمة أهل البيت عليهم السلام في بعض العصور والأزمنة من قبل حكام الجور[4]، وهذا لا يعني أنها أفلت أو مُحيت بشكل كامل، حتى انتقلت إلى المتاحف الإسلامية،

---

(١) أُنظر: الساعدي، صباح عباس، نشأة المراسم الحسينية في تراجيديا كربلاء (نقد وتحليل)، مجلة الإصلاح الحسيني: العدد١٢، ص٩٣.

(٢) البرقي، أحمد بن محمد، المحاسن: ج٢، ص٣٢٦.

(٣) أُنظر: الساعدي، صباح عباس، نشأة المراسم الحسينية في كتاب (تراجيديا كربلاء) نقد وتحليل، مجلة الإصلاح الحسيني: العدد١٢، ص٩٠.

(٤) سوف يأتي نقل بعض النصوص الدالة على ذلك في النقطة الثالثة من بحثنا.

وأصبحت نسياً منسياً ليس لها أيُّ حضور في نفوس الموالين لأهل البيت عليهم السلام، بل إنها بقيت حاضرة في أوساط الموالين والمحبّين يحيونها بشكل علني تارة وسرّاً في بعض الأحيان، ويواظبون عليها لتبقى متوقّدة في أعماقهم كالنار تحت الرماد، وفقاً لما أخبر به النبي صلى الله عليه وآله بقوله: «**إن لقتل الحسين حرارة في قلوب المؤمنين لا تبرد أبداً**»[1]؛ ولذا أكّدت زينب عليها السلام بخطابها في الشام ـ مخاطبة يزيد ـ بقولها: «**فوالله، لا تمحو ذكرنا، ولا تميت وحينا**»[2]، متحدية طاغية زمانها ومخبرة له بأن ذكر أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله سوف يبقى حيّاً في ذاكرة الأجيال وضمائرهم، وسوف يسعون جاهدين لإحيائه.

ومن هنا؛ يستطيع القارئ أن يرصد مدى الترابط والعلاقة بين قولها عليها السلام وبين الأقوال التي وردت عن الأئمة عليهم السلام، والتي جاءت لتؤكّد على ضرورة إحياء ذكرهم وبيان أمرهم؛ كما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «**مَن ذُكرنا عنده، ففاضت عيناه ولو مثل جناح الذباب، غفر الله ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر**»[3]، وكما ورد عن الإمام الرضا عليه السلام: «**...ومَن جلس مجلساً يُحيي أمرنا لم يمت قلبه يوم تموت القلوب**»[4]. فهاتان الروايتان ونظائرهما تدلان على أهمية إحياء ذكر أهل البيت عليهم السلام والذي لا يقتصر على تذاكر المعاناة أو المصائب التي جرت عليهم، ليمتد الأمر ويتوسع إلى كل ما يكون عاملاً في تداول شؤونهم وأُمورهم؛ وفي كل ذلك إشارة إلى أهمية الحفاظ على المنظومة الدينية المتمثلة بهم عليهم السلام.

---

(١) نقل الميرزا النوري هذا الحديث بالإسناد التالي: «مجموعة الشهيد: نقلاً من كتاب الأنوار لأبي علي محمد ابن همام، حدثنا أحمد بن أبي هراسة الباهلي قال: حدثنا إبراهيم بن إسحاق الأحمري قال: حدثنا حماد ابن إسحاق الأنصاري، عن ابن سنان، عن جعفر بن محمد عليهما السلام، قال: نظر النبي صلى الله عليه وآله إلى الحسين بن علي عليهما السلام وهو مقبل، فأجلسه في حجره وقال: إن لقتل الحسين حرارة في قلوب المؤمنين لا تبرد أبداً». النوري، ميرزا حسين، مستدرك الوسائل: ج١٠، ص٨١٣.

(٢) ابن نما، جعفر بن محمد، مثير الأحزان: ص٨١.

(٣) البرقي، أحمد بن محمد، المحاسن: ج١، ص٦٣.

(٤) الصدوق، محمد بن علي، عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج١، ص٢٦٤.

إن إحياء المراسم الحسينية كانت وما زالت من ضمن المنظومة الشيعية ـ إن لم نقل: إنها ضمن المنظومة الإسلامية ـ التي أكّد الأئمة عليهم السلام على ضرورة الحفاظ عليها وفي كل الأحوال، كما ذكرنا ذلك في النقطة السابقة.

النقطة الثالثة: تناقض ما تبنّاه هنا مع ما استشهد به سابقاً ـ من كلام لبعض المؤرخين ـ على تأخّر نشوء المراسم الحسينية؛ حيث قال: «**وقد ذكر ياقوت الحموي وابن خلكان في وفيّاته بأن الشاعر المعروف بالناشئ الأصغر كان يعقد مجالس النياحة على الحسين بعد أن انتشر التشيع وخفَّت وطأة السلطات الحاكمة على العلويين**»[1]. مبيِّناً من خلال ذلك أن المراسم الحسينية لم تنتشر ولم تظهر على الساحة الشيعية حتى انتشر وتوسع المذهب الشيعي، ورُفع الخناق عنه من قِبَل الحكام والسلطات الظالمة. ثم ينقل لنا كلاماً عن الناشئ الأصغر يتضمن حجم التفاعل والحضور الجماهيري في المجالس والمراسم الحسينية آنذاك، فقال: «**وقد روي عن الخالع: أن الناشئ الأصغر علي بن عبد الله قال: كنتُ مع والدتي في سنة (٢٤٦هـ)، وأنا صبي، في مجلس الكبوذي في المسجد بين الوراقين والصاغة ببغداد، وهو غاص بالناس...**»[2]. فها هي المجالس غاصة بالحضور المعزّي لأهل البيت عليهم السلام في القرن الثالث الهجري، بعد أن خفّت الوطأة عن شيعة أهل البيت عليهم السلام، وانتشر مذهبهم وقويت شوكتهم، على خلاف ما تبناه من فكرة خاطئة حول تطور المراسم الحسينية.

النقطة الرابعة: يظهر من المؤلف أنه لم يكن من المهتمين بالجانب الديني والتاريخي الذي اعتقده المجتمع المسلم الشيعي في العراق، ولكنه حينما شاهد الظاهرة الغريبة عليه دفعه حبُّ التعرف والاطلاع؛ فصادف أن شهد ارتباط المجتمع المسلم وتعلّقهم بمراسم العزاء وطقوس العبادة في أيام المحنة والشدة فقط؛ فرسم من ذلك الموقف تلك الصورة السوداوية المشوّهة، واستنتج لنا نتائج تمسّ بالمجتمع العراقي

(١) الحيدري، إبراهيم، تراجيديا كربلاء: ص٥٢.
(٢) المصدر السابق: ص٥٢.

والطقوس والمراسم التي اعتادوا عليها؛ ليضرب لنا أهم المقدسات التي قدّم أتباع أهل البيت عليهم السلام مختلف أنواع التضحيات من أجل إحيائها.

وكأنه لم يطّلع على الثقافة الدينية التي تفرض على المسلمين التواصل والارتباط مع الله عز وجل على كل حال؛ ليصبحوا من الذين امتدحهم في كتابه العزيز، لعدم تغيُّر مواقفهم وإن تغيّرت الظروف، كما في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ ...﴾[1]. وغيرها من النصوص الدينية التي طبّقها أتباع أهل البيت عليهم السلام، آخذين بتوصيات أئمتهم عليهم السلام وإرشاداتهم، كما في قول أمير المؤمنين عليه السلام: «**ألا فاعملوا في الرّغبة كما تعملون في الرّهبة**»[2].

وحينئذ؛ فلا يُعاب على المراسم الحسينية فيما لو ارتادها أو التجأ إليها المؤمن، واتخذها وسيلة لمعالجة مشاكله بعد أن تلقَّى هذه التعليمات والتوصيات من الأئمة عليهم السلام، وفي نصوص كثيرة ومعتبرة، قائلة: بأن الارتباط بالحسين من أفضل الطرق التي تساعد المؤمن على معالجة مشاكله. كما في قول الإمام الباقر عليه السلام: «**مروا شيعتنا بزيارة قبر الحسين عليه السلام؛ فإن إتيانه يزيد في الرزق، ويمدّ في العمر، ويدفع مدافع السوء...**»[3]. كما أن الصدوق رحمه الله روى نصاً آخر عنه عليه السلام قال فيه: «**مروا شيعتنا بزيارة الحسين بن علي عليهما السلام؛ فإن زيارته تدفع الهدم والغرق والحرق وأكل السبع...**»[4]. أو الدعاء الوارد عن الإمام الصادق عليه السلام حيث قال: «**اللّهم... وارحم تلك الخدود التي تتقلب على حفرة أبي عبد الله الحسين عليه السلام، وارحم تلك الأعين التي جرت دموعها رحمة لنا، وارحم تلك القلوب التي جزعت واحترقت لنا، وارحم تلك الصرخة التي كانت لنا. اللّهم، إني أستودعك تلك الأبدان وتلك الأنفس، حتى توافيهم من الحوض يوم**

(١) آل عمران: آية ١٣٤.

(٢) خطب أمير المؤمنين عليه السلام، نهج البلاغة: ج١، ص٧١.

(٣) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص٢٨٤.

(٤) الصدوق، محمد بن علي، مَن لا يحضره الفقيه: ج٢، ص٥٨٢.

العطش»[1]. فالدمعة التي تذرف والقلوب التي تحترق والصرخات المدوّية لهم عليهم السلام.. كل ذلك يقع تحت نظر الإمام في دعائه وترحمه، وأقل شيء يحصل عليه المرء الذي يدخل تحت هذا الدعاء أن تعمّه الرحمة الإلهية في الدنيا بجميع معانيها، فضلاً عن الرحمة الأُخروية الأبدية.

وهناك كمٌّ هائل من نظائر هذه الروايات التي يطول بنا الحديث عند نقلها.

لقد برهن أتباع أهل البيت عليهم السلام في كل مكان وزمان على أنهم من أوضح المصاديق التي ذكرها الله عز وجل بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ﴾[2]، وخصوصاً في الفترة الراهنة التي تمتّعت بها بعض الشعوب بنوع من الحرية للتعبير عن رأيهم وإظهار مشاعرهم، فها هي المراسم الحسينية قد تطورت وتوسعت، حتى أصبحت حديث الساعة في جميع أنحاء العالم، مع ملاحظة تطور الأساليب القمعية لها، فبعد أن كان المنع يقتصر على إصدار الأوامر بمنع الشيعة من إقامة المراسم العزائية أو خروج مجموعة معارضة لها ـ أو الاعتقالات التي تقتصر على مجموعة محددة من الناس ـ أصبح اليوم الاستهداف والقتل الجمعي والتفجير العشوائي لا يميّز بين صغير أو كبير، وبين رجل أو امرأة، بقدر ما يكون همّه البحث عن أكبر عدد من الأبرياء الذين اجتمعوا بدافع المواساة وإرسال برقيات العزاء للنبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام.

الملاحظة الثانية: النظرة الضيّقة تجاه المجتمع العراقي عموماً والمذهب الشيعي خصيصاً

يستشف القرّاء الكرام من خلال ما تقدّم من النصوص آنفة الذكر ماذا يعني المجتمع العراقي لدى مؤلف كتاب تراجيديا كربلاء، وما هي نظرته لهذا الشعب الذي ظلمه معظم المؤرخين على مدى العصور، فيأتي عالم الاجتماع الفذّ ليضيف

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص٢٢٩.
(٢) الحج: آية٤١.

ظلامـة إلى تلـك الظلامات! فبأُفـق ضيّق ونظرة سـوداوية إلى هـذا المجتمع ـ الذي يعتقد أنه يعيش حياته البدائية بتمام معناها ـ أخذ يتنقّل بذهن القارئ من تاريخ ملؤه الظلام إلى مسـتقبل يُستشرَف منه الحياة البائسة بوضوح، ومن وضعٍ سيِّئ إلى أسوأ؛ لتكتمل الصورة عن مجتمعٍ مغلوب على أمره، متلوّنٍ بتلوّن الظروف.

وهنا بعض النقاط التي يتحتّم علينا الوقوف عندها لبيان مواضع الخلل فيها:

النقطـة الأُولى: عـدم اطلاعه عـلى جاذبية المذهب الشـيعي وقابليته لاسـتقطاب الآخريـن. فقد اسـتعرض وللأسـباب ذاتهـا ـ التي تقدّمـت عن العوامـل المؤثرة في تطور المراسم الحسينية من وجهة نظره ـ ما حصل من تحوّل لم يُشهد له مثيل من قبل في التركيبة السـكانية؛ ليسـتتبعها التحـول المذهبي لقبائل كبيرة وكثـيرة من المجتمع العراقـي؛ إذ تركـوا مذهـب التسـنن واختـاروا المذهب الشـيعي؛ كونه يتماشـى مع متطلباتهم ويتناغم مع ظروفهم المأساوية والقاسية.

إن المؤهّلات والجاذبية التي يتميز ويتمتع بها المذهب الشيعي لم تكن ناتجةً عن أمر غيبـي فقط؛ وإنما جاء ذلـك نتيجة تعليمات تلقاها دعاة ورواد هـذا المذهب من قِبَل أئمتهـم المعصومين عليهم السلام وعلى كلا الصعيدين: (النظـري، والعملي)، وقد جاءوا عليهم السلام بذلك من منطلق قرآني وحياني[1]، فقد أعطوا الأُسس المهمة والعوامل المساعدة على توسُّـع وانتشار المذهب الحق، وتتمثل هذه الأُسس والأساليب بالبيانات التالية التي صدرت عنهم عليهم السلام:

١ـ مـا جاء في عهد أمير المؤمنين عليه السلام لمالك الأشـتر، حين أوصـاه بالرفق بالرعية، فقال: «**ولا تكونن عليهم سبعاً ضارياً تغتنم أكلهم، فإنهم صنفان: إما أخٌ لك في الدين، وإما نظير لك في الخلق...**»[2].

---

(١) من منطلق قوله تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِ ﴾(النحل: آية ١٢٥). وكذا: ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ﴾(فصلت: آية٣٤). أو قوله تعالى: ﴿تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ﴾(آل عمران: آية٦٤). وغيرها من الآيات الكثيرة.

(٢) خطب الإمام علي عليه السلام، نهج البلاغة: ج٣، ص٨٤.

لقد أثرت هذه المقولة الخالدة في النفوس الحرة أيمَّا تأثير! إذ تفاعل معها مَن يعتقد بالدين ومَن لم يعتقد به على حد سواء[1]؛ فقد أخذت أصداها في المجتمعات الغربية، فضلاً عن المجتمع الإسلامي أو العربي[2].

٢ـ ما رواه الكليني رحمه الله بسنده إلى الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «**رحم الله عبداً حبَّبنا إلى الناس ولم يبغضنا إليهم، أما والله، لو يروون محاسن كلامنا لكانوا به أعزّ، وما استطاع أحد أن يتعلّق عليهم بشيء...**»[3].

٣ـ ما رواه الشيخ الصدوق رحمه الله بسنده عن الإمام جعفر بن محمد عليهما السلام وقد كان يوصي شيعته: «**معاشر الشيعة، كونوا لنا زيناً، ولا تكونوا علينا شيناً، قولوا للناس حسناً، واحفظوا ألسنتكم وكفُّوها عن الفضول وقبيح القول**»[4].

٤ـ ما رواه البرقي رحمه الله بإسناده إلى الإمام الصادق عليه السلام أنه كان يوصي شيعته بقوله: «**عليكم بتقوى الله والورع، والاجتهاد، وصدق الحديث، وأداء الأمانة، وحُسن الخلق، وحُسن الجوار، وكونوا دعاة إلى أنفسكم بغير ألسنتكم بطول الركوع والسجود...**»[5].

٥ـ ما رواه الصدوق رحمه الله بسنده إلى عبد السلام الهروي عن الإمام الرضا عليه السلام أنّه قال: «**رحم الله عبداً أحيى أمرنا. فقلت له: وكيف يُحيى أمركم؟ قال: يتعلم علومنا ويعلّمها الناس؛ فإن الناس لو علموا محاسن كلامنا لاتبعونا. علِّموا الناس محاسن كلامنا**»[6].

---

(١) أُنظر: ويكيبيديا الموسوعة الحرة، رسالة علي بن أبي طالب إلى مالك الأشتر: https://ar.wikipedia.org/wiki/.

(٢) أُنظر: المصدر السابق.

(٣) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٨، ص٢٢٩.

(٤) الصدوق، محمد بن علي، الأمالي: ص٤٨٤.

(٥) البرقي، أحمد بن محمد، المحاسن: ج١، ص١٨.

(٦) الصدوق، محمد بن علي، عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج١، ص٢٧٥.

وغـير ذلك مـن التوصيات القيّمـة التي أغنت السـاحة الدينية بالسـبل والطرق المؤثِّرة في جلب الناس إلى الدين وتحبيبهم إليه، والتي يطول بنا المقام عند إيرادها.

وقد لوحظ تطبيق هذه البيانات والتعليمات في أفعال الأئمة عليهم السلام وسيرتهم العملية وفي سلوكهم اليومي مع أبناء مجتمعهم. كما تبعهم علماء المذهب الشيعي في ذلك؛ إذ جسّدوا معنى الورع والزهد والإيثار وإغاثة المظلوم.

نعـم، نحن نتفـق مع المؤلـف في القـول بتأثّر القبائل السُّـنِّية بالمراسـم الحسـينية وانجذابهـم إلى المذهـب الشـيعي عن طريقها؛ لكن لا للسـبب الذي تبنّـاه في كتابه، بـل لكـون هذه المراسـم والطقـوس قد أصبحت وسـيلة وسـبباً في إيصـال المفاهيم الإسـلامية الصحيحة ومحاسـن كلام أهـل البيت عليهم السلام، عن طريـق الخطب والمواعظ التـي يلقيهـا الخطبـاء والمبلغون في تلك المناسـبات؛ فصار المسـلمون مـن الطوائف الأُخرى لا يميّزون بين عاشـوراء ومراسـمها وبين المذهب الشيعي بعد أن تأثروا به وبقادته.

وبعد أن رُصِدَ التجسيد والواقع العملي والتطبيقي لجميع المفاهيم التي تُطرح من خلال منبر سيّد الشهداء من قِبَل علماء وقادة هذا المذهب، من قبيل: مقارعة الظلم، والمناداة بإرجـاع الحقوق المغصوبة لأصحابها المظلومين من الشـعب بكافة طوائفه، ومن دون الانحياز إلى الطائفية أو القومية أو غيرهما؛ وجدت هذه الطوائف ضالتها في هـذا المذهـب المتمثل بأصحابه الشرعيين، وهم أهـل البيت عليهم السلام الذين أوصى بهم النبي الأكرم صلى الله عليه وآله.

هـذه هي الأسـباب التي دعت القبائل العراقية المتحـررة إلى التحول من مذاهبها واختيار المذهب الشيعي بديلاً عنها. لا ما أجهد نفسه مؤلف كتاب تراجيديا كربلاء لأجل إثباته.

نعم، لقد أشـار المؤلف إلى الجاذبية التي يتحلى بها المذهب الشـيعي في نهاية فصله هذا بمقطع لا يتجاوز الأربعة أسـطر، فقال: «**إن التشـيع في صيغته الفكرية له جاذبية**

طبيعيـة وتأثير اجتماعي ونفسي عميق الأثر عند ضحايا الظلم والاسـتلاب الاجتماعي، الذي ينبع من الومضات الثورية للفكر الشيعي من جهة، ومن اهتمام التشيع أيضاً بمعاناة الإنسـان ومشـاكله من جهة أُخـرى، إلى جانب مركزية الانفعال المتـألم ومصداقيته»[1].

لكن هذه العبارة لا تتناسب مع ما ذكره في فصله الكامل الذي رسَّخ من خلاله تلك الفكـرة السـلبية في أذهان المجتمعـات الأُخرى من جهة، وعدم تسـليط الضوء على المفاصل المهمة في جاذبية المذهب الشيعي ـ والتي ذكرناها آنفاً ـ من جهة أُخرى، مع ملاحظة أنها تسـتبطن في طياتها الضرب على وتر المظلومية والاسـتلاب والمعاناة من جهة ثالثة.

النقطـة الثانيـة: لقد تأثـر الكاتب في هذه النظرية بالشـبهة القائلـة: إن الدين هو أفيون الشـعوب. بمعنى أن الدين بصورة عامة اسـتعمله الإنسان ليتخلص من الألم والظواهـر الكونية والكوارث التي لم يجد لها مبرراً وتفسـيراً علمياً؛ فالتجأ إلى الدين كتخديـر موضعـي لعلاج هـذه الظاهـرة الغريبة[2]. وقـد أخذ المؤلـف بتطبيق هذه النظريـة على المجتمـع العراقي حين تأثـر وتفاعل مع المذهب الشـيعي من دون بقية المذاهـب الأُخرى.. مع أننا ذكرنا آنفـاً المميزات التي يحملها هذا المذهب، إلى جانب التوصيات التي تلقاها علماؤنا من أئمة أهل البيت عليهم السلام؛ ما أضْفَتْ عليه جاذبية ليس لها نظير في سائر المذاهب الأُخرى.

النقطة الثالثة: إن التوسـع والتطور الذي شهدته المراسم الحسينية يُعدُّ من النتائج الطبيعيـة للمطّلعـين ـ المنتمـين إلى الثقافـات والمذاهـب والديانـات الأُخـرى ـ على أدبيـات وأُسـس ومبادئ وأهـداف النهضة الحسـينية، فيقيِّمونهـا في فطرتهم أو وفق منطقهم السـليم، وبالمقارنـة إلى ما ينتمون إليه؛ وحينها يتوصلـون إلى أن تلك القيم

(١) الحيدري، إبراهيم، تراجيديا كربلاء: ص٢٣٠.

(٢) أُنظر: حميو، ضياء، حقيقة كلمات ماركس الثلاث (الدين أفيون الشعوب).
http://sudaneseonline.com/board/290/msg/1276757943.html.

والركائز التي نادى بها الإمام الحسين عليه السلام هي الأوْلى والأجدر بالاتباع دون غيرها؛ فيكون مَثَلها في هذا الأمر كمَثَل مَن يتعرف على الدين الإسلامي وينتمي إليه ثمّ يتبنّى معتقداته التي تعرَّف عليها، بعد التخلي عن المعتقدات التي كان عليها. فهل يُعاب على الدين الإسلامي بأن هؤلاء الذين اتخذوا الإسلام ديناً إنما كان نتيجة الاضطهاد والظلم الذي قاسوه من المجتمع؟!

وهذا الأمر يُعدُّ من الخصائص المميزة للشعائر الحسينية والنهضة المباركة؛ إذ لها القدرة على جذب الآخرين وتغيير المعادلة بمجرد وصولها إلى مَن يبحث عن الحرية التي هي أساس من الأُسس الإنسانية، والتي اتخذها الجميع وسيلة وشعاراً خالياً لجذب الآخرين إليهم.

إن هذه القابلية التي تحملها المراسم الحسينية في جذب الآخرين إليها، والتفاعل معها، لهي من المميزات التي لوحظت ـ وبشكل واسع ـ مؤخراً حتى في البلدان التي يُدَّعى أنها تتمتع بالحرية الكاملة والعيش المدني الرغيد.

النقطة الرابعة: إن ما ارتكبه الكاتب من خطأ إنما هو تجنٍّ سافر وتجاوز صريح ـ وإن لم يكن متعمداً ـ في حق مجتمع بأكمله، فقد أدرجه في ضمن القائمة التي وقعت محلاً للذم والانتقاص الإلهي؛ حيث إن هناك مجموعة من النصوص التي تذم العباد الذين يلتجئون إلى الدين أو إلى الله عز وجل في الشدة دون الرخاء؛ كما في قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾[1]. أو الذين قال عنهم الله عز وجل: ﴿ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ ﴾[2].

(١) العنكبوت: آية٦٥.

(٢) الإسراء: آية٨٣.

وغير ذلك من النصوص الكثيرة التي تحدثت عن عدم التوازن بين الحالتين اللتين يمر بهما الإنسان، لتغيّر مساره في التعامل مع الله عزّ وجلّ.

ولعدم تحققه في تاريخية المسألة لدى أتباع أهل البيت عليهم السلام؛ فقد أدرجهم في هذا الصنف الذي وقع تحت النصوص الذامة والمتوعدة لهم بالعذاب والخسران المبين.

نعم، قد يفرض عليهم واقعهم المأساوي والظروف الحادثة لهم أن يتعاملوا مع المراسم العزائية والشعائر الحسينية بأقل من المقدار الذي كانوا عليه في حال الرخاء؛ نتيجة المنع والحضر الذي يُفرض عليهم، إلّا أن هذا على خلاف ما يدّعيه الكاتب من تأثير الحالة المزرية على تطور وتوسع المراسم والمآتم الحسينية؛ كونها تتناغم مع متطلبات المجتمع.

وبهذا يكون الكاتب قد أضاف تهمة أُخرى إلى التهم التي أُلصقت بهذا المجتمع من قِبَل المؤرخين ورجال البلاط المعادية لهذا المجتمع الموالي لأهل البيت عليهم السلام.

مع أن الذي يتتبع النصوص المرتبطة بالشأن الرثائي المرتبط بواقعة كربلاء يجد أن الأئمة عليهم السلام قد أكدوا على ضرورة اللجوء إلى الإمام الحسين عليه السلام والارتباط به عند النوائب والشدائد، كما روى محمد بن يعقوب: «**عن عدة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن أبي هاشم الجعفري، قال: بعث إليَّ أبو الحسن عليه السلام في مرضه وإلى محمد بن حمزة، فسبقني إليه محمد بن حمزة، وأخبرني محمد: ما زال يقول: ابعثوا إلى الحير، ابعثوا إلى الحير. فقلتُ لمحمد: ألا قلتَ له: أنا أذهب إلى الحير؟ ثم دخلتُ عليه، وقلت له: جُعلت فداك، أنا أذهب إلى الحير؟ فقال: اُنظروا في ذلك... [إلى أن قال:] فذكرت ذلك لعلي بن بلال، فقال: ما كان يصنع [بـ] الحير؟ هو الحير. فقدمت العسكر، فدخلت عليه، فقال لي: اجلس حين أردت القيام، فلما رأيته أنس بي ذكرتُ له قول علي بن بلال. فقال لي: ألا قلت له: إن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يطوف بالبيت، ويُقبِّل الحجر، وحرمة النبي والمؤمن أعظم من حرمة البيت، وأمره الله عزّ وجلّ أن يقف بعرفة، وإنما هي مواطن يحب الله أن يُذكر**

فيها، فأنا أُحبّ أن يُدعى لي حيث يحبّ الله أن يُدعى فيها»[1].

كما روي: «**أن الصادق عليه السلام مرض فأمر مَن عنده أن يستأجروا له أجيراً يدعو عند قبر الحسين عليه السلام. فوجدوا رجلاً فقالوا له ذلك. فقال: أنا أمضي، ولكن الحسين إمام مفترض الطاعة، وهو إمام مفترض الطاعة، فرجعوا إلى الصادق عليه السلام وأخبروه. فقال: هو كما قال، ولكن أما عرف أن لله تعالى بقاعاً يُستجاب فيها الدعاء؟! فتلك البقعة من تلك البقاع**»[2].

فهاتان الروايتان ونظائرهما لها مداليل كثيرة ومهمة، ومن أهم مداليلها الرئيسية هو تعليم أتباعهم بعض السبل لحل ومعالجة الأزمات التي يمرّ بها الإنسان، وبما أن المجتمع العراقي متدين ومعتقد بهذه السبل والحلول؛ فلذا نجده منشدّاً ومرتبطاً بالإمام الحسين عليه السلام ومراسمه المذكِّرة بمصابه الأليم.

النتيجة النهائية

من خلال هذه القراءة المتأنية فيما ذكره المؤلف؛ توصلنا إلى أنه يفتقر إلى الموضوعية والإنصاف في تقييم هذه الظاهرة المتجذّرة والمترسّخة في أدبيات النهضة الحسينية؛ إذ نظر إلى التطور والتوسع الحاصل في تلك الحقبة على أنه نتيجة الإرهاصات التي شهدها البلد في ذلك الزمان، ومن دون أن يبحث في السير التاريخي للمراسم الحسينية في البلدان الإسلامية عموماً والعراق على وجه الخصوص، وقد استنتجنا من ذلك:

١ـ إن جميع الحقائق التاريخية مخالفة تماماً لما ذكره في كتابه حول تطور هذه الظاهرة، وأن السبب الذي أوقعه في هذا الخطأ؛ إما عدم اطلاعه على هذه النصوص، أو عدم قدرته على إيجاد الربط بينها وبين ما ذكره هنا.

---

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٤، ص٥٦٧.

(٢) الحر العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج١٤، ص٥٣٧.

٢ـ لم يكن للمؤلف ثقافة دينية بتلك الشمولية التي تجعله يقيِّم على أساسها بعض الظواهر التي يواجهها في المجتمعات المتدينة؛ لذا اعتبر الفرد المسلم الذي يلتجئ إلى الله عزّ وجلّ بواسطة بعض الطقوس والممارسات الدينية إنما يكون ذلك نتيجة النكوص والظروف القاهرة له، مع أن الأجدر به أن ينظر إلى ذلك ويصوّره للمجتمعات كحالة إيجابية تفرض على المجتمع المسلم اللجوء إلى الدين في النوائب والشدائد، كما هو حاله في الرخاء والطمأنينة.

٣ـ لقد ارتكب المؤلف ذنباً اجتماعياً بحق هذا المجتمع المتدين، والمذهب الشيعي في ذات الوقت؛ وذلك حين صوّر للقارئ أن تفاعل وتبنِّي هذا المجتمع للمراسم الحسينية كان نتيجة الضغوط والتحديات السياسية والاقتصادية و..

٤ـ لقد برهن أتباع أهل البيت عليهم السلام والمجتمع العراقي ـ في الفترة الراهنة ـ على خطأ المؤلف ووهن كلامه الذي سجّله في كتابه (تراجيديا كربلاء)؛ إذ تبنَّى إحياء المراسم الحسينية بشكل لافت للأنظار، وأثبت للعالم أجمع بأن إحياءهم لذكرى مصيبة الحسين عليه السلام نابع من محبتهم له عليه السلام، فبعد الانفراج في الوضع المعيشي والمختلف تماماً عمّا ذكره المؤلف ـ وبعد تمتعهم بالحرية بشكل نسبي ـ تزايد الالتجاء إلى المراسم الحسينية بشكل واسع وملحوظ.

إلى هنا نكون قد أنهينا قراءتنا حول الفصل المختص بتطور المراسم الحسينية في كتاب تراجيديا كربلاء، تاركين الحديث عن بعض فصوله اللاحقة إلى أعداد أُخرى من هذه المجلة إن سنحت الفرصة لذلك. ومن الله نستمدّ العون.

تاريخ الشعائر الحسينية في دراسات المستشرقين الألماني المعاصر (هاينس هالم) أُنموذجاً
(دراسةٌ نقدية)

الشيخ أسعد التميمي*

تمهيد

تحظى الشعائر الدينية بشكلٍ عامّ والحسينية بشكلٍ خاصّ بأهمية معرفية عند المهتمين بها، وتلحقها أهمية عمليةً عند الممارسين لها اجتماعياً، فهي تسري في وجدان المجتمع الديني بطريقةٍ يصعب انفكاكها عنه في لحظةٍ من لحظاته، وتشكّل ركناً أساسياً في حياة الفرد المتديِّن.

فالقراءة التاريخية لهكذا مفردة لها أبعادها المتجذّرة في حياة فئةٍ من الناس، وتكتسب أهميتها من خلال إبراز معالم هذه المفردة وما تختزنه من رموز فعَّالة لها انعكاساتها على الإنسان المتبنّي لهذه العقيدة.

وتزداد القراءة التاريخية أهميةً إذا كانت ممن لا ينتمي إلى نفس الدائرة، فتكون لها أبعاد أُخرى لا تخلو من أمرين:

تارةً تكون قراءته منصفة وموضوعية تضع النقاط على الحروف في بعض المفاصل المقروءة، ونكون قد حصلنا على معلومات إضافية نتيجة قراءته.

وأُخرى تكون قراءته مغلوطة. وعليه؛ ينبغي تصحيح معلوماته من خلال قراءتنا الصحيحة لتاريخنا؛ لذلك وقع اختيارنا على الآخر المتمثِّل بالاستشراق، لنرى كيف قرأ تاريخ الشعائر الحسينية، وإلى ماذا توصل بهذه القراءة؟

---

* أُستاذ في جامعة المصطفى صلى الله عليه وآله العالمية، عضو هيئة تحرير مجلة الإصلاح الحسيني، من العراق.

مدخل

ظاهـرة الاسـتشراق جديرةٌ بالاهتـمام، خصوصـاً إذا عرفنا أنّ التقديرات تشـير إلى أنّ الإنتـاج التدوينـي لها خـلال أعوام(١٨٠٠ـ ١٩٥٠م) وصـل إلى (٦٠٠٠٠) مدوّنـاً[١]، النسـبة الأكـبر منها تخـصُّ المسـلمين[٢]، هكـذا إنتاج يسـتوقف المهتمين بالسلك العلمي؛ ليقفوا على هذا الكم الهائل من المنتوجات العلمية.

والاختـلاف بين الباحثـين لهذه الظاهرة لم يـترك مفردة من معالمهـا إلَّا واختلف فيهـا، ابتـداءً من تعريفهـا ومدارسـها ومناهجها ومجـالات عملها، وختامـاً بكيفية التعامـل معها. وسـنترك كلَّ هذه الأُمور روماً للاختصـار، ونكتفي بتعريفٍ مختصرٍ وبإرجاع القارئ إلى المصادر للاستزادة من باقي معالم الاستشراق.

وقد عُرِّف الاستشراق بأنّه: «**دراسة الإسلام من قِبَلِ غير المسلمين**»[٣].

أمَّـا (هاينـس هالم) النمـوذج المختار لموضـوع البحث، فهو مسـتشرق ألماني وُلد عـام(١٩٤٢م)، ودرّس العلـوم الإسـلامية والسـامية والعصور الوسـطى. يدرِّس العلوم الإسـلامية في جامعة توبنغن ـ ألمانيا، له عدّة مؤلَّفات وأبحاث، منها: بحثان مطوّلان:

- كونيات وعلم الخلاص لدى الإسماعيليين الأوائل (١٩٧٨م).
- كتاب الأظلة (١٩٧٨ ـ ١٩٨١م).

نـشر مقالاتـه وأبحاثـه في عـدّة دوريات منها: عـالم المشرق، والإسـلام، كما نشر العديد من الكتب المختصّة، منها: الشـيعة، الإسـلام الشـيعي من الدين إلى الثورة،

---

(١) أُنظر: سعيد، إدوارد، الاستشراق: ص٢٥٧.

(٢) أُنظر: النصر الله، جواد كاظم، الثورة الحسينية في الرواية التاريخية والقراءة الاستشراقية، مجلة دراسات استشراقية: العدد ٢: ص٨٥.

(٣) زماني، محمد حسن، الاستشراق تاريخه ومراحله، مجلة دراسات استشراقية: العدد١، ص١٧٥. وللمراجعة أُنظر: العقيقي، نجيب، المستشرقون. السباعي، مصطفى، الاستشراق ما لهم وما عليهم. المنجد، صلاح الدين، المستشرقون الألمان.

الفاطميـون وتقاليدهم في التعليم، إمبراطورية المهدي، صعود الفاطميين، الإسـلام ماضي وحاضر، العرب، الإسـلام، الغنوصية في الإسلام. وهو المشرف على إصدار (تاريخ العالم العربي). يتولَّى هالم منصب أُسـتاذ التاريخ الإسـلامي في جامعة توبنغن الألمانية[1].

أمَّا الكتاب الذي تناول فيه تاريخ الشعائر الحسينية، فهو كتاب (الشيعة)، ترجمة: محمود كبيبو، نشر: بيت الورَّاق عام (٢٠١١م)، وهو عبارة عن خمسة فصول سبقتها مقدِّمة، وموضوع بحثنا شغل الفصل الثاني منه بعنوان: مواكب العزاء والمآتم. وهو كتاب درس فيه التشيُّع بشكله المعاصر، أي: السياسي. وقد اعتمدنا في هذه الدراسة على هذه النسخة.

تاريخ الشعائر الحسينيّة عند (هاينس هالم)

تكـوَّن البحث من أربعة محاور: الأول عن أُصول شـعائر يوم عاشـوراء، والثاني عن المرثية، والثالث عن التعزية، والرابع عن الضرب على الصدر وجلد الذات.

أمَّـا في المحور الأول (أُصول شـعائر يوم عاشـوراء)، فقـد اعتبر (هاينس هالم) ما فعله التوابون (٦٨٠م / ٦١هـ) من بكاءٍ جماعيٍّ على قبر الحسـين عليه السلام ـ وهو أقدم شـكل للطقوس[2] الشـيعية عنـده ـ الجـذر الأول للمركّـب المعقّد لشـعائر التكفير والحـزن التي يؤدّيها الشـيعة في عـشرة محرّم، والتكفير كان عـن ذنوبهم الفردية وعن الذنب التاريخي الجماعي بتخاذلهم عن نجدة إمامهم[3].

ثمّ انتقل إلى محاولة بعض الباحثين إرجاع طقوس عاشـوراء إلى ما قبل الإسـلام أو خارج الإسـلام، فرفض هـذه المحاولة بدعوى عدم الحاجـة إلى هذا التبرير؛ لأنّ

(١) أُنظر: هالم، هاينس، الشيعة: ص١١ـ١٢.

(٢) الطقوس: تُطلق على الشعائر الدينية، وعلى الممارسات غير الدينية، أي: الاقتصادية، والسياسية، والرياضية، وعندما تُستخدم هنا يُراد منها الشعائر الدينية.

(٣) أُنظر: هالم، هاينس، الشيعة: ص٥٩.

ظاهرة البكاء ـ كوسيلة للتكفير عن الذنب ـ منتشرة في بلاد الرافدين، كما أنّ ظاهرة التشيُّع هي ظاهرة رافدية وليست إيرانية[1].

أمَّا التشابيه عند البويهيين(٩٦٣م/ ٣٥١هـ)، فقد مثّلت الجذر الثاني للتعبير عن الألم، واعتبر ما نقله ابن الأثير عن المسيرات الدينية في العاشر من المحرَّم في زمن البويهيين أقدم تقرير وصل إلينا في هذا المجال[2].

ثمّ انتقل إلى العهد الصفوي (١٥٠١م ـ ١٧٢٢م)، واعتمد في تاريخ هذه المرحلة على نقل الرحالة الذين عاصروا تلك الفترة، فبدأ أولاً بالإنجليزي (توماس هربرت) الذي طبع كتابه (قصة بضع سنوات من الترحال في إفريقيا وآسيا والهند) في لندن سنة (١٦٣٤م)، فقد ذكر أنّ الشيعة تحتفل بذكرى وفاة الحسن بن علي[3] تسعة أيام، ثمّ تعثر عليه في اليوم التاسع، ويعتقدون أنّهم فقدوه في غابة ووجدوه، وتنتهي الاحتفالات بالشكر والإعجاب[4].

وثانياً التركي (إيليا تشلبي) الذي زار بلاط شاه فارس في سنة (١٦٤٠م)، واعتبره أقدم مصدر يذكر ضرب الرؤوس بالسيوف والسكاكين.

وثالثاً الفرنسي (جان بابتيست تافرنييه) الذي عبّر عنه بأنّه من أوائل الذين شاهدوا طقوس قتال الشوارع في سنة (١٦٦٧م).

ورابعاً الألماني (انغلبرت كيمبفر) الذي أقام في إصفهان كطبيب للبعثة السورية سنة (١٦٨٤ـ١٧٨٥م)، والذي عبّر عن حدوث أسوء الاصطدامات في الذكرى السنوية لمقتل الحسين عليه السلام، حيث يهجم بعضٌ على البعض الآخر، ويُدمي كلّ طرف الآخر ضرباً على الرأس[5].

---

(١) أُنظر: المصدر السابق: ص٦٠.

(٢) أُنظر: المصدر السابق: ص٦١ـ٦٣.

(٣) هكذا ورد في المصدر المترجم إلى العربية، وهو خلاف السياق، فلعله خطأ مطبعي، والمراد: الحسين ابن علي عليهما السلام.

(٤) أُنظر: المصدر السابق: ص٦٤.

(٥) أُنظر: المصدر السابق: ص٦٣ـ٦٥.

أمّا المحور الثاني (المرثية)، فبدأ البحث فيه بعبارة: «**يكمن أصل شعائر عاشوراء في الشكوى ولوم الذات الناجمَين عن تذكّر أحداث كربلاء، ومن التعبير عن هذه الشكوى بالحركات والصور والمشاهد الإيمائية، وفي وقتٍ لاحقٍ بالمشاهد الحوارية أيضاً**»[1].

ثـمّ بيَّن مفـردات: المرثيـة، التعزيـة، المأتـم، ودلالتها باللّغـة العربية والفارسـية والهندية، وتحوّلاتها عبر الزمن.

ثمّ أرّخ لأوّل مرثية في نهاية القرن الخامس عشر على يد حسين واعظي كاشفي تحت عنوان: (روضة الشـهداء)، وذكر برنامج الاحتفالات الشـيعية في ذكرى عاشوراء، حيث تكون الأيام الثلاثة الأُولى لوصول الحسين عليه السلام إلى كربلاء، واليوم الرابع للحرّ التميمـي، والخامـس لابني أُخت الحسـين (زينب): محمد وعون، والسـادس للابن الأكبر للحسين علي الأكبر، وفي بعض الأماكن لعليّ الأصغر الرضيع، واليوم السابع للقاسم بن الحسن العريس، والثامن للعبّاس أخي الإمام الحسين، والتاسع والعاشر ذروة الاحتفالات للإمام الحسين[2].

أمّـا المحور الثالـث (التعزية)، فقد بـدأ بتوضيح معنى الكلمـة في اللُّغة العربية، وهي (المشاركة في الحزن)، وكانت تطلق على مجمل الشعائر التي تؤدّى في عاشوراء، ولكن تحوّل معناها قليلاً في إيران وأصبحت تمثِّل شعائر التعبير عن الألم والندم، بينما تعني في الهند: مجموع النعوش التي تُحمل في مواكب العزاء.

ثمّ بيَّن تاريخ نشأة التعزية، فكانت في القرن الثامن عشر، أي: بعد العهد الصفوي؛ لأنّـه لا يوجد دليل على وجودها في ذلك الزمن، واستشـهد بأقوال الرحالة، واعتبر القرن التاسـع عشر عصراً ذهبياً للتعزية بعد زيارة الشـاه ناصر الدين للندن، وإنشائه التكيـة للعـزاء في إيران تشـبُّهاً بالمسرح هناك، وهـذا ما جعل رجـال الدين ينظرون إلى مشـاهد المسرح والمسرحيـة بريبـةٍ، وينقـل عـن أحـد الرحالـة (روي متَّحدة):

(١) أُنظر: المصدر السابق: ص٦٦.

(٢) أُنظر: المصدر السابق: ص ٦٦ ـ ٦٩.

«لم يكن في وسع رجال الدين اتخاذ موقف واضح من هذا المسرح الشعبي الصوفي، فكان بعضهم يقبله كأداة فعَّالة لتذكير الجماهير بأهمية رسالة الحسين، ألم يقل الحسين: (سوف أُقتل لكي تبكوا)؟ بينما كان آخرون يدينون هذا المسرح ويعتبرونه محاولة فجَّة لتمثيل أشخاص مقدّسين لا يمكن لأيّ تمثيل أن يرقى إلى مستواهم؛ وبالتالي سوف تشوّه شخصيّاتهم ويُسيء لها»[1].

وأمَّا المحور الرابع (الضرب على الصدر وجلد الذات)، فقد اعتمد (هاينس هالم) فيه أيضاً على تصوير الرحالة لتلك الشعائر، فذكر أنّ الضرب على الصدر يؤدّيه الكلُّ: الشباب، والنساء، والكبار، والأطفال، واستظهر أنّ اللطم أقدم شعائر عاشوراء، وهذا اللون من الشعائر لا يعترض عليه رجال الدين.

وينقل تصوير رحالة آخر عن فرقة دينية فارسية تسمّى (بربري) تستخدم السلاسل المدببة، وينقل تصويراً كاملاً لهذه المراسم، والحرص الشديد لمقيمي هذه الشعائر على سلامة المستخدمين لهذه السلاسل، ويرى أنّ ما يرويه الأوروبيون ـ من أنّ استخدام هذا الطقس تحت ظروف معينة يجعله خطيراً ـ شائعة خاطئة.

ويشير إلى اقتصار الشعائر الدامية على الأيام الثلاثة الأخيرة من العقد الأول من محرَّم، ويعتبرها امتيازاً للشباب والمنظَّمات الدينية التي تؤدّي مثل هذه الشعائر؛ تكفيراً عن الذنب بالنيابة عن الأُمة الشيعية، وتكتسب بذلك الأجر والثواب[2].

أمَّا الحكم الثوري في إيران الحالية، فهو **«يفضّل توجيه الحماس الديني نحو تحقيق أغراضه الخاصة، ففي المسيرات الجماهيرية يجلد المشاركون ظهورهم (غير العارية) بصورة رمزية فقط بأسواط مؤلَّفة من سلاسل صغيرة»**[3].

---

(١) أُنظر: المصدر السابق: ص٧٤.

(٢) أُنظر: المصدر السابق: ص٧٤ـ٧٩.

(٣) المصدر السابق: ص٧٨ـ٧٩.

وقبل ختم هذا المحور يقول: «**فالشعائر التي يصل فيها المرء إلى أقصى درجات النشوة ونسيان الذات غريبة عن عالم القانون والشريعة؛ إذ إنّ الشريعة تعتبر التلطُّخ بالدم نجساً؛ ولذلك يرى بعض علماء الدين أن التلطُّخ بالدم كطقس ديني شذوذ غير جائز... إلّا أنّ أكثر رجال الدين نشأوا منذ طفولتهم ضمن هذه التقاليد التي تمارسها طائفتهم منذ مئات السنين؛ ولذلك يرون في الشعائر الدامية أمراً عادياً تماماً، بل فعلاً يستحق الأجر والثواب**»[1].

وأخيراً اعتبر أنّ هناك ارتباطاً وثيقاً في شعائر جلد الذات بين التكفير عن الذنب والاستعداد لتحمل الألم، وأنّهما يشكلان النواة الحقيقية للتديُّن الشيعي، فالشيعي الخاطئ يستحق الموت، والموت وحده قادر على تحريره من خطيئته، ففي الجلد تتحول التضحية بالذات المستحقة إلى طقسٍ؛ وبالتالي تصبح قابلة للتكرار، أي: غير مميتة. فبسفك دمه يكفِّر عن جزءٍ من ذنوبه، ويكتسب العيش سنة أُخرى حتى عاشوراء القادمة[2].

من خلال ما تقدّم يمكن لملمة الأفكار التي بيَّنها الألماني هاينس هالم بشكلٍ تسلسليٍّ ضمن نقاط:

الأُولى: أنّ أصل شعائر عاشوراء هي شعائر تكفير وحزن وشكوى ولوم الذات.

الثانية: تكوَّنت الشعائر من تركيب معقّد له جذران، هما:

١ ـ ما فعله التوابون من بكاءٍ جماعيٍّ، ويُعتبر أقدم الطقوس الشيعية.

٢ ـ ما حدث في زمن البويهيين من مسيرات معبّرة عن فاجعة كربلاء على شكل تمثيل كما هو متعارف اليوم بالتشابيه.

الثالثة: رفض المستشرق الألماني محاولة بعض الباحثين إعادة منشأ شعائر عاشوراء إلى معتقدات من مرحلة ما قبل الإسلام أو من خارج الإسلام.

---

(١) المصدر السابق: ص ٧٨.

(٢) أُنظر: المصدر السابق: ص ٧٩.

الرابعة: أنّ الشعائر في زمن الصفويين كانت بشعة، استناداً إلى ما نقله الرحالة في تلك الفترة.

الخامسة: أنّ الشعائر الدامية المتمثلة بلطم الصدور أو الضرب بالسلاسل المدببة أو السيوف، هي شعائر التكفير عن الذنب بالنيابة عن الأُمة.

السادسة: أنّ شعائر جلد الذات ترتبط بالتكفير عن الذنب والاستعداد لتحمل الألم ارتباطاً وثيقاً، وتُشكل النواة الحقيقية للتديُّن الشيعي، وبممارسة هذه الشعيرة وبهذه الطريقة يكتسب الممارس حقَّ العيش للسنة القادمة.

السابعة: أنّ الحكم الثوري في إيران وجَّه الحماس الديني لأغراضه الخاصة؛ من خلال إبراز ممارسة جديدة للشعائر.

الثامنة: توجيهه لتقبُّل رجال الدين للشعائر المرفوضة من قِبَلِ الشريعة بأنّها: تقاليد نشأوا عليها منذ الطفولة.

إيجابيات بحث (هاينس هالم)

عندما نريد أن ننظر إلى أيّ بحثٍ بعينٍ معيارية نقدية، فليس من الإنصاف أن نركّز على سلبيات البحث ونغضُّ النظر عن الإيجابيات، فمقتضى الإنصاف أن تبرز الإيجابيات الموجودة فيه، وهي كالآتي:

١ـ هناك تسلسلٌ تاريخيٌّ دقيقٌ ومنظَّمٌ في موضوع البحث، وترابطٌ منطقيٌّ بين الأبحاث بشكلٍ عامٍّ.

٢ـ الاهتمام بجذور بعض المفردات التي استُخدمت في البحث، مثل: المرثية، والتعزية، وبيان تحوّلاتها الدلالية في البلاد الإسلامية[1].

٣ـ التأكيد مراراً وتكراراً على مسألةٍ مهمةٍ، وهي: الفصل بين ما يراه رجال الدين الممثلين للشريعة، وما يفعله عموم الناس من ممارسات قد لا تمتُّ إلى الشريعة بصلةٍ؛

(١) أُنظر: المصدر السابق: ص٦٦ـ٦٩.

وهـذا يعني الفصـل بين الدين كشريعة إلهيـة، وبين تطبيق المنتمين لهـذه الشريعة، إذ ليس من الضروري أن يكون له واقع في هذه الشريعة[1]. وهذه ميزة تحسب للباحث الألماني.

٤ـ عـدم قبولـه لكلِّ ما يراه أقرانـه، وبيان ما يراه صحيحاً بنظـره، كرفضه لنظرة الأوروبيين القائلة بإمكانية أن تصبح الشعائر الدامية خطيرة في ظروف معيّنة، وردّه عليها بأنّها شائعة خاطئة[2].

ملاحظات على بحث (هاينس هالم)

أمَّا ما يمكن تسجيله من ملاحظات ومؤاخذات على البحث ـ ولا نريد أن نطلق عليها سلبيات مسبقاً؛ لأنّ الحكم على موضوع قبل بيان الأدلة خلاف منهج البحث العلمي والموضوعي، وإنّما الغرض بيان الحقيقة ليس إلَّا ـ فسـنتطرّق إليه حسـب ما لخّصناه من أفكار قبل قليل:

شعائر التكفير

إنّ هذه الفكرة غير صحيحة لعدّة أسباب:

السـبب الأول: لا يوجـد ما يؤيّـد هذه الفكرة من قِبَلِ الشـيعة، لا على المسـتوى النظري ـ أي: آراء العلماء الذين نظَّروا للشـعائر الحسـينية ـ ولا على المستوى العملي لأيِّ ممـارسٍ لهذه الشـعائر، ولو كان هناك ما يمكن الركون إليه ليكون مسـتنداً لهذه الفكرة لاستعان به الباحث.

السبب الثاني: أنّ الشعائر الحسينية منبثقةٌ من مبدأ أسّس له القرآن الكريم ووظفه أهل البيت عليهم السلام، وهو ما سـمّي في القرآن الكريم بـ (التذكير بأيّام الله)، وفي نصوص

(١) أُنظر: المصدر السابق: ص٧٥ـ٧٨.

(٢) أُنظر: المصدر السابق: ص٧٧.

العـترة الطاهرة عليهم السلام بـ(إحياء الأمـر)، وهذا المبدأ فعلٌ متجدد ومسـتمر لبث الروح المعنوية، مستمدّاً من العبر والتأثيرات التي لا تنضب ولا تجف، ولجعل الواقعة رمزاً يشير إلى دلالات لا تنتهي.

ففي قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾[1]، المقصـود هنا من أيّام الله: الأوقات والأحداث التي برز فيها التدخُّل الإلهي بشكلٍ واضح بيِّن، والتي شـكّلت منعطفـاً في تاريخ الشـعوب والجماعات، وهـي أيام أضـاءت أرواح الناس وقلوبهم بنور الله، فإنّ التذكير بأيام الله والإحياء ـ من خلال الشعائر ـ إنّما يحفظ هذا التألـق للنور الإلهي في قلوب الناس، والذي انبعث فيهم أول ما انبعث عند حدوث الواقعـة، وهو يقبل الديمومة والاسـتمرار بفعـل التذكير والإحيـاء، وهذا الأمر له دوره ووظيفتـه في نهضـة وديمومـة حياتهـم العزيزة والمجيـدة؛ لذا يقـول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾[2]، وهذه الحياة على نوعين:

الأول: وفيـه تكون حياة القلوب بدوام الإيـمان وطلب القربى من الله: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[3].

الثـاني: هـو الحيـاة الاجتماعية التي تسـودها قيـم الولاية لله وحـده؛ فهي مفعمة بنـور العدل والهداية والحريـة: ﴿ ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ﴾[4].

وبالنوع الأول من حياة أهل الإيمان يكتشـف الإنسـان نفسـه ويعرفها، حتى إذا مـا عرفهـا عرف ربّه، وإذا مـا عرف ربّه ووليه كانت الحياة مـن النوع الثاني بالخروج

(١) إبراهيم: آية٥.
(٢) الأنفال: آية٢٤.
(٣) الأنعام: آية١٦٢.
(٤) البقرة: آية٢٥٦.

مـن دائـرة الظلمات التي يقبـع فيها أهل الكفـر وعبيد الطاغوت، وما دور الشـعيرة والشعائر الحسينية إلّا أن توقظ في النفس كلَّ عِبَرِ أيَّام الله[1].

لذلك تنقسم الشعائر الحسينية إلى ثلاثة أقسام:

القسـم الأول: شـعائر إثارة الحـزن وتغيير ما بالأنفس، وهي الشـعائر التي تترك للنفـس والجسـد حريـة التعبـير عـن عمـق الشـعور بالمظلومية التـي لاقاهـا الإمام الحسين عليه السلام؛ الأمر الذي يؤسس لتجديد العلاقة مع الله ورسوله صلى الله عليه وآله وأُولي الأمر عليهم السلام، من خلال الأُسس التي أرساها أبو عبد الله عليه السلام.

القسـم الثاني: شعائر تكوين الهوية الجمعية، وهي الشعائر الخاصة بزيارة المكان الذي ضمَّ الجسد الطاهر لأبي عبد الله عليه السلام وأصحابه الأبرار؛ باعتباره معلماً من معالم إحياء الأمر الإلهي لآل محمَّدٍ عليهم السلام.

القسـم الثالـث: الشـعائر الإبلاغيـة الحسـينية، وهـي الشـعائر التي يـراد منها نـشر تعاليـم وقيم النهضـة الحسـينية في النـاس، وبين الأُمـم؛ لمواجهة قـوى الظلم والجبروت[2].

إذاً؛ لا توجد في أدبيات التشـيُّع شـعائر عنوانها التكفير والحزن والشـكوى ولوم الذات، فهذا تصوير للشعائر يجعلها فارغة المحتوى نظرياً وعملياً.

ونفس الكلام يكرّره في الفكرة الخامسة ممّا لخّصناه، ولكن بشكلٍ أوسع، لتشمل النيابة عن الأُمة، حيث قال: «**إنّ الشعائر الدامية المتمثلة بضرب الصدور أو السلاسل المدببة أو السيوف، هي شعائر التكفير عن الذنب بالنيابة عن الأُمة**».

السـبب الثالـث: أنّ الخطأ المنهجي الـذي ارتكبه الباحث الألمـاني بجعل ما فعله التوابـون أصل شـعائر عاشـوراء؛ قد اضطـرّه أن يتبنّـى مثل هذا التصوير للشـعائر الحسـينية، مـع أنّه لا قائل من الشـيعة بأنّ ما قـام به التوابون يمثّـل أصلاً من أُصول

(١) أُنظر: جرادي، شفيق، الشعائر الحسينية من المظلومية إلى النهوض: ص٢ـ٣.
(٢) للتوسّع أكثر في هذا الموضوع أُنظر: المصدر السابق: ص٦١ـ١١١.

الشعائر الحسينية؛ لذلك عبَّر عن هذه الشعائر بالتكفير والحزن والشكوى ولوم الذات التي هي انعكاسات لما قام به التوابون فعلاً، لكن لم تُعدّ ممارساتهم شعائر حسينية.

ومع الأسف قام بعض مَن تأثر بهذا الكلام باجترار هذه المصطلحات عند تناوله للشعائر الحسينية، ولكن هذه المرَّة بلسانٍ عربي، مثل: الباحث الاجتماعي العراقي الدكتور إبراهيم الحيدري في كتابه (تراجيديا كربلاء)، والبروفيسور اللبناني محمود أيوب في كتابه (الألم الخلاصي في الإسلام). وكلا الباحثَين خريجي المدرسة الاستشراقية التي تتبنّى مثل هذه الأفكار.

الشعائر ووصفها بالتركيب المعقَّد

وصف (هاينس) الشعائر بالتركيب المعقّد غريبٌ جداً! واستخدام هكذا ألفاظ ومصطلحات تجعل القارئ يحسّ بعُقد تجاه البحث، مع أنّه لا مبرر لها، ولا أراها إلَّا زوبعة ألفاظ، خصوصاً أنّ الفترة الزمنية بين الجذرين السابقين حسب مدَّعاه كبيرة جداً (٦١هـ/ ٣٥١هـ) أي: (٢٩٠ سنة)، وتمثِّل مرحلة تسعة من الأئمَّة الاثني عشر عليهم السلام، الذين أسَّسوا لشعائر عاشوراء بصيغٍ مختلفةٍ: من بكاءٍ، ومأتمٍ، وشعرٍ، وندبٍ، والتأكيد على زيارة قبر الحسين عليه السلام والارتباط به، فلماذا اختار الباحث البكاء الجماعي والتمثيل ليكونا جذرَي الشعائر؟ وماذا عن باقي الشعائر كالزيارة مثلاً؟ وما هي ضوابط انتقاء الجذر؟ كلُّ هذه الأشياء مسكوت عنها، ممَّا يوحي للقارئ أنّ وراء هذا الكلام غرض، وهو عرضُ صورةٍ سلبية وبغيضة عن الشعائر.

يُضاف إلى ذلك، أنّنا قلنا سابقاً: إنّ ما فعله التوابون لا يمثِّل أصل الشعائر، هذا **أوَّلاً**.

وثانياً: إنّ المسيرات التي حدثت في زمن البويهيين ما هي إلَّا تطوّر مشروع للشعائر، خصوصاً لمن له دراية بمرونة الفقه الشيعي، حيث أعطى مساحة لأن

تكون هناك شعائر مستنبطة تنطلق من الشعائر المنصوصة أو عمومات النصوص الشرعية. فأين التركيب المعقَّد في مثل هذه الأُمور؟!

ولو نظرنا إلى المسألة بشكلٍ إنسانيٍّ بغض النظر عن التشريع والدين، فإنّ الإنسان كائنٌ طقوسيٌّ وشعائريٌّ بامتيازٍ، حسب ما توصّل إليه علماء الأنثروبولوجيا[1] (علم الإنسان)، فمن الطبيعي أنّ الإنسان لو أُعطي الحرية للتعبير عمّا يُقدّس من رموز لعبَّر عنها بممارسات تناسب ثقافته وبيئته، فما جرى في زمن البويهيين كان طبيعياً جداً حسب ارتباط الإنسان برموزه ومقدساته.

أمّا تعبيره عمّا فعله التوابون من بكاءٍ جماعيٍّ بأنّه أقدم الطقوس الشيعية، فهو غير صحيح من وجهين:

الوجه الأول: أنّ زمن التوابين تلا حادثة كربلاء بأربع سنوات (٦٥هـ)، وهذه الفترة كانت مليئة ببكاءٍ فرديٍّ وجماعيٍّ نقله لنا التاريخ، ولكن قبل أن أنقل ما نقله التاريخ لنا أودُّ أن أُشير إلى نقطةٍ حساسةٍ ومهمةٍ وهي: أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله أسّس للبكاء وإقامة المآتم على وَلَده الحسين عليه السلام في عدّة مواقف، عدّها الشيخ الأميني رحمه الله عشرين مأتماً[2]، لا يسع المقام لذكرها؛ وعلى هذا يكون المسلمون عموماً ملزمين بتطبيق سنّة النبيّ صلى الله عليه وآله في البكاء على الإمام الحسين عليه السلام؛ بصفته جزءاً من الاقتداء بسنّته صلى الله عليه وآله.

أمّا البكاء الفردي الذي نقله لنا التاريخ بعد مقتل الإمام الحسين عليه السلام، فقد تمثّل في بكاء كلٍّ من:

- أُم سلمة رضي الله عنها: لمّا بلغها مقتل الإمام الحسين عليه السلام قالت: «**أوَ قد فعلوها؟! ملأ الله بيوت القاتلين وقبورهم ناراً. ثمّ بكت حتّى غُشي عليها**»[3].

---

(١) أُنظر: المحواشي، منصف، الطقوس وجبروت الرموز، مجلة إنسانيات ـ المجلة الجزائرية في الأنثروبولوجيا والعلوم الاجتماعية. الرابط: *http://insaniyat.revues.org/433*.

(٢) أُنظر: الأميني، عبد الحسين، سيرتنا وسُنَّتنا: ص٤١ـ١٢٧.

(٣) القندوزي، سليمان بن إبراهيم، ينابيع المودة: ج٣، ص٤٨.

● أنس بن مالك: «**ولمّا حمل الرأس الشريف لابن زياد وجعله في طست، وجعل يضرب ثناياه بقضيب، ويقول: ما رأيت مثل هذا حسناً، إن كان لحسن الثغر، وكان عنده أنس، فبكى وقال: كان أشبههم برسول الله صلى الله عليه وآله**»[1].

● زيد بن أرقم: قيل: «**إنّه كان حاضراً على فعل ابن زياد، فقال له: مه، ارفع قضيبك عن هذه الثنايا؛ فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله يلثمها، ثمّ خنقته العبرة، فبكى، فقال له ابن زياد: ممَّ تبكي؟! أبكى الله عينيك! والله، لولا أنّك شيخ قد خرفت لضربت رأسك**»[2].

● الحسن البصري: قال الزهري: «**لمّا بلغ الحسن البصري خبر قتل الحسين عليه السلام بكى حتى اختلج صدغاه، وقال: أذلّ الله أُمَّة قتلت ابن بنت نبيّها، والله، ليردّن رأس الحسين عليه السلام إلى جسده، ثمّ لينتقمنّ له جدّه وأبوه من ابن مرجانة**»[3].

أمَّا البكاء الجماعي، فهو:

● بكاء أهل الكوفة عند وصول السبايا: يصف الراوي الحال الذي كان عليه أهل الكوفة وهم يستمعون إلى خطبة أُم كلثوم عليها السلام بقوله: «**فرأيت الناس حيارى وقد ردّوا أيديهم إلى أفواههم، ورأيت شيخاً كبيراً من بني جعفي، وقد اخضلّت لحيته من دموع عينيه، وهو يقول:**

كُهُولُهُمُ خيرُ الكهُولِ ونسلُهُمْ إذا عُدَّ نَسلٌ لا يَبورُ ولا يُخزى»[4].

● نساء الأُمويين، يقول الطبري: «**ثمّ أُدخل نساء الحسين على يزيد، فصاح آل يزيد وبنات معاوية وأهله وولولن... فلم تبقَ امرأة من آل يزيد إلّا أتتهنّ وأقمن المأتم**»[5].

وقال أيضاً: «**فأقاموا عليه المناحة ثلاثاً**»[6].

---

(١) المصدر السابق: ج٣، ص٢٥ـ٢٦.

(٢) الدينوري، أحمد بن داود، الأخبار الطوال: ص٢٦٠.

(٣) القندوزي، إبراهيم بن سليمان، ينابيع المودة: ج٣، ص٤٨.

(٤) ابن طيفور، أبو الفضل بن أبي طاهر، بلاغات النساء: ص٢٤.

(٥) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري: ج٤، ص٣٥٥.

(٦) المصدر السابق: ص٣٥٣.

● بكاء أهل الشام في الجامع الأُموي، وذلك أثناء خطبة الإمام زين العابدين عليه السلام.

يقـول المجلـسي نقلاً عن الخوارزمي: «**فلم يزل يقول: أنا أنا، حتى ضجَّ الناس بالبكاء والنحيب، وخشي يزيد (لعنه الله) أن يكون فتنة، فأمر المؤذِّن، فقطع عليه الكلام**»[1].

الوجه الثاني: لم تكن رؤية المستشرق حول هذه المسألة (أقدم الطقوس) واضحة؛ لأنّه ذكر في بحث الضرب على الصدر أنّه أقدم طقوس عاشوراء[2]، فيتضح أنّ لديه إرباكاً وعدم وضوح في هذه المسألة.

منشأ الشعائر

رفض المسـتشرق الألماني محاولة بعض الباحثين إعادة منشـأ شـعائر عاشوراء إلى معتقدات من مرحلة ما قبل الإسلام أو من خارج الإسلام.

في هـذه النقطـة لم يعـطِ الباحث مبرراً علميـاً لرفض هذه المحاولة، سـوى قوله: بأننـا لا نحتـاج أن نذهـب بعيداً، وأنّ منشـأ شـعائر عاشـوراء جاء مـن الموروثات العراقيـة (الرافدية). وعدم قبول نتائج بعض الباحثـين بهذه الطريقة مجانب للعلمية والموضوعيـة. وقد أصرَّ الباحث على أنّ الشـعائر جاءت مـن موروثات عراقية، ولا ارتباط لها بالإسلام أو بأيِّ دينٍ آخر، وأراد أن يؤكّد أنّها جاءت من موروثات بدائية. وهذا الكلام غير مقبول لعـدة أُمور، منها:

الأمر الأول: أنّ الشـعائر أسَّـس لها القرآن الكريم والنبـيُّ صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام، وليست أُصولها عراقية أو إيرانية وما شاكل ذلك، ويكفي للوقوف على هذه الحقيقة ما بيَّناه قبل قليل في بحث شعائر التكفير وبحث الشعائر ووصفها بالتركيب المعقَّد.

الأمر الثاني: أنّ الباحث خلط في الأمر؛ حيث انصبَّ بحثه على جذور البكاء، بينما الشعائر أوسع من هذه الدائرة.

---

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٥، ص١٣٩.

(٢) أُنظر: هالم، هاينس، الشيعة: ص٧٥.

الصفويون والشعائر البشعة

مـا نقلـه الباحث في هـذه الحقبة الزمنيـة المتمثلـة بالدولة الصفويـة غريب جداً، وأُكرره ليُدقَّق فيه النظر:

● إنّ الشـيعة «**تحتفـل بذكـرى وفاة الحسـن بن علي تسـعة أيّـام... ثمّ تعثـر عليه في اليـوم التاسـع، ويعتقدون أنّه فقـدوه في غابة ووجـدوه... وينهون احتفالاتهم بالشـكر والإعجاب**».

● «**الرحالـة الفرنسي جان بابتيسـت كان... من أوائل الذين شـاهدوا طقوس قتال الشوارع**».

● «**أسـوء الاصطدامـات في الذكرى السـنوية لمقتل الحسـين... ويدمـي كلّ طرف الآخر ضرباً على الرأس**».

لم نجد مثل هذا التصوير البشـع والمقزّز والخارج عن الإنسـانية عند من كتب عن الشـعائر، فمَن من الشـيعة يعتقد أنّه فقد الإمام الحسـين عليه السلام ووجده في غابة؟! وأين هو قتال الشوارع؟! وأين هو هجوم البعض على البعض الآخر؟! هذا **أوّلاً**.

وثانياً: من الرحالة مَن أعطى صورةً جميلةً عن الشعائر في تلك الفترة، أمثال:

● بيتر ودلاواله، فيقول في زيارته لإيران عام (١٦١٨م/ ١٢٠٧هـ): «**تبدأ العشرة الأُولى من محرّم، والتي تُسـمّى عاشـوراء، بهذا اليوم (الأول من محرَّم)، ويقيم الإيرانيون طـوال هذه الفترة المآتم ومجالس العزاء، ويحيون ذكرى الحسـين بـن علي وفاطمة، وهي ابنـة نبيِّ الإسـلام الوحيـدة، ويرثون نهايته المحزنـة، وهو المقدّس لدى جميع المسـلمين، لكنه الإمام الحقّ لدى الشـيعة، وينحدر الملك الفعلي من سـلالته، وتقاليد العزاء تكون على النحو التالي: يظهر الجميع بمظهر الحزن والألم، مرتدين زيّ الحداد باللون الأسـود، اللون الذي لم يسـتعمل في المناسـبات الأُخرى، ولا يحلق أحدٌ رأسه أو ذقنه ولا يستحم، ويجتنبون المعاصي والمنكرات، وحتى الملذات**»[1].

---

(١) أُنظر: الجويني، محمد صالح، تاريخ المأتم الحسيني من الشهادة إلى العصر القاجاري، مجلّة نصوص معاصرة: العدد٩، ص٩٨ـ١٠١.

● جملي كاري، وقد زار إيران عام (١١٠٥هـ)، في عهد الملك سليمان الصفوي، وقال عن هذه الطقوس: «**بدأت يوم الإثنين المصادف الثالث والعشرين من شهر آب، طقوسٌ في غاية الحزن بحلول الشهر** [القمري] **الجديد، ويقيم الإيرانيون هذه الطقوس كلَّ عام لإحياء ذكرى إماميهما الحسن والحسين، ابني علي، وتستمرّ هذه الطقوس لعشرةٍ أيَّام، وتوضع طيلة هذه الفترة كراسي في الساحات والمعابر، يجلس عليها ـ بين حين وحين ـ خطيبٌ يتحدَّث عن مناقب القتلى والمصائب التي حلَّت بهم، ويحضر جميع الناس للاستماع إلى المواعظ والمراثي، مرتدين ثياباً سوداء أو حمراء، معبّرين بذلك عن حدادهم**»[١].

بعد استعراض هذه النصوص المنصفة نتساءل: لماذا التأكيد على نماذج تعطي تاريخاً أسود حول الشعائر دون ذكر الجميل منها؟ أي: لماذا هذه الانتقائية؟!

حقيقة التديُّن الشيعي

«**إنّ هناك ارتباطاً وثيقاً في شعائر جلد الذات بين التكفير عن الذنب والاستعداد لتحمل الألم مع بعضهما البعض، ويشكلان النواة الحقيقية للتديُّن الشيعي، فالشيعي الخاطئ يستحق الموت، والموت وحده قادر على تحريره من خطيئته، ففي الجلد تتحوّل التضحية بالذات المستحقة إلى طقسٍ؛ وبالتالي تصبح قابلة للتكرار، أي: غير مميتة. فبسفك دمه يكفِّر عن جزءٍ من ذنوبه، ويكتسب العيش سنة أُخرى حتى عاشوراء القادمة**»[٢].

تعبيره (جلد الذات) أراد به حسب السياقات التي استخدم فيها هذا التعبير هو الضرب على الصدر (اللطم)، وضرب السلاسل، أمَّا الضرب بالسيوف أو القامات فعبَّر عنه بالشعائر الدامية. هذا **أوَّلاً**.

---

(١) أُنظر: المصدر السابق: ص١٠١.

(٢) أُنظر: هالم، هاينس، الشيعة: ص٧٩.

وثانياً: «يشير مصطلح جلد الذات إلى معنيين:

أ ـ معنى مادِّي: وهو إلحاق الضرر بالجسد بغرض اللذة والتمتع.

ب ـ معنى معنوي: وهو الذي يشير إلى لوم الإنسان لنفسه أو حرمانها؛ لارتكابه سلوكيات خاطئة»[1].

وكلا المعنيين لا علاقة له باعتقاد الشيعة، ولا يوجد مَن يقصدهما في ممارسته للشعائر الحسينية، وإنّما هذا اجترار من الباحث لفكرة فَهْمِ الشعائر الحسينية من خلال فعل التوابين، وقد تقدَّم الكلام في هذا الموضوع.

ولعلَّ المشكلة هي في إسقاط هذا المصطلح من أجوائهم البحثية على أجواء الإسلام، أو في فهم خاطئ لما يجري، فصاروا يُطلقون مثل هذه المصطلحات، كما في مصطلح (ملالي) الذي كثيراً ما تجده في كتب المستشرقين ويريدون به العلماء، مع أنّه قد استخدم هذا المصطلح من قِبل الشيعة في فترة محدودة، واستخدمه غيرهم للتقليل من شأنهم، ومع ذلك فقد عممه الاستشراق على علماء الشيعة.

وثالثاً: هذه العبارة مبنيةٌ على ما أسَّسه في الفصل الأول من كتابه (الشيعة)، الذي توصل فيه إلى: «**أنّ حركة التوابين الكوفية تشكِّل المنشأ الحقيقي للإسلام الشيعي، فقد صاغت هذه الحركة جميع العناصر الجوهرية ومفاهيم التديُّن الشيعي، وأهمها: الفشل، والندم، والتوبة، والعقاب**»[2].

هذه العبارة في قمة الغرابة، وهي خالية من الإنصاف والتحرِّي العلمي، فكيف لحركة جاءت بعد التشيُّع بـ(٦٥) سنة أن تشكل المنشأ الحقيقي لهذا المذهب؟! لا أُريد أن أُطيل الكلام في هذا المبحث، ولكن أكتفي بذكر كلام لمستشرق آخر عن التشيُّع، وهو الفرنسي (هنري كوربان)، فبعد أن بيَّن التشيُّع بدقةٍ وإنصافٍ ختم بحثه بهذا الكلام: «**بقي [أي: التشيُّع] حتى الآن غير مفهوم من قبل السنّة على وجه العموم،**

---

(١) نجار، حسن محمد، الذات المبدعة بالنقد لا بالجلد: ص٢.

(٢) هالم، هاينس، الشيعة: ص٣٨.

وليس أقل تجاهلاً في الغرب حيث يميلون خصوصاً إلى التعاطف مع مزايا الإسلام السنّي الذي يتمتع بالأغلبية، ويتجنبون هكذا مسائل مزعجة فيما يتعلق بالأفكار المبطنة»[1].

والإسلام الشيعي هو الإسلام الأصيل الذي جاء به النبيُّ المصطفى صلى الله عليه وآله، وبسط الكلام في هذا الموضوع يحتاج إلى التوسعة في البحث لا يسعها هذا المقال[2].

ومجمل الكلام، إنّ ما تقدم من تصوير التشيّع من قبل (هاينس هالم) هو محض افتراء، والمقصود منه بيان أنّ التشيّع خالٍ من أيِّ محتوى فكري، وأنّه لا يحمل إلَّا العُقد النفسية، هذا من جانب الإسلام الشيعي، وكذلك الإسلام السني، فقد عمد الكاتب إلى تفريغ محتواه في كتابه (الغنوصية في الإسلام).

ومع الأسف ينظر الاستشراق دائماً إلى الإسلام كعناصر مفككة يبحث عن أصل أو مصدر لها، ولا يبحثه ككلٍّ في وحدته، ومن حيث هو حضارة بالقياس إلى حضارات أُخرى تقدمته مع التركيز على التشابه والتكرار والنقل[3].

الحكم الثوري والأغراض الخاصة

أمَّا الحكم الثوري في إيران الحالية، فهو «**يفضّل توجيه الحماس الديني نحو تحقيق أغراضه الخاصة، ففي المسيرات الجماهيرية يجلد المشاركون ظهورهم (غير العارية) بصورة رمزية فقط بأسواط مؤلَّفة من سلاسل صغيرة**»[4].

القضية ليس كما ذهب إليه الباحث، وإنّما هناك ثلاثة اتِّجاهات في قراءة المراسم

---

(١) كوربان، هنري، الشيعة الاثنا عشرية: ص٦٠.

(٢) لكي تعرف الكثير عن هذا الموضوع راجع الكتب التالية: أصل الشيعة وأصولها، الشيخ كاشف الغطاء. نشأة الشيعة والتشيُّع، السيِّد محمد باقر الصدر. هوية التشيُّع، الشيخ أحمد الوائلي. الشيعة الاثنا عشرية، المستشرق الفرنسي هنري كوربان.

(٣) أُنظر: يفوت، سالم، حفريات الاستشراق: ص٦٩.

(٤) هالم، هاينس، الشيعة: ص٧٤ـ٧٩.

العاشورائية في الفكر الشيعي:

١ـ الاتِّجاه الفقهي.

٢ـ الاتِّجاه الثقافي.

٣ـ الاتِّجاه النهضوي.

وهذا الأخير ـ النهضوي ـ تعاطى مع الشعائر الحسينية تعاطياً عملياً، حيث أراد منها أن تكون الفرصة المتكرِّرة للتأسي بحركة الإمام الحسين عليه السلام الاستشهادية في نظرتها للحقِّ والعدل، وموقفها من الباطل والظلم والجور. ولطالما أكَّد هذا الاتجاه على ضرورة استحضار الأحداث والدلالات العاشورائية في حياتنا الإسلامية، والتعامل معها وكأنّ الإمام الحسين عليه السلام يخاطبنا الآن ويطرح أمامنا المهام.

ولذلك تبنّى هذا الاتجاه ما يلي:

١ـ المواجهة هي الطريق الأسلم، ولا بُدَّ من سلوكه وإن قلَّ العدد وكثر العدوّ.

٢ـ إقامة العدل وإزالة الجور مهما كان الثمن.

٣ـ حفظ الإنجاز الذي حقَّقه الإمام الحسين عليه السلام.

٤ـ معيار الانتصار الحقيقي هو حفظ الإنجاز المحمدي ـ الحسيني مهما تقلبت الظروف والأيام.

٥ـ الإحياء للشعائر الحسينية يبعث كلَّ روحٍ استشراف المستقبل الزاهر بالنصر الأكيد[1].

فالمسألة ليست مسألة أغراض خاصَّة بقدر ما هي فهم آخر للنهضة الحسينية، ولا أظن أنّ هذه المسألة غائبة عن الباحث، وإنّما الغرض تثبيت صورة عن الفكر الشيعي السياسي بأنّه براغماتي ونفعي ولا يستند إلى الدين؛ لكي تكتمل الصورة المشوّهة التي عرضت عن الإسلام الشيعي من خلال الحلقات المتقدِّمة.

---

(١) للتوسُّع في فهم هذه الاتِّجاهات اُنظر: جرادي، شفيق، الشعائر الحسينية من المظلومية إلى النهوض: ص١١٩ وص١٤٥.

تشويه المرجعية الشيعية

«إلّا أنّ أكثر رجال الدين نشأوا منذ طفولتهم ضمن هذه التقاليد التي تمارسها طائفتهم منذ مئات السنين؛ ولذلك يرون في الشعائر الدامية أمراً عادياً تماماً، بل فعلاً يستحق الأجر والثواب»[1].

يقصد الباحث برجال الدين: مراجع التقليد، ومن المعروف في الفقه الشيعي أنّ هذه الطبقة من الناس لها مواصفات لا ينالها كلُّ شخصٍ من طلبة العلوم الدينية، فضلاً عن عموم الشيعة، والتناقض ـ الذي افترضه الباحث من عدم قبول الشريعة بهكذا ممارسات، وسكوت رجال الدين عنها وتقبُّلها كان نتيجة تقاليد نشأوا عليها ـ غير صحيح؛ وذلك أنّ الساحة الشيعية فيها أكثر من مرجع تقليد في الأعمِّ الأغلب، خصوصاً في الفترة المبحوث عنها، وهذا يستدعي في حال الاختلاف في الفتوى الشرعية عدم التصدِّي للمخالف بحجَّة أني على اختلاف مع أحدهم في هذه المسألة؛ لأنّ المقلِّد يعمل حسب فتوى مَن يقلِّد، فلا مبرر للتصدِّي في حال اختلاف الفتاوى، ولا دخل للتقاليد والبيئة التي نشأ فيها رجال الدين. وعليه؛ فإنّ الغرض تشويه صورة رجال الدين؛ لكيلا تبقى ركائز يعتمد عليها معرفياً.

مع أنّ التاريخ[2] يشهد للمرجعية الدينية بمواقف كثيرة، ولا أعتقد أنّ الباحث غفل عنها، أو لا يعرف عنها شيئاً، ولكنه أراد أن يدسَّ السَّم في العسل من خلال كلمات ختم بها أبحاثه.

والباحث في قمة الذكاء حين أراد تشويه مسألتين تمثِّل كلتاهما الركائز الأساسية لقوة التشيُّع، وهما: المرجعية الدينية، والشعائر الحسينية. فالمسألة لم تكن اعتباطية في تناول هكذا أبحاث، وإنّما هي مقصودة وعن دراسة واعية.

---

(١) هالم، هاينس، الشيعة: ص٧٨.

(٢) أُنظر: القزويني، الدكتور جودت، المرجعية الدينية العليا عند الشيعة الإمامية.

نتائج البحث

بعد هذه الجولة الوصفية والمعيارية لتاريخ الشعائر الحسينية من خلال عينة استشراقية تمثَّلت بالألماني المعاصر هاينس هالم، يمكن أن نخلص إلى عدَّة نتائج تكون بها خاتمة بحثنا:

١ـ لم يوفق الباحث في القراءة التاريخية للشعائر الحسينية؛ لأنّه بدأ بتاريخ مبتور وفاقد لمرحلةٍ غض الطرف عنها لأسباب لم يصرِّح بها، مع أنّ طبيعة البحث التاريخي تفرض عليه معرفة أمرين:

الأول: ماهية الحدث التاريخي.

الثاني: علل الحدث التاريخي.

وفي كلا الأمرين لم يوفق الباحث؛ وذلك لنعته الشعائر الحسينية في الأول بشعائر التكفير والشكوى والحزن ولوم الذات، انطلاقاً من فعل التوابين، وتعليله للثاني بأنها موروثات بدائية رافدية عراقية. وهذا ليس بغريب لباحث ينتمي لمدرسة تعتمد على المنهج التاريخاني ـ الذي هو رؤية مادية جامدة لا تؤمن إلَّا بالحسِّ ـ في قراءتها للتاريخ الإسلامي الذي يصطدم مع الحقائق الدينية[١].

٢ـ ممَّا يؤاخذ به الباحث بقوَّة أنّه لم يذكر مصدراً شيعياً واحداً في بحثه، فكيف له أن يقرأ التاريخ الخاصّ بهم؟! وهو مجانب للإنصاف العلمي والموضوعي المدَّعى.

٣ـ أعطى الباحث صورةً مشوّهةً عن الشعائر الحسينية بكلِّ مفاصلها التي قرأها، وهذا ما يجعلنا نخالف مَن يدَّعي أنّ المدرسة الألمانية كانت أكثر موضوعية بالقياس إلى باقي المدارس الاستشراقية؛ باعتبارها لا تنطلق من مآرب سياسية حول المشرق من احتلال وغيره[٢].

---

(١) أُنظر: المطوري، محمد سعدون، الاستشراق الألماني ودوره في الدراسات الشرقية، مجلَّة دراسات استشراقية: العدد٣، ص٢١٤.

(٢) أُنظر: المنجد، صلاح الدين، المستشرقون الألمان: ج١، ص٧.

٤ـ كشف البحث أنّ غرض الكاتب تفريغ الإسلام الشيعي من كلِّ شيءٍ، فمنشأ التديُّن نابع من عُقد نفسية، وشعائره من موروثات وضعية بدائية، ومرجعياته الدينية بسيطة، وعقائده هشَّة وساذجة، وتاريخه مقزز وبشع، ومشروعه السياسي براغماتي نفعي، والنتيجة إسلام فارغ؛ وبذلك تعثر الاستشراق في بيان حسن النية ودعوة الموضوعية في البحث العلمي في إحدى حلقاته، وهي المدرسة الألمانية المتمثلة بـ (هاينس هالم).

دور المرجعية في حفظ الشعائر الحسينية

مصطفى ماجد الدالي*

تمهيد

لطالما كان للمرجعية الدور الفاعل في حفظ الدين وصيانته من التلاعب؛ إذ نلاحظ على مرّ العصور والدهور أنها لم تألُ جهداً في التصدّي والذود عن حريم الإسلام، وذلك من خلال إصدار الفتاوى والأحكام، والتصدّي للهجمات بشتى السبل.

ومن الواضح أنّ الشعائر الحسينية هي من أبرز تجليات الدين، ومن الركائز الأساسية التي تصب في مصلحة المجتمع المتدين، فهي الأساس لاستمرار الارتباط بالقضية الحسينية التي أُريد منها إيقاظ ضمير الأُمة المسلمة، ولفت نظرها إلى ما يداهم الدين الحنيف من مخاطر، تلك القضية التي كانت ولا تزال جرحاً لا يندمل على مر العصور والدهور، حتى إنّ أهل البيت عليهم السلام في كثير من المواطن بيّنوا هذا المعنى بعبارات مختلفة ومتعدّدة، كقول الإمام الرضا عليه السلام: «**إنّ يوم الحسين أقرح جفوننا، وأسبل دموعنا، وأذلّ عزيزنا بأرض كرب وبلاء، وأورثنا الكرب والبلاء إلى يوم الانقضاء**»[1]، وغير ذلك من الأقوال، وهي إن دلّت على شيء فإنما تدلّ على عظم المصيبة التي لا تنتهي إلى يوم الانقضاء، ولذا؛ فعلينا أن نساهم في الحفاظ عليها

---

* باحث إسلامي، من العراق.

(١) ابن طاووس، علي بن موسى، إقبال الأعمال: ج٣، ص٢٨.

وعلى استمراريتها، وذلك بإحيائها وإبقائها نقية من جميع ما يدنّس حرمتها، سواء من الخارج أم من الداخل.

وباعتبار أنّ المرجعية تمثل النيابة العامّة عن الإمام عليه السلام، والنموذج المثالي للإنسان المؤمن الذي يحافظ على مقدّساته وشعائره، فقد تصدّت للحفاظ على الشعائر الحسينية بأساليب مختلفة؛ إيماناً منها بأن تلك الشعائر هي التي تحافظ على استمرار الخط الحسيني، فأصدرت الفتاوى، وسوّرت الشعائر، وأحيتها بالحضور والدعم، وتصدّت للهجمات عليها من الخارج ومن الداخل، فها هو التاريخ يحدّثنا عن دور المرجعية في حفظ الشعائر الحسينية، والأساليب التي اتبعتها في ذلك، ومن تلك الأساليب:

١ـ بيان معنى الشعائر الحسينية.

٢ـ تحديد الضابطة للشعائر الحسينية.

٣ـ التأييد العلمي والمعنوي.

٤ـ التأييد بالحضور الميداني في مراسم الشعائر الحسينية.

٥ـ التصدّي لردّ الهجمات على الشعائر الحسينية.

١ـ معنى الشعيرة

من الأساليب التي اتّبعها العلماء في حفظ الشعائر الحسينية هو بيان معنى الشعيرة؛ لتتميز عن غيرها من الأفعال التي قد تُنسب إليها، مستندين في ذلك إلى المعنى اللغوي القائل: بأنّها ما جُعل عَلَماً لطاعة الله تعالى، فقد قيل إنّ: شعائر وشِعارُ الحج: مناسكه وعلاماته وآثاره. كما صرّح بذلك الجوهري في الصحاح[1]،

(١) أُنظر: الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح: ج٢، ص٦٩٨.

وابن منظور في لسان العرب[1].

وقد ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ﴾[2]، في مجمع البيان: «**أي: معالم دين الله، والأعلام التي نصبها لطاعته. ثم اختُلف في ذلك، فقيل: هي مناسك الحج كلّها، عن ابن زيد... وقيل ـ شعائر الله ـ: دين الله كلّه**»[3].

كما ذكروا لها معنى اصطلاحياً له جذوره اللغوية، فقد قال بعض العلماء في بيان ماهيّة الشعيرة: «**علامة حسّيّة لمعنىً من المعاني الدينيّة، ولكنّ هذه العلامة ليست تكوينية، ولا عقلية، ولا طبعية، وإنّما هي علامة وضعية. فالشعائر هي التي تفيد الإعلام، وكلّ ما يُعلِم على معنى من المعاني**»[4].

وعليه؛ يتبين من التعريفين اللغوي والاصطلاحي: أنّها كلّ ما كان علامة على معنى من المعاني، وهي وضعيةٌ (من وضع واضع). إذن؛ فالشعائر الحسينية هي علامةٌ من علامات القضية الحسينية.

٢ـ تحديد ضابطة الشعائر الحسينية

لا يمكن القول: بأنّ للشعائر الحسينية حدوداً وضوابط واضحة المعالم وصريحة الدلالات، وإنّما يمكن أن نقول: إنّ الفقهاء وضعوا بعض العلامات والملامح التي يمكن من خلالها معرفة الشعيرة، وتمييزها ـ ولو جزئياً ـ وهي:

١ـ كون الفعل علامةً لمعنىً من المعاني الدينية كالقضية الحسينية.

---

(١) أُنظر: ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج٤، ص٤١٤.
(٢) الحج: آية٣٢.
(٣) الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان: ج٧، ص١٥٠.
(٤) السند، محمد، الشعائر الحسينية بين الأصالة والتجديد: ص٦٧.

٢ـ وكون الفعل مباحاً شرعاً، فلا يُعقل عدّ الفعل المحرّم شعيرة من شعائر الله!

٣ـ ومن الضوابط للشعائر كون الفعل داخلاً ضمن الجزع والتفجّع على الإمام الحسين عليه السلام، فقد قال علماؤنا بجواز البكاء والجزع على الإمام الحسين عليه السلام بكلّ مصاديق الجزع، سواء باللطم على الصدور أم الوجوه، بل إنّ ذلك من الأُمور المستحبة أيضاً، كما ذكر آية الله العظمى الميرزا جواد التبريزي قدس سره في جوابٍ عن استفتاء حول رأيه في مراسم الشعائر الحسينية، فأجاب سماحته: «**كل مظهر من مظاهر العزاء إذا صدق عليه عنوان الحزن والجزع لمصائب أهل البيت عليهم السلام فهو من الأُمور المستحبّة...**»[1]، فقد جاء في الروايات: «**على مثله** [الحسين عليه السلام] **تُلطم الخدود وتُشقّ الجيوب**»[2]، بشرط عدم الوصول إلى الجناية على النفس[3]، وقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «**كلّ الجزع والبكاء مكروه، ما خلا الجزع والبكاء لقتل الحسين عليه السلام**»[4].

فنلاحظ أنّ الرواية تبيّن حكم البكاء والجزع وهو الكراهة، مستثنية منه البكاء والجزع على الإمام الحسين عليه السلام؛ لكونه من العلامات للقضية الحسينية.

ويراد من الجزع في كتب اللغة ما هو أعمّ من الحزن والبكاء، وإنّما هو شدّة الحزن وشدّة البكاء، أو هو كلّ مظهرٍ من مظاهر شدّة الحزن، بل: «**قيل: هو أشدُّ الحزن الذي يمنع الإنسان ويصرفه عمّا هو بصدده، ويقطعه عنه**»[5].

---

(١) رابطة فذكّر الثقافية، فتاوى الفقهاء والمراجع في الشعائر الحسينية: ص١٤٧.

(٢) الطوسي، محمد بن الحسن، تهذيب الأحكام: ج٨، ص٣٢٥. الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج٢٢، ص٤٠٢.

(٣) أُنظر: النجفي، محمد حسن، جواهر الكلام: ج٤، ص٣٦٨. الخوئي، أبو القاسم، صراط النجاة (مع تعليقات وملحق للميرزا جواد التبريزي): ج٣، ص٤٤٢ـ٤٤٣.

(٤) الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج١٤، ص٥٠٥.

(٥) الزبيدي، محمد مرتضى، تاج العروس: ج١١، ص٦٤.

٣ـ التأييد العلمي والمعنوي

تصدّت المرجعية الدينية على مرّ العصور والأزمان للحفاظ على مراسم الشعائر الحسينية، وذلك تارة من خلال الحرص على استمراريتها، والسعي لتطويرها، وإضفاء السمة الشرعية على بعض الموارد التي ينطبق عليها عنوانها، لتصدر الفتاوى بجوازها أو استحبابها، وأُخرى بتحريم بعض الممارسات التي تهدّد قدسية الشعائر الحسينية، وقد تحصّل من ذلك كلّه كتب ورسائل مختصة في مجال الفتاوى والبيان العلمي للأدلة المثبتة لشعائر الحسين عليه السلام؛ ساعدت على تكميم أفواه الأعداء والمغرضين.

وسنعرض فيما يلي نماذج من فتاوى العلماء في الشعائر الحسينية:

١ـ آية الله الحاج الشيخ جعفر كاشف الغطاء الكبير قدس سره (ت ١٢٢٨هـ)

قال رحمه الله: «**وأما بعض الأعمال الخاصّة الراجعة إلى الشرع، ولا دليل عليها بالخصوص فلا تخلو من أن تدخل في عموم الدليل، ويُقصد بالإتيان بها الموافقة من جهته لا من جهة الخصوصية... [إلى أن قال:] كما يصنع في مقام تعزية الحسين عليه السلام من دق طبل إعلام أو ضرب نحاس وتشابيه صور، ولطم على الخدود والصدور؛ ليكثر البكاء والعويل**»[١].

٢ـ العلّامة الكبير الشيخ خضر بن شلال رحمه الله (ت ١٢٥٥هـ)

إذ قال: «**الذي يُستفاد من مجموع النصوص ـ ومنها الأخبار الواردة في زيارة الحسين المظلوم، ولو مع الخوف على النفس ـ يجوز اللطم والجزع على الحسين كيفما كان...**»[٢].

---

(١) كاشف الغطاء، جعفر، كشف الغطاء عن مبهمات الشريعة الغراء: ج١، ص٢٧٠.

(٢) مجموعة من العلماء، رسائل الشعائر الحسينية (جمعها وحقّقها وعلّق عليها الشيخ محمد الحسون): ج٢، ص٣٠٥.

٣ـ الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء قدس سره (ت ١٣٧٣هـ)[1]

قال: «الجزع والبكاء في المصائب مهما عظمت قبيح ومكروه، ولكن صادق

---

(١) له مؤلَّفان في هذا المجال:

أ ـ المواكب الحسينية: وهي الرسالة الثالثة التي وجّهها إلى أهالي البصرة ردّاً على سؤالهم.

ب ـ المسائل القندهارية: تكلّم فيها عن حكم إقامة الشعائر الحسينية في جواب عن سؤال ضمن أسئلةٍ وردت إليه من قندهار، والتي طُبعت سنة (١٣٢٩هـ)، بعد ذلك قام السيد الشهيد محمد علي القاضي بترجمتها إلى العربية، وطبعها في أوّل (الفردوس الأعلى) سنة (١٣٧١هـ) في النجف الأشرف، وسنة (١٣٧٢هـ) في تبريز.

ويجد القارئ الكريم أنّ رأي سماحته مختلف في الكتابين حول حكم الشعائر الحسينية، فقد جوزها جميعاً في المواكب الحسينية، وحرّم بعضها في المسائل القندهارية ضمن (الفردوس الأعلى).

وعند رجوعنا إلى الرسالة الموسومة بـ(المواكب الحسينية) تبين لنا أنها طُبعت في سنة (١٣٤٥هـ) منفردةً، وطُبعت ضمن كتاب (الآيات البينات) في نفس السنة، بينما كان تاريخ طباعة (المسائل القندهارية) في سنة (١٣٣٩هـ)؛ وعليه يكون تاريخ الفتاوى المذكورة في (المواكب الحسينية)، متأخّراً عما ذكر في (المسائل القندهارية)، فيؤخذ بالرأي المتأخر. ولكن نُقل أنّه عندما تُرجم كتاب الفردوس الأعلى إلى العربية وطُبع (سنة١٣٧١هـ)، كان ذلك بإجازة ومراجعة منه قدس سره وتقريضه له، وقد جعل آراءه في (الفردوس الأعلى) و(جنة المأوى) ختام مسك حياته، أي: إنّه أقّر ما ورد في (الفردوس)، فيكون الرأي الأخير له رحمه الله هو الذي في (الفردوس)، وهو حرمة تلك الممارسات. اُنظر: مجموعة من العلماء، رسائل الشعائر الحسينية (جمعها وحقّقها وعلّق عليها الشيخ محمد الحسون): ج١، ص٩٢ ـ ٩٧. وهذا القول مناقشٌ فيه من جوانب متعدّدة، منها:

١ـ إنّ كتابته للمسائل القندهارية كان جواباً عن أسئلة وردته من قندهار في سنة (١٣٣٩هـ)، متقدمةً على رسالته (المواكب الحسينية) المطبوعة سنة (١٣٤٥هـ).

٢ـ لو فرضنا أن رأيه هو ما ذكر في (المسائل القندهارية)، فلماذا أجاب بغيره في رده على أهل البصرة برسالته (المواكب الحسينية) مع أنها متأخرة عن أسئلة أهل قندهار؟ فهل تغير رأيه؟ أو أنه راعى خصوصية المكان، وخصوصية السائل وما يقوم به وما سأل عنه؟

٣ـ نعتقد أنّ سبب الاختلاف في الفتوى ناشئ عن خصوصية للمكان في إصدار الفتوى، وخصوصية لطبيعة الناس وما يقيمونه من مراسم للشعائر الحسينية؛ إذ كل ذلك له أثر في تغير الفتوى.

٤ـ إنّ تحريمه لبعض الشعائر في المسائل القندهارية إنما هو بالحكم الثانوي، والحكم الثانوي يعتمد على تحقق موضوعه، وإلا يبقى الحكم الأولي ساري المفعول.

٥ـ إن القول بأنّ رأيه الأخير هو الذي في الفردوس الأعلى بعد ترجمة الكتاب ومراجعته له، وتقريظه له صحيح، ولكن يبقى ما تحت عنوان (المسائل القندهارية) خاص بتلك المنطقة، وإن كان مندرجاً في كتاب الفردوس.

أهـل البيـت عليهم السلام يقـول في حديث معتـبر: البـكاء والجزع كلّـه مكروه إلّا على الحسـين (صلـوات الله عليـه)... شـقّ الجيـوب عـلى الفقيـد وخمـش الوجوه محـرّم في الأشـهَر، ولكن صادق أهل البيت عليهم السلام يقول في حديث وثيق: على مثل الحسـين فلتشـقّ الجيوب، ولتخمش الوجوه ولتلطم الخدود»[1].

وقال في موضعٍ آخر: «أمّا الحكم الشرعي من تلك المظاهرات والمواكب فلا إشكال في أن اللطم على الصدور وضرب السلاسل على الظهور وخروج الجماعات في الشوارع والطرقات بالمشـاعل والأعلام مباحة مشروعة، بل راجحة مسـتحبة، وهي وسـيلة من الوسـائل الحسـينية، وباب من أبواب سـفينة النجاة. نعم، إلّا أن يُعلـم بعروض عنوان ثانـوي يقتـضي حرمـة شيء من تلك الأعمال الجليلـة... أما الألم الذي يـزول بسرعة فلا يوجب الحرمة... أمّا الجزئيات فليس من شأن الفقيه ولا من وظيفته...»[2].

٤ـ آية الله السيد أبو القاسم الخوئي قدس سره (ت ١٤١٣هـ)

ما ورد من اسـتفتاء لسماحة آية الله السـيد أبي القاسم الخوئي قدس سره المذكور في كتاب صراط النجـاة، يجيب فيه عن لطم الصدور، وهذا نصُّه: «ما هو نظركم الشـريف في لطم الصدور في مجالس عزاء سـيّد الشـهداء، مع كون الناعي (الرادود) ينقل في شِـعره وغيره قضايا اجتماعية وأحداث الساعة؟

بسـمه تعـالى، لطـم الصـدور في عـزاء سـيد الشـهداء عليه السلام وسـائر الأئمّـة داخل في عزائهم عليهم السلام، وأما اللطم في غير ذلك مما لا يرتبط بعزائهم وعزاء علماء الدين والمنتسبين لأهل البيت فلا يرجى فيه الثواب، والله العالم»[3].

---

(١) وردت الإشارة إلى مصدره في هامش سابق فراجع.

(٢) مجموعة من العلماء، رسائل الشعائر الحسينية (جمعها وحقّقها وعلّق عليها الشيخ محمد الحسون): ج١، ص٩٢ـ٩٧.

(٣) الخوئي، أبو القاسم، صراط النجاة (مع تعليقات وملحق للميرزا جواد التبريزي): ج٣، ص٤٤٢.

هـذه جملة من فتاوى كثيرة لعلمائنا حول مراسـم الشـعائر الحسـينية[1]، متصدّين فيها للحفاظ على هذه المراسـم والذود عنها؛ لئلا تشـوبها شائبة تخرجها عن هدفها، تلك الشوائب التي يتحيّن أعداء الدين الفرص لإلقائها ضمن معتقداتنا؛ سعياً منهم لإبعادنـا عن أهـل البيت عليهم السلام وعن طريقهـم؛ فيصفون هذه المراسـم بالخرافات، أو يقومون بدس ما هو خارج عنها فيها، فيأتي هنا دور المرجعية في الحفاظ عليها، وذلك بإصـدار الفتـاوى، والرد على الأسـئلة والاسـتفتاءات التي ترد عليهـم من الناس، مبينـين وشـارحين لحكم هذه الأعمال، وأنها داخلة ضمن الجـزع والحزن على الإمام الحسـين عليه السلام، أو أنهـا خارجة عنه، وهل هـي أعمال مباحة، أو أنهـا خرجت عن حيز الإباحة إلى الحرمة؟ كل ذلك لأجل الحفاظ على الدين، وكل ما يمت له بصلة، وأداءً لواجبهم في رعاية الإسلام، بصفتهم نواباً للإمام المعصوم عليه السلام، حفظ الله مرجعيتنا.

٤ـ التأييد بالحضور الميداني في مراسم الشعائر الحسينية

تعددت الأسـاليب الداعمة للشعائر الحسـينية والقائمين عليها من قبل المرجعية الدينية، إذ اعتمدوا بعض الطرق المؤثرة والمتعاضدة في الدلالة على دعمهم وتأييدهم لتلك الشعائر، ومن بين تلك المواقف التي شغلت مساحة واسعة في ذلك هو التأييد الميداني، إما بالحضور في المراسم ومشاركة المعزّين، أو بدعمها مادياً، سواء ببذل المال من أجل إقامتها، أو بأن يقيمها المرجع نفسه في دراه، ومن المراجع الذين كان لهم هذا الدور:

١ـ الميرزا محمد حسن الشيرازي قدس سره (ت ١٣١٢هـ)

هو محمد حسـن بن الشـيخ محمـود الشـيرازي النجفي المعروف بالمجـدّد، أعظم

(١) من أراد أن يراجع فتاوى العلماء الماضين منهم والمعاصرين، فهناك كتاب جمع الفتاوى موثقة بصورة بخطهم المبارك وختمهم، وهو: فتاوى الفقهاء والمراجع في الشعائر الحسينية، إعداد رابطة فذكّر الثقافية.

علماء عصره وأشهرهم، وأعلى مراجع الإمامية في سائر الأقطار الإسلامية في وقته، عاش بين الفترة (١٢٣٠ ـ ١٣١٢هـ)[١].

موقفه:

كان موكب الشبيه في وقته يخرج من منزله، وكذلك المواكب اللاطمة، وقد كانت تلك المواكب تتألف من طلاب العلوم الدينية وغيرهم، واستمر هذا كلُّه بجميع التفاصيل المتقدمة إلى آخر أيَّام الميرزا محمد تقي الشيرازي (ت ١٣٣٨هـ)، وقد ذُكر أنها ـ كما كانت تخرج من داره ـ تعود كذلك في نهاية المطاف إليها، لتكون المحطة الأخيرة لاختتام ذلك العزاء[٢].

ويمكن أن نستنتج من هذا الموقف، الدعم والتأييد الواضح لتلك الشعائر التي تنطلق من منزله، إذ لا شك في أنه مراقب لها عن كثب؛ ولعل هدفه من ذلك كلّه أن تكون بمرأى ومسمع منه، فيصونها عن الانحراف والضياع.

٢ـ آية الله العظمى الشيخ محمد طه نجف (ت ١٣٢٣هـ)

هو الشيخ محمد طه بن الشيخ مهدي بن الشيخ محمد رضا التبريزي النجفي، مرجع كبير من مشاهير علماء عصره، شهد باجتهاده فحول العلماء وكبار الفقهاء، وعدّ في مصافّ أعلام عصره النابهين[٣].

---

(١) أُنظر: الأمين، محسن، أعيان الشيعة: ج١، ص١٣٩. آقا بزرگ الطهراني، محمد محسن، الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ج٢٥، ص٢٠٧.

(٢) أُنظر: المظفر، إبراهيم بن حسن، نصرة المظلوم: ص٩٨ ـ ٩٩. وأيضاً: ما نُقل في كتاب: رسائل الشعائر الحسينية: ج٢، ص٣٠٦ ـ ٣٠٧، عن رسالة (رنة الأسى) للشيخ عبد الله السُبيتي العاملي (ت١٣٩٧هـ). وأيضاً: القائم، منتظر، مقال منشور على موقع منتديات يا حسين بعنوان: (الشعائر الحسينية في قصص المراجع): *http://www.yahosein.com/vb/showthread.php?t=33575*.

(٣) أُنظر: الأمين، محسن، أعيان الشيعة: ج٩، ص٣٧٥. آقا بزرگ الطهراني، محمد محسن، الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ج٧، ص١٢٧.

موقفه:

لقد أقام الشيخ قدس سره مأتم الإمام الحسين عليه السلام في منزله، ومن أوضح ما ذكر حول هذا المأتم هو أنّ المجلس كان يمتلئ بالعلماء وأهل الدين، وكان في يوم مُعيَّن مِن كلِّ سنة يؤدّى في المأتم نفسه تمثيل بعض وقائع الطفِّ، وكانت المواكب جميعاً تدخل في داره، فيشارك قدس سره باللطم والبكاء معهم[1].

وليس خافياً على القارئ الكريم أنّ موقفه قدس سره هذا له من الدلالات الواضحة على دعمه وتأييده لهذه المراسم، في جميع الموارد التي قام بالمشاركة فيها وأدخلها في داره.

٣ـ آية الله العلّامة الشيخ محمد جواد البلاغي قدس سره (ت ١٣٥٢هـ)

هو الشيخ محمد جواد بن الشيخ حسن بن الشيخ طالب بن الشيخ عباس بن الشيخ إبراهيم بن الشيخ حسين بن الشيخ عباس بن الشيخ حسن البلاغي النجفي الربعي، وينتهي نسب آل البلاغي إلى قبيلة ربيعة إحدى قبائل الحجاز، وقد عاش بين الفترة (١٢٨٢هـ ـ ١٣٥٢هـ).

موقفه:

إنّه قدس سره ممَّن حضر مراسم الشعائر الحسينية على الرغم من كبر سنه وضعف بدنه، كما قد ذُكر عنه أن لديه عقيدة راسخة بسيد الشهداء عليه السلام، ويُقال: إنّ الفضل يعود إليه في الطريقة المنظمة والحضور الحاشد للمواكب والحسينيات في يوم العاشر من محرم في كربلاء المقدسة، فقد كان يتقدّم مواكب العزاء[2]، ويسير أمامهم حافي القدمين حاسر الرأس، وهو يضرب على صدره، ومن خلفه جمهور المؤمنين المعزّين يلطمون

(١) أُنظر: المظفر، حسن، نصرة المظلوم: ص١٠٠.

(٢) أُنظر: مجموعة من العلماء، رسائل الشعائر الحسينية (جمعها وحققها وعلق عليها الشيخ محمد الحسون): ج١، ص٦٦.

الصدور والرؤوس[1].

لقد كان لموقف العلّامة آية الله البلاغي قدس سره الأثر البالغ في ترسيخ ودعم الشعائر الحسينية؛ إذ كان الناس يستمدّون من حضوره في تلك المواكب العزائية وخروجه مع المعزّين أشد مراتب الإصرار والتفاني في إحياء شعائر عاشوراء، ويتلقّون من موقفه هذا أعلى درجات التأييد لها.

ومن الجدير بالذكر أنّ العلامة البلاغي قدس سره من العلماء الأفذاذ، له مسيرة علمية وجهادية عظيمة، تتلمذ على آية الله محمد تقي الشيرازي قدس سره، وكان صاحب مؤلفات كثيرة، وله تفسير للقرآن موسوم بـ(آلاء الرحمن في تفسير القرآن)[2].

٤ـ آية الله العظمى الشيخ عبد الكريم الحائري قدس سره (ت ١٣٥٥هـ)

الشيخ عبد الكريم بن محمد جعفر المهرجردي اليزدي الحائري، وهو من كبار الفقهاء في عصره، عاش ما بين (١٢٦٧ ـ ١٣٥٥هـ).

وُلد ونشأ في منطقة ريفية من عائلة معروفة بالالتزام في قرية (مهرجرد)، إحدى قرى مدينة (يزد) الإيرانية، كان أبوه من الصالحين، وقد اهتم بتربيته وتعليمه اهتماماً بالغاً؛ فتعلّم القراءة والكتابة، وورث من أبيه الأخلاق الحميدة والصلاح[3].

موقفه:

وممّا امتازت به شخصية آية الله الشيخ عبد الكريم الحائري رحمه الله علاقته بأهل البيت عليهم السلام، خصوصاً سيّد الشهداء الإمام الحسين بن علي عليهما السلام، ويُنقل أنه كان قبل

---

(١) أُنظر: المظفر، إبراهيم حسن، نصرة المظلوم، تحقيق السيد محمد علي الحلو، طبعة العتبة الحسينية المقدسة: ص٩٨. عقيل عبد الصاحب، مقال على صحيفة الهدى الإلكترونية: *http://www.al-hodaonline.com/np/19-7-2011/rbsh/9q0m3xtz.htm*.

(٢) آقا بزرگ الطهراني، محمد محسن، الذريعة: ج٢، ص٣٢١ـ ٣٢٢.

(٣) أُنظر: آقا بزرگ الطهراني، محمد محسن، طبقات أعلام الشيعة (نقباء البشر في القرن الرابع عشر): ج١٥، ص١١٥٨، رقم ١٦٩٢. كحالة، عمر رضا، معجم المؤلّفين: ج٥، ص٣٢٠.

الشروع بالدرس يأمر بقراءة مصيبة الإمام الحسين عليه السلام، فكان هذا دأبه في كلّ يوم قبل أن يباشر بالتدريس.

ولم يقتصر قدس سره على هذه التعزية أيام الدرس، بل كان داعماً ومؤيداً بفتاواه في مراسم العزاء والشعائر الحسينية، مجيباً عن الأسئلة التي تُطرح حول ذلك، بل كان يخرج بنفسه رحمه الله للمشاركة في العزاء وإحياء الشعائر في أيام عاشوراء، وفي اليوم العاشر كان يخرج حافي القدمين ملطِّخاً جبهته ووجهه بالطين، وكان يشارك مواكب العزاء، فيكون محل أنظار المشاركين، فيمارسون الشعائر الحسينية على خطاه، سواء في لطمٍ أو غيره[1].

٥ـ التصدّي لردّ الهجمات على الشعائر الحسينية

من المعلوم لدينا أنّ الشعائر الحسينية ـ كبقية المسائل المرتبطة بالدين ـ قد أُثيرت حولها بعض الشبهات من قبل المغرضين، إلّا أنّ المرجعية الدينية تصدّت للدفاع عنها وردِّ جميع ما يثار حولها من الأباطيل.

وهنا نورد بعض الشبهات المثارة حول الشعائر الحسينية وكيفية التصدّي لها من قبل المرجعية، وسوف نختار نموذجين لشبهتين من هذه الشبهات التي أثارها بعض أعداء الدين، مع ذكر الردود التي سجلّها علماؤنا الأعلام:

الشبهة الأُولى:

إنّ هذه الأُمور ليست معهودة في زمن المعصومين عليهم السلام، فلم يقم أحد منهم بممارسة تشابه ما يقوم به المعزّون والمشاركون في عصورنا المتأخرة، مع أنّ أهل البيت عليهم السلام هم أصحاب المصيبة، فهم الأجدر بالقيام بهذه الطقوس المعبرة عن الحزن على الإمام الحسين عليه السلام فيما لو كانت موضع رضا لهم، بل لو وجدنا حديثاً عنهم عليهم السلام

(١) أُنظر: الشيرازي، محمد بن مهدي، قصص وعبر: ص٣٠.

يأمرنا بإقامة هذه الممارسات لكان ذلك كافياً في إقناع الآخرين، أمّا إذا لم تتوفر هذه الأُمور تصبح النتيجة لدينا حينها أنها أُمور ابتدعها الشيعة، وأطلقوا عليها اسم الشعائر المذهبية؛ فتكون بدعة، وكلّ بدعة ضلالة، وكلّ ضلالة في النار[1].

الجواب:

من الأجوبة عن هذه الشبهة ما ذكره العلّامة آية الله السيّد علي الحسيني الفاني الإصفهاني رحمه الله، في الفرق بين أن يكون الأمر جديداً ولكنه مستمد من أساسيات الأدلة الدينية، وبين أن يكون بدعة لا أساس له من ذلك، وأنّ الشعائر الحسينية ليست من البدعة في شيء؛ لأنّ البدعة هي تشريع حكم في الدين لم يكن فيه، في حين أنّ هذه الطقوس والمراسم، وإن كانت جديدة، تعبر عن مدى الحزن والجزع على الإمام الحسين عليه السلام، التي أكد المشرع المقدس حبّه لها، فتكون من المستحبات المؤكّدة، فقال رحمه الله:

«ليس كلّ جديد بدعة؛ إذ البدعة المبغوضة عبارة عن تشريع حكم اقتراحي لم يكن في الدين ولا من الدين، والروايات الواردة في ذم البدعة والمبتدع ناظرة إلى التشريع في الدين، بل هي واردة مورد حكم العقل بقبح التشريع من غير المتشرع بعنوان أنه شرع إلهي ومستمد من الوحي السماوي، وإلا فأين محل الشبهات الحكمية التي وردت الروايات بالبراءة فيها، وحكم العقل بقبح العقاب عليها، وبديهي أنّ الشعائر الحسينية ليست كذلك، كيف والإبكاء مأمور به، وهو فعل توليدي يحتاج إلى سبب، وهو إما

---

(١) أُنظر: المصدر السابق. وقد نُشرت أيضاً مع ردودها في طيات الكتب ومواقع الإنترنت: *https://www.wybqalhosin.com/archives/category*.

حتى أنهم لا زالوا ـ رغم تصدي علمائنا لهم والإجابة عن شبهاتهم ـ يجترون هذه الشبهات، ويعيدونها منمقة مع تغيير بعض العبارات؛ ليبينوا لهم أنها شبهات جديدة، في حين أنّ الباحث عند مقارنته بينها وبين الشبهات القديمة يجدها متحدة في معناها؛ وهذا الشيء يدل على أنه لا جديد لدى أعداء الدين، فيضطرهم حقدهم إلى إعادة تصدير تلك الشبهات التي استُهلكت، ولم تبق لها أيّ قيمة علمية.

قولي، كذكر المصائب وإنشاء المراثي، أو عملي كما في عمل الشبيه، فللفقيه أن يحكم بجواز تلك الشعائر لما يترتّب عليها من الإبكاء الراجح البتة، كما أنّ التعزية عنوان قصدي، ولا بد له من مبرز، ونرى أن مبرزات العزاء في الملل المختلفة مختلفة، وما تعارف عند الشيعة ليس مما نهى عنه الشرع، أو حكم بقبحه العقل، وعلى المشكك أن يفهم المراد من البدعة ثم يطبقها على ما يشاء إن أمكن»[1].

الشبهة الثانية:

إنّ سير المواكب في الشوارع في العصر الحاضر يوجب استهزاء غير المسلمين بالإسلام.

الجواب:

قال العلّامة آية الله السيّد علي الحسيني الفاني الإصفهاني رحمه الله: «**انّ كلّ ملّة لها مراسيم مذهبية واجتماعية، وليس ما عند الأجانب بألطف مما عندنا، مضافاً إلى أنّ الدين لا يُهجر ولا يتغيّر بمسخرة المعاند، بل أليس لنا أن نسخر ممَّن يرى الدعارة فخراً والغدر هدىً والجناية تقدماً، ثم يتهمنا بالرجعية؟! نعم، بعثه على الاستهزاء بنا تخدير أعصابنا، واستغلال وحدتنا المذهبية الكبرى**»[2].

وكذلك ورد من قبيل هذا الكلام استفتاء على آية الله المغفور له الشيخ محمد تقي بهجت رحمه الله، فأجاب بأن لا اعتبار لهذا الكلام، وإلّا فإنّ الأعداء وغير المسلمين يستهزؤون حتى بإقامة الصلاة وأعمال الحج، فهل يؤدّي بنا ذلك إلى تركها؟![3].

---

(١) المصدر السابق: ص ٣٥ـ٣٦. موقع (ويبقى الحسين)، تابع للموسوعة الإسلامية الكمبيوترية، مقال منشور على الموقع بعنوان: (استفتاءات حول الشعائر الحسينية):
https://www.wybqalhosin.com/archives/category.

(٢) المصدر السابق: ص ٣٦.

(٣) أُنظر: رابطة فذكّر الثقافية، فتاوى الفقهاء والمراجع في الشعائر الحسينية: ص١٤١.

ومع أنّ هذه الشبهة واضحة البطلان، لنا أن نسجل عليها مجموعة من النقاط، منها:

١ـ مَن قال بأنّ هذا الفعل يوجب استهزاء الأجانب بنا؟! بل ربما لو علم الآخر ما يدعونا للخروج بهذه الطريقة، وقمنا باستعراض المصائب التي دعتنا للحزن والأسى، لكان ذلك مدعاة لتفاعله معنا.

٢ـ ليس من المسموح به عقلاً أن يجعل الإنسان معياره في التمسك بفعل أو تركه منحصراً باستهزاء الآخرين به، أو عدم استهزائهم، وإلّا فإنّ هذا يعني أن نتخلّى عن كثير من العبادات التي لا نزاع في أنها من الدين، كرمي الجمار وغيرها من الأعمال.

٣ـ إنّ لدى الديانات والفرق الأُخرى طقوساً ومراسم غريبة تكون مدعاةً للاستهزاء، لكنّهم لم يتركوها، بل استمروا في التمسك بها، كطقوس العبادة لدى الهندوس والبوذيين، من عبادة وتقديس البقر والوثن وغيره مما هو معلوم لدى الجميع.

٤ـ إنّ لدى بعض الشعوب غير المسلمة، سواء من الملحدين أم من اليهود والمسيحيين، بعض المراسم يقومون بها غير تابعة لديانة معينة، وإنما ورثوها عن أجدادهم، وفيها من السخرية وضياع القيم ما يزيد على الحدود المتعارفة، ومع ذلك لم يقل أحد منهم: إنّ هذا معيب أو مدعاة للاستهزاء، ومن هذه العادات مثلاً مصارعة الثيران التي تقام في بعض الدول الأوروبية، مع أنّ هذه الثيران المتوحشة في كل سنة تسبب قتل الكثير من الناس ضحية هذه المصارعة، في الوقت الذي تنادي به هذه الشعوب بحقوق الإنسان وما شاكل ذلك من القيم والمبادئ الإنسانية، ولم نجد منهم ولا من غيرهم أيّ اعتراض على هذه الأُمور، ولم يستهزئ أحد بها، وكذلك بعض الرياضات التي تتضمّن ما يدعو للسخرية والاستهزاء... فلماذا تكون شعائرنا ـ المعبرة عن حزننا وجزعنا على إمامنا الذي قُتِل مذبوحاً عطشاناً هو عليه السلام وأهل بيته وأصحابه، وسُبيت نساؤه كما تسبى نساء الكفار ـ مدعاةً للسخرية والاستهزاء، وما

يقوم به غيرنا مهما كان لا يدعو لذلك؟!

وهناك نقوض كثيرة يمكن إيرادها رداً على هذه الشبهة لا يسع المجال لذكرها، وليس موضوع بحثنا الردّ على الشبهات، وكذلك هناك شبهات نقلها المخالفون، وأخذوا بتنميقها ونشرها في الساحة من جديد، وهي كلّها مردودة بردود لا تبقي مجالاً للشك، ولا يتمسّك بها إلا المعاند الذي لا يريد سوى إثارة الفتن وتضعيف المذهب، ولكن يأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون، ولو كان موضوعنا يتناول الشبهات وردودها لبيناها، ولأجل ذلك أترك المجال للقارئ الكريم ليطّلع عليها[1]، كما أنّ هناك شبهات أُثيرت على الشعائر من الداخل، وقد تصدّى لها علماؤنا بالردّ عليها بما يناسبها، ووأدها في مكانها، وقد أُلفت في هذا المجال الكتب والرسائل[2].

محورية فتوى الميرزا النائيني قدس سره (ت ١٣٥٥هـ) في تأييد الشعائر الحسينية

من أبرز المواقف حول الشعائر الحسينية هو موقف آية الله النائيني قدس سره، وفتواه التي حفظها التاريخ لجميع الأجيال اللاحقة؛ إذ اعتُبرت دستوراً متقناً حول مراسم الشعائر الحسينية وما يرتبط بها وما يترتب عليها من أُمور، مراعياً الدقة في فتواه، محيطاً بجوانب الموضوع، حتى اشتُهرت فتواه في هذا المجال، وقد وصفها الشيخ إبراهيم بن حسن المظفر في كتابه نصرة المظلوم بقوله: «... **الفتوى المفصَّلة التي جاد وأجاد بها بقيّة السلف مِن العلماء الأعلام شيخنا العلَّام آية الله في الأنام، الميرزا محمد حسين الغروي النائيني (أدام الله فضله)**...»[3]، حتى إنّ مَن جاء بعده من الفقهاء أيّدوا ما ذكره، ولم يزيدوا عليه شيئاً، وقالوا: إنّه تامٌّ لا يحتاج إلى زيادة.

(١) أُنظر: العاملي، محمد جميل حمود، ردّ الهجوم عن شعائر الإمام الحسين عليه السلام المظلوم.

(٢) راجع على سبيل المثال: نصرة المظلوم للشيخ إبراهيم بن حسن المظفر، ورنة الأسى للشيخ عبد الله السبيتي العاملي، وغيرها من الرسائل، وقد جمع هذه الرسائل والكتب في مجموعة الشيخ محمد الحسون تحت عنوان: (رسائل الشعائر الحسينية).

(٣) المظفر، إبراهيم بن حسن، نصرة المظلوم: ص١٠١.

ونصّ الفتوى هو: «... قد تواردت علينا في (الكرادة الشـرقية) برقياتكم وكتبكم المتضمّنه للسـؤال عن حكم المواكـب العزائية وما يتعلّق بها، إذ رجعنا بحمده سـبحانه إلى النجف الأشرف سالمين، فها نحن نحرّر الجواب عن تلك السؤالات ببيان مسائل :

الأُولى: خروج المواكب العزائية في عشرة عاشوراء ونحوها إلى الطرق والشوارع ممّا لا شـبهة في جوازه ورجحانه، وكونه من أظهر مصاديق ما يقام به عزاء المظلوم، وأيسر الوسـائل لتبليـغ الدعوة الحسـينيّة إلى كل قريب وبعيـد، لكن اللازم تنزيه هذا الشـعار العظيـم عـمّا لا يليق بعبادة مثلـه من غناء، أو اسـتعمال آلات اللهـو، والتدافع في التقدم والتأخـر بـين أهل محلَّتين، ونحو ذلك، ولو اتفـق شيء من ذلك، فذلك الحرام الواقع في البـين هو المحـرّم، ولا تسري حرمتـه إلى الموكب العزائي، ويكون كالناظـر إلى الأجنبيّة حال الصلاة في عدم بطلانها.

الثانيـة: لا إشـكال في جـواز اللطـم بالأيدي عـلى الخـدود والصدور حـدّ الاحمرار والاسـوداد، بل يقوى جواز الضرب بالسلاسـل أيضاً على الأكتاف والظهور، إلى الحد المذكـور، بـل وإن تأدّى كل مـن اللطم والضرب إلى خروج دم يسـير على الأقوى، وأمّا إخـراج الدم مـن الناصية بالسـيوف والقامات، فالأقـوى جواز مـا كان ضرره مأموناً، وكان من مجرد إخراج الدم من الناصية بلا صدمة على عظمها، ولا يتعقب عادة بخروج مـا يضر خروجه من الدم، ونحو ذلك، كـما يعرفه المتدربون العارفون بكيفية الضـرب، ولو كان عند الضرب مأموناً ضرره بحسـب العادة ولكن اتفق خروج الدم قدر ما يضر خروجه لم يكن ذلك موجباً لحرمته، ويكون كمن توضأ أو اغتسل أو صام آمناً من ضرره ثم تبين ضرره منه، لكن الأَولى ـ بل الأحوط ـ أن لا يقتحمه غير العارفين المتدربين، ولا سـيّما الشـبان الذين لا يبالون بما يوردون على أنفسهم؛ لعظم المصيبة وامتلاء قلوبهم من المحبة الحسينيّة. ثبّتهم الله تعالى بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

الثالثـة: الظاهـر عدم الإشـكال في جـواز التشـبيهات والتمثيلات التـي جرت عادة الشـيعة الإماميّـة باتّخاذها لإقامة العزاء والبكاء والإبـكاء منذ قرون، وإن تضمنت لبس

الرجال ملابس النساء على الأقوى، فإنّا وإن كنّا مستشكلين سابقاً في جوازه، وقيدنا جواز التمثيل في الفتوى الصادرة منا قبل أربع سنوات، لكنا لما راجعنا المسألة ثانياً اتضح عندنا أنّ المحرّم من تشبيه الرجل بالمرأة هو ما كان خروجاً عن زيّ الرجال رأساً، وأخذاً بزيّ النساء، دونما إذا تلبّس بملابسها مقداراً من الزمان بلا تبديل لزيّه، كما هو الحال في هذه التشبيهات، وقد استدركنا ذلك أخيراً في حواشينا على العروة الوثقى. نعم، يلزم تنزيهها أيضاً عن المحرمات الشرعية، وإن كانت على فرض وقوعها لا تسري حرمتها إلى التشبيه، كما تقدم.

الرابعة: الدمّام المستعمل في هذه المواكب مما لم يتحقّق لنا إلى الآن حقيقته، فإن كان مورد استعماله هو إقامة العزاء، وعند طلب الاجتماع، وتنبيه الراكب على الركوب، وفي الهوسات العربية ونحو ذلك، ولا يستعمل فيما يطلب فيه اللهو والسرور، وكما هو المعروف عندنا في النجف الأشرف، فالظاهر جوازه، والله العالم»[1].

موافقة الفقهاء لفتوى الميرزا النائيني قدس سره

نظراً لأهمية الموضوع الذي تناوله الميرزا محمد حسين النائيني، واستيفاء كلامه لجوانب كثيرة مرتبطة بالشعائر الحسينية، نلاحظ أنّ مَن جاء بعده قدس سره من الفقهاء قد وافقه على تلك الفتوى، ومن أجل تتميم الفائدة نذكر مجموعة منهم (قدّس الله أسرارهم):

١ ـ آية الله العظمى الشيخ محمد كاظم الشيرازي قدس سره.

٢ ـ آية الله العظمى الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء قدس سره.

٣ ـ آية الله العظمى الشيخ محمد حسن المظفر قدس سره.

٤ ـ آية الله العظمى السيد حسين الحمامي الموسوي قدس سره.

---

(١) المظفر، إبراهيم بن حسن، نصرة المظلوم: ص١٠١. السند، محمد، الشعائر الحسينية بين الأصالة والتجديد: ص٤٢٦. رابطة فذكّر الثقافية، فتاوى الفقهاء والمراجع في الشعائر الحسينية: ص٩ ـ ١٠.

٥ ـ آية الله العظمى السيد ميرزا عبد الهادي الشيرازي قدس سره.
٦ـ آية الله العظمى السيد محسن الحكيم الطباطبائي قدس سره.
٧ ـ آية الله العظمى السيد محمود الشاهرودي قدس سره.
٨ ـ آية الله العظمى السيد أبو القاسم الخوئي قدس سره[1].

المنطلق الفقهي

انطلاقاً من باب وجوب إرشاد الجاهل، فإنّ من الواجب على العالم تعليم الجاهل بالفرض الكفائي في الأحكام الكلّية الإلهية، كأصل وجوب الصلاة وكيفيتها، وفي الموضوعات الخارجية، ويقصد بذلك «**تنبيه الجاهل لما يرتكبه خطأً، لا من حيث جهله بأصل الحكم، بل من جهة جهله بالموضوع، كمَن يعلم ببطلان الوضوء بالماء المتنجس لكن لا يعلم بأنّ الماء الذي يتوضّأ به متنجس فعلاً...**»[2]. وبما أنّ مَن يقوم بفعل من مراسم الشعائر الحسينية يكون على الأغلب عالماً بالحدود المحرمة لإيذاء النفس من الجانب النظري، لكنه لا يعلم هل هذا الفعل يدخل في إيذاء النفس فيكون محرماً، أو أنه ليس من المقدار المحرم، أو أنه يدخل في باب الجزع أو لا؟ فيأتي دور الفقيه هنا لبيان ذلك الأمر، فيتصدى للإفتاء والحكم، خصوصاً إذا كان الأمر شائعاً بين الناس، والخلاف فيه كثير، فحينئذٍ يكون من مهام الفقيه أن يبدي رأيه في أمر كهذا، ولذا؛ نلاحظ أنّ الميرزا النائيني قدس سره، قد تصدّى لهذه المسألة، وفصّل الكلام فيها، وحدّدها بحدود تمنع من دخولها في الفعل المحرم، فأفتى بجواز هذه المراسم مع الحفاظ على قدسيتها، وعدم دخول الأُمور الباطلة والمحرمة فيها، وقد كانت فتواه هذه في غاية الدقة والوضوح، وحاول أن يجعل مائزاً بين الأُمور؛ لئلا يختلط بعضها

(١) لم نذكر النصوص التي ذكرها هؤلاء الفقهاء لأجل الاختصار، ومَن أراد الاطلاع فليراجع على سبيل المثال: السند، محمد، الشعائر الحسينية بين الأصالة والتجديد: ص٤٠٣. رابطة فذكّر الثقافية، فتاوى الفقهاء والمراجع في الشعائر الحسينية: ص١١ـ٧٨.
(٢) الأنصاري، محمد علي، الموسوعة الفقهية الميسرة: ج٢، ص١٠٥.

ببعض، وصرح بأنّ الأُمور المحرمة إذا حصلت في ضمن هذه المراسم فإنّ حرمتها لا تسري إلى المراسم نفسها، نظير النظر إلى الأجنبية أثناء الصلاة، وقد أشار إلى أنّ بعضها من أبرز مصاديق العزاء، ومن هذه العبارة نستفيد أنه يرى في بعض المراسم الاستحباب.

وعلى العموم، فقد حفظ ﷺ في فتواه هذه الشعائر الحسينية، واستطاع أن يبقي الحرارة التي كانت ولا زالت في قلوب المؤمنين، مع تحذيره من وقوع بعض المحاذير الشرعية التي قد تشوب تلك المراسم المقدسة.

الخاتمة

في الختام يتبيّن الدور الذي قامت به المرجعية الدينية في الحفاظ على الشعائر الحسينية من الضياع، ومن دخول الشوائب عليها على مرّ العصور والأزمان، فقد كان لمواقفهم الآنفة الذكر دور فاعل في حفظ شعائر النهضة الحسينية، وتأطيرها بإطار يمنع دخول ما هو دخيل فيها.

ويمكن أن نلخّص نتائج البحث في النقاط التالية:

١ ـ كان للمرجعية أدوار متعددة في حفظ الشعائر الحسينية.

٢ ـ حافظت المرجعية على الشعائر الحسينية من الهجمات الخارجية بواسطة بيان المعنى للشعائر تارة، وأُخرى بتحديد الضابطة، فجعلت لها سوراً تمنع بواسطته الغريب عن الشعائر أن يدخل فيها.

٣ ـ أدّت المرجعية دور توجيه الناس بالإفتاء في أحكام الشعائر الحسينية، بتحريم ما هو دخيل عليها، وبيان جواز واستحباب ما هو منها؛ لكونه مصداقاً للجزع والحزن على الإمام الحسين عليه السلام.

٤ ـ دعمت المرجعية الشعائر الحسينية دعماً مادياً بالحضور الميداني في مراسمها، من المواكب وغيرها؛ ليكون ذلك مؤيّداً فعلياً لما يُقام من طقوس.

٥ ـ تصدّت المرجعية للهجمات وردّت الشبهات المثارة ضدّ مراسم الشعائر الحسينية، وذلك بالبراهين والأدلّة العقلية.

٦ ـ كان موقف آية الله الميرزا محمد حسين النائيني قدس سره من أبرز المواقف التي كمّمت الأفواه المتطاولة على الشعائر الحسينية، وشهد بهذا الكثير من الفقهاء؛ بدليل أن مَن جاء بعده من الفقهاء قد أيّده.

الشعائر الحسينية عند النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام
التأسيس والتأصيل
(قراءة تاريخية)

د. الشيخ محمد الحلفي*

مقدِّمة

على الرغم من الطابع التاريخي الذي اتسمت به هذه الدراسة، يصعب تخصيصها بالزاوية التاريخية؛ لما سيتخللها من قضايا تحليلية، تأخذ بأيدينا إلى معطيات ثرية بالفوائد، فهذه المقالة ـ وكما هو ظاهر من عنوانها ـ تتناول ظاهرة الشعائر الحسينية، إلّا أنّ البعد الأساسي من أبعادها ينصب على مستوى إحياء النبي صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام لهذه الظاهرة، وتجسيدهم لها، بغض النظر عن البحث وراء الأسباب الداعية لتأصيل الشعائر، حتى صارت من أقوى الدعائم التي يرتكز عليها الفكر الإسلامي الواقعي الذي خطّه الثقلان مجتمعين؛ فليس لي بعد ذلك أن أبتعد كثيراً عن الجنبة التاريخية في الموضوع، باعتبارها تشكّل العمود الفقري لما نحن فيه، لا سيما وأنّ القضية الحسينية قد تعدّدت جوانبها، واختلفت أبعادها، واتّسعت آفاقها.

ومن القضايا التي لا يمكن الإنسان المسلم والحر ـ فضلاً عن الباحث، أيّاً كان دينه ومذهبه ـ أن يتغافل عنها، هو ذلك الكمّ الهائل من الروايات التي ملأت كتب الحديث والتاريخ، والتي أحاطت بالقضية الحسينية، ورسمت لنا الكثير من المعالم قبل واقعة كربلاء وبعدها، ونظراً إلى صعوبة تحصيل اليقين بتلك الأحداث، نتيجة

---

* دكتوراه في التفسير وعلوم القرآن، أُستاذ في جامعة المصطفى العالمية، من العراق.

لبعدها الزمني، فإننا سننظر بعين التأمل والبحث العلمي إلى تلك النصوص الروائية والتاريخية؛ لما لها من قيمة وأهمية كبرى في القيام بمهمة كشف الحقائق وبلوغها.

فمتى ما أردنا القيام بدراسة تاريخية لدور النبي صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام فيما يخص الشعائر الحسينية، فسيلوح في الأُفق مسألة زرع بذورها وتجسيدها في المجتمع، وحينئذٍ يُفترض بنا أوّل الأمر أن نسلّط الضوء على معنى الشعائر وما تتضمنه؛ لتتجلّى لنا أبعادها وأُطرها، وما تصدق عليه، فيتسنّى من خلال ذلك وضع النقاط على الحروف في بيان ومعرفة مستوى إحياء المعصومين عليهم السلام للشعائر الحسينية، وما رافق العملية تلك، إذ يمثّل ذلك المنطلق لتحديد عناصر المعادلة الإلهية في القضية الحسينية.

مفهوم الشعائر في المصادر اللّغوية

بادئ ذي بدء ينبغي أن نتصفّح المعاجم اللغوية للوقوف على معنى هذه اللفظة، لنجدها رغم الاختلاف في بيان معناها ترجع إلى معنى مستحصل واحد، وهي: العلامة. قال الفيروزآبادي: «**أشعر القوم: نادوا بشعارهم، أو جعلوا لأنفسهم شعاراً، وأشعر البدنة: أعلمها**»[1]. وفي الصحاح: «**الشعائر: أعمال الحج، وكلّ ما جُعل عَلَماً لطاعة الله تعالى**»[2].

وشعار القوم في سفر القوافل والحرب: علامتهم التي يعرف فيها بعضهم بعضاً، فالعرب كانوا يتّخذون شعاراً لقوافلهم يُعرفون به أثناء المسير، ولذا يقال: أشعر القوم، أي جعلوا لأنفسهم شعاراً، وشعار العسكر: أن يُسمّوا لهم علامة ينصبونها؛ ليعرف الرجل بها رفقته[3].

---

(١) الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط: ج٢، ص٥٩.

(٢) الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح: ج٢، ص٦٩٨.

(٣) أُنظر: المصدر السابق. ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج ٣، ص٤١٣.

ولكـي لا أطيل الـكلام يمكننا الخـروج بمعنى عام في معنى الشـعائر من وجهة نظر لغوية، وهي: أنها الأفعال التي تكتنه بعداً إعلامياً، وحينئذٍ تمثّل شعائر الله المعالم التي ندب الله إليها وأمر بالقيام بها، ولما كانت تتعلق بالحقّ تعالى، فلا بدّ من إحاطتها بالنظـرة الفقهية التي ترى أنّ شـعائر الله هي أعـلام طاعته، وكلّ شيء جُعل علماً من أعـلام طاعة الله فهو من شـعائر الله، وقد يُعمّم هذا المعنـى لجميع التكاليف، وتعني حينهـا لفظـة شـعائر الله: دين الله، فشـعائر الله جميع مـا أمر الله به أو نهـى عنه، وهذا المعنـى هو ما أكّدته القواميس الفقهية، وذلك عندما عرّفت الشـعيرة بأنها: «**ما ندب الشرع إليه وأمر بالقيام به**»[1].

هذه الأقوال والآراء جميعاً تنتهي إلى نتيجة جامعة، وهي أن حقيقة الشعائر تكمن في كونها ممارسـات ذات جنبـة إعلامية، وعندما تكون مرتبطة بـالله تعالى، يتحتّم أن تعـود إلى أمر الشـارع وندبه، وبهذا النحو سـتكون الشـعائر الحسـينية محتملة لنفس المعنـى؛ لارتباطها بالحـقّ تعالى، وتعني حينئذٍ كلّ فعل تضمّـن بُعداً إعلامياً للقضية الحسينية، ولم يخلُ من حثّ أو دعوة سماوية من الباري عزّ وجلّ.

وبعـد هـذا البيـان الموجـز علينـا أن نُطـل باختصار على الممارسـات التـي قام بها النبي صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام تجاه الحسين عليه السلام، ممّا يندرج تحت عنوان الشعائر الحسينية، باعتبارها تمثّل الجانب المقصود والمصداق المنشود.

الممارسات الشعائرية في التراث الروائي لأهل البيت عليهم السلام

لـو ألقينا نظرة أولية فاحصة على الروايات المتعلّقة بالقضية الحسـينية، يُمكننا أن نقسّمها وفق عدّة لحاظات:

١ـ لحاظ الموضوع، فإنّ موضوع بعض الروايات هو شخص الإمام الحسين عليه السلام،

(١) أبـو جيـب، سـعدي، القامـوس الفقهـي: ص١٩٧. فتح الله، أحمـد، معجم ألفاظ الفقـه الجعفري: ص٢٤٥.

وموضوع بعضها الآخر هو النهضة الحسينية، وأهدافها، وغاياتها، ودواعيها.

٢ـ لحاظ زمن الصدور، فمن الروايات ما كان قبل واقعة كربلاء، ومنها ما كان بعد الواقعة، ولكلّ منها ميزاته الخاصة.

وسنقصر بحثنا على اللحاظ الثاني؛ إذ إنه يتوفّر على الزاوية التاريخية في الموضوع، وهذا بدوره يضعنا أمام صورة تشكّل مواقف الرسول صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام، وهم يجسّدون الشعائر الحسينية.

الفترة الأُولى: تجسيد الشعائر الحسينية قبل الواقعة

يمكن أن تمثّل هذه الفترة المرحلة الأُولى لتجسيد الشعائر الحسينية، وهي تشمل الروايات والأخبار الصادرة عن المعصومين عليهم السلام ـ أصحاب الكساء عليهم السلام ـ ممّا يكشف عمّا قاموا به تجاه الحسين عليه السلام، وما بدر منهم من ممارسات موحية ومعبّرة قبل أن يكون لتلك الفاجعة أثر على الأرض، ولعلنا لا نجانب الواقع عندما نسجّل بدايتها منذ ولادة الحسين عليه السلام، وتمتد حتى شهادته، بعيداً عمّا نقلته بعض الروايات من مواقف للأنبياء والمرسلين عليهم السلام ممّن سبق النبي الخاتم صلى الله عليه وآله تجاه مصيبة الحسين عليه السلام، من قبيل بكائهم وحزنهم و... لأنّها لا تنضوي بشكل من الأشكال تحت المقال.

مواقف النبي صلى الله عليه وآله المجسِّدة للشعائر الحسينية

لقد كانت مواقف وأقوال الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله في مقتل الحسين عليه السلام كثيرة، ذائعة الصيت، حتى روتها الصحابيات من النساء، فضلاً عن زوجاته صلى الله عليه وآله، وبعض الصحابة؛ ليؤكّد ذلك إخبار السماء بمقتله عليه السلام، وصارت تلك الإخبارات تعدّ من أعلام النبوة من جهة الإخبار بالغيبيات.

وعند التأمّل فيها نتبيّن مجموعة من العلامات والشعائر، مثل: شعيرة البكاء على الحسين عليه السلام، التي احتلّت حيّزاً واسعاً من الروايات الصادرة عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، وحالة الغم والهم التي تعتري الرسول الكريم صلى الله عليه وآله نتيجة إخباره من قِبَل الوحي

بمقتل ريحانته عليه السلام، بل إقامة مجالس العزاء، حيث تصدّى النبي صلى الله عليه وآله للخطابة فيها.

وممّا يلفت النظر أنّ ردود الأفعال (الشعائر) هذه صدرت من النبي الكريم صلى الله عليه وآله بحسب الترتيب التاريخي المتناسب مع تدرّج ريحانته في العمر، فكان البكاء ـ والذي هيمن على أغلب مضامين تلك الروايات، إن لم نقل: جميعها ـ أوّل ما صدر من النبي صلى الله عليه وآله، ولمّا يتجاوز عمر الحسين عليه السلام الساعات، واشتد الأمر ليتحوّل بكاءً وغمّاً، ولمّا بلغ الحسين من العمر سنة أو أكثر، حصل تحوّل جديد في تجسيد الشعائر، حينما اختلط البكاء والهم بإقامة المجلس عليه.

ولعلنا بحاجة هنا إلى بعض النماذج الروائية؛ لتعود بنا إلى عصر الرسالة، عسى أن نتلمّس فيها ضالّتنا يوم كان الحسين عليه السلام يعيش في كنف جدّه المصطفى صلى الله عليه وآله. وسنقسّم الروايات التالية بحسب المتصدّي لروايتها تنظيماً للبحث.

أولاً: ما روته الصحابيات من تجسيد النبي صلى الله عليه وآله للشعائر

لعلّ أوّل موقف يجسّد فيه الرسول صلى الله عليه وآله الشعائر الحسينية، ويقيمها على أرض الواقع خارجاً، هو ما صدر عنه صلى الله عليه وآله حين ولادة ريحانته الحسين عليه السلام، فقد ورد عن الإمام زين العابدين عليه السلام قال: «**حدّثتني أسماء بنت عميس، قالت: قبّلتُ جدتك فاطمة عليها السلام بالحسن والحسين عليهما السلام... فلما كان بعد حول من مولد الحسن وُلِدَ الحسين عليه السلام، فجاءني فقال: يا أسماء، هاتي ابني. فدفعته إليه في خرقة بيضاء، فأذّن في أُذنه اليُمنى، وأقام في اليُسرى، ووضعه في حجره وبكى، قالت أسماء: قلت: فداك أبي وأمي! ممّ بكاؤك؟ قال: من ابني هذا. قلت: إنّه وُلِد الساعة! قال: يا أسماء، تقتله الفئة الباغية من بعدي، لا أنالهم الله شفاعتي! ثمّ قال: يا أسماء، لا تخبري فاطمة، فإنّها حديث عهد بولادة**»[1].

ثم يلي ذلك أوّل ترقٍّ في المسألة، وهو بكاء النبي صلى الله عليه وآله، وبيده تربة الحسين عليه السلام قبل مقتله، إذ جاء هذا في خبر نقلته أُم الفضل بنت الحارث حول مقتل الإمام

(١) النوري، حسين، مستدرك الوسائل: ج١٥، ص١٤٤ ـ ١٤٥.

الحسين عليه السلام، حيث قالت: «... **فدخلت يوماً إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، فوضعته** [أي: الإمام الحسين عليه السلام] **في حجره، ثم حانت مني التفاتة، فإذا عينا رسول الله صلى الله عليه وآله تهريقان من الدموع، قالت: فقلت: يا نبي الله، بأبي أنت وأُمي! ما لك؟ قال: أتاني جبرئيل (عليه الصلاة والسلام)، فأخبرني أنّ أُمتي ستقتل ابني هذا. فقلت: هذا؟ فقال: نعم، وأتاني بتربة من تربته حمراء**»[1].

ثانياً: ما روته نساء النبي صلى الله عليه وآله من تجسيده صلى الله عليه وآله للشعائر

عند ملاحظة الروايات التي نقلتها زوجات النبي الأكرم صلى الله عليه وآله نجدها جميعاً تحكي لنا حال الرسول الكريم صلى الله عليه وآله مع الحسين عليه السلام بعدما أخذ الحسين عليه السلام يدرج ويلعب، ونحوها من التصرّفات التي توحي بأنّه عليه السلام قد تجاوز على أقلّ تقدير سنته الأُولى، ومن خلال النماذج التي سننقلها سنلاحظ مدى تجسيد النبي صلى الله عليه وآله لتلكم الشعائر، ونظراً لكثرة هذه الروايات سنأتي على مقدار الحاجة منها:

١ـ عن زينب بنت جحش[2]، قالت: «**بينا رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) في بيتي وحسين (رضي الله تبارك وتعالى عنه) عندي حين درج، فغفلت عنه، فدخل على رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم)، فجلس على بطنه، فبال فانطلق[3] لآخذه، فاستيقظ رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم)، فقال: دعيه... فقام فصلّى، فلما قام احتضنه إليه، فإذا ركع أو جلس وضعه، ثم جلس فشكا، ثم مدّ يده، فقلت حين قضى الصلاة: يا رسول الله، إنّي رأيتك اليوم صنعت شيئاً ما رأيتك تصنعه؟ قال: إنّ جبرئيل أتاني فأخبرني أنّ ابني هذا**

---

(١) الحاكم النيسابوري، محمد بن عبد الله، المستدرك على الصحيحين: ج٣، ص١٧٦. وأُنظر: الحلي، ابن نما، مثير الأحزان: ص٧.

(٢) زينب بنت جحش الأسدية، أُم المؤمنين زوج النبي صلى الله عليه وآله، أُمّها أُميمة عمّة النبي صلى الله عليه وآله، تزوجها النبي صلى الله عليه وآله سنة (٣ هـ / ٦٢٤ م)، وقيل: (٥ هـ/ ٦٢٦ م)، وتوفيت سنة (٢٠ هـ/ ٦٤١ م)، وكانت أوّل نساء النبي صلى الله عليه وآله لحوقاً به. أُنظر: ابن سعد، محمد، الطبقات الكبرى: ج٨، ص١٠١.

(٣) في مصادر أُخرى: فانطلقت.

تقتله أُمتي. فقلت: أرني تربته، فأراني تربة حمراء»[1].

فشعيرة البكاء على الحسين عليه السلام ظلت مستمرة مع النبي صلى الله عليه وآله حتى بعدما ناهز عمر الحسين عليه السلام السنة أو تجاوزها.

٢ـ رواية أبي أُمامة: «**قال رسول الله(صلّى الله عليه وسلّم) لنسائه: لا تُبكوا هذا الصبي: يعني حسيناً، قال: فكان يوم أُم سلمة، فنزل جبرائيل، فدخل رسول الله(صلّى الله عليه وسلّم) الداخل، وقال لأُم سلمة: لا تَدَعي أحداً يدخل عليّ، فجاء الحسين، فلما نظر إلى النبي(صلّى الله عليه وسلّم) في البيت أراد أن يدخل، فأخذته أُم سلمة، فاحتضنته، وجعلت تناغيه وتسكته، فلما اشتد في البكاء خلّت عنه، فدخل حتى جلس في حجر رسول الله(صلّى الله عليه وسلّم)، فقال جبريل للنبي(صلّى الله عليه وسلّم): إنّ أُمتك ستقتل ابنك هذا. فقال النبي(صلّى الله عليه وسلّم)، يقتلونه وهم قوم مؤمنون بي؟ قال: نعم يقتلونه. فتناول جبرائيل تربة، فقال: بمكان كذا وكذا، فخرج رسول الله(صلّى الله عليه وسلّم) قد احتضن حسيناً، كاسف البال مهموماً، فظنت أُم سلمة أنه غضب من دخول الصبي عليه، فقالت: يا نبي الله، جُعلت لك الفداء! إنك قلت لنا: لا تُبكوا هذا الصبي، وأمرتني أن لا أدع أحداً يدخل عليك، فجاء فخلّيت عنه، فلم يردّ عليها، فخرج إلى أصحابه، وهم جلوس، فقال: إنّ أُمتي يقتلون هذا. وفي القوم أبو بكر وعمر، وكانا أجرأ القوم عليه، فقالا: يا نبي الله، يقتلونه وهم مؤمنون؟ قال: نعم، هذه تربته. فأراهم إياها»**[2].

وقد تضمّن هذا الموقف هذه المرّة البكاء والهمّ على مصيبة الحسين عليه السلام، بل تجاوز الأمر ذلك وتحوّل إلى إخبار للقوم وإعلامهم بأنّ ولده الحسين عليه السلام سيُقتل على يد هذه الأُمّة، وأكثر من ذلك أنّه صلى الله عليه وآله يريهم التربة التي ستكون شهادة الحسين عليه السلام عليها.

---

(١) المقريزي، أحمد بن علي، إمتاع الأسماع: ج١٤، ص١٤٣.

(٢) ابن عساكر، علي بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق: ج١٤، ص١٩٠ ـ ١٩١. الطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الكبير: ج٨، ص٢٨٥.

٣ـ عن أُمّ سلمة أنّها قالت: «**كان الحسن والحسين رضي الله عنهما يلعبان بين يدي النبي (صلّى الله عليه وسلّم) في بيتي، فنزل جبريل عليه السلام، فقال: يا محمد، إنّ أُمّتك تقتل ابنك هذا من بعدك. فأومأ بيده إلى الحسين، فبكى رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم)، وضمّه إلى صدره، ثم قال رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم): وديعة عندكِ هذه التربة. فشمّها رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم)، وقال: ويح كرب وبلاء. قالت: وقال رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم): يا أُم سلمة، إذا تحوّلت هذه التربة دماً، فاعلمي أنّ ابني قد قُتل...**»[1].

وفي هذا تجسيد يضاف إلى ما تقدّم، فهنا النبي صلى الله عليه وآله، فضلاً عن بكائه، يشمّ تربة الحسين عليه السلام، ممّا يكشف عن قداسة خاصة لتربته عليه السلام.

٤ـ وعن أُمّ سلمة: «**كان النبي (صلّى الله عليه وسلّم) نائماً في بيتي، فجاء حسين يتدرّج، قالت فقعدت على الباب، فسبقته مخافة أن يدخل فيوقظه، ثمّ غفلت في شيء، فدبّ فدخل فقعد على بطنه. قالت: فسمعت نحيب رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم)، فجئت فقلت: يا رسول الله، والله، ما علمت به. فقال: إنّما جاءني جبريل عليه السلام، وهو على بطني قاعد، فقال لي: أتحبّه؟ فقلت: نعم. قال: إنّ أُمّتك ستقتله...**»[2].

وهنا برزت حالة جديدة من تجسيد شعائر الحسين عليه السلام من قِبَل النبي الكريم صلى الله عليه وآله، وهي البكاء بشدّة، وهو ما يستفاد من عبارة أُم سلمة: سمعت نحيب رسول الله صلى الله عليه وآله، فلم يكن بكاءً عادياً، هذا والحسين عليه السلام جالس على بطنه، ولم يُصب بعدُ بأيّ أذى.

ثالثاً: ما رواه الصحابة من تجسيد النبي صلى الله عليه وآله للشعائر

لم تكن مواقف النبي صلى الله عليه وآله تجاه سبطه الحسين عليه السلام خفيّة عن الصحابة، فلقد روى الكثير منهم بكاء النبي صلى الله عليه وآله وتفجّعه وحزنه وألمه عليه، ومن تلك الأخبار: ما رواه معاذ بن جبل، قال: «**خرج علينا رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) متغيّر اللّون، فقال:**

(١) الطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الكبير: ج٣، ص١٠٨.

(٢) ابن عساكر، علي بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق: ج١٤، ص١٩٤.

أنـا محمـد، أُوتيت فواتح الكلام وخواتمه، فأطيعوني ما دمت بـين أظهركم... قال: يزيد لا يبـارك الله في يزيد. ثمّ ذرفت عيناه (صلّى الله عليه وسـلّم)، ثمّ قال: نعي إليّ حسـين، وأُتيـت بتربته، وأُخبرت بقاتله، والذي نفسي بيده لا يُقتل بين ظهراني قوم لا يمنعوه إلّا خالـف الله بين صدورهم وقلوبهم، وسـلّط عليهم شرارهم، وألبسـهم شـيعاً. ثمّ قال: واهـاً لفراخ آل محمد(صلّى الله عليه وسـلّم) من خليفة مُسـتخلف مُـترف، يقتل خلفي وخلف الخلف»[1].

وهـذه الروايـة لا تعبّر عـن حالة حزن طبيعي عاشـه النبي صلى الله عليه وآله، بـل كانت الحالة أشدّ، فقد اتّخذت طابعاً تصاعدياً، من تغيّر اللّون، وهذا يعني درجة عالية من الحزن، حتى ذرف الدموع، ثمّ نعيه عليه السلام للصحابة.

ولعلّ الموقف تزايد واشتدّ في بعض الحالات، فقد ارتقى إلى إقامة المجالس بنحو يشـابه إلى درجة ما مجالـس العصر الحاضر، إذ يقوم الخطيب بوعـظ الناس، وبعدها يذكـر مصيبة الحسـين عليه السلام، وذلك بحسـب ما رواه عبد الله بن يحيـى في النص التالي: **«فلـما أتـت عليه سـنتان، خرج النبي صلى الله عليه وآله مع سـفر إلى سـفر، فوقف في بعـض الطريق، واسـترجع ودمعت عيناه، فسُـئل عن ذلك، فقال: هذا جبرائيل يخبرني عن أرض بشـط الفرات يقال لها: كربلاء. يُقتل فيها ولدي الحسـين. فقيل: ومَن يقتله؟ قال: رجل يقال لـه: يزيـد، وكأنّي أنظـر إلى مصرعـه ومدفنه. فرجع عن سـفره حزينـاً، وصعد وخطب ووعـظ والحسـن والحسـين بين يديـه، فلمّا فـرغ وضع يـده اليمنـى على رأس الحسـن، واليـسرى على رأس الحسـين، ورفع رأسـه إلى السـماء، وقـال: اللّهم، إنّ محمـداً عبدك ورسولك ونبيك، وهذان أطائب عترتي، وخيار ذرّيتي وأرومتي، ومَن أخلفهما في أُمّتي، وقـد أخبرني جبرئيـل أنّ ولدي هذا مقتول مخذول، اللّهم فبـارك له في قتله، واجعله من سـادات الشـهداء، اللّهم ولا تبارك في قاتله، وخاذله. فضجّ الناس بالبكاء في المسـجد،**

(١) الطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الكبير: ج٣، ص١٢٠، وج ٢٠، ص٣٨. المتقي الهندي، علي بن عبد الملك، كنز العمال: ج١١، ص١٦٦.

فقال النبي صلى الله عليه وآله: أتبكون ولا تنصرونه؟! ثمّ رجع وهو متغيّر اللّون، محمرّ الوجه، فخطب خطبة ثانية موجزة، وعيناه تهملان دموعاً»[1].

وفي رواية أُخرى يرويها سعيد بن جبير عن ابن عباس نلاحظ فيها إقامة النبي صلى الله عليه وآله لمجلس عزاء، ولكن هذه المرّة حضره إضافة لابن عباس وبعض الصحابة، أصحاب الكساء عليهم السلام، وفيه يعرض النبي صلى الله عليه وآله بعض أحداث كربلاء بلوعة وألم على ما سيجري على سبطه وريحانته الحسين عليه السلام، فتشتد حالة البكاء، لتصل إلى درجة النحيب والضجيج من قبل الحاضرين وأهل البيت عليهم السلام، قال ابن عباس: «**كنت عند رسول الله صلى الله عليه وآله جالساً إذ أقبل الحسن، فلمّا رآه بكى وقال: إليّ إليّ. فأجلسه على فخذه اليمنى، ثم أقبل الحسين، فلمّا رآه بكى، وقال مثل ذلك، فأجلسه على فخذه اليسرى، ثم أقبلت فاطمة فرآها، فبكى، وقال مثل ذلك، فأجلسها بين يديه، ثم أقبل علي فرآه، فبكى، وقال مثل ذلك، وأجلسه إلى جانبه الأيمن، فقال له أصحابه: يا رسول الله، ما ترى واحداً من هؤلاء إلّا بكيت، أو ما فيهم من تُسرّ برؤيته؟ فقال: والذي بعثني بالنبوّة، واصطفاني على جميع البريّة، ما على وجه الأرض نسمة أحبّ إليّ منهم، وإنّما بكيت لما يحلّ بهم من بعدي، وذكرت ما يصنع بهذا ولدي الحسين، كأنّي به وقد استجار بحرمي وقبري فلا يجار، ويرتحل إلى أرض مقتله ومصرعه، أرض كرب وبلاء، تنصره عصابة من المسلمين، أُولئك سادة شهداء أُمتي يوم القيامة، فكأنّي أنظر إليه وقد رُمي بسهم، فخرّ عن فرسه صريعاً، ثم يُذبح كما يُذبح الكبش مظلوماً. ثم انتحب وبكى، وأبكى مَن حوله، وارتفعت أصواتهم بالضجيج، ثم قام وهو يقول: اللّهم إنّي أشكو إليك ما يلقى أهل بيتي بعدي»**[2].

ولعلّ الرواية الأخيرة بلغت حدّاً في بيان تجسيد النبي صلى الله عليه وآله لشعائر الحسين عليه السلام بصورة تشبه ما دأب عليه أتباع أهل البيت عليهم السلام في مجالسهم.

---

(١) الحلي، ابن نما، مثير الأحزان: ص٩. ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف على قتلى الطفوف: ص١٤.
(٢) الحلي، ابن نما، مثير الأحزان: ص١٢ ـ ١٣.

مواقف أمير المؤمنين والزهراء والإمام الحسن عليهم السلام المجسِّدة لشعائر الحسين عليه السلام

حينما راجعنا الروايات في هذا المقام، لم نجدها بالكثرة التي لاحظناها في مواقف الرسول صلى الله عليه وآله تجاه سبطه وريحانته الحسين عليه السلام.

إنّ ما ظفرنا به ـ إضافة لما جاء في خبر سعيد بن جبير ـ بخصوص تجسيد الزهراء عليها السلام، لشعيرة البكاء على فلذّة كبدها، هو خبر طويل يلتقي فيه الرسول صلى الله عليه وآله بالزهراء عليها السلام، وهي تحمل ولدها الحسين عليه السلام، فيقول النبي صلى الله عليه وآله: «**لعن الله قاتليك، ولعن الله سالبيك، وأهلك الله المتوازرين عليك...**»[1]، حتى تسأله الزهراء عليها السلام عن غاية وسبب ذلك، فيجيبها النبي صلى الله عليه وآله بما سيجري على الحسين عليه السلام، فتسترجع وتبكي، ويخبرها النبي صلى الله عليه وآله بمن سيبكي عليه من الناس ويذكره ولا ينساه[2].

أما فيما يخصّ أمير المؤمنين عليه السلام، فلقد جاءت روايات عديدة وبطرق متعدّدة، وفي أماكن مختلفة، يخبر فيها بمقتل الإمام الحسين عليه السلام، ويحيي في بعضها شعائره، فيبكيه تارةً، وينعاه بألم تارةً أُخرى، وهو يذكر ما يجري عليه، هذا والحادثة لم تقع بعدُ، ومن هذه الروايات:

١ـ عن عبد الله بن نجي عن أبيه «**أنه سار مع علي رضي الله عنه، وكان صاحب مطهرته، فلـمّا حاذى نينوى، وهو منطلق إلى صفِّين، فنادى علي رضي الله عنه: اصبر أبا عبد الله، اصبر أبا عبد الله بشط الفرات. قلت: وماذا؟ قال: دخلت على النبي (صلّى الله عليه وسلّم) ذات يوم وعيناه تفيضان. قلت: يا نبي الله، أغضبك أحد؟ ما شأن عينيك تفيضان؟ قال: بل قام من عندي جبريل قبل، فحدّثني أنّ الحسين يُقتل بشط الفرات. قال: فقال: هل لك إلى أن أُشمك من تربته؟ قال: قلت: نعم. فمدّ يده، فقبض قبضة من تراب**

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص١٤٤.
(٢) أُنظر: المصدر السابق: ص١٤٤ـ١٤٥.

فأعطانيها، فلم أملك عينيّ أن فاضتا»[1].

٢ـ وهنا يجسّد الإمام عليه السلام شعيرة البكاء على ولده الحسين عليه السلام، فقد روى ابن أعثم الكوفي عن ابن عباس، في ذكر خروج أمير المؤمنين عليه السلام إلى صفّين لمحاربة معاوية، وقد أورده في حديث طويل يقول فيه: «... **حتى نزل بكربلاء، ثم نظر إلى شاطئ الفرات، وأبصر هنالك نخيلاً، فقال: يا بن عباس، أتعرف هذا الموضع؟ فقال: لا يا أمير المؤمنين ما أعرفه. قال: أما إنّك لو عرفته كمعرفتي لم تكن تجاوزه حتى تبكي لبكائي. قال: ثمّ بكى علي رضي الله عنه بكاءً شديداً، حتى اخضلّت لحيته بدموعه، وسالت دموعه على صدره، ثم جعل يقول: أواه مالي ولآل أبي سفيان. ثمّ التفت إلى الحسين رضي الله عنه، فقال: اصبر أبا عبد الله، فقد لقي أبوك منهم مثل الذي تلقى بعدي...**»[2].

ومن تلك المواقف بكاء ريحانة الرسول صلى الله عليه وآله الحسن المجتبى عليه السلام حسب ما جاء في رواية عن الإمام الصادق عليه السلام، عن أبيه عليه السلام، عن جدّه صلى الله عليه وآله: «**أنّ الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام دخل يوماً إلى الحسن عليه السلام، فلمّا نظر إليه بكى، فقال له: ما يبكيك يا أبا عبد الله؟ قال: أبكي لما يُصنع بك. فقال له الحسن عليه السلام: إنّ الذي يؤتى إليّ سمّ يدسّ إليّ فأُقتل به، ولكن لا يوم كيومك يا أبا عبد الله، يزدلف إليك ثلاثون ألف رجل، يدّعون أنّهم من أُمّة جدّنا محمد صلى الله عليه وآله، وينتحلون دين الإسلام، فيجتمعون على قتلك، وسفك دمك، وانتهاك حرمتك، وسبي ذراريك ونسائك، وانتهاب ثقلك، فعندها تحلّ ببني أُمية اللعنة، وتمطر السماء رماداً ودماً، ويبكي عليك كلّ شيء، حتى الوحوش في الفلوات، والحيتان في البحار**»[3].

---

(١) ابن حنبل، أحمد: المسند: ج١، ص٨٥. ابن كثير، إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية: ج٨، ص٢١٧.

(٢) ابن أعثم، أحمد، الفتوح: ج٢، ص٥٥١-٥٥٢.

(٣) الصدوق، محمد بن علي، الأمالي: ص١٧٧ـ١٧٨.

استنتاجات

من الأجدر هنا أن نلقي ـ بعد هذا العرض الروائي ـ نظرة أُخرى؛ لنتبيّن مجموعة دلالات تتضح من خلال قراءتنا لها، ويمكن إجمالها فيما يلي:

أوّلاً: إنّ جميع تلك الروايات التي نُقلت عن رسول الله صلى الله عليه وآله لم تصدر في عام واحد، وقد جسّد الرسول صلى الله عليه وآله الشعائرية بأبلغ صورها في فترات متراوحة؛ ممّا يكشف عن عملية تأسيس وتجذير لها في نفوس المسلمين آنذاك، وممّا يؤيّد ما ذهبنا إليه عدّة أُمور منها:

أ ـ مجيء الروايات على لسان عدّة أشخاص وبطرق مختلفة.

ب ـ االقرائن الزمنية التي تظهر من خلال دلالات الألفاظ، خصوصاً في الأحاديث النبوية، فمنها ما يشير إلى زمن ولادة الإمام الحسين بن علي عليهما السلام، ومنها ما يشير إلى صدورها في السنة الأُولى من ولادته، ودلالة بعض الألفاظ على مراحل من عمر الإمام عليه السلام ونشأته، ومن تلك الألفاظ: «**يدرج**»، أو «**جاء فاقتحم الدار**»، و«**إنّ الحسن والحسين كانا يلعبان بين يدي رسول الله** صلى الله عليه وآله»، وغيرها مما ورد في روايات أُخرى تركناها للاختصار.

فإنّ من الملاحظ من تلك العبارات التنوّع الزمني الذي يكشف عن تدرّج مراحل عمر الإمام عليه السلام وترعرعه، والتي اقترنت بنزول جبرائيل والملائكة، وإخبار النبي صلى الله عليه وآله بمقتل الحسين عليه السلام، وتقديم العزاء لرسول الله صلى الله عليه وآله، مضافاً إلى تطور الموقف من قبل الرسول صلى الله عليه وآله، فمن بكاء وهمّ وغمّ، إلى إقامة مجلس ووعظ وخطبة وذكر لمصيبة الحسين عليه السلام.

ثانياً: أشارت بعض الألفاظ إلى ما يرتبط بالحالة الوجدانية والنفسية لرسول الله صلى الله عليه وآله والزهراء وأمير المؤمنين عليهما السلام، وما كان ينتابهم من الحزن والأسى، وبالإمكان أن نرصد تلك الحالة من خلال العبارات الواردة في تلك الأخبار، ونذكر منها على سبيل المثال:

١ـ بكاء النبي صلى الله عليه وآله ونحيبه حين ولادة الإمام الحسين عليه السلام، حينما أُخبر بمقتله، وهو ما أوضحته بعض الروايات.

٢ ـ ظهور علائم الحزن على وجه رسول الله صلى الله عليه وآله، وأنّه كان مغتمّاً كاسف البال، فضلاً عن بعض الألفاظ ذات المداليل الأكثر حزناً، ومنها: ما جاء في رواية الإمام علي عليه السلام حيث يقول: «**دخلت على رسول الله وعيناه تفيضان من الدموع**»، ومنها: بكاء أمير المؤمنين عليه السلام بكاءً شديداً، حتى اخضلّت لحيته بدموعه، وسالت دموعه على صدره.

ثالثاً: بعدما حدّدت بعض تلك الروايات قاتل الإمام الحسين عليه السلام، بيّنت موقف النبي صلى الله عليه وآله منه، إذ أخذ النبي صلى الله عليه وآله يدعو عليه ويلعنه، وبيّن للأُمّة الإسلامية شدّة غضب الله عليه، وهو ما اتّضح من بعض الروايات التي نقلناها سابقاً، وفي ذلك تجسيد عملي للّعن والدعاء على قتلة ريحانة الرسول صلى الله عليه وآله.

رابعاً: التأكيد على التربة المطهّرة، ولعلّ أكثر الروايات أشارت إلى أنّ جبرائيل عليه السلام والملائكة الذين زاروا رسول الله صلى الله عليه وآله، وقدّموا له العزاء، أروه تربة الإمام الحسين عليه السلام وحملوها إليه، ووصفوا تربته بأنّها حمراء، وأنّها ذات رائحة زكية. والظاهر من الاهتمام هذا عظمتها وفضلها؛ إذ جعل الله الشفاء فيها واحدة من خصائصها التي خصّها الله تعالى بها[1].

يتداعى للخاطر بعدما وصلنا إلى هذا المقام، أنّ هذه الأخبار التي أخبر بها رسول الله صلى الله عليه وآله أكثر من مرّة، تعلن عن غاية تتبع ذلك، وهي أنّها، في الوقت الذي تُعتبر تجسيداً من قبل النبي صلى الله عليه وآله لتلك الشعائر، تؤسّس لشعائرية مراسم العزاء الحسيني أوّلاً، وتجذّرها ثانياً، ولعلّ في نزول الملائكة المتكرّر وتقديمهم العزاء لرسول الله صلى الله عليه وآله

(١) أُنظر: الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٤، ص٥٨٨. الصدوق، محمد بن علي، مَن لا يحضره الفقيه: ج٢، ص٥٩٩ـ٦٠٠. الفتال النيسابوري، محمد بن الفتال، روضة الواعظين: ص٤١١ـ٤١٢. ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، لسان الميزان: ج٢، ص٢٣٧.

تأكيداً على إقامة تلك الشعائر.

خامساً: لو ألقينا نظرة إجمالية على تلك المواقف، وردود أفعال النبي صلى الله عليه وآله على إخبارات جبرائيل عليه السلام، نخرج بالنتائج التالية:

١ـ الدعوة لنصرة الإمام الحسين عليه السلام.

٢ـ الاقتصار على قيام النبي صلى الله عليه وآله والزهراء صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام بتجسيد بعض تلك الشعائر، وعدم اقترانها بالدعوة للزيارة أو ما شابه ذلك من الأُمور التي نجدها في المرحلة التالية، وهذا ما يميّز روايات المرحلة الأُولى التي سبقت الواقعة عما تلاها في المرحلة الثانية.

وبعبارة أُخرى: نستطيع القول: إنّ أدبيات الرواية اختلفت وتبدّلت بما ينسجم مع الأوضاع والظروف المحدقة بها، وبما يؤدّي إلى تحقيق الأهداف المرجوّة من الثورة.

الفترة الثانية: تجسيد الشعائر الحسينيّة بعد حدوث واقعة كربلاء

جاءت مرحلة تجذير الشعائر من قبل الأئمة عليهم السلام؛ استمراراً لمرحلة التأسيس والتنصيص والتجسيد الذي صدر عن رسول الله صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام في المرحلة الأُولى التي سبقت شهادة الإمام الحسين عليه السلام على شكل مرويّات وممارسات.

وقد برزت الشعائر كممارسات على نطاق أوسع بعد شهادة الإمام الحسين عليه السلام سنة (٦١هـ/ ٦٨١م) في كربلاء؛ إذ كان طريق الحفاظ على نتائج الثورة ومعطياتها يمرّ عبر استمرار تلك الشعائر، والحيلولة دون القضاء عليها، وهذا ما يبرزه ويوضّحه الإمام زين العابدين عليه السلام لمّا سأله إبراهيم بن طلحة بن عبيد الله حينما استقبله بقوله: «**يا علي بن الحسين، مَن غلب؟... فقال له علي بن الحسين** عليه السلام:

إذا أردت أن تعلم مَن غلب، ودخل وقت الصلاة، فأذّن ثمّ أقم»[1]. فقد عدّ الإمام زين العابدين عليه السلام استمرار شعائر الله علناً، وعلى رؤوس الأشهاد دليلاً حسّياً على انتصار نهضة الإمام الحسين عليه السلام.

وهنا لا بدّ أن يسجلّ التاريخ الإسلامي دور الإمام علي بن الحسين عليه السلام في كشف الزيف الأُموي، وبيان مظلومية الإمام الحسين وأهل بيته عليهم السلام، سواء في الكوفة أم في الشام، فلقد استمر الإمام عليه السلام على نهجه في ترسيخ الشعائر في وجدان الأُمة، وتعميق العاطفة في نفوس المسلمين، وتوجيههم من خلالها، وقد اغتنم الإمام عليه السلام جميع الفرص للقيام بذلك، حتى أصبحت تلك المواقف منطلقاً لجميع الأحرار، ولربما كان من أروع ما يمثّل تلك الحالة خطبته عليه السلام في الشام، إذ قال: «... **أنا ابن المرمّل بالدماء، أنا ابن مَن بكى عليه الجنّ في الظلماء، أنا ابن مَن ناحت عليه الطيور في الهواء. فلما بلغ كلامه عليه السلام إلى هذا الموضع، ضجّ الناس بالبكاء والنحيب، وخشي يزيد أن تكون فتنة، فأمر المؤذّن أن يؤذّن للصلاة...**»[2].

فقد أراد الإمام السجاد عليه السلام إلفات نظر المسلمين إلى أهداف النهضة الحسينية عبر التأثير في الرأي العام، وذلك من خلال أمرين:

أحدهما: تعريف الناس بنفسه وبأهل بيته عليهم السلام، وكيف اقتادتهم السلطة كأُسارى، وهم أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله.

ثانيهما: تعريف الناس بمظلومية الإمام الحسين عليه السلام، ممّا حرك في النفوس ازدراء فعل الحاكم، والاحتجاج عليه، الأمر الذي برز بعدّة أنحاء كان أوضحها تفاعل الناس وجدانياً بالبكاء.

وسنحاول تسليط الضوء في هذه المرحلة على ما جسّده أهل البيت عليهم السلام من الشعائر، وما أسّسوا له بعد الواقعة، وبيان تحوّل حالة التجسيد إلى صور لا تفارق المخيلة مهما تباعد الزمن، وتعاقبت الدهور، وقد تمثّل ذلك في الشعائر التالية:

---

(١) الطوسي، محمد بن الحسن، الأمالي: ص٦٧٧. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٥، ص١٧٧.
(٢) الحائري، جعفر عباس، بلاغة الإمام علي بن الحسين عليه السلام: ص١٠٣.

الشعيرة الأُولى: البكاء على الحسين عليه السلام

ليست شعيرة البكاء على أبي الأحرار عليه السلام أمراً يحتاج إلى بيان، فهي تمثّل الذروة التي يصبو إليها قارئ المقتل والذاكر لمصيبة الحسين عليه السلام، ولقد رسّخ الإمام زين العابدين عليه السلام الشعائر الحسينية برفعه شعار البكاء طيلة عمره الشريف، واستمرّ ذلك الفعل في زمن جميع الأئمة عليهم السلام من بعده، فلم يزل الإمام باكياً ليله ونهاره، حتى أشرف مولى لعلي بن الحسين عليهما السلام، وهو في سقيفة له ساجد يبكي، فقال له: «**يا مولاي، يا علي بن الحسين، أما آنَ لحزنك أن ينقضي؟ فرفع رأسه إليه، وقال: ويلك - أو ثكلتك أُمك - والله، شكا يعقوب إلى ربّه في أقل مما رأيت حتى قال: ﴿يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾[1]، إنّه فقد ابناً واحداً، وأنا رأيت أبي وجماعة أهل بيتي يُذبحون حولي**»[2].

وليس أبلغ من وصف الإمام الصادق عليه السلام للحالة التي كان عليها الإمام علي بن الحسين عليه السلام حيث قال: «**بكى علي بن حسين عليهما السلام على أبيه الحسين عشرين سنة، أو أربعين سنة**[3]**، وما وضع بين يديه طعاماً إلّا بكى على الحسين عليه السلام، حتى قال له مولى له: جعلت فداك يا ابن رسول الله، إني أخاف عليك أن تكون من الهالكين، قال: ﴿إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾[4]، إني لم أذكر مصرع بني فاطمة إلّا خنقتني العبرة لذلك**»[5].

ويذكر أنّ الكميت أتى الإمام الباقر عليه السلام، فأذن له ليلاً وأنشده، فبكى الإمام الباقر عليه السلام، ثم قال: «**يا كميت، لو كان عندنا مال لأعطيناك، ولكن لك ما قال**

---

(١) يوسف: آية٨٤.

(٢) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص٢١٤. البروجردي، حسين، جامع أحاديث الشيعة: ج٣، ص٤٧٨.

(٣) الترديد من الرواي.

(٤) يوسف: آية٨٦.

(٥) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص٢١٣. وأُنظر: الصدوق، محمّد بن عليّ، الخصال: ص٢٧٣.

رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) لحسان بن ثابت: لا زلت مؤيّداً بروح القدس ما ذببت عنّا أهل البيت»[1].

وهكذا كانت حالة البكاء الشديد التي يعيشها أئمة أهل البيت عليهم السلام، وخصوصاً عندما يحلّ يوم العاشر، ولعلّ أوضح صورة لها هي ما جاء في رواية عبد الله بن سنان، التي يصوّر فيها الحالة المؤلمة التي كان يعيشها الإمام الصادق عليه السلام حيث قال: «**دخلت على سيدي أبي عبد الله جعفر بن محمد عليهما السلام في يوم عاشوراء، فألفيته كاسف اللّون، ظاهر الحزن، ودموعه تنحدر من عينيه كاللؤلؤ المتساقط. فقلت: يا بن رسول الله، مّم بكاؤك؟ لا أبكى الله عينيك! فقال لي: أوَ في غفلة أنت؟ أما علمت أنّ الحسين ابن علي أُصيب في مثل هذا اليوم؟ فقلت: يا سيدي، فما قولك في صومه؟ فقال لي: صمه من غير تبييت، وافطره من غير تشميت، ولا تجعله يوم صوم كملاً، وليكن إفطارك بعد صلاة العصر بساعة على شربة من ماء، فإنّه في مثل ذلك الوقت من ذلك اليوم تجلّت الهيجاء على آل رسول الله، وانكشفت الملحمة عنهم، وفي الأرض منهم ثلاثونَ صريعاً في مواليهم، يعزّ على رسول الله صلى الله عليه وآله مصرعهم، ولو كان في الدنيا يومئذٍ حيّاً، لكان(صلوات الله عليه) هو المعزّى بهم. قال: وبكى أبو عبد الله حتى اخضلّت لحيته بدموعه...**»[2].

أما الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام، فخير مَن يصور شدّة حزنه وبكائه على جدّه الإمام الحسين بن علي عليهما السلام، وما جرى عليه في يوم عاشوراء، هو ما رواه الإمام الرضا عليه السلام بقوله: «**كان أبي إذا دخل شهر محرم، لا يُرى ضاحكاً، وكانت الكآبة تغلب عليه حتى يمضي منه عشرة أيام، فإذا كان يوم العاشر كان ذلك اليوم يوم مصيبته وحزنه وبكائه، ويقول: هو اليوم الذي قتل فيه الحسين(صلوات الله عليه)**»[3].

---

(١) المسعودي، علي بن الحسين، مروج الذهب: ج٣، ص٢٢٩.

(٢) الطوسي، محمد بن الحسن، مصباح المتهجد: ص٧٨٢.

(٣) الصدوق، محمد بن علي، الأمالي: ص١٩١.

هذا النص يبيّن لنا أنّ حزن وحداد الإمام موسى بن جعفر عليه السلام كان يمتدّ لعشرة أيام، ابتداءً من أوّل شهر محرّم حتى العاشر منه، وكان أشدّها عليه يوم العاشر من محرّم، فمن الطبيعي أن ينتقل هذا التطوّر إلى جموع الشيعة؛ إذ هي تقتدي بفعل الإمام عليه السلام وتتأسّى به.

ولقد استمرّت هذه العادة باتخاذ العشرة الأُولى من المحرم أيّام حداد وحزن وبكاء بعد ذلك، وهذا ما أكّده الريّان بن شبيب عن الإمام الرضا عليه السلام بقوله: «... **يا بن شبيب، إنّ المحرّم هو الشهر الذي كان أهل الجاهلية يحرّمون فيه الظلم والقتال لحرمته، فما عرفت هذه الأُمة حرمة شهرها، ولا حرمة نبيها، لقد قتلوا في هذا الشهر ذرّيته، وسبوا نساءه، وانتهبوا ثقله، فلا غفر الله لهم ذلك أبداً! يا بن شبيب، إنّ كنت باكياً لشيء فابك للحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام، فإنّه ذُبح كما يُذبح الكبش، وقُتل معه من أهل بيته ثمانية عشر رجلاً، ما لهم في الأرض شبيهون، ولقد بكت السماوات السبع والأرضون لقتله... إن بكيت على الحسين حتى تصير دموعك على خدّيك، غفر الله لك كلّ ذنب أذنبته، صغيراً كان أو كبيراً، قليلاً كان أو كثيراً. يا بن شبيب، إن سرّك أن تلقى الله عزّ وجلّ ولا ذنب عليك، فزر الحسين عليه السلام... يا بن شبيب، إن سرّك أن تكون معنا في الدرجات العلى من الجنان، فاحزن لحزننا، وافرح لفرحنا، وعليك بولايتنا، فلو أنّ رجلاً أحبّ حجراً لحشره الله عزّ وجلّ معه يوم القيامة**»[1].

وهكذا الحال عند صاحب العصر الحجة بن الحسن عجّل الله تعالى فرجه الشريف، فقد بكى جدّه الإمام الحسين عليه السلام كما يشهد له قوله عجّل الله تعالى فرجه الشريف: «... **فلأندبنك صباحاً ومساءً، ولأبكين عليك بدل الدموع دماً، حسرة عليك، وتأسّفاً على ما دهاك وتلّهفاً، حتى أموت بلوعة المصاب، وغصّة الاكتياب...**»[2].

---

(١) الصدوق، محمّد بن علي، عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج٢، ص٢٦٨ ـ ٢٦٩.

(٢) المشهدي، محمد بن جعفر، المزار: ص٥٠١. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٩٨، ص٢٣٨.

الشعيرة الثانية: ذكر مصيبة الحسين عليه السلام ونشرها

تشتمل هذه الشعيرة على ذكر أهل البيت عليهم السلام لمظلومية الإمام الحسين عليه السلام، وما جرى عليه، وبيانها للقريب والبعيد، وحثّ المسلمين ـ لا سيّما أتباعهم ـ على ذلك، مضافاً إلى دعوتهم للبكاء عليه، حيث روي عن إمامنا الباقر عليه السلام: «﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾[1] [فقال الإمام الباقر عليه السلام]: **الحسين بن علي منهم، ووالله إنّ بكاءكم عليه، وحديثكم بما جرى عليه، وزيارتكم قبره، نصرة لكم في الدنيا، فأبشروا فإنّكم معه في جوار رسول الله صلى الله عليه وآله**»[2]. وإنّه أجر الرسالة لقوله تعالى: ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾[3].

ويظهر تأكيد هذه الشعيرة جليّاً من خلال توجيه الإمام الباقر عليه السلام لأحد أتباعه ممّن لم يتمكّن من إقامة العزاء عند قبر الإمام الحسين عليه السلام حينما أرشده بقوله: «**ثم ليندب الحسين عليه السلام ويبكيه، ويأمر مَن في داره بالبكاء عليه، ويقيم في داره مصيبته بإظهار الجزع، ويتلاقون بالبكاء**»[4].

الشعيرة الثالثة: رثاء الحسين عليه السلام بالشعر

يعدّ شعر الرثاء الحسيني وسيلة من وسائل الإعلام المتحرّك، وعنصراً من عناصر تصوير الحدث، ونقل المأساة الحسينية من خلال تمثيل تلك المعاني بالشعر الرثائي. ويُعتبر هذا الشعر أحد أركان المجالس الحسينية، إن لم يكن هو الأساس فيها؛ إذ يعمل على نقل المأساة وتصويرها بما يثير الحزن في النفوس، ويهيج العواطف، ويستدر الدموع، وهو يؤدّي ما أراده أئمة أهل البيت عليهم السلام من ربط الأُمة وجدانياً

(١) غافر: آية ٥١.

(٢) الثمالي، أبو حمزة، تفسير أبي حمزة الثمالي: ص٢٩٠.

(٣) الشورى: آية٢٣.

(٤) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص٣٢٦.

بمأساة الإمام الحسين عليه السلام، وجعلها حيّة في النفوس، هذا الإحياء الذي يمثّل في حدّ ذاته عملية تجديد الولاء مع أهل البيت عليهم السلام، والتعبير عن التعاطف الوجداني مع حقوقهم المسلوبة.

ولم يألُ أهل البيت عليهم السلام جهداً بغية ترسيخ الشعائر الحسينية في وجدان الأُمة، متّخذين سُبلاً مختلفة لإحياء تلك الشعائر التي من شأنها أن تجعل ذكرى الإمام الحسين عليه السلام ماثلة للعيان، ومتجدّدة في كلّ حين، وهذا من شأنه أن يرسّخ لدى الأُمة أهداف حركة الإمام الحسين عليه السلام ومبادئها الإصلاحية، وما يستلزمه ذلك من سلب لمشروعية الأعداء.

ولعل أوّل شعر رثائي حسيني هو ما قاله الإمام علي بن الحسين عليه السلام بعد مقتل الإمام الحسين عليه السلام من مقاطع شعرية يرثي فيها أباه الإمام الحسين عليه السلام، موبّخاً أهل الكوفة على ما كان منهم من نكث للعهود، والخروج على الإمام وقتله، يقول عليه السلام:

لا غروَ إنْ قُتِلَ الحسينُ وشيخُهُ ... قَدْ كانَ خيراً مِنْ حسينٍ وأكرما
فلا تفرحوا يا أهلَ كوفةَ بالذي ... أُصيبَ حسين كانَ ذلك أعظما
قتيلٌ بشطِّ النهرِ نفسي فداؤهُ ... جزاءُ الذي أرداهُ نارُ جهنَّما[1]

يبدي الإمام زين العابدين عليه السلام من خلال هذه المقطوعة مشاعر حزنه تجاه أبيه الإمام الحسين عليه السلام الذي قتل بجنب شط الفرات، وعلى جدّه أمير المؤمنين عليه السلام الذي كان أفضل من الإمام الحسين عليه السلام، والذي قُتل بالكوفة أيضاً، ويؤاخذ الإمام عليه السلام أهل الكوفة بفعلتهم، وباستعماله لتركيب (شط الفرات) يؤسّس لرمزية عطش الإمام الحسين عليه السلام، الأمر الذي يضيف بطبيعة الحال للرثاء لوعة وألماً وحرقة.

كذلك رثت السيدة زينب عليها السلام أخاها الإمام الحسين عليه السلام لمّا رأت رأسه مرفوعاً على القنا، فأومأت إليه بحرقة، وهي تقول:

---

(١) الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج: ج٢، ص٣٢.

يـا هــلالاً لمـا اسـتـتـمَّ كـمالا غالَـهُ خَسْـفُهُ فأبـدَى غروبـا
مـا تَوَهَّمْـتُ يـا شـقيقَ فـؤادي كـانَ هـذا مُـقـدَّراً مكتُوبا
يـا أخـي فاطـمُ الصغـيرةُ كلِّمهـا فقـدْ كادَ قلبُهـا أنْ يَذُوبـا[1]

وهنـا راحت تبثّ لرأس المولى الشـكوى بعاطفة مشـبوبة، تصوّر بذلك حسرتها وحسرت بنات الإمام عليه السلام على فقدانه، وما لحقهم من اليتم بمقتله.

وممّن رثى الإمام الحسين عليه السلام من أهل البيت أُم كلثوم بنت أمير المؤمنين عليه السلام عندما عاد الركب الحسيني إلى مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله، فأنشدت قصيدة مطلعُها:

مـديـنـةَ جـدِّنـا لا تقبلينا فبالحسراتِ والأحزانِ جِينا[2]

وهـي قصيـدة طويلة تربوا على الثلاثين بيتاً مشـبعة بعاطفة الحزن والشـكوى لجدّها رسـول الله صلى الله عليه وآله ولأُمها الزهراء عليها السلام، تشـكو خلالها غدر الأُمّة وبطـش الظالمين، وما لاقاه الإمام الحسين عليه السلام، وما عانته السبايا من عنت وقسوة في رحلة السبي.

وقـد ثمّـن أهل البيـت عليهم السلام مواقف الشـعراء، ونصرتهـم الحقيقية لقضيـة الإمام الحسـين عليه السلام، وولائهـم لآل بيت النبوة، فقـد كرّم الإمام الباقر عليه السلام مَـن يفد عليه من الشـعراء الذين يرثون الإمام الحسـين عليه السلام بوعده إيّاهم بثواب الآخرة، والدعاء لهم، ومنحهـم جزيـل العطـاء، ويُذكر أنّ الكميـت أتى الإمـام الباقر عليه السلام، فـأذن له ليلاً، وأنشده قصديته الميمية التي يقول فيها:

مَـنْ لقلـبٍ مُتيَّـمٍ مُسـتهامِ غـيرَ مـا صبـوةٍ ولا أحـكامِ
بَـلْ هـوايَ الـذي أُجـنُّ وأُبـدي لبنـي هاشـمٍ أجَـلِّ الأنـامِ[3]

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٥، ص١١٥. القندوزي الحنفي، سليمان بن إبراهيم، ينابيع المودة لذوي القربى: ج٣، ص٨٧.
(٢) أُنظر: القندوزي الحنفي، سليمان بن إبراهيم، ينابيع المودة لذوي القربى: ج٣، ص٩٤. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٥، ص١٩٧.
(٣) المرزباني الخراساني، محمد بن عمران، مختصر أخبار شعراء الشيعة: ص٧٤.

فلمّا بلغ قوله:

وقتيلٍ بالطفِّ غُودرَ مِنهُمْ بينَ غوغاءِ أُمَّةٍ وطَغامِ

بكى الإمام الباقر عليه السلام، ثمّ قال: «**يا كميت، لو كان عندنا مال لأعطيناك، ولكن لك ما قال رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) لحسان بن ثابت: لا زلت مؤيّداً بروح القدس ما ذببت عنّا أهل البيت**»[1]. وفي رواية أُخرى قال الإمام الباقر عليه السلام: «**اللّهم اغفر للكميت! اللّهم اغفر للكميت... فأعطاه الإمام عليه السلام ألف دينار وكسوة، فقال له الكميت: والله، ما أحببتكم للدنيا، ولو أردت الدنيا لأتيت مَن هي في يديه، ولكنّي أحببتكم للآخرة، فأمّا الثياب التي أصابت أجسامكم، فأنا أقبلها لبركاتها، وأمّا المال فلا أقبله، فردّه وقَبِل الثياب**»[2].

وقد احتفى سائر أئمة أهل البيت عليهم السلام بالشعراء، فكانوا يستقبلونهم في بيوتهم، ولقد ارتبط رثاء أولئك الشعراء بمجالس عقدها الأئمة عليهم السلام من أجل البكاء فيها على الإمام الحسين عليه السلام، ونرى تلك الظاهرة تبرز على أوجها في زمن الإمام الصادق عليه السلام؛ لوفرة الشعراء الذين كانوا يقولون الشعر في الحسين عليه السلام، أو ظهور المنشدين الذين ينشدون قصائد قد رثى بها الشعراء الإمام الحسين عليه السلام.

وهنالك جملة من المجالس الحسينية التي عقدها أئمة أهل البيت عليهم السلام بحضور الشعراء، وقد أشرك أئمة أهل البيت عليهم السلام النساء في سماع تلك المجالس والحضور فيها، وكان حضورهن بمعزل عن الرجال، يسمعن من وراء حجاب، ومنها تلك المجالس التي عقدت بحضور الشاعر السيّد الحميري، فقد روى علي بن إسماعيل عن أبيه قال: «**كنت عند أبي عبد الله جعفر بن محمد إذ استأذن آذنه للسيّد، فأمره**

(١) المسعودي، علي بن الحسين، مروج الذهب: ج٣، ص٢٢٩.
(٢) أبو الفرج الإصفهاني، علي بن الحسين، الأغاني: ج١٧، ص٢٠.

بإيصاله، وأقعد حرمه خلف ستر، ودخل فسلّم وجلس، فاستنشده فأنشده قوله:

أُمــرُرْ على جَـدَثِ الحسينِ ... فقُـلْ لأعظُمِـهِ الزَّكِيَّـه
يا أعظُمــاً لا زلــتِ مِــنْ ... وطفـاءَ سـاكبةٍ رويَّـه
وإذا مــرَرْتَ بقبــرِهِ ... فأطِـلْ بِـهِ وقـفَ المَطِيَّه
وابكِ المُطهَّـرَ للمُطَـهَّرِ ... والمُطَـهَّـرةِ النَّـــقِيَّـه
كـبـكـاءِ مُـعـولـةٍ أتَــتْ ... يومـاً لواحدِهـا المَنِيَّـه

قـال: فرأيت دموع جعفر بن محمد تتحدّر على خدّيه، وارتفع الصراخ والبكاء من داره، حتى أمره بالإمساك فأمسك»[1].

وهنالك مجالس أُخرى عقدت بحضور شعراء آخرين، منهم: الشاعر أبو هارون المكفوف، وسفيان بن مصعب العبدي، وأبو الرميح الخزاعي، وأبو عمارة، وغيرهم.

وفي عهد الإمام الرضا عليه السلام واصل الإمام عليه السلام إقامة مجالس العزاء بحضور الشعراء، فقد روي عن الشاعر دعبل بن علي قوله: «دخلت على سيدي ومولاي علي بن موسى الرضا عليه السلام في مثل هذه الأيام، فرأيته جالساً جلسة الحزين الكئيب، وأصحابه من حوله، فلما رآني مقبلاً قال لي: مرحباً بك يا دعبل! مرحباً بناصرنا بيده ولسانه! ثم إنّه وسّع لي في مجلسه، وأجلسني إلى جانبه... ثم التفت إليّ وقال لي: يا دعبل، ارثِ الحسين، فأنت ناصرنا ومادحنا، ما دمت حيّاً فلا تقصر عن نصرنا ما استطعت. قال دعبل: فاستعبرت وسالت عبرتي، وأنشأت أقول:

أفاطـمُ لـو خِلْـتِ الحسـينَ مُجدَّلاً ... وقَـدْ مـاتَ عطشـاناً بشـطِّ فـراتِ
إذاً للطمـتِ الخـدَّ فاطـمُ عنـدَهُ ... وأجريتِ دمعَ العينِ في الوجناتِ»[2].

(١) المصدر السابق: ج٧، ص١٧٥.
(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٥، ص٢٥٧.

الشعيرة الرابعة: إقامة مجالس العزاء والنوح بواسطة الشعراء

ممّا يثبت هذا الأمر، وهو الإتيان بالشعر على نمط النياحة وبطريقته الخاصة، ما روي عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام، لمّا أراد أبو هارون إنشاده، إذ طلب منه الإمام عليه السلام أن ينشده أبو هارون إنشاداً شجيّاً حزيناً، فقال عليه السلام: «**أنشدني كما تنشدون** [يعني بالرقة]»[1].

وبلغ من اهتمام الإمام الصادق عليه السلام بالنوح أن أمر الشاعر العبدي أن ينظم للنائحات ما ينحن به في المآتم النسائية[2]، كما حثّ الشيعة بقوله: «**يا معشر الشيعة، علّموا أولادكم شعر العبدي؛ فإنّه على دين الله**»[3]، وبذلك يؤكّد الإمام الصادق عليه السلام إحياء الشعائر الحسينية، وتخليد ذكرى مقتله متجدّدة حاضرة كلّ عام، وفي كلّ مكان، ومن هنا يُذكر أنّ الكميت وفد أيام الحج على الإمام الصادق عليه السلام واستأذنه بالإنشاد، قائلاً له: «**جعلت فداك ألا أنشدك؟ قال: إنها أيّام عظام. قال الكميت: إنها فيكم، قال: هات [وبعث أبو عبد الله إلى بعض أهله فقرب] فأنشده، فكثر البكاء، وحين أتى على هذا البيت:**

يُصيبُ بهِ الرّامونَ عن قوسِ غَيرِهِمْ ... فيا آخراً سدَّى لهُ الغيَّ أوّلُ

فرفع أبو عبد الله عليه السلام يديه فقال: اللهم اغفر للكميت ما قدّم وأخّر، وما أسرّ وما أعلن، وأعطه حتى يرضى»[4].

ما يلاحظ في هذا النص أنّ الكميت هو الذي بادر الإمام الصادق عليه السلام واستأذنه في الإنشاد، فذكّره الإمام عليه السلام أنّ تلك الأيّام هي أيام الحج التي يُكره فيها قول الشعر، ولما كانت القصيدة في الحسين عليه السلام لم يكتفِ الإمام الصادق عليه السلام بالاستماع إليها منفرداً، بل دعا بعض أهله؛ ليكون هناك تجمع ومأتم يستمع إلى قصيدة رثاء بحقّ الإمام الحسين عليه السلام، حتى لو كانت الأيّام أيّام الحج.

---

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص٢٠٨.
(٢) أُنظر: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٧٦، ص٢٦٣.
(٣) المصدر السابق: ج٧٦، ص٢٩٣.
(٤) أبو الفرج الإصفهاني، علي بن الحسين، الأغاني: ج١٧، ص٢٠.

الشعيرة الخامسة: إقامة المجالس لذكر واقعة كربلاء وما جرى فيها

قد تُذكر لفظة المجالس ويراد بها: تلك التجمعات التي تُعقد في أيّام عاشوراء، أو الأيّام الأُخرى لتخليد ذكرى الحسين عليه السلام، وإحياء واقعة عاشوراء، حيث صار أتباع أهل البيت عليهم السلام يعقدون المجالس عملاً بسيرة أئمتهم، ويتداولون فيها أحداث كربلاء، وما جرى فيها من مصيبة على الحسين عليه السلام وأهل بيته عليهم السلام، حتى أصبحت تلك المجالس نواة ثقافية يتعاطى فيها شيعة أهل البيت عليهم السلام مختلف علوم آل محمد صلى الله عليه وآله، من خلال وكلاء الأئمة من الفقهاء والشعراء والخطباء وغيرهم.

قد بدأ أهل البيت عليهم السلام بإقامة مجالس العزاء منذ الوهلة الأُولى لفاجعة الطف، ويمكن عدّها المآتم الأُولى التي أعقبت المصيبة، والتي تضفي شرعية لانعقادها؛ لأنّها كانت تحت إشراف الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام.

ولعلّ أوّل تلك المجالس هي مجالس النساء العلويّات، ومَن كان معهن من نساء الأنصار لمّا وقفن على مصارع الشهداء، «**فلطمن النسوة، وصحن حين مررن بالحسين، وجعلت زينب بنت علي تقول: يا محمداه، صلّى عليك مليك السماء، هذا حسين بالعراء، مرمّل بالدماء، مقطع الأعضاء، يا محمداه، وبناتك سبايا، وذرّيتك مقتلة، تسفي عليها الصبا. فأبكت كلّ عدو وولي**»[1].

أمّا مجلس العزاء الثاني، فقد انعقد بالكوفة، وذلك عند وصول سبايا آل محمد صلى الله عليه وآله إليها، وهو ما يصوّره ابن طيفور عن لسان حذام الأسدي حيث قال: «**فقدمت الكوفة سنة إحدى وستين، وهي السنة التي قُتل فيها الحسين عليه السلام، فرأيت نساء أهل الكوفة يومئذٍ يلتدمن**[2]**... ورأيت علي بن الحسين عليه السلام، وهو يقول ـ بصوت ضئيل، وقد نحل من المرض ـ: يا أهل الكوفة، إنّكم تبكون علينا! فمن قتلنا غيركم؟!**»[3].

---

(١) البلاذري، أحمد بن يحيى، أنساب الأشراف: ج٣، ص٤١١.

(٢) يلتدمن: لدمت المرأة وجهها: ضربته، والالتدام: الاضطراب، والتدام النساء: ضربهن صدورهن في النياحة. أُنظر: الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح: ج٥، ص٢٠٢٨.

(٣) ابن طيفور، أحمد بن أبي طاهر، بلاغات النساء: ص٢٣.

وقد أقام سبايا آل محمد صلى الله عليه وآله مجالس العزاء طيلة فترة وجودهم في بلاد الشام، حيث يُذكر أنّه لما سار أهل البيت إلى الشام أمر يزيد بإيوائهم في خربة لا تقيهم من حرّ ولا برد، فأقاموا بها حتى تقشّرت وجوههم، وكانوا مدّة إقامتهم ينوحون الحسين ويبكون عليه[1].

وتشير المصادر التاريخية إلى أنّ نساء آل البيت عليهم السلام أقمن المأتم على الإمام الحسين عليه السلام في دمشق لعدّة أيّام، بعد أن أذن لهنّ يزيد بذلك، وهذا ما أشار اليه البلاذري بقوله: «**وصيح نساء من نساء يزيد بن معاوية، وولولن حين أُدخل نساء الحسين عليهنّ، وأقمن على الحسين مأتماً، ويقال: إنّ يزيد أذن لهنّ في ذلك**»[2].

والمستفاد من بعض النصوص التاريخية، أنّ مأتم الحسين عليه السلام استمر أكثر من ذلك، وهو ما أشار إليه ابن أعثم الكوفي بقوله: «**وأقاموا أياماً يبكون وينوحون على الحسين** عليه السلام»[3].

وقد أشار الذهبي إلى أنّ مأتم الإمام الحسين عليه السلام أُقيم ثلاثة أيام بقوله: «**وأمر** [يزيد] **نساء آل أبي سفيان، فأقمن المأتم على الحسين ثلاثة أيام**»[4]، وروي أنّ العزاء استمرّ سبعة أيام: «... **ثم أُخليت لهن الحُجر والبيوت في دمشق، فلم تبقَ هاشمية ولا قرشية إلّا ولبست السواد على الحسين** عليه السلام، **وندبوه ـ على ما نقل ـ سبعة أيام...**»[5].

بينما ذكر ابن نما أنّ عزاء الهاشميات على الحسين عليه السلام استمرّ طيلة مدّة إقامتهن في بلاد الشام بقوله: «**وكانت النساء مدّة إقامتهن بدمشق ينحن عليه بشجو وأنّة، ويندبن**

---

(١) أُنظر: أبو حنيفة، النعمان بن أحمد، شرح الأخبار: ج٣، ص٢٦٨ـ ٢٦٩. الصدوق، محمد بن علي، الأمالي: ص٢٣١.

(٢) البلاذري، أحمد بن يحيى، أنساب الأشراف: ج٣، ص٢١٧.

(٣) ابن أعثم، أحمد، الفتوح: ج٥، ص١٣٣.

(٤) الذهبي، محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء: ج٣، ص٣٠٣ـ ٣٠٤.

(٥) البروجردي، حسين، جامع أحاديث الشيعة: ج١٦، ص٦٩٩.

بعويـل ورنّـة»[1]، وما أكّده كذلـك ابن طاووس بقوله: «**وكانوا مـدّة إقامتهم في البلد المشار إليه ينوحون على الحسين**عليه السلام»[2].

كما أقام أهل البيت عليهم السلام مجالس العزاء والمأتم على الإمام الحسـين عليه السلام في كربلاء لما عاد ركب السـبايا إلى مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله، وهو ما ذكـره السيد ابن طاووس بقوله: «**فوصلـوا إلى موضـع المصرع، فوجدوا جابر بـن عبد الله الأنصـاري، وجماعـة من بني هاشـم، ورجالاً من آل الرسـول**صلى الله عليه وآله**، قد وردوا لزيارة قبر الحسـين**عليه السلام**، فوافوا في وقت واحـد، وتلاقوا بالبـكاء والحزن واللطم، وأقاموا المآتم المقرحـة للأكباد، واجتمع إليهم نسـاء ذلك السـواد، فأقاموا على ذلك أيّاماً**»[3]، وهو ما أكّده القنـدوزي الحنفي قائلاً: «**فأخـذوا بإقامـة المآتم إلى ثلاثـة أيـّام**»[4].

ثـم إنّ أهل بيت رسـول الله صلى الله عليه وآله غـادروا كربلاء قاصدين مدينة رسـول الله صلى الله عليه وآله، بعدمـا أقاموا مأتم العزاء فيها[5]، وشـاركهم فيها أهل تلك الديار؛ وبذلك أُسِّسـت النواة الأُولى لإقامة المجالس الحسـينية التي أصبحت سـنّة اسـتمرّت من ذلك اليوم إلى وقتنا هذا، وتواصلت إقامة المآتم ومجالس العزاء على الإمام الحسين عليه السلام في المدينة المنوّرة بعـد عودة أهل البيت عليهم السلام مـن سـبي الشام، فقد ذكر ابن نما: «**فلما وصل زين العابدين**عليه السلام **إلى المدينة، نزل وضرب فسـطاطه، وأنزل نسـاءه، وأرسـل بشـير بن حذلم لإشعار أهل المدينة بإيابه مع أهله وأصحابه، فدخل وقال:**

يا أهلَ يثربَ لا مُقامَ لَكُمْ بها ... قُتلَ الحسينُ فأدمعي مِدرَارُ
الجسمُ منهُ بكربلاءَ مُضرَّجٌ ... والرأسُ منهُ على القناةِ يُدارُ

---

(١) الحلي، ابن نما، مثير الأحزان: ص٨١.
(٢) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف على قتلى الطفوف: ص١٠٩.
(٣) المصدر السابق: ص١١٤.
(٤) القندوزي، سليمان بن إبراهيم، ينابيع المودة: ج٣، ص٩٢.
(٥) أُنظر: ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف على قتلى الطفوف: ص١١٥. الأمين: محسن، أعيان الشيعة: ج١، ص٦١٧.

ثـم قـال: هذا علي بن الحسـين عليه السلام قد نزل بسـاحتكم، وحلّ بعقوتكم، وأنا رسـوله أعرفكـم مكانـه. فلم يبـقَ في المدينة مخدّرة ولا محجّبة إلا برزت، وهـنّ بين باكية ونائحة ولاطمـة، فلم يُرَ يوم أمرّ على أهل المدينـة منه، وخرج الناس إلى لقائه، وأخذوا المواضع والطرق، قال بشـير: فعدت إلى باب الفسـطاط، وإذا هو قد خرج، وبيده خرقة يمسـح بهـا دموعـه، وخـادم معه كـرسي، فوضعـه وجلس، وهـو مغلوب عـلى لوعتـه، فعزّاه الناس، فأومى إليهم أن اسـكتوا، فسـكنت فورتهم، فقال: الحمد لله ربّ العالمين، مالك يـوم الدين، بارئ الخلائق أجمعين، الذي بَعُد فارتفع في السـماوات العلى، وقرب فشـهد النجوى، نحمده على عظائم الأُمور، وفجائع الدهور، وجليل الرزء، وعظيم المصائب. أيّها القوم، إنّ الله ـ وله الحمد ـ ابتلانا بمصيبة جليلة، وثلمة في الإسلام عظيمة، قُتل أبو عبد الله وعترته، وسُـبي نسـاؤه وصبيته، وداروا برأسـه في البلدان من فوق عالي السنان، أيّهـا النـاس، فأيُّ رجالات منكم يسرّون بعد قتله؟! أم أيُّ عين تحبس دمعها وتضنّ عن انهمالها؟! فلقد بكت السبع الشداد لقتله، وبكت البحار والسماوات والأرض والأشجار والحيتان والملائكة المقرّبون وأهل السماوات أجمعون...»[1].

لقد أعطى الإمام زين العابدين عليه السلام الخطوط العامة لإقامة المجالس بهذه المضامين التي تضمّنها خطابه، هذا من جانب، ومن جانب آخر وجّه أهل المدينة خاصّة والناس عامّة إلى عمق الجراح والمصيبة والثلمة التي ثُلمت من الإسـلام، وقبح الجريمة التي ارتكبهـا بنـو أُمية، وقد حثّ عليه السلام على اتّخاذ المواقف بشـأن ما فعلـه الأُمويّون، وذلك عندما أشار إلى تصدّع القلب والسمع لقوله: «أيها الناس، أيُّ قلب لا ينصدع لقتله؟! أم أيُّ فؤادٍ لا يحنّ إليه؟! أم أيُّ سمع يسمع هذه الثلمة التي ثُلمت في الإسلام»[2].

ولمـا دخل رحل الحسـين عليه السلام المدينـة كان أوّل عمل قاموا به هو زيارة قبر رسـول الله صلى الله عليه وآله، يشـكون إليه ما أصابهم، ويبثّونه حزنهم وما رأوه من ظلم وسـفك للدماء،

(١) الحلي، ابن نما، مثير الأحزان: ص٩٠ ـ ٩١.
(٢) المصدر السابق: ص٩١.

«وأمّا زينب فأخذت بعضادتي باب المسجد، ونادت يا جدّاه، إني ناعية إليك أخي الحسين»[1].

وأقامت الهاشميات مجالس العزاء والنياحة على الإمام الحسين عليه السلام، وما برحت حرائر آل محمد صلى الله عليه وآله يداومن على النياحة والحزن على الإمام الحسين عليه السلام، وكان علي بن الحسين عليهما السلام يتعهّدهنّ بالطعام، فعن عمر بن علي بن الحسين[2] قال: «**لما قُتل الحسين ابن علي عليه السلام لبسن نساء بني هاشم السواد والمسوح**[3]**، وكنّ لا يشتكين من حرٍّ ولا برد، وكان علي بن الحسين عليه السلام يعمل لهنّ الطعام للمأتم**»[4]، ويصف الإمام الصادق عليه السلام ما كان عليه حال نساء بني هاشم من حزن ووجد على مقتل الحسين عليه السلام بقوله: «**... ما اختضبت منّا امرأة ولا أدهنت، ولا اكتحلت ولا رجّلت حتى أتانا رأس عبيد الله بن زياد، وما زلنا في عبرة بعده، وكان جدّي إذا ذكره بكى حتى تملأ عيناه لحيته، وحتى يبكي لبكائه رحمة له مَن رآه**»[5].

إنّ ما يُميّز مجالس العزاء الأُولى التي أُقيمت في المدينة المنوّرة هو البكاء وحرارة العاطفة المشحونة بألم المصاب؛ لأنّ أغلب أفرادها قد عاينوا المأساة التي جرت على أهل البيت عليهم السلام، وعاشوا ظروف السبي وتحسّسوها، وبطبيعة الحال فقد نقلوا وقائع المقتل، وصوّروا ما جرى على أهل البيت عليهم السلام في كربلاء، وما لاقوه من معاناة السبي وآلامه، ولقد شهد أهل المدينة تلك المجالس.

وقد امتازت مآتم الرجال عن مآتم النساء كلاً بصفته، فمآتم الرجال كانت تبدأ بعبارات العزاء، وكانت تدور بعد ذلك الأحاديث عن الواقعة وملابساتها، وكانت

---

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٥، ص١٩٨.

(٢) «عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي المدني صدوق فاضل». ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، تقريب التهذيب: ج١، ص٧٢٤.

(٣) المسوح: جمع مسح، وهو كساء من الشعر الأسود. أُنظر، البغدادي، عبد القادر، خزانة الأدب: ج٥، ص١٩.

(٤) البرقي، أحمد بن محمد، المحاسن: ج٢، ص٤٢٠.

(٥) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص١٦٧ ـ ١٦٨.

هـذه الأحاديـث تعجّ بالنقمـة على الأُمويـين وأشـياعهم[1]، وقد حفظ لنـا التاريخ صورة عن أحد هذه المآتم الرجالية، وهو مأتم عبد الله بن جعفر الطيار[2]، وأمّا مآتم النسـاء، فقد كانت أكثر حرارة وعاطفة بطبيعة الحال، وصار بعضها يُعقد في المنازل، وقد يُعقد بعضها الآخر في البقيع، وكان نساء أهل المدينة يحضرن هذه المآتم، وبعض الرجال كانوا يحضرون في البقيع أيضاً، كما تشير إليه بعض الروايات التاريخية[3].

وفيـما يخـصّ مجالس النسـاء الطالبيـات كانت تشـتمل على بيـان الواقعـة بعبارة عاطفية، وبيان مناقب الشـهداء، يتخلّل ذلك شعر النوح، وربّما رافق ذلك لطم على الوجوه، ولطم على الصدور[4].

إنّ الأئمة عليهم السلام، واسـتمراراً لعملية التأسيس التي كانت بداياتها منذ العصر الأوّل للإسلام، نجدهم يحثّون على الشعائر مرّة من خلال التجسيد الذي يتضمّن دلالات في منتهـى الوضـوح، ومرّة أُخـرى يلجأون إلى الأُسـلوب المباشر للحـّث على إقامة الشـعائر، ولا سـيّما المجالس الحسـينية، بعيداً عن دلالة التنبيه أو الإشارة ونحوهما، فقـد شـهد عهد الإمام الباقر عليه السلام الذي كان حـاضراً في فاجعة كربلاء مع جدّه وأبيه، وعمره إذ ذاك أربع سنوات، توجّهاً جديداً في إقامة المأتم الحسيني، حيث أخذ الإمام الباقر عليه السلام يوجّه أتباع آل البيت عليهم السلام إلى ضرورة إقامة المآتم الحسينية في بيوتهم، وكيفية إقامتهـا كـما في الحديث الـذي يرويه مالك الجهنـي: «**ثم ليندب الحسـين عليه السلام ويبكيه، ويأمـر مَـن في داره بالبكاء عليـه، ويقيـم في داره مصيبته بإظهار الجزع عليـه، ويتلاقون بالبكاء بعضهم بعضاً بمصاب الحسين عليه السلام... قلت: فكيف يُعزّي بعضهم بعضاً؟ قال:**

(١) أُنظر: شمس الدين، محمد مهدي، واقعة كربلاء في الوجدان الشيعي: ص٣٢٧.

(٢) أُنظر: ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج٤، ص٨٩. الإربلي، علي بن عيسى، كشف الغمة: ج٢، ص٢٨٠.

(٣) أُنظر: أبو مخنف الأزدي، لوط بن يحيى، مقتل الحسين عليه السلام: ص١٨١.

(٤) أُنظر: شمس الدين، محمد مهدي، واقعة كربلاء في الوجدان الشيعي: ص٣٢٧.

يقولون: عظم الله أُجورنا بمصابنا بالحسين عليه السلام، وجعلنا وإيّاكم من المطالبين بثأره مع وليّه الإمام المهدي من آل محمد صلى الله عليه وآله...»[1].

وما دعوة الإمام الباقر عليه السلام أصحابه لإقامة هذه المآتم في البيوت إلّا كاشف عن الحالة السياسية العامّة التي كانت تمنع وتحارب مثل هكذا تجمعات، وتعتبرها تحريضاً ضد السلطة الحاكمة، كما تنقل المصادر توجيهاً آخر من قبل الإمام الباقر عليه السلام أيضاً لإقامة المجالس من دون تخصيص تلك المجالس بزمان معيّن، وذلك بقوله عليه السلام: «**رحم الله عبداً اجتمع مع آخر، فتذاكرا أمرنا، فإنّ ثالثهما مَلَك يستغفر لهما، وما اجتمع اثنان على ذكرنا إلّا باهى الله بهما الملائكة، فإذا اجتمعتم فاشتغلوا بالذكر، فإنّ في اجتماعكم ومذاكرتكم إحياءنا، وخير الناس من بعدنا مَن ذاكر بأمرنا، ودعا إلى ذكرنا**»[2].

فكان هذا التأكيد ناشئاً من مدى أهمية إقامة المجالس التي تعتبر المحور البنائي لشخصية الجماعة الصالحة المرتبطة بالخط الولائي لأهل البيت عليهم السلام، والتي تُبنى وفق الأفكار والتوجيهات الصادرة منهم عليهم السلام، وصار الالتزام بإحيائها، يُمثّل نصرة للإمام الحسين عليه السلام.

وهكذا الحال في عهد الإمام الصادق عليه السلام؛ إذ أصبحت التجمّعات المخصّصة لذكر أهل البيت عليهم السلام ومصيبة الإمام الحسين عليه السلام أمراً مألوفاً في أوساط الشيعة، فقد روي أنّ الإمام الصادق عليه السلام قال للفضيل بن يسار: «**تجلسون وتتحدّثون؟ فقال: نعم. فقال: إنّ تلك المجالس أحبّها، فأحيوا أمرنا، فرحم الله مَن أحيى أمرنا**»[3].

وقد تطوّرت المجالس في عهد الإمام الصادق عليه السلام، ولم تقتصر على إلقاء الشعر الرثائي بحقّ الإمام الحسين عليه السلام كما ذكرنا، بل تطوّر الأمر أكثر حينما اعتمدت تلك المجالس الحسينية نمطاً آخر في إلقاء الشعر الرثائي والبكاء، واستخدام الرقّة

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص٣٢٦.
(٢) الطوسي، محمد بن الحسن، الأمالي: ص٢٢٤.
(٣) الحر العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج١٤، ص٥٠١.

بالصوت الذي من شأنه أن يُحدِث التفاعل العاطفي مع مصيبة كربلاء، وما حلّ بالإمام الحسين عليه السلام، ممّا أدّى إلى بروز طبقة عُرفت بالمنشدين، ولم يتوقّف الأمر عند ذلك، بل امتدّ ليشمل النساء أيضاً، وإن لم تظهر لنا النصوص التاريخية أسماء بعينها للنساء في ذلك العصر، بل دلّ عليه الخبر المنقول عن الإمام الصادق عليه السلام حينما أمر العبدي بنظم ما تنوح به النساء في المآتم[1].

وبرز في الوقت ذاته ـ أي: في عهد الإمام الصادق عليه السلام ـ (القُصّاص)، وهم طبقة أُخرى من المتخصصين في سيرة الإمام الحسين عليه السلام ومقتله، وجاءت رواية الإمام الصادق عليه السلام لتكشف ما لحق المجالس الحسينية من تطوّر، سواء من حيث السعة والانتشار، أو من حيث الأساليب التي قام بها الشيعة طلباً للثواب والأجر الأُخروي.

وقد أوضح ذلك الإمام الصادق عليه السلام بقوله: «**بلغني أنّ قوماً يأتونه** [يعني مشهد الحسين عليه السلام] **من نواحي الكوفة، وناساً من غيرهم، ونساء يندبنه، وذلك في النصف من شعبان، فمن بين قارئ يقرأ، وقاصٍّ يقصّ، ونادب يندب، وقائل يقول المراثي. فقلت: نعم جعلت فداك، قد شهدت بعض ما تصف. فقال: الحمد لله الذي جعل في الناس مَن يفد إلينا، ويمدحنا ويرثي لنا، وجعل عدونا مَن يطعن عليهم من قرابتنا وغيرهم، يهدرونهم ويقبّحون ما يصنعون**»[2].

ولم تتوقف عجلة تطوّر المجالس الحسينية عند هذا، بل طرأ عليها تطوّر ملحوظ برعاية الإمام موسى بن جعفر عليه السلام بعد تصدّيه لشؤون الإمامة، حيث شهد مع أبيه الإمام الصادق عليه السلام ذلك الزخم الكبير من إقامة مجالس العزاء بشتى أشكالها، وعاش معه إقامة تلك المآتم في بيته كلّ عام، لكن الشعائر الحسينية في تجسيده أخذت تبدأ من غرّة شهر محرّم الحرام ولمدّة عشرة أيّام، وهذا ما دلّت عليه الرواية المنقولة عن الإمام

(١) أُنظر: ابن شهر آشوب، محمّد، معالم العلماء: ص١٨٢.

(٢) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص٥٣٩.

الرضا عليه السلام: «...كان أبي (صلوات الله عليه) إذا دخل شهر المحرّم لا يُرى ضاحكاً، وكانت الكآبة تغلب عليه حتى يمضي منه عشرة أيّام، فإذا كان يوم العاشر كان ذلك اليوم يوم مصيبته وحزنه وبكائه، ويقول: هو اليوم الذي قُتل فيه الحسين (صلوات الله عليه)»[1].

واستمرّ جميع أهل البيت عليهم السلام على هذا المنوال؛ ليبنوا صرح الشعائر الحسينية، فيمتدّ ويتّسع، ولا يقف عند حدود أتباع أهل البيت عليهم السلام، بل يشمل غير الشيعة[2]، وما كان ليصبح كذلك لولا العناية الإلهية، بالشريعة المحمدية، ورمز بقائها الذي عبّر عنه الرسول الكريم صلى الله عليه وآله بقوله: «**حسين منّي وأنا من حسين**»[3]، فأخذت وصايا أهل البيت عليهم السلام، وإحياؤهم للشعائر بأنفسهم، تترك أثرها البالغ في النفوس المؤمنة، الأمر الذي جعل الكثيرين يجتهدون في الحفاظ على الشعائر الحسينية، حتى غدت اليوم وكأنّها مؤسسة ثقافية عالمية، تحوي جميع الاختصاصات الاجتماعية وصنوفها، وتُرعِب كلّ طاغٍ وباغٍ أينما حلّ، ما دام الشعار الحسيني الذي تصدح به الحناجر الحرّة: «**هيهات منّا الذلة**».

(١) الصدوق، محمّد بن علي، الأمالي: ص١٩١.
(٢) أُنظر: الطوسي، محمد بن الحسن، الأمالي: ص٣٢١.
(٣) الطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الكبير: ج٣، ص٣٣.

محاربة الأنظمة المستبدة للشعائر الحسينيّة عبر التاريخ
الأساليب والدواعي

محمد الدومي*

استهلال

١ـ قال تعالى: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾[1].

٢ـ وورد عن السيِّدة زينب بنت علي عليهما السلام في حديثها لابن أخيها الإمام السجاد عليه السلام، وهي تحدثه عمّا عهده رسول الله صلى الله عليه وآله لأمير المؤمنين والحسن والحسين عليهما السلام فيما يجري من أحداث ووقائع مستقبلية، قالت: «... **وينصبون لهذا الطف علماً لقبر أبيك سيِّد الشهداء عليه السلام، لا يُدرس أثره، ولا يعفو رسمه على كرور الليالي والأيَّام، وليجتهدن أئمَّة الكفر وأشياع الضلالة في محوه وتطميسه، فلا يزداد أثره إلَّا ظهوراً، وأمره إلَّا علوّاً**»[2].

تاريخ الشعائر

لم تنفك الشعائر الحسينية منذ أن استُشهد الإمام الحسين عليه السلام عن أن تكون ذات حضور كثيف في وعي الشيعة عموماً، فثمَّة كثافة ملحوظة من النصوص الروائية يمكن العودة إليها في مظانها تحثُّ المؤمن على إحياء تلك الشعائر، منها مثلاً ما نُقل

---

* باحث إسلامي، من الجزائر.

(١) الأنفال: آية ٣٠.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٢٨، ص٥٧.

عـن الأزدي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال للفضيل: «**تجلسـون وتحدّثون؟ قال: نعم جعلت فداك. قال: إنّ تلك المجالس أحبّها، فأحيوا أمرنا يا فضيل! فرحم الله مَن أحيى أمرنـا، يا فضيـل مَن ذَكَرنا أو ذُكِرنا عنده فخرج من عينه مثـل جناح الذباب غفر الله له ذنوبه ولو كانت أكثر من زبد البحر**»[1]، أو ما نُقل عن الإمام السجاد عليه السلام: «**أيّما مؤمنٍ دمعت عيناه لقتل الحسـين بن علي عليهما السلام دمعة حتَّى تسـيل على خدّه، بوّأه الله بها في الجنة غرفاً يسـكنها أحقاباً، وأيّما مؤمنٍ دمعت عيناه حتَّى تسـيل على خدّه فينا لأذى مسّنا من عدوِّنا في الدنيا، بوّأه الله بها في الجنة مبوأ صدق...**»[2].

وفي الحـثّ عـلى إنشـاد الشـعر قـال أبو عبـد الله عليه السلام: «**يـا أبا هـارون، أنشـدني في الحسـين عليه السلام. قـال: فأنشـدته، فبكى، فقال: أنشـدني كما تنشـدون ـ يعني بالرقـة ـ قال: فأنشدته:**

أُمرُرْ على جدثِ الحسين فَقُلْ لأعْظُمِهِ الزَّكيَّة

قال: فبكى، ثمَّ قال: زدني، قال: فأنشدته القصيدة الأُخرى، قال: فبكى، وسمعت البكاء من خلف الستر. قال: فلما فرغت قال لي: يا أبا هارون، مَن أنشد في الحسين عليه السلام شعراً فبكى وأبكى عشراً كُتبت له الجنة، ومَن أنشد في الحسين شعراً فبكى وأبكى خمسة كُتبت له الجنة، ومَن أنشد في الحسين شعراً فبكى وأبكى واحداً كُتبت لهما الجنة، ومَن ذُكر الحسين عليه السلام عنده فخرج من عينه من الدموع مقدار جناح ذباب كان ثوابه على الله، ولم يرضَ له بدون الجنة»[3].

وعـن أبي هارون المكفـوف، قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقال لي: «**أنشـدني. فأنشدته، فقال: لا، كما تنشدون وكما ترثيه عند قبره. قال: فأنشدته:**

أُمرُرْ على جدثِ الحسين فَقُلْ لأعْظُمِهِ الزَّكيَّة

---

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٤، ص٢٨٢.

(٢) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص٢٠١.

(٣) المصدر السابق: ص٢٠٨.

قال: فلمَّا بكى أمسكت أنا، فقال: مُر. فمررت، قال: ثمَّ قال: زدني. قال: فأنشدته:

يا مريمُ قُومي فاندُبي مولاكِ وعلى الحسينِ فاسعدي بِبُكاكِ

قال: فبكى وتهايج النساء، قال: فلمَّا أن سكتن قال لي: يا أبا هارون، مَن أنشد في الحسين فأبكى عشرة فله الجنة، ثمَّ جعل ينقص واحداً واحداً حتى بلغ الواحد، فقال: مَن أنشد في الحسين فأبكى واحداً فله الجنة. ثمّ قال: مَن ذكره فبكى فله الجنة»[1].

الملاحظ أنّ في هذه الرواية الصادقية إصراراً على الإنشاد، وعلى ربط ذلك بالأجر العميم الذي ينتظر المنشد. ثمَّ إنّ الإمام الصادق عليه السلام ألحَّ على المنشد أن يقرأ كما لو كان عند قبر الإمام الحسين عليه السلام؛ ما يعني أنّ الزيارة للقبر الشريف كانت معروفةً ومعمولاً بها، بل وكأنَّه يريد أن يجعلها سُنَّةً متَّبعة؛ وفي هذا كلّه إحياء للشعائر الحسينية.

وثمَّة ملاحظة أُخرى جديرة أن نتوقّف عندها، وهي أنّ هناك حثاً كبيراً على إقامة المجالس الحسينية في بيوت الشيعة، وهو ما يشير إلى حقيقة تعرُّض الشيعة ـ تبعاً لأئمتهم ـ لمظالم تُجبرهم على إخفاء أمرهم عن الظلمة والمستبدين، وأنّ وسيلة الإحياء هنا هي التلاقي بين المؤمنين في البيوت، كما جاء في كلام الإمام الصادق عليه السلام مخاطباً خيثمة: «**أبلغ موالينا السلام، وأوصهم بتقوى الله العظيم، وأن يعود غنيّهم على فقيرهم، وقويّهم على ضعيفهم، وأن يشهد حيُّهم جنازة ميتهم، وأن يتلاقوا في بيوتهم؛ فإنّ في لقاء بعضهم بعضاً حياة لأمرنا. ثمَّ قال: رحم الله عبداً أحيى أمرنا**»[2].

إذاً، لم تكن المسألة مجرَّد أمرٍ أو دعوة إلى الإحياء، بل إنّ الأئمة عليهم السلام مارسوا هذا الإحياء، وأظهروا من البكاء والحزن على الحسين عليه السلام ما يذيب الحجر الأصم، وكان في طليعتهم الإمام علي بن الحسين سيِّد الساجدين عليه السلام الذي استأثر بلقب (البكَّاء)، فقد كان أحد أكبر البكَّائين الخمسة في التاريخ البشري. وقد تابع شيعة

(١) المصدر السابق: ص٢١٠ـ٢١١.

(٢) الحر العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج١٢، ص٢١.

أهـل البيـت عليهم السلام أئمّتهم في ذلك؛ إذ أحيوا أمر الحسـين عليه السلام بالبكاء والندب وإنشـاد الشعر وذكر المآثر وما إليها.

إنّ أئمة أهل البيت عليهم السلام لهم في رسول الله صلى الله عليه وآله أُسوة حسنة في الحث على إحياء أمر الحسين عليه السلام والبكاء عليه، ويمكن تلمّس ذلك الحث في موردين على الأقل:

الأوّل: بـكاؤه صلى الله عليه وآله عـلى الحسـين عليه السلام عنـد ولادتـه، فقـد جـاء في المسـتدرك عـلى الصحيحين ما يلي: «... **فدخلتُ** [أُم الفضل] **يوماً إلى رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) فوضعتُه** [الحسـين عليه السلام] **في حجره، ثمَّ حانت منّي التفاتة، فإذا عينا رسـول الله(صلّى الله عليه وسـلّم) تهريقـان من الدموع. قالـت: فقلت: يا نبي الله، بأبي أنـت وأمي، ما لك؟ قـال: أتاني جبريل (عليه الصلاة والسـلام) فأخبرني أن أُمَّتي سـتقتل ابنـي هذا. فقلت: هـذا؟ قال: نعـم، وأتاني بتربة مـن تربته حمراء**»[1]. وهـذه الحالة (البـكاء على المولود) ملفتـة للانتبـاه؛ إذ إنّ من عادة النـاس أنّهم يفرحون بمولودهم، فلماذا بكى رسـول الله صلى الله عليه وآله عـلى مولوده الحسـين عليه السلام؟! هـذه ملاحظة جديرة بأن تقـال للناس وتبيَّن لهم وأن يركَّـز عليهـا تركيزاً وافيـاً. فالخروج عن المألوف كثيراً مـا يفرض على الناس أن يستنطقوه.

الثـاني: حثّـه للنائحات في المدينـة أن يندبن عمّه حمزة، عندما رأى نسـاء الأنصار يندبـن ذويهـن ممَّن استُشـهدوا يوم أُحـد، فقد قـال صلى الله عليه وآله: «**لكن حمزة لا بواكـي له**»[2]. وحمزة عليه السلام ليس أوْلى من الحسين عليه السلام بالبكاء، وهو ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله.

كلُّ ذلك يحمل قيم الاستثمار التي ينبغي المصير إليها بكلِّ قوَّةٍ وعنفوان.

ثـم إننـا نودّ الإشـارة ـ في هذا الصـدد ـ إلى بعـض المصاديق البـارزة والواضحة للشعائر الحسينية، وهي تُعتبر من أهم الأُمور لإحياء أمرهم عليهم السلام، وهي:

---

(١) الحاكم النيسابوري، محمد بن عبد الله، المستدرك على الصحيحين: ج٣، ص١٩٤. قال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يُخرجاه».

(٢) الصدوق، محمد بن علي، مَن لا يحضره الفقيه: ج١، ص١٨٣.

١ـ زيارة الإمام الحسينعليه السلام: ففي صحيحة محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال: «**مروا شيعتنا بزيارة قبر الحسين**عليه السلام**؛ فإنّ إتيانه يزيد في الرزق، ويمدّ في العمر، ويدفع مدافع السوء، وإتيانه مفترض على كلِّ مؤمنٍ يقرّ له بالإمامة من الله**»[١]. بل إنّ المطلوب من المؤمن هو الإكثار من الزيارة، كما ورد عن أبي عبد الله عليه السلام في حديثه لسدير[٢]، بل ورد التأكيد على زيارته عن بُعد أيضاً، كما هو ثابت في كتب الأدعية والزيارات.

٢ـ البكاء على الحسينعليه السلام: فعن الإمام علي بن الحسين عليه السلام قال: «**أيّما مؤمن دمعت عيناه لقتل الحسين**عليه السلام **حتى تسيل على خدّيه بوّأه الله بها في الجنة غرفاً يسكنها أحقاباً**»[٣]، وقريب من ذلك ما في كتاب كامل الزيارات: «**عن أبي جعفر**عليه السلام**، قال: كان علي بن الحسين**عليهما السلام **يقول: أيّما مؤمن دمعت عيناه لقتل الحسين بن علي**عليهما السلام **دمعة حتى تسيل على خدّه بوّأه الله بها في الجنة غرفاً يسكنها أحقاباً، وأيّما مؤمن دمعت عيناه حتى تسيل على خدّه فينا لأذىً مسّنا من عدوّنا في الدنيا بوّأه الله بها في الجنة مبوأ صدق، وأيّما مؤمن مسّه أذى فينا فدمعت عيناه حتى تسيل على خدّه من مضاضة ما أُوذي فينا صرف الله عن وجهه الأذى، وآمنه يوم القيامة من سخطه والنار**»[٤].

٣ـ إقامة المجالس الحسينية: فذكر الحسين عليه السلام وباقي أئمة أهل البيت الأطهار عليهم السلام يحيى بالموعظة وإنشاد الشعر وذكر المناقب وتبيين المظلومية التي تعرَّضوا لها، فعن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: «**مَن جلس مجلساً يُحيى فيه أمرنا لم يمت قلبه يوم تموت القلوب**»[٥].

هذا غيض من فيض ممَّا ورد في ضرورة الإحياء لأمر الإمام الحسين عليه السلام،

(١) الطوسي، محمد بن الحسن، تهذيب الأحكام: ج٦، ص٣٥ـ٣٦.
(٢) اُنظر: ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص٤٨٠.
(٣) الحر العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج١٤، ص٥٠١.
(٤) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص٢٠١.
(٥) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج١، ص١٩٩.

فالنصوص أكثر من أن تُذكر وتُحصر، ولا أدلّ على ذلك من سنِّ استحباب زيارته في أكثر من مناسبة: كليالي القدر، والعيدين (الفطر والأضحى)، وعيد الغدير، وليلة عاشوراء، ويوم الأربعين، وأول رجب ووسطه وآخره، والنصف من شعبان، وغيرها الكثير ممّا هو مدوّن في متون الكتب المختصة بالزيارات؛ ومعنى ذلك أنّ زيارة الحسين عليه السلام تتوزّع على عموم أيام السنة، وذلك من شأنه تقوية الارتباط به شعوراً وعملاً.

إنّ الشعائر الحسينية كانت تتأثر سعةً وضيقاً تبعاً لمجمل الظروف التي عاشها أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم في سائر البلدان والأزمنة، وفي هذا السياق قدَّم الدكتور محمد صالح الجويني تلخيصاً وافياً لتاريخ المأتم الحسيني، فقد قسَّمه إلى المراحل التالية:

١ـ منذ استشهاد الإمام الحسين عليه السلام وحتى مقتل قاتليه.

٢ـ تأسيس الأئمة عليهم السلام للمأتم الحسيني بوصفه شعيرة دينية؛ وذلك عبْر توفير الأرضية المناسبة لسنِّ المأتم من قِبَل الإمام زين العابدين عليه السلام، وبناء أركان المأتم في عهد الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام، واتساع دائرة المآتم في عهد الإمامين الكاظم والرضا عليهما السلام.

٣ـ منذ تأسيس المأتم، حتى أخذه طابع شعيرة دينية رسمية.

٤ـ أخذ المأتم طابعاً رسمياً بظهور حكومات شيعية قوية في القرنين الرابع والخامس.

٥ـ فقدان الحكومات الشيعية القوية من القرن السادس وحتى العاشر.

٦ـ حكم الصفوية في القرنين العاشر والحادي عشر.

٧ـ منذ الصفوية وحتى اليوم[1].

---

(١) الجويني، محمد صالح، تاريخ المأتم الحسيني من الشهادة وحتى العصر القاجاري، جدل ومواقف في الشعائر الحسينية، سلسلة كتاب نصوص معاصرة: ص١٩.

نماذجٌ من الأنظمة المستبدة ومحاربتها للشعائر الدينية

إنّ مظلومية الحسين عليه السلام جزء من مظلومية بني هاشم بشكل عام، وأهل البيت عليهم السلام بشكل خاص، ولا ينبغي وضعها إلَّا في هذا الإطار، فقد اتخذت هذه المظلومية ـ العامة ـ أشكالاً كثيرةً ومظاهرَ متعدِّدةً، يمكن معرفتها من خلال استذكار ما سمَّاه الشيخ حسن بن فرحان المالكي بـ(مراسيم معاوية الأربعة)، وقد استقاها من ابن أبي الحديد المعتزلي في شرحه للنهج؛ حيث ذكر نصاً طويلاً نسبه إلى المدائني، ونحن نذكرها مختصرةً:

١ـ كتب معاوية نسخة واحدة إلى عماله بعد عام الجماعة أن: برئت الذمة ممَّن روى شيئاً من فضل أبي تراب وأهل بيته.

٢ـ وكتب معاوية إلى عماله في جميع الآفاق أن لا يجيزوا لأحد من شيعة علي وأهل بيته شهادة.

٣ـ وكتب إليهم: انظروا مَن قِبَلكم مِن شيعة عثمان، ومحبّيه وأهل ولايته، والذين يروون فضائله ومناقبه، فأدنوا مجالسهم، وقرّبوهم وأكرموهم، واكتبوا لي بكلِّ ما يروي كلُّ رجلٍ منهم واسمه واسم أبيه وعشيرته.

٤ـ ثمَّ كتب إلى عماله: إنّ الحديث في عثمان قد كثُر وفشا في كلِّ مصرٍ وفي كلِّ وجهٍ وناحيةٍ، فإذا جاءكم كتابي هذا فادعوا الناس إلى الرواية في فضائل الصحابة والخلفاء الأولين، ولا تتركوا خبراً يرويه أحد من المسلمين في أبي تراب إلَّا وتأتوني بمناقض له في الصحابة، فإنّ هذا أحبُّ إليَّ وأقرُّ لعيني وأدحض لحجَّة أبي تراب وشيعته، وأشدُّ عليهم من مناقب عثمان وفضله[1].

وقد تركت هذه المراسيم الأربعة آثاراً عميقةً في الثقافة الدينية للمسلمين، وفي الكثير من معالم الدين وشعائره، ويمكن قراءة بعض مظاهر هذا (التحوُّل الديني)

(١) أُنظر: المالكي، حسن فرحان، مراسيم معاوية الأربعة وأثرها في الحديث والعقائد: ص٢ـ٦.

في المثالين التاليين، نذكرهما على سبيل التمثيل لا الحصر:

١ـ عن أنس، قال: «**ما أعرف شيئاً ممّا كان على عهد النبي (صلّى الله عليه وسلّم). قيل: الصلاة؟ قال: أليس ضيّعتم ما ضيّعتم فيها؟!**»[١]. وعن الزهري، قال: «**دخلت على أنس بن مالك بدمشق، وهو يبكي، فقلت له: ما بيكيك؟ فقال: لا أعرف شيئاً ممّا أدركت إلّا هذه الصلاة، وهذه الصلاة قد ضُيِّعت**»[٢].

٢ـ ما قاله ابن عباس من أنّ الناس تحذر من التلبية خوفاً من معاوية وبغضاً لعلي عليه السلام.. فقد روى ذلك أكثر من واحد من المصادر الحديثية، منها مثلاً ما ورد في المستدرك على الصحيحين عن سعيد بن جبير، قال: «**كنّا مع ابن عبّاس بعرفة، فقال لي: يا سعيد، ما لي لا أسمع الناس يلبّون؟ فقلت: يخافون من معاوية. قال: فخرج ابن عبّاس من فسطاطه فقال: لبيك اللّهمَّ لبيك؛ فإنَّهم قد تركوا السنَّة من بغض عليٍّ** رضي الله عنه»[٣].

وهكذا أصبح ترك السنّة ـ بغضاً للإمام عليٍّ عليه السلام ـ القاعدةَ المعمول بها عند مَن لا يرعون للسنّة حرمةً.

والملاحظ أنّ المثال الأول هو من مدينة دمشق في ذلك الزمان، حيث معاوية؛ ومنه نفهم سرَّ المقولة المشهورة التي ذهبت مذهب المثل: «**ليس حبّاً في معاوية، بل كرهاً لعليٍّ**»، فراح كره الإمام علي عليه السلام ـ وأهل البيت عليهم السلام بصورة عامة ـ يؤسِّس لدينٍ جديد، قاعدته وعنوانه المراسيم الأربعة الصادرة عن معاوية، والمشار إليها آنفاً. لكنا نجد أهل البيت عليهم السلام ـ وهم حرّاس الدين، والمؤتمنون عليه جعلاً لا انتخاباً ـ لم يتخذوا هذه الوسيلة مطيّة لترك السنّة، فهم لا يتركون أيَّ فعل ثبت أنّ رسول

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري: ج١، ص١٢١.

(٢) المصدر السابق.

(٣) الحاكم النيسابوري، محمد بن عبد الله، المستدرك على الصحيحين: ج١، ص٦٣٦. وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يُخرجاه».

الله صلى الله عليه وآله فعله أو ندب إليه بدعوى أنّ أعداءهم يفعلونه.

إننا نجد هذا البغض في أوضح معانيه وأصرحها في موقف عبد الله بن الزبير، فقد تحامل «**على بني هاشم تحاملاً شديداً، وأظهر لهم العداوة والبغضاء، حتى بلغ ذلك منه أن ترك الصلاة على محمَّدٍ في خطبته، فقيل له: لِمَ تركت الصلاة على النبيِّ؟ فقال: إنّ له أهل سوء يشرئبون لذكره، ويرفعون رؤوسهم إذا سمعوا به**»[1]؛ لذلك لا نعجب من قول سيِّدنا أمير المؤمنين عليٍّ عليه السلام: «**ما زال الزبير منّا أهل البيت حتى نشأ ابنه عبد الله فأفسده**»[2].

في هذا الإطار يمكن ملاحظة تفسير الزمخشري لآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾[3]، إذ يقول: «**فإن قلت: فما تقول في الصلاة على غيره؟ قلت: القياس جواز الصلاة على كلّ مؤمن لقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡ﴾، وقوله: اللهم صل على آل أبي أوفى. ولكن للعلماء تفصيلاً في ذلك، وهو أنّها إن كانت على سبيل التبع كقولك: صلَّى الله على النبي وآله، فلا كلام فيها، وأمّا إذا أُفرد غيره من أهل البيت بالصلاة كما يُفرد هو فمكروه؛ لأنّ ذلك صار شعاراً لذكر رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم)، ولأنّه يؤدّي إلى الاتهام بالرفض، وقال رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم): مَن كان يؤمن بالله وباليوم الآخر فلا يقفن مواقف التهم**»[4].

على أنّ الزمخشري لا يحمل من الكره لآل البيت عليهم السلام ما يحمله آخرون عُرفوا به، كابن تيميّة الحرّاني الذي جاء بدين جديد، دين مخالفة سنّة رسول الله صلى الله عليه وآله بدعوى

(١) اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب، تاريخ اليعقوبي: ج٢، ص٢٦١. وأُنظر: الأندلسي، أحمد بن محمد، العقد الفريد: ج٥، ص١٦١.

(٢) ابن أبي الحديد المعتزلي، عبد الحميد، شرح نهج البلاغة: ج٤، ص٧٩.

(٣) الأحزاب: آية٥٦.

(٤) الزمخشري، محمود بن عمر، الكشاف: ج٣، ص٥٦٨.

أنّ الغـير التزموا بها، فقد قال منظِّراً ومقعِّـداً لهذا الدين الجديد: «**ومن هنا؛ ذهب مَن ذهب من الفقهاء إلى ترك بعض المستحبات إذا صارت شـعاراً لهم** [يقصد الرافضة]، **فإنَّـه لم يـترك واجباً بذلك. لكـن قال: في إظهار ذلك مشـابهة لهم، فلا يتميز السـنّي من الرافـضي، ومصلحـة التميُّز عنهـم لأجل هجرانهـم ومخالفتهم أعظم مـن مصلحة هذا المسـتحب**»[1]. أقـول: مَثَـلُ ابن تيميَّة هنـا كمَثل الدبّ الذي أراد أن يريح سـيِّده من ذبابة حطّت على وجهه فنغّصت عليه قيلولته، فإذا به يحمل صخرةً كبيرةً يضرب بها رأس سيِّده فقضى عليه.

أضف إلى هذه المسـائل مسـألة التختم، أباليمين يكون أم باليسـار؟! وكذا تسنيم القـبر أفضل أم تسـطيحه؟! ومسـائل أُخرى اجتهد منظِّرو الديـن الجديد في تخريجها وتقعيدهـا والتنظـير لهـا، كلُّ ذلك اسـتمراراً للخط الأُمـوي الذي عـبَّر عنه زعيمه معاوية بن أبي سفيان بقوله: «**لا والله، إلّا دفناً دفناً**»[2].

إنّ الروايتـين التاليتـين تعـبّران عن الذروة التـي بلغها هذا الديـن الجديد، الدين المؤوّل على حساب الدين المنزل:

١- على لسـان ابن عبّاس في قوله: «**تمتع رسـول الله (صلّى الله عليه وسـلّم)، فقال عروة: نهى أبو بكر وعمر عن المتعة. فقال ابن عبّاس: فما يقول عرية؟ قال: نهى أبو بكر وعمر عن المتعة. قال: أراهم سـيهلكون؛ أقول: قال رسـول الله، ويقولون: قال أبو بكر وعمر**»[3].

٢- وعـلى لسـان النووي مـن جهةٍ، والقـاضي عيّاض مـن جهةٍ ثانيـة، فيما ذهبا إليـه من توجيه قول الخليفة الثاني من أنّ رسـول الله غلبـه الوجع، فقد قالا في ذلك:

(١) ابن تيميَّة، أحمد، منهاج السنّة النبوية: ج٤: ص١٥٤. أقول: لماذا البحث في تميز السنِّي عن (الرافضي)؟ ألا يتسع دين الله لما يوحِّد بينهما ويجمعهما؟!

(٢) ذكرها ابن أبي الحديد المعتزلي في شرحه للنهج: ج٥، ص٧٢، نقلاً عن الزبير بن بكَّار في الموفقيات.

(٣) الذهبي، شمس الدين، سير أعلام النبلاء: ج١٥، ص٢٤٣. أقول: (عُرية): تصغير عروة.

«إنّه من دلائل فقه عمر»[1].

وعليه؛ أقول: إنّ محاربة الحسين عليه السلام هي استمرار للحرب بين المشروع الإسلامي المتمثّل بالأنبياء والأوصياء والأئمة والمؤمنين من جهة، وبين الشيطان وأتباعه من المستبدين والظلمة من جهة ثانية، أو قل بعبارة أُخرى: هي حرب بين مشروع يجعل الله تعالى حاكماً على الإنسان، وبين مشروع آخر يجعل الإنسان حاكماً على نفسه وعلى الله تعالى.

ممارسات الأنظمة المستبدة تجاه الشعائر الحسينية

لقد حاول الحكام المستبدون ـ وعلى مرِّ التاريخ ـ إلغاء الحسين عليه السلام، باعتباره الفكر والمشروع النهضوي العادل، وأرادوا محوه من الذاكرة الإسلامية بخاصَّة والإنسانية بعامَّة، كما حاول ذلك يزيد بن معاوية ابن آكلة الأكباد بعد نصف قرن من التحاق الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله بالرفيق الأعلى، فقد حوّلوا يوم عاشوراء الحزن إلى يوم فرح وسرور وابتهاج، يُوسَّع فيه على العيال، وتُقام فيه حفلات الزواج؛ وهو ما يمثِّل استفزازاً فجّاً وعدوانياً لمشاعر أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم.

إنّ لكلِّ أُمةٍ ملحمتها؛ فجلجامش للسومريين والآشوريين، ولليونان: الإلياذة والأوديسة لهوميروس، وللفرس: الشاهنامة لفردوسي، وللجزائر: إلياذة الجزائر، كتبها شاعر الثورة الكبير مفدي زكريا، وللمسلمين ـ خاصَّةً أنصار مذهب أهل البيت عليهم السلام ـ كربلاء، تلك اللوحة التي قاتل فيها الغدرُ ممزوجاً بالخيانة والظلم والدناءة، قيمَ الفداء والأمانة والنجدة. لكن ثمَّة فرقان بين الأمرين، هما: أنّ الملاحم الأُولى هي صور تُعبِّر عن واقع بطولي مخصوص في الزمكان، اعتراه الكثير من الشعر، أمّا ملحمة الحسين عليه السلام فهي واقعة كبيرة تستغرق الزمكان وتستوعبه، وقيل

(١) النووي، يحيى بن شرف، شرح صحيح مسلم: ج١١، ص٩٠. أُنظر: القاضي، أبو الفضل عيّاض، الشفا بتعريف حقوق المصطفى: ج٢، ص١٩٤.

بشأنها الكثير من الشعر، ولا يزال...

الفرق الآخر بين ملحمة المسلمين وبين غيرها من الملاحم، أنّ الأُولى كانت ضدَّ عدوٍّ داخلي، يدين بديننا ويتكلَّم لغتنا، ممّا جعل ألمها أقوى وأشد، وذلك كما قال الشاعر:

وظلم ذوي القربى أشدُّ مضاضةً على النفسِ من وقعِ الحسامِ المهنّدِ

فقد أخرج الحاكم في مستدركه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**إنّ أهل بيتي سيلقون من بعدي من أُمَّتي قتلاً وتشريداً، وإنّ أشدَّ قومنا لنا بغضاً بنو أُمية وبنو المغيرة وبنو مخزوم**»[1].

لقد أُشرب الأُمويون وكذلك العبّاسيون بُغض العلويين، وأوغلوا في دمائهم، لقد كانوا مثقلين بدماء العلويين؛ والنصوص التاريخية تثبت ذلك إلى الحدِّ الذي يجعلني أُقرّ أنَّه لو أنّ أيَّ دينٍ، أو مذهب، أو نِحْلَة، أو طائفة، تعرَّضت لعُشر ما تعرَّض له أهل البيت عليهم السلام لاندثر، ولكان موقعه الآن في المتاحف، جالباً للفرجة، فإنّ العائلة الوحيدة التي سجَّل التاريخ كلَّ عذاباتها هم أهل البيت[2].

وهناك جملة من الممارسات القمعية التي قامت بها الأنظمة المستبدة تجاه القضية الحسينية وشعائرها المباركة، نذكر منها ما يلي:

١ـ الوقوف ضدّ الشعائر الحسينية عن طريق الترهيب من الزيارة وإقامة المجالس

لقد أقلقهم الحسين عليه السلام حيّاً وميّتاً، فهذا المتوكّل العباسي قد تأسّى بأبيه هارون، ومنع زيارة الإمام الحسين عليه السلام، وخصَّص لزوّاره سجناً تحت الأرض يُعرف باسم (المطبق)، ووضع مسالح في الطريق إلى المرقد المطهَّر للإمام الحسين عليه السلام، تقطع أيدي وأرجل الزوّار، آخذاً بسنّة فرعون، ثمّ أجرى الماء على الضريح الحسيني المطهَّر

(١) الحاكم النيسابوري، محمد بن عبد الله، المستدرك على الصحيحين: ج٤، ص٤٨٧. قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يُخرجاه.

(٢) أُنظر بخصوص ذلك: أبو الفرج الإصفهاني، علي بن الحسين، مقاتل الطالبيين.

ليمحي أثره[1].

ومن السلاجقة، إلى شاه إيران البهلوي، إلى يزيد عصره صدام، إلى الوهابيين، إلى الإرهابيين (الدواعش)؛ كلُّهم استثارهم الحسين عليه السلام بمبادئه ومواقفه، وخطابه النهضوي الثوري الرافض لمنطق القهر والهيمنة.

٢ـ محو مظاهر الحزن في محرم عن طريق اختراع نصوص دينية أو إقامة مظاهر الفرح والابتهاج

أمّا مظاهر الفرح والابتهاج، فقد أقامها يزيد ابن آكلة الأكباد كأفضل ما تكون الإقامة؛ فزينت شوارع دمشق بالرايات، وأمر أصحاب الدفوف بالضرب على دفوفهم، ففي مقتل الخوارزمي عن سهل بن سعد قال: «**خرجت إلى بيت المقدس حتى توسطت الشام، فإذا أنا بمدينة مطردة الأنهار، كثيرة الأشجار، قد علقوا الستور والحجب والديباج، وهم فرحون مستبشرون، وعندهم نساء يلعبن بالدفوف والطبول، فقلت في نفسي: لعلَّ لأهل الشام عيداً لا نعرفه نحن. فرأيت قوماً يتحدَّثون، فقلت: يا هؤلاء، ألكم بالشام عيد لا نعرفه نحن؟ قالوا: يا شيخ، نراك غريباً؟ فقلت: أنا سهل ابن سعد، قد رأيت رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) وحملت حديثه، فقالوا: يا سهل، ما أعجبك السماء لا تمطر دماً! والأرض لا تُخسف بأهلها! قلت: ولِمَ ذاك؟ فقالوا: هذا رأس الحسين عترة رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) يُهدى من أرض العراق إلى الشام، وسيأتي الآن. قلت: واعجباً! أيُهدى رأس الحسين والناس يفرحون؟! فمن أيِّ بابٍ يدخل؟ فأشاروا إلى باب يقال له: باب الساعات. فسرت نحو الباب، فبينما أنا هنالك، إذ جاءت الرايات يتلو بعضها بعضاً، وإذا أنا بفارس بيده رمح منزوع السنان، وعليه رأس من أشبه الناس وجهاً برسول الله، وإذا بنسوة من ورائه على جمال بغير وطاء...**»[2].

---

(١) أُنظر: أبو الفرج الإصفهاني، علي بن الحسين، مقاتل الطالبيين: ص٣٩٥. وأيضاً: ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج٧، ص٥٥.

(٢) الخوارزمي، أحمد بن محمد، مقتل الحسين عليه السلام: ج٢، ص٦٠ـ٦١.

حتى لقد قال الشاعر:

كانت مآتم بالعراق تعدّها أُمية بالشام من أعيادها

وأمّا اختراع النصوص، فمنها أُكذوبة التاسع: «**لئن بقيت إلى قابل لأصومن التاسع**»[1]. وقد أخرج البخاري عن ابن عبّاس قال: «**قدم النبيّ (صلّى الله عليه وسلّم) المدينة فرأى اليهود تصوم يوم عاشوراء، فقال: ما هذا؟ قالوا: هذا يومٌ صالح، هذا يومٌ نجّى الله بني إسرائيل من عدوّهم، فصامه موسى. قال: فأنا أحقّ بموسى منكم. فصامه وأمر بصيامه**»[2]. وفي رواية مسلم: «**هذا يوم عظيم، أنجى الله فيه موسى وقومه، وغرّق فرعون وقومه، فصامه موسى شكراً، فنحن نصومه. فقال رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم): فنحن أحقّ وأَولى بموسى منكم**»[3].

وفي مقابل ذلك اُنظر ما رواه الشيخ الصدوق عن جبلة المكية، «**قالت: سمعت ميثماً التمار (قدس الله روحه) يقول: والله، لتقتلن هذه الأُمَّة ابن نبيّها في المحرَّم لعشرة يمضين منه، وليتخذن أعداء الله ذلك اليوم يوم بركة، وإنّ ذلك لكائن، قد سبق في علم الله تعالى، أعلم ذلك بعهد عهده إليَّ مولاي أمير المؤمنين (صلوات الله عليه)... فقلت له: يا ميثم، وكيف يتخذ الناس ذلك اليوم الذي يُقتل فيه الحسين بن علي عليهما السلام بركة؟ فبكى ميثم رضي الله عنه ثم قال: سيزعمون بحديثٍ يضعونه أنَّه اليوم الذي تاب الله فيه على آدم، وإنَّما تاب الله على آدم عليه السلام في ذي الحجة، ويزعمون أنَّه اليوم الذي قَبِلَ الله فيه توبة**

---

(١) النيسابوري، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم: ج٣، ص١٥١. قال ابن حجر العسقلاني: «وقال بعض أهل العلم: قوله (صلّى الله عليه وسلّم) في صحيح مسلم: لئن عشت إلى قابل لأصومن التاسع، يحتمل أمرين: أحدهما: إنّه أراد نقل العاشر إلى التاسع، والثاني: أراد أن يضيفه إليه في الصوم، فلمّا توفّي (صلّى الله عليه وسلّم) قبل بيان ذلك كان الاحتياط صوم اليومين؛ وعلى هذا فصيام عاشوراء على ثلاث مراتب: أدناها أن يُصام وحده، وفوقه أن يُصام التاسع معه، وفوقه أن يُصام التاسع والحادي عشر». العسقلاني، ابن حجر، فتح الباري: ج٤، ص٢١٣.

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري: ج٢، ص٢٥١.

(٣) النيسابوري، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم: ج٣، ص١٥٠.

داود عليه السلام، وإنَّما قَبِل توبته في ذي الحجة، ويزعمون أنَّه اليوم الذي أخرج الله فيه يونس عليه السلام من جوف الحوت، وإنَّما كان ذلك في ذي القعدة، ويزعمون أنَّه اليوم الذي استوت فيه سفينة نوح عليه السلام على الجودي، وإنَّما استوت في الثامن عشر من ذي الحجة، ويزعمون أنَّه اليوم الذي فُلق فيه البحر لبني إسرائيل، وإنَّما كان ذلك في ربيع الأول»[1].

دواعي محاربة الأنظمة المستبدّة للشعائر الحسينيّة

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾[2]. إنّ هذه الآية الشريفة تشير إلى عاقبة الذين كفروا، ممن (يمكرون) بالرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، من حيث إنَّهم يريدون تحقيق غاية إقصاء الرسول صلى الله عليه وآله بإحدى وسائل ثلاث: ﴿لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾. فإمَّا السجن ﴿لِيُثْبِتُوكَ﴾، أو القتل ﴿يَقْتُلُوكَ﴾، أو النفي والتشريد ﴿يُخْرِجُوكَ﴾، وما ذاك إلَّا لأنّ مشروعه السياسي والاجتماعي منافٍ بالمطلق لما يريدون تحقيقه من معادلات ظالمة في المجتمع.. لكن هذا المكر القرشي الكافر يقابله مكر من طبيعةٍ أُخرى، هو المكر الإلهي؛ فالكفَّار يمكرون: ﴿وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۖ وَمَكْرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴾[3]، لكن الله تعالى يمكر وهو ﴿خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾؛ بمعنى أنّ مخطّطات قريش وسائر الكفَّار لا تمرّ، وإنما يمرُّ ما أراده الله تعالى.

إنّ نفس هذه الحقائق القرآنية نجدها كذلك في المنطق الزينبي، وهي تخاطب ابن أخيها الإمام السجاد عليه السلام بقولها: «... **وينصبون لهذا الطف علماً لقبر أبيك سيِّد الشهداء عليه السلام، لا يُدرس أثره، ولا يعفو رسمه على كرور الليالي والأيَّام، وليجتهدن أئمَّة الكفر وأشياع الضلالة في محوه وتطميسه، فلا يزداد أثره إلّا ظهوراً، وأمره إلّا علواً**»[4].

---

(١) الصدوق، محمد بن علي، الأمالي: ص١٨٩ ـ ١٩٠.

(٢) الأنفال: آية ٣٠.

(٣) فاطر: الآية ١٠.

(٤) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٢٨، ص٥٧.

هـذا المعنـى مـن كلام السـيدة زينـب عليها السلام يلقـي بظلاله عـلى واقعة الطـف التي أظهـرت الفرق بين موقفين متناقضين تمامـاً يمثّلان خطّين متوازيين: خط يمثّل أئمة الكفر وأشياع الضلالة الذين يسعون إلى الحدّ من إحياء ذكرى عاشوراء الحسين عليه السلام، وخطّ آخر يمثّل أتباع الحسـين عليه السلام ومحبّيه الذين يسـعون لإقامة مراسم الذكرى بكل ما يمتلكون من شوق وعزيمة.

إنّ الظلـم وعاشـوراء يقفـان على طـرفي نقيض، فـلا يجتمعان أبـداً؛ لذلك أدرك الطواغيت أنّ القضاء على الفكر الثوري يمرُّ عبر محاربة الشعائر الحسينية أو تحجيمها.

لقد بيّنت السـيدة زينب عليها السلام بكلِّ جلاءٍ النهاية المحتومة لكلا الفريقين على طول المسـيرة؛ أمّا عن سـيِّد الشـهداء، فقد أصبح قبره علماً بكلِّ ما تحمله هذه الكلمة من معانٍ، وبيان ذلك:

أولاً: الظهـور، فالعَلَـم هـو كلّ ما ظهر، أو هـو بالتعبير القرآني (شـعيرة)، يقول تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ﴾[1]. فالشعائر: كلُّ عملٍ يُشـعرك بشيءٍ ما، وإنّما سـمِّيت الشـعيرة شـعيرة لأنّهـا ترمز إلى حادثـة معيَّنة ـ دينية بالخصوص ـ وتعمل على ربط النفس بها تمثلاً لقيمها ورمزيتها، وإن كان أكثر الناس لا يعـون حقيقـة هذه الدلالـة الرمزية، كما في رمـي الجمرات مثلاً؛ لذلـك فإنا نؤكّد هنا على اسـتبعاد لفظة الطقوس من الشعائر الحسينية؛ إذ الشعائر تنبض بالحياة، بينما الطقـوس عميـاء، ودين الله هو دين حياة، يدعونـا إليها، يقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡ﴾[2].

ثانياً: البوصلة، فالعَلَم يحدِّد للإنسـان خطَّ سـيره، ويحدِّد له مشروعه الاجتماعي والسـياسي والثقـافي، وهو مـا سـمّاه ربُّ العالمـين عزّ وجلّ بـ(القصد) كما في قولـه تعالى:

(١) الحج: آية٣٢.
(٢) الأنفال: آية٢٤.

﴿وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ﴾[1]. إنّ القصد هنا ـ وإن كان الظاهر منه عدم التسرُّع وعدم التباطؤ في السير (الوسطية والاقتصاد) ـ يشير أيضاً إلى الغاية والهدف، أي: أن يجعل الإنسان لسيره المادي والمعنوي قصداً وغايةً ينتهي إليها، أي: مشروعاً يعمل على تحقيقه وإنجازه «**لا يُدرس أثره، ولا يُعفى رسمه، على مرور الليالي والأيّام**».

ومنه نفهم البُعد التاريخي والجغرافي للمقولة المشتهرة على الألسن: «**كلُّ أرضٍ كربلاء، وكلُ يومٍ عاشوراء**». لقد تحوّلت هذه المقولة إلى شعار كبير يحمله رفضة الظلم والاستضعاف في مقارعة الاستكبار، كما يحملون شعار: «**هيهات منّا الذلّة**»؛ بمعنى أنّ كربلاء لم تَعُد قطعة جغرافية محصورة في صحراء العراق الكبرى، كما أنّ عاشوراء ليست فترة ولا نقطة منسية في تاريخ الأيام.

وقد أدرك الطواغيت والمستبدون والظلمة وأعوانهم هذه الأبعاد، فاجتهدوا في محوها وطمسها من المخيلة الشعبية، بعدما شوّشوا عليها بإدراج جملة من الأحداث المكذوبة فيها؛ لتمييعها من جهةٍ، والتعمية عليها من جهةٍ ثانية. إنَّه صراع أبدي بين الحقِّ والباطل، بين الإسلام والكفر.

إنّ لعاشوراء الحسين عليه السلام صوتاً وسوطاً يدركهما المؤمنون، كما يدركهما المستبدون، لكن كلّ على طريقته؛ فالمؤمنون فهموها على أنَّها دين محرِّر، بينما فهمها الطواغيت على أنَّها دين مخدِّر، والمؤمنون فهموها على أنّ تكليفهم إزاءها هو وعي التزييف، بينما فهمها المستبدون على أنَّها تزييف الوعي.

ثالثاً: مظاهر هذا الظهور التي يمكن قراءتها في: العزَّة، والسيادة، والشرف؛ إذ إنّ «**الدعي ابن الدعي**» الذي «**ركز بين اثنتين، بين السلّة والذلّة**»، واجهته صيحات: «**هيهات منّا الذلة، يأبى الله ذلك ورسوله والمؤمنون، وحجور طابت وطهرت، وأُنوف حميّة، ونفوس أبيّة، من أن تؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام**»[2].

---

(١) لقمان: آية١٩.

(٢) أُنظر: ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف على قتلى الطفوف: ص٥٩.

إنّ «**الدعي ابن الدعي**» ـ في امتداداته التاريخية لما بعد يزيد ـ هو كلُّ ظالمٍ، معتدٍ، أفّاك أثيم، يعمل في الأُمة بالظلم، ولا يرعى لها حقوقها التي جعلها الله تعالى لها. وهذه هي أوصافه حسب التعبير الحسيني الرائع: «**مَن رأى سلطاناً جائراً، مستحلاً لحُرم الله، ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسنّة رسول الله صلى الله عليه وآله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يُغيِّر عليه بفعل ولا قول، كان حقاً على الله أن يدخله مدخله**»[1].

خصوصية الإمام الحسين عليه السلام

السؤال الذي يطرح نفسه دائماً هو: ما هو السر الذي جعل المستبدّين يهرعون إلى محاربة الإمام الحسين عليه السلام ومشروعه المبارك؟ أثمَّة أمر جعل له هذه الخصوصية من بين سائر الأئمة عليهم السلام؟ فما هو السرُّ في ذلك؟

يمكن تعليل ذلك إجمالاً بما يلي:

١ - نقرأ في وصيته عليه السلام إلى أخيه محمد بن الحنفية: «... **وإنِّي لم أخرج أشراً ولا بطراً، ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنَّما خرجت لطلب الإصلاح في أُمَّة جدِّي صلى الله عليه وآله، أُريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدِّي وأبي عليِّ بن أبي طالب عليهم السلام**...»[2].

وهذا ما يبرر سرَّ التكالب الطاغوتي على الحسين عليه السلام؛ لأنَّه قد بيّن العلاقة بين أبيه عليه السلام وجدّه صلى الله عليه وآله.

٢ - ارتبط اسمه الشريف بالخروج على بني أُمية، رمز الغدر والخيانة، والدناءة والوضاعة، المتلبّسين بالدين، الذين كانوا في الحقيقة امتداداً للسقيفة.

إذ إننا لو رجعنا إلى تاريخ صدر الإسلام نرى أنّ هناك شخصين، هما: بلال بن رباح (العبد) وأُمية بن خلف (السيّد)، وهما ينتميان إلى طبقتين وعالمين مختلفين تماماً

(١) أبو مخنف، لوط بن يحيى، مقتل الحسين عليه السلام: ص٨٥.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٤، ص٣٢٩. وهو نفس المنطق الذي نجده عند أمير المؤمنين عليه السلام في الرد على شرط عبد الرحمن بن عوف: «أمَّا كتاب الله وسنّة نبيّه فنعم، وأمَّا سيرة الشيخين فلا». أُنظر: الشهرستاني، علي، وضوء النبي صلى الله عليه وآله: ج٢، ص١٩٠.

من حيث القيم الفكرية والأخلاقية؛ وبالتالي في قواعد السلوك، كان لهما نفس الفهم والتصوّر عن الدين الذي جاء به الرسول الأكرمﷺ، دين تحرُّري إنساني يدعو ـ في جانبه الدنيوي ـ إلى تبني العدالة الاجتماعية، واحترام حقوق الإنسان، والذود عنهما، لكن أحدهما ـ وهو بلال ـ آمن به واتبعه؛ إذ رأى فيه وسيلة للتحرُّر من جهةٍ، ووسيلة للرقي الروحي من جهةٍ ثانية، أمّا الآخر ـ وهو أُمية بن خلف ـ فقد رفضه، وبقي متمسكاً بشركه؛ لكيلا تهتز مكانته الاجتماعية، ويبقى بالتالي محافظاً على امتيازاته التي وفّرتها له اللات والعزى ومناة الثالثة الأُخرى. أمَّا الرقي الروحي، فليس هو آخر ما يفكر فيه أُمية، بل إنَّه لا يفكِّر فيه أصلاً، إنَّه غائب عن تفكيره إطلاقاً. وهذا أساس التفكير الدهري الذي ندّد به القرآن الكريم أكثر من مرَّة: ﴿وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوٓاْ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾[2].

فالحسينعليه السلام أراد أن يسلب الشرعية عن هذه الدولة الظالمة التي عملت على تحريف دين الله تعالى، ومنه نفهم سرَّ تكالب حكّام الجور على الحسينعليه السلام وقضيته المباركة.

وهكذا يكون بنو أُمية قد فهموا الدرس أفضل من أيِّ بطنٍ آخر من قريش، فتأهبوا لمواجهة الدين الجديد، وواجهوه بأقسى وأقصى ما يمكن أن تكون المواجهة.

٣- ارتبط قبره الشريف بإجابة الدعاء، فهو ـ إذاً ـ عَلَمٌ على ما قررناه سابقاً، ممّا جعله محطّ المؤمنين الداعين الراجين، ومهوى أفئدتهم، وهو ما نلاحظه في الأعداد المليونية التي تسير مشياً وزحفاً، قاصدةً قبره الشريف، تستوحي منه قيم البطولة والفداء، وتستلهم منه مبادئ الرفض لكل ظالم، فغدا ذلك عَلَماً على مذهب أهل البيتعليهم السلام، وهذا من مصاديق ما قاله النبي إبراهيمعليه السلام في دعائه لله تعالى: ﴿فَٱجْعَلْ

(١) الجاثية: آية ٢٤.

(٢) الأنعام: آية ٢٩.

﴿أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ﴾[1]، فالحسين عليه السلام ممّن تهوي إليه أفئدة المؤمنين.

٤- تركيز النبي صلى الله عليه وآله والأئمة من بعده عليهم السلام على ربط الأُمة بشخص الإمام الحسين عليه السلام، على اعتبار أنّ ربط الناس بشخص يجسّد قيمة كبيرة أفضل وأوقع في النفس من ربطهم بفكرة مجرّدة. وهو نفس المنطق القرآني؛ إذ إنّ المولى تبارك وتعالى لم يتركنا نغرق في القيم المطلقة المجرّدة عن تلبّسات الواقع اليومي للناس، بل ربطها بمن جسّدها أفضل تجسيد، فقيم الخير، الحق، العدالة، العبادة، الصلاح، التقوى... دائماً تتمثّل لنا قرآنياً من خلال الأنبياء والصلحاء والأولياء، وفي المقابل نرى قيم الشرِّ والفساد والتمرُّد تتمثّل لنا دائماً من خلال الشيطان وأتباعه وأعوانه من فرعون ونمرود وأبي لهب ومَن كان على شاكلتهم، كأبي سفيان ومعاوية ويزيد وأعوانهم والراضين بفعلتهم والمدافعين عنهم.

فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله في حديث طويل قوله: «... **ألَا ولعن الله قتلة الحسين، ومحبّيهم وناصريهم، والساكتين عن لعنهم من غير تقية تسكتهم. ألَا وصلّى الله على الباكين على الحسين بن علي عليهما السلام رحمة وشفقة، واللاعنين لأعدائهم والممتلئين عليهم غيظاً وحنقاً. ألَا وإنّ الراضين بقتل الحسين عليه السلام شركاء قَتَلَته. ألَا وإنّ قَتَلَته وأعوانهم وأشياعهم والمقتدين بهم براء من دين الله. ألَا إنّ الله ليأمر الملائكة المقرّبين أن يتلقوا دموعهم المصبوبة لقتل الحسين عليه السلام إلى الخزان في الجنان، فيمزجونها بماء الحَيَوان، فيزيد في عذوبتها وطيبها ألف ضعفها. وإنّ الملائكة ليتلقون دموع الفرحين الضاحكين لقتل الحسين عليه السلام ويلقونها في الهاوية، ويمزجونها بحميمها وصديدها وغساقها وغسلينها، فتزيد في شدّة حرارتها وعظيم عذابها ألف ضعفها، يُشدد بها على المنقولين إليها من أعداء آل محمد عذابهم**»[2].

---

(١) إبراهيم: آية ٣٧.

(٢) التفسير المنسوب إلى الإمام الحسن العسكري عليه السلام: ص٣٦٩-٣٧٠.

كما أنّ الله تعالى جعل مرقد الإمام الحسين عليه السلام أحد مواطن التخيير الأربعة، فقد روى ثقة الإسلام الكليني رحمه الله بسنده عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «**تتم الصلاة في أربعة مواطن: في المسجد الحرام، ومسجد الرسول صلى الله عليه وآله، ومسجد الكوفة، وحرم الحسين صلوات الله عليه**»[1]. وهذا ما يجعلنا نستشعر أنّ الإنسان الموالي عندما يزور الإمام الحسين عليه السلام يشعر وكأنَّه حاضر بين أهله، وهو نفس المعنى الذي نستشعره من قول الزائر وهو يغادره: «**السلام عليك يا مولاي سلام مُوَدِّع لا قالٍ ولا سئم، فإن أنصرف فلا عن ملالة، وإنْ أُقم فلا عن سوء ظنٍّ بما وعد الله الصابرين**»[2].

هذا ويبقى اسم الحسين عليه السلام يثير مكامن التوجّع في قلوب المؤمنين! فالمؤمنون بالمشروع الحسيني يتوجّعون عندما يتذكّرون مقتل سيّدهم بتلك الطريقة البربرية الوحشية. وأمَّا الذين يخافون من المشروع الإلهي للحسين عليه السلام فإنّهم يتوجّسون خيفة من مجرد ذكر اسمه، فاسم الحسين عليه السلام يقضّ مضاجع الظالمين، ويزلزل عروشهم فيسقطها، فإذا هي خراب ودمار. إنّ الثوار الأحرار من جهة، والطغاة المستبدين من جهة أُخرى، هم الوحيدون الذين يفهمون ماذا يعني اسم الحسين عليه السلام.

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٤، ص٥٨٦.
(٢) المشهدي، محمد بن جعفر، المزار: ص٤٢٦.

دراسات حسينية

- معالم الدور الإعلامي للعقيلة زينب عليها السلام في نهضة عاشوراء.. دراسةٌ تحليلية
- واقعة الطف في الشعر القصصي الحديث.. دراسةٌ مقارنة في تقنية الراوي
- شهداء الطف.. أسماءٌ وقع الاختلاف في صحبتها للنبي صلى الله عليه وآله
- فقه التربة الحسينية (القسم السادس).. بيع وشراء التربة الحسينية، والتحنيك بها وإهداؤها

معالم الدور الإعلامي للعقيلة زينب عليها السلام في نهضة عاشوراء
دراسةٌ تحليلية

نُهى القطراني*

تمهيد

يحتّل الإعلام في النهضة الحسينية أهمية بالغة ومكانة بارزة؛ وذلك لأنّها حركة إصلاحية اجتماعية بامتياز، فهي تهدف إلى إيجاد هزّة وجدانية وعاطفية لتوعية الأُمة دينياً وسياسياً، فكان لا بدّ من سبيل يضمن وصول الرسالة الإعلامية لهذه النهضة المبدئية للأُمة، ولا سيّما أنّ الإمام الحسين عليه السلام كان متيقناً من الشهادة، وأنّه سيلاقي ربّه مظلوماً في هذا الطريق، فكان السبيل هو الدور الإعلامي لموكب السبايا من آل البيت عليهم السلام، وكان لا بدّ لهذا الموكب المفجوع من موجّه حكيم يتحكم بإدارة المرحلة الإعلامية بعد وقوع الفاجعة، ولم يكن أجدر من العقيلة زينب عليها السلام للقيام بهذه المهمّة الخطيرة.

وبالفعل؛ فلقد ساهمت عليها السلام مساهمة فعّالة في النهضة الحسينية، وذلك من خلال أدائها للدور الإعلامي والترويجي لمبادئ واقعة عاشوراء بنجاح، وحملها لرسالة إعلامية سامية نجحت نجاحاً باهراً في إقناع المتلقين بها؛ لاستخدامها الأساليب الإعلامية المقنعة والمؤثرة، ومن خلال توفّر سمات فريدة في شخصيتها، مكّنتها من تغيير الرأي العام، وأداء دورها الإعلامي بنجاح.

---

* باحثة إسلامية، من العراق.

ولقد كتب الكثير عن خطب العقيلة زينب عليها السلام في واقعة عاشوراء، ودراسة مداليلها ومعانيها، ولكنّي لم أعثر على دراسة خاصّة تُعنى بالأبعاد الإعلامية لكلمات وخطب العقيلة زينب عليها السلام، ولم أعثر كذلك على بحوث تحليلية مستقلة تهتم بالجانب الإعلامي لحضور حُرم الإمام الحسين عليه السلام وعياله في عاشوراء، سوى إشارات متفرّقة هنا وهناك، أبرزها ما كتبه الشهيد مرتضى المطهري رحمه الله في كتابه (الملحمة الحسينية).

ولقد تمّت دراسة المنهج الإعلامي في خطب النبي محمد صلى الله عليه وآله في عدّة أبحاث وكتب ومقالات، أبرزها كتاب (الجوانب الإعلامية في خطب الرسول صلى الله عليه وآله)، للدكتور سعيد بن ثابت، بالإضافة إلى بعض الكتابات القيّمة الأُخرى في مبادئ الإعلام الإسلامي، ولقد استفدت من كلّ تلك الخبرات في هذه الدراسة، لكي أتناول (معالم الدور الإعلامي للعقيلة زينب عليها السلام في نهضة عاشوراء) بالدراسة والتحليل العلمي والموضوعي.

تعريف الإعلام

مفردة الإعلام: مأخوذة من لفظة (العلم)، ومشتقة من معناه؛ لأن الإعلام في الحقيقة هو عملية إيصال المعلومة ونشر الخبر، ويمكن تعريفه بـ: «**عملية توجيه الأفراد بتزويدهم بالمعلومات والأخبار والحقائق؛ لمساعدتهم على تكوين رأي صائب في واقعة محدودة، أو مشكلة معيّنة**»[1].

أركان الإعلام وأبعاد العملية الإعلامية

بما أنّ الإعلام هو عملية اتصال وارتباط بين شخص يمتلك فكرة، أو خبر، أو رأي معين، وبين طرف آخر يراد إقناعه بها، فله أركان أساسية لا يقوم إلّا بها، وهي:

١ـ **المصدر أو المرسِل**: وهو صاحب الفكرة وحامل الرسالة، وتتوقف العملية

(١) سبتان، محمد، تقويم أساليب تعليم القرآن الكريم وعلومه في وسائل الإعلام: ص٨.

الإعلاميـة في نجاحهـا على شـخصية المصدر وقوّته، ومدى ثقته بنفسـه وبرسـالته، ومدى مصداقيته وجدّيته في حمل الرسالة وإيصالها إلى المتلقين.

٢ ـ **الرسـالة**: وهـي ـ كما ذكرنا ـ قد تكون خبراً، أو فكـرةً، أو رأياً، ينبغي إيصاله إلى المتلقـي أو المتلقين، وقد عدّها المختصون في الدراسـات الإعلامية بمثابة العمود الفقري للعملية الإعلامية.

٣ـ **المتلقي أو المستقبِل**: وهو الشخص أو الأشخاص المخاطبون المراد إيصال الرسالة إليهم.

٤ـ **وسـيلة الاتصـال**: وهي الآلية التـي تتم فيها عملية الاتصـال الإعلامي، فقد تكـون غير مباشرة عـن طريق مكاتبة، أو عن طريق فعل عملي، أو اسـتعراض فني، أو تكون وسيلة مباشرة، عن طريق خطاب موجّه، أو حوار مشترك.

لـذا؛ فالعمليـة الإعلاميـة ذات بُعـد نفـسي يتمثّل بكلّ مـن المصدر والمسـتقبل، ولهـا بُعـد فكري ـ أيضاً ـ قائم على أسـاس العلم الذي بواسـطته تتـم عملية الإقناع والاقتناع، ولها أيضاً بعد آلي(فني) يتمثّل في وسيلة الاتصال[1].

أهميّة عنصر الإعلام في النهضة الحسينية

للإعـلام مكانـة مميّـزة ودور كبير في حيـاة الناس، فقد يسـاهم في إسـقاط ملوك وحكومات، وقد يهدّ أنظمة و يُشيّد أُخرى، وبإمكانه تغيير أنماط الحياة؛ بسبب تأثيره المبـاشر والفعّـال في النـاس، ودوره في ضبط مشـاعرهم وآرائهـم وتوجهاتهم؛ لذا، فالملاحـظ في النهضـات الفكرية والمبدئـية أنّ الإعلام يتقدّم عـلى أولوياتها ويتصدر اهتماماتها، بل ويشكّل أخطر وأهم أسلحتها.

ولا تكون الثورات والحركات الاجتماعية والمبدئـية مثمرة، ولن يُكتب لها النجاح إلّا مـن خلال إيصـال مضامينها ومبادئها إلى أكبر عدد ممكن مـن الناس، عبر اعتماد

(١) أُنظر: ثابت، سعيد، الجوانب الإعلامية: ص١٤٠.

سلاح الإعلام، فهو كلمة السرّ في نجاح الثورات... وإذا نظرنا إلى تاريخ الثورات وحركات التحرر ورفض الاستعباد، فلن نجد حركة أو نهضة نالت من الشهرة والمجد والخلود مثلما نالته حركة الإمام الحسين عليه السلام في عاشوراء، ومثلما حازت عليه من سعة وامتداد على صعيد الزمان والمكان[1].

والحقيقة المبدئية والرسالية لنهضة الإمام الحسين عليه السلام في عاشوراء، تجعل من الإعلام ضرورة حيوية لا يمكن إغفالها، فقد قرر الإمام عليه السلام تكثيف المجهود الإعلامي؛ لأجل توضيح الأُمور للأُمّة الإسلامية، والتركيز على نشر الحقائق بين المسلمين، فاختار المكان والزمان بدقة وحنكة لبثّ رسالته الإعلامية، فسافر إلى مكّة المكرّمة حيث اجتماع المسلمين وقدومهم من كلّ صوب لأداء مراسم الحج والعمرة، ووصل إليها في غرّة شعبان، فمكث عليه السلام في مكّة مدّة أربعة أشهر تقريباً، يدعو ويُعلن ويُبلّغ إلى أن اختار الوقت الأنسب لبدء نهضته والتحرّك نحو الكوفة، وهو اليوم الثامن من ذي الحجة عام (٦١هـ).

يقول الشهيد المطهري: «**إنّ لخروج الإمام الحسين عليه السلام في يوم التروية (٨ ذي الحجة)، أكبر صدى إعلامي وأكثر تأثيراً وإبلاغاً لنداء الإسلام، وأشدّ وقعاً في نفوس المسلمين؛ لأنّ مفهوم الحج تحت نير الحكومة الأُموية يفقد روحه ومصداقيته، ويعود ليصبح كحج الجاهليّة الأُولى ما قبل الإسلام**»[2].

الأبعاد الإعلامية لحمل الحسين عليه السلام عائلته وأهل بيته إلى العراق

لقد كان لحمل الحسين عليه السلام عياله وأهل بيته معه في نهضته ضدّ الظلم والطغيان الأُموي ـ بالرغم من المعارضات التي أبداها بعض، ومراجعة بعض شيوخ الهاشميين له بأن يرجع عن قراره هذا ـ دلالات وأبعاد إعلامية كثيرة نستشفّها من خلال ردّه عليه السلام وردّ أُخته العقيلة زينب عليها السلام على بعض هذه الاعتراضات.

---

(١) أُنظر: مطهري، مرتضى، حماسه حسيني (الملحمة الحسينية): ج١، ص١٩٠.

(٢) المصدر السابق: ج١، ص٣٤٧.

أهم الدلائل الإعلامية لحضور العائلة في نهضة الحسين عليه السلام

يمكن أن نستظهر عدّة أُمور من حضور عائلة الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء، نستعرضها فيما يلي:

١- الدفاع عن الدين

إنّ نزوح عائلة الحسين عليه السلام كان بحد ذاته إعلاماً بخطورة الموقف، وإيذاناً للأُمّة بأنّ المرحلة هي مرحلة دفاع عن بيضة الإسلام وحرمة الدين، وهي مرحلة يشترك فيها النساء والرجال والشيوخ والشباب، حتى الأطفال الصغار، وكفى بهذا إعلاماً بعظم المسؤولية، وتنبيهاً على خطورة الموقف، وتحريكاً لـمَن له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد؛ وأيُّ دلالةٍ أبلغ من استنفار النساء والأطفال للذود عن مبادئ الدين.

٢- المشيئة والإرادة الإلهية

حينما سأل محمد بن الحنفية الإمام الحسين عليه السلام عن السبب وراء حمل النساء والعيال معه إلى العراق، أجابه الإمام قائلاً: لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله في المنام، وقال لي: «**إنّ الله قد شاء أن يراهنّ سبايا**»[1].

وفي كلام الإمام الحسين عليه السلام دلالة واضحة وإشارة بارزة على أنّ اصطحابه لأهل بيته وحُرم رسول الله صلى الله عليه وآله معه أمر إلهي، وتكليفٌ دينيٌ لا نقاشَ فيه، ومسألة حتميّة لا مناص منها، وأنّه من إرادة الله تعالى ومشيئته أن يكون للنساء بقيادة العقيلة زينب عليها السلام دورٌ وشأنٌ عظيمٌ في الدين والرسالة.

٣- موقف زينب عليها السلام من حمل النساء والعيال

لقد كلّمت العقيلة زينب عليها السلام عبد الله بن عباس، عندما راجع الإمام الحسين عليه السلام في مسألة حمل العيال معه في سفره الخطير هذا، حيث ذكر الشيخ النقدي أنّ السيدة

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٤، ص٣٦٤.

زينب عليها السلام عندما سمعت نصيحة عبد الله بن عباس للإمام الحسين عليه السلام ـ بأن لا يأخذ النساء والعيال معه إلى العراق ـ اعترضت عليه باكية، وقالت: «**يا بن عباس، تُشير على شيخنا وسيدنا أن يخلّفنا ها هنا ويمضي وحده؟! لا والله، بل نحيى معه، ونموت معه، وهل أبقى لنا الزمان غيره؟!**»[1].

إنّ ردّ العقيلة هذا فيه إشارة واضحة إلى الاستنفار التام، والتسليم الكامل لأمر الله تعالى، وفيه دلالة واضحة على أنّ شأن النساء ودورهنّ في نهضة الإمام الحسين عليه السلام لا يقلّ أهميّة وخطورة عن دور الرجال؛ وذلك أنّهن أُنتدِبْنَ للجهاد، وللذود عن حياض الدين بالكلمة والموقف والإعلام الهادف الجريء، فلقد قرّرنَ الجهاد مع إمام الأُمّة وسبط رسول الله صلى الله عليه وآله للذود عن مبادئ الدين الحنيف، مهما كانت التضحية، ومهما كان الثمن، ولا يثنيهن عن عزمهن هذا بُعد طريق ولا شقّة سفر.

الأساليب والطُّرق الإعلامية في خُطب العقيلة عليها السلام في نهضة عاشوراء

الأساليب: جمع لمفردة (أُسلوب)، و «**الأُسلوب: (الطريق)... يقال: أخذنا في أساليب من القول: (فنون متنوعة)**»[2]. وعلى الإعلامي أن يُحسن توظيف فنون القول، ويُجيد استخدام طُرق وأساليب الإعلام من خلال التشخيص الصحيح لحاجة المتلقين.

ولقد أحسنت سيّدتنا العقيلة زينب عليها السلام تشخيص طبيعة المتلقين، وأبدعت في استخدام الأساليب الإعلامية المؤثرة في خطابها الإعلامي. وسنستعرض أبرز هذه الأساليب في خطبها التي ألقتها في كلّ من كربلاء والكوفة والشام.

---

(١) البحراني، هاشم، مدينة المعاجز: ج٣، ص٤٨٥.

(٢) إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط: ص٤٤١.

الأساليب الإعلامية في كلمات العقيلة عليها السلام في كربلاء

تـروي كتب التاريخ التي نقلـت أحداث عاشـوراء: أنّ العقيلة زينب عليها السلام ندبت أخاها في كربلاء بُعيد الواقعة، وذلك في اليوم الحادي عشر من المحرّم، وكان مصابها بأخيها الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيتها لم يزل جديداً، ورزيتها حديثة، ولم تزل فاجعتها طرية؛ حيث كانت تنظر إلى الأجساد الطاهرة الزكية بلا رؤوس، مقطعة على رمضاء كربلاء، وكان قلبها يعتصر غُصّةً وألماً، وكان الأعداء يُحيطونها من كلّ جانب ومكان، فخطبت خُطبتها المشـهورة، وكانت في مقام الشكاية والتظلّم، فأخذت تندب أخاها الشـهيد، يقول ابن طاووس في اللهوف: «... **ثمّ أُخرِج النسـاء من الخيمة، وأشـعلوا فيها النار، فخرجن... باكيات، يمشين سبايا في أسر الذلّة، وقلن: بحق الله إلّا ما مررتم بنا على مصرع الحسـين عليه السلام. فلمّا نظر النسـوة إلى القتلى صِحنَ وضربنَ وجوههنَّ، قال: فو الله، لا أنسـى زينب بنت علي عليه السلام تندب الحسـين عليه السلام، وتنادي بصوت حزين، وقلب كئيب: يا محمداه، صلّى عليك مليك السماء، هذا حسين مرمّل بالدماء، مقطّع الأعضاء، وبناتـك سـبايا، إلى الله المشـتكى، وإلى محمد المصطفى، وإلى عـلي المرتضـى، وإلى فاطمة الزهراء، وإلى حمزة سيد الشهداء. يا محمداه، هذا حسين بالعراء، تسفي عليه ريح الصبا، قتيـل أولاد البغايـا، وا حزنـاه، وا كربـاه! اليوم مات جدّي رسـول الله صلى الله عليه وآله، يا أصحاب محمـداه، هؤلاء ذرّية المصطفى يُسـاقون سـوق السـبايا... وفي رواية: يا محمـداه، بناتك سـبايا، وذرّيتك مقتّلة، تسـفي عليهم ريح الصبا، وهذا حسين محزوز الرأس من القفى، مسلوب العمامة والرداء**»[1].

لقـد اسـتخدمت العقيلـة زينـب عليها السلام هنا عـدّة أسـاليب إعلامية بليغـة ومؤثرة، نستعرضها على التوالي:

---

(١) أُنظر: ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف على قتلى الطفوف: ص٧٨.

١ـ أُسلوب الاستهلال المؤثر

لقد أثارت العقيلة زينب عليها السلام انتباه الحاضرين وأثّرت في نفوس المتلقين، من خلال استخدام مقطع استهلالي مميّز، قرعت به أذهان السامعين، واخترقت ضمائرهم، من خلال ندبها لجدّها رسول الله محمد صلى الله عليه وآله قائلة: «**يا محمداه!**»، موقظة بذلك للمشاعر، ومؤنبة للضمائر، فقد ذكّرت القتلة بأنّ الضحايا هم أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وذريّته، وأنّ السبايا هم حُرم رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام الذين كان جدّهم يؤكّد كثيراً على محبتهم، ووجوب إكرامهم، والتمسّك بهم، وإذا بأُمّته تعدو عليهم لتقتلهم، وتمثّل بأجسادهم، وتنتهك حُرماتهم، وتسبي حرائرهم.

٢ـ أُسلوب الندب والرثاء

ثمّ تشرع عليها السلام باستخدام أُسلوب تصوير الحقائق، ورسم المشهد الواقع، فأخذت تبيّن المشهد الحاضر بكلمات معبّرة بليغة، ممزوجة بالندب والرثاء، عبر كلمات تنفطر لها الجبال، وتتشقق الصخور، فقد تكلّمت عليها السلام مصورة المشهد المروّع الذي حدث في واقعة الطفّ، وما جرى على حُرم وعيال الإمام الحسين عليه السلام من بعد مقتله قائلة: «**بأبي مَن أضحى عسكره في يوم الإثنين نهباً، بأبي مَن فسطاطه مقطّع العرى، بأبي مَن لا غائب فيُرتجى، ولا جريح فيداوى... بأبي مَن شيبته تقطر بالدماء**»[1].

٣ـ الإكثار من الرثاء

وأكثرت عليها السلام من استخدام أُسلوب الرثاء؛ لعظم الفاجعة وهول المصاب، وأخذت تبيّن فضل الإمام الحسين عليه السلام ومكانته وقربه من رسول الله صلى الله عليه وآله، وهي تقول: «**بأبي مَن جدّه محمد المصطفى، بأبي مَن جدّه رسول إله السماء، بأبي مَن هو سبط نبي الهدى، بأبي[ابن] محمد المصطفى، بأبي [ابن] خديجة الكبرى، بأبي [ابن] علي المرتضى،**

(١) المصدر السابق: ص٧٨ـ٧٩.

بأبي [ابن] فاطمة الزهراء سيدة النساء، بأبي [ابن] مَن رُدّت له الشمس وصلّى»[1].

فلم يكن من أُولئك القتلة الجفاة، وهم على ما بهم من غلظة وقسوة إلّا أن تفجّرت عيونهم بالدموع.

وعن التأثير الإعلامي الذي أحدثته هذه الخطبة (المتفجعة المفجعة)، يقول الراوي: «**فأبكت والله كلّ عدوّ وصديق**»[2]، فكأنّ هذه الخطبة قد أحدثت هزّة قوية في نفوس أُولئك القتلة المتوحشين، الذين انسلخوا من إنسانيتهم، فضلاً عن تنصّلهم عن دينهم، فأصبحوا بعد سماعهم لكلمات العقيلة زينب عليها السلام كأنّهم قد أدركوا توّاً بشاعة ما اقترفوه من جرائم، وفداحة ما وقعوا فيه من مآثم، فأُسقط في أيديهم، وأيقنوا بهلاكهم، وأدركوا سوء عاقبتهم.

الأساليب الإعلامية في خطبة العقيلة عليها السلام في الكوفة

روى المؤرخون في باب ما جرى من الأُمور المتأخرة عن مقتل الإمام الحسين عليه السلام من سبي العيال، أنّهم قد حملوا السبايا على أبشع هيئة وأفجع صورة: «**وحملُ نسائه (صلوات الله عليه) على أحلاس أقتاب الجمال بغير وطاء، مكشّفات الوجوه بين الأعداء، وهن ودائع الأنبياء، وساقوهن كما يُساق سبي الترك والروم في أشدّ المصائب والهموم**»[3].

وعندما وصلوا إلى مدينة الكوفة ـ مقر خلافة أمير المؤمنين عليه السلام ـ أوقفوهم بين الناس؛ ليتفرّجوا على ذلّتهم، وكي يُحدِثوا بذلك الرعب في قلوب الكوفيين، وهم ينظرون إلى رأس مَن كاتبوه ورؤوس أهل بيته وأنصاره مرفوعة على الرماح، ولكي يعتبروا بما جرى على آل الرسول صلى الله عليه وآله ولا يتمرّدوا بعد هذا على الحكم الأُموي، أو يتجرؤوا على معارضة السلطة الظالمة أبداً؛ لكن هيهات أن تمرّ مخططات الأُمويين

(١) المصدر السابق: ص٧٩، بإضافة كلمة (ابن).

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق: ص٨٤.

وتنجح محاولاتهم والعقيلة زينب عليها السلام سائرة في هذا الموكب، وهي تقود المرحلة الإعلامية لنهضة الحسين في عاشوراء.

ولقد كانت العقيلة زينب عليها السلام هي المستفتحة للمرحلة اللاحقة لثورة الإمام الحسين بن علي عليه السلام على الحكم الأُموي، وهي المرحلة الإعلامية، وهي مرحلة حسّاسة وخطيرة لا تقل أهميتها عن أهمية الثورة نفسها؛ لذا كانت العقيلة زينب عليها السلام دقيقة في خطاباتها، حكيمة في استخدامها لأساليب الإعلام وطرقه المتنوعة.

فقد ورد في كتب التاريخ: «**لما أتى علي بن الحسين زين العابدين بالنسوة من كربلاء... وإذا نساء الكوفة ينتدبن مشققات الجيوب، والرجال معهن يبكون**»[1].

يقول الراوي: «... **وقد أومأت إلى الناس أن اسكتوا. فارتدت الأنفاس، وسكنت الأجراس، ثمّ قالت: الحمد لله، والصلاة على أبي محمد وآله الطيبين الأخيار...**»[2].

وفيما يلي أهم الأساليب الإعلامية في خطب السيدة زينب عليها السلام في الكوفة:

١ـ أُسلوب الاستهلال المميّز والهادف، براعة الاستهلال والبداية المثيرة

إنّ من أهم أساليب الإقناع (المدخل الاتصالي المناسب) الذي يعمل على جذب الانتباه وإثارته، فهو مدخل إلى نفوس الناس، ومفتاح لعقولهم، ومفتاح لأفكارهم[3]. ولقد استخدمت العقيلة عليها السلام أُسلوباً استهلاليّاً مميّزاً في خُطبتها في الكوفة، يختلف عمّا استهلّت به في كربلاء، فلقد استهلّت خُطبتها هنا بحمد الله والصلاة على أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله، وفي هذا دلالة على موقفها الشامخ وردّة فعلها الصلبة تجاه ما جرى من مآسي ومصائب ومحن، إذ إنّها عليها السلام بدأت كلامها بحمد الله تعالى؛ لتقطع بذلك الطريق على مَن يتّهم الأقدار، ويحاول التنصل من مسؤولية ما حدث؛ تمسكاً بعقيدة الجبر، لكي يبرِّؤوا أنفسهم من جريمة قتل الإمام الحسين عليه السلام.

---

(١) الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج: ج٢، ص٢٩.

(٢) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف على قتلى الطفوف: ص٨٦.

(٣) أُنظر: ثابت، سعيد، الجوانب الإعلامية: ص١٤٠.

وفيه إشارة إلى أنّ ما لاقَوهُ إنّما هو ناتج عن ظلم الناس وطغيانهم وتخاذلهم، وقد أكدت هذا المعنى فيما بعدُ في ردّها على ابن زياد عندما سألها: «**كيف رأيت صُنع الله بأخيك وأهل بيتك؟**»، فأجابته قائلة ـ قول الواثق برحمة ربّه وعدله ولطفه ـ: «**ما رأيت إلّا جميلاً**»[1]، فلا يصدر من الله تعالى إلّا كلّ ما هو محمود جميل، ولا يصدر عن أهل البيت الأطهار عليهم السلام إلّا الحمد والتعظيم لله الواحد القهار.

وفي استهلالها المميّز هذا ـ وهي تقف هذا الموقف الصعب والمرير ـ دلالة واضحة على إيمانها العميق بالله تعالى، ورضاها برضاه سبحانه.

كما أنّ في صلاتها عليها السلام على النبي الأكرم صلى الله عليه وآله بهذه الطريقة «**والصلاة على أبي محمد**» لدلالة واضحة على أنّهم أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة، ولا ينقصهم وقوفهم هذا شيئاً من كرامتهم، ولا يضرّ بفضلهم وشرفهم. وفيه إشارة إعلامية إلى أنّهم أساس هذا الدين، وعماد دولة المسلمين، فهم ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله، وهم أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة.

٢ـ أُسلوب التأنيب والمصارحة والمكاشفة

في قولها عليها السلام: «**أمّا بعدُ، يا أهل الكوفة، يا أهل المكر والغدر، أتبكون؟! فلا رقأت الدمعة، ولا هدأت الرنة...**»[2]، لقد استفتحت العقيلة زينب عليها السلام مرحلة مخاطبة الرأي العام، والاتصال المباشر بالناس، وخاطبت الرأي العام الكوفي بأُسلوب المكاشفة والمصارحة؛ نظراً إلى أنّ المرحلة التي يعيش فيها المجتمع الكوفي تتطلب المصارحة بالحقائق، لما لهذا الأُسلوب من أهميّة في هذا الموقف؛ فإنّ المصارحة والمكاشفة وبيان الحقائق، وإن كانت قاسية ومُرّة، فإنّها تتميّز بدور حيوي في تقويم وإصلاح التوجّه العام للناس، لما فيها من حثّ الناس، وتوجيه الرأي العام إلى مواجهة الحقائق،

(١) ابن أعثم، أحمد، الفتوح: ج٥، ص١٢٢.

(٢) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف على قتلى الطفوف: ص٨٦ـ٨٧.

وإصلاح الواقع؛ وذلك أنّ «**الرأي العام الإسلامي الذي يؤسسه الاتصال الفعال على أساس من المصارحة بالحقائق، تأتي مواقفه ثابتة، ويكون تأييده لقيادته قوياً، وثقته بها متينة**»[1].

لذا؛ فقد استعملت العقيلة زينب عليها السلام أُسلوب المكاشفة ومخاطبة جمهور المتلقين بحسب حاجاتهم المعنوية، وسعت إلى تشخيص حالاتهم النفسية، فشرعت في خطاب تقريعي، واستخدمت أُسلوب التوبيخ الشديد الذي يتناسب وحجم الفاجعة وكبر الرزية، فموقف أهل الكوفة، وغدرهم بإمامهم، وتخاذلهم عن نصرة الحق لا يتناسب معه إلّا هذا الأُسلوب الإعلامي التقريعي القاسي والصريح.

وقد أثبتت الدراسات العلمية في ميادين الاتصال الإعلامي، أن أُسلوب عرض الحقائق يُعتبر من أهم الأساليب الفعّالة في تغيير الرأي العام[2].

فلقد استعملت العقيلة زينب عليها السلام هذا الأُسلوب مع أهل الكوفة، فصارحتهم بحقيقتهم، على مرارتها، واستهلّت خطابها ببيان حقيقتهم وجوهر شخصيتهم؛ كي يعرفوا حقيقة أنفسهم ويكفّوا عن الادعاء بما ليس فيهم، فليس فيهم إلّا (المكر والغدر)، فالمكر منهم وإليهم، ولم يكن عارض عليهم، والغدر مقترن بهم، فليس هو طارئاً جديداً يطرأ عليهم، بل هو صفة معروفة فيهم ومقترنة بهم.

٣ـ أُسلوب تقريب الحقائق المعنوية من خلال ضرب الأمثال

ثمّ أخذت عليها السلام تُبيّن لهم حقيقتهم من خلال أُسلوب التشبيه وضرب الأمثال، وهو أُسلوب قرآني في واقعه، وهو من الأساليب المهمّة في الإعلام؛ إذ إنّه يقرّب المعاني ويوصلها إلى أذهان المتلقين من خلال استحضار صور حسّية، قالت عليها السلام: «**إنّما مثلكم كمثل التي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً، تتخذون أيمانكم دخلاً بينكم**»[3]،

(١) ثابت، سعيد، الجوانب الإعلامية: ص٣٦.

(٢) أُنظر: حجاب، محمد منير، مبادئ الإعلام الإسلامي: ص٧١.

(٣) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف على قتلى الطفوف: ص٨٧.

وهـذا مثـل قرآني معروف، قد ضربـه الله في القوم الذين ينقضـون العهد ويغدرون، مسـتغلين بذلك الدين وأيمانهم، وفي اسـتخدام العقيلة عليها السلام لهذا المثل في هذا الموقف عدّة دلالات ومعانٍ وأساليب إعلامية هامّة أبرزها:

١ـ اسـتخدام العقيلة أُسلوب التشبيه من خلال استحضار أحد الأمثال القرآنية، لا سـيما أنّـه كان مثلاً بليغـاً ومؤثراً؛ إذ إنّه يتناسـب والموقف الإعلامـي الذي تقف فيـه العقيلة عليها السلام، فهي عليها السلام كانت بصدد تبيين الأسـباب الحقيقيـة، والعلل الجوهرية لحدوث هذه الفاجعة الأليمة.

٢ـ أرادت العقيلة زينب عليها السلام من خلال استخدام هذا المثل بيان السبب المحوري، والنقطـة الجوهرية في إخفاق أهل الكوفة المتكرر مـع أئمّة الحق، وعدم موفقيتهم في نيل السـعادة بنصـرتهم، فديدن أهـل الكوفة هو التناقـض والتراجع عن إنجازاتهم دائماً، فشـبهتهم عليها السلام بتلك المرأة التـي كانت تُلقّب بـ(خرقاء مكـة)، والتي كان دأبها أن تنقـض مـا تنتجه بيديها بعد طـول عناء[1]. وهذا كان حالهم مـع أمير المؤمنين عليه السلام وولده الإمام الحسـن عليه السلام من بعده، ومن ثمّ هذه النهاية المفجعة والعاقبة السيئة التي تجسّـدت بغدرهم بإمامهم وملاذهم الإمام الحسـين عليه السلام، وتقاعسهم عن نصرته بعد أن أغلظوا له الأيمان، وقدّموا له المواثيق، وواتروا إليه الرسائل والكتب.

٤ـ أُسلوب الاستشهاد بالآيات والمفاهيم القرآنية

يظهـر في هـذا المقطـع مـن خطـاب العقيلـة زينـب عليها السلام اسـتخدامها لأُسـلوب الاستشـهاد بآيـات القـرآن الكريـم؛ لأجـل تأكيـد الحقائـق، وترسـيخ المفاهيـم في نفـوس المتلقـين وعقولهم، وفي هذا الأُسـلوب إشـارة إعلاميّة يُختزل فيهـا أمر هام، أَلا وهـو التأكيـد عـلى أنّهم مصداق لـمَـن ذمّتهم الآية الكريمـة: ﴿... تَتَّخِذُونَ

(١) أُنظر: الطباطبائي، محمد حسين، تفسير الميزان: ج١٢، ص٣٣٥.

﴿أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ ...﴾[1]، وقد جاء في تفسير العلّامة الطباطبائي لهذه الآية: «**أي: تتخذون أيمانكم وسيلة للغدر والخدعة والخيانة، تطيّبون بها نفوس الناس، ثمّ تخونون وتخدعونهم بنقضها...**»[2].

كما يظهر من أُسلوب الاستدلال هذا إشارة إلى معنى إعلامي هام آخر، وهو: أنّ العقيلة زينب عليها السلام ـ باستخدام هذا الاستشهاد، وهذا المثل الراقي، والتشبيه البليغ ـ قد أحدثت وصلاً وترابطاً بين الناس في عصرها وعصر نزول الوحي، ووزنت أهل الكوفة بميزان القرآن، وكلّمتهم بمنطقه؛ لكي تشخّص لهم أمراضهم النفسية، وتبيّن لهم نقاط ضعفهم فيما بعد.

٥ـ أُسلوب التشبيه

ثمّ عطفت عليها السلام إلى استخدام أُسلوب الوصف والتشبيه؛ لغرض بيان هذه العلل والأمراض النفسية قائلة: «**أَلا وهل فيكم إلّا الصلف والشنف، وملق الإماء، وغمز الأعداء، وهل أنتم إلّا كمرعى على دمنة، وكقصة على ملحودة، أَلا ساء ما قدّمت لكم أنفسكم أن سخط الله عليكم، وفي العذاب أنتم خالدون**»[3].

لقد استعملت العقيلة زينب عليها السلام هنا أُسلوب التوبيخ والتقريع الشديد، من خلال ذكر أبرز صفة لأهل الكوفة، باستخدام أداة الحصر (إلّا)، و«**الصَّلَف أيضاً: التَّمَدُّح بما ليس عندك**»[4]، و«**الشَّنَف بالتحريك: البغض والتنكّر**»[5]، بمعنى عدم تحكيم العقل والضمير، والاستناد إلى الأهواء في اتخاذ المواقف وإصدار الأحكام، «**وملق الإماء، وغمز الأعداء**»، أي: تتملّقون كما تتملّق المملوكة لسيّدها، وليس لكم

(١) النحل: آية٩٢.
(٢) الطباطبائي، محمد حسين، تفسير الميزان: ج١٢، ص٣٣٥.
(٣) ابن طيفور، أحمد بن أبي طاهر، بلاغات النساء: ص٢٤.
(٤) الزبيدي، محمد مرتضى، تاج العروس: ج١٢، ص٣٢٧.
(٥) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج٩، ص١٨٣.

كرامة واعتداد بالنفس، إذا أصبحتم في قبال عدوكم، وغاية مجهودكم أن تطعنوا به، وتعيبوا عليه بخفية، بأُسلوب الذليل الجبان كما يفعل العبيد، وتتملّقون له أمامه كما تتملّق الإماء. وقد كان التشبيه هنا عبر أُسلوب البدل.

ثمّ استخدمت عليها السلام فيما يلي من خُطبتها أُسلوب التشبيه من خلال الأداة (الكاف) قائلة: «... **وهل أنتم إلّا كمرعى على دمنة، وكقصة على ملحودة...**»، وهو أُسلوب بلاغي عميق، عمدت العقيلة عليها السلام من خلاله إلى تحقيرهم، وتسفيه عملهم، واستصغار جهدهم، فإنّ أعمالهم لا تمثل في الحقيقة إلّا المظاهر، وليس لها في الباطن إلّا الخواء، فهي كالنبات الأخضر وسط المزابل القذرة، فالدمنة: هي المزبلة، وهي كالبناء المزخرف فوق القبور، فالملحودة: هي القبر، الذي لا يضم في داخله إلّا الرفات والجيف، وإن حسُن ظاهره من الخارج[1].

٦ـ أُسلوب تضمين المحتوى القوي في قالب بلاغي أنيق

وقد تقدّمت لهم العقيلة زينب عليها السلام في هذه الخُطبة بالوعيد والإنذار من الانتقام الإلهي، لتؤكّد على عظم الرزية، وكبر المصاب، وشدّة غضب الله، بأُسلوب بلاغي أنيق، وذلك في قولها عليها السلام: «**أَلا بئس ما قدّمت لكم أنفسكم وفي العذاب أنتم خالدون... أَلا ساء ما قدّمت لكم أنفسكم، وساء ما تزرون ليوم بعثكم، فتعساً تعساً، ونكساً نكساً، لقد خاب السعي، وتبّت الأيدي، وخسرت الصفقة، وبؤتم بغضب من الله، وضُربت عليكم الذلّة والمسكنة**»[2].

ويظهر هنا أُسلوب الاستشهاد بمضامين القرآن عبر الاستناد إلى الألفاظ القرآنية، وهو أُسلوب مفاده المبالغة في التوعّد والتخويف.

كما يظهر أُسلوب المكاشفة وتقديم الحقائق في قولها عليها السلام «**لقد خاب السعي...**

---

(١) أُنظر: الزبيدي، مرتضى، تاج العروس: ج٩، ص٣٣٩.

(٢) الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج: ج٢، ص٣٠.

وضُربت عليكم الذلّة والمسكنة» ـ في إشارة إلى العذاب الدنيوي الذي ينتظرهم ـ فضلاً عمّا ينتظرهم من عذاب يوم القيامة.

٧ـ أُسلوب الاستفهام الحواري

بعدما أنذرت العقيلة عليها السلام أهل الكوفة من حتميّة قدوم العذاب الإلهي، شرعت بإجراء حوار إعلامي قدّمت فيه استفهام تعجب قائلة: «**أتدرون ويلكم أيّ كبدٍ لمحمد صلى الله عليه وآله فرثتم؟! وأيّ عهدٍ نكثتم؟! وأيّ كريمةٍ له أبرزتم؟! وأيّ حرمةٍ له انتهكتم؟! وأيّ دمٍ له سفكتم؟!**»[١].

فلقد كشفت العقيلة عليها السلام في هذه الكلمات البليغة والمعبرة لأهل الكوفة، أنّهم بفعلتهم هذه، إنّما مزّقوا كبد نبيّهم الأكرم محمد صلى الله عليه وآله، وأنّهم بنكثهم لعهد الإمام الحسين عليه السلام، إنّما نكثوا عهدهم مع النبي صلى الله عليه وآله، وأنّهم قد انتهكوا حُرمات رسول الله صلى الله عليه وآله، وسفكوا دمه (صلوات الله وسلامه عليه وعلى أهل بيته الأطهار).

إنّ السؤال والاستفهام خير أُسلوب للشرح والتبيين؛ إذ إنّه يخلق فراغاً في نفسيّة المتلقي، ويوجد لديه حافزاً نفسيّاً يحثّه على التلقي بشوق ورغبة.

وهذا الأُسلوب الحواري له تأثيره في العملية الإعلامية؛ لما يحدث من القرب النفسي بين القائم بالاتصال والمتلقي... هذا إضافة إلى أنّ التساؤل يكشف عن جوانب النقص في المعرفة لدى الجمهور[٢].

٨ـ أُسلوب التأكيد والتكرار

«**أثبتت الدراسات العلمية في مجال الإعلام قوة وفاعلية أُسلوب التكرار والملاحقة، وتأثيره الفعّال في إقناع المتلقي بالرسالة الإعلامية**»[٣]، ويأتي هذا الأُسلوب لغرض

---

(١) المصدر السابق.

(٢) أُنظر: الحجازي، عبد الحميد، الرأي العام والحرب النفسية: ج١، ص٢١٢.

(٣) ثابت، سعيد، الجوانب الإعلامية: ص١١١.

الإمعان في توضيح الحقائق، وضمان تلقي المخاطبين.

لقد أمعنت العقيلة زينب عليها السلام في هذا المقطع من الخُطبة في المكاشفة وتوضيح الحقائق، ثمّ تأجيج مشاعر الندم في نفوس المتلقّين، لما اقترفوه من جناية كبيرة؛ إذ استخدمت العقيلة هنا عدّة أساليب إعلامية وبلاغية، وهي:

١ـ الاستشهاد بالآيات القرآنية الكريمة، وذلك حينما استشهدت بقوله تعالى: ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا * تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا﴾[1]، ويظهر هنا أُسلوب الاستشهاد بآيات القرآن مرّة أُخرى، وكأنّها عليها السلام تُشير إلى أنّ أهل الكوفة يمثّلون مصداقاً لهذه الآية بقتلهم ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، وأنهم استحقوا غضب الله كما استحقه أُولئك الذين دعوا للرحمن ولداً.

وهذا أُسلوب إعلامي بليغ يتمثّل بالاستشهاد بالمسلمات، وهو دأب النبي الأكرم محمد صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام في الخطاب الإعلامي مع الأُمّة.

٢ ـ ثمّ تعود عليها السلام لاستخدام أُسلوب التشبيه عبر التشبيه بالبدل تارةً، وذلك في قولها عليها السلام: «**لقد جئتم بها شوهاء، صلعاء، عنقاء، سوداء، فقماء، خرقاء**»[2]، أي: إنّ فعلتكم التي فعلتموها كانت قبيحة بما فيه الكفاية، لتشمئز منها كلّ الأذواق، وتنفر كلّ النفوس، وتارةً أُخرى بأُسلوب التشبيه بواسطة الأداة، وذلك في قولها عليها السلام: «**كطلاع الأرض أو ملء السماء**»[3]، أي: إنّ فعلتكم القبيحة هذه معروفة في الأرض، فقد مُلئت الأرض وفاضت عنها، وقد ملأت أصداء فاجعة ما اقترفوه كلّ السماوات على وسعها وكبرها؛ وفي هذا القول قدّمت العقيلة زينب عليها السلام كناية عن أن قبح عملهم، وسوء فعلهم، أجلى من أن يخفى، أو أن يُنسى مع الزمن.

قد تركت هذه الخُطبة البليغة أثرها الخالد في نفوس وضمائر الأُمّة، وتركت الناس

---

(١) مريم: آية٨٩ـ٩٠.

(٢) الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج: ج٢، ص٣٠.

(٣) المصدر السابق.

حيارى يعذبهم الندم، ويغشاهم الاضطراب، قد ردوا أيديهم في أفواههم لا يدرون ما يقولون.

٩ـ أُسلوب مراعاة الحاجات المعنوية لجمهور المتلقين

وهذا الأُسلوب يظهر في مخاطبتها عليها السلام المتلقين على قدرهم ومكانتهم، وهو ما يُعرف بـ(الأساليب الإقناعية المرتبطة بالظروف والبيئة المتغيّرة)[١]، ومعرفتها بأحوالهم وما يتناسب معهم من خطاب، من خلال تغيير هيئة كلامها عمّا كان في كربلاء تماماً، وهذا أُسلوب حيوي ومهم جداً في إيصال الرسالة الإعلامية للمتلقّين؛ إذ لا بدّ أن يتمتع الإعلامي بسرعة بديهة وسيطرة تامّة على مجريات الأُمور، ومعرفة كاملة بطبيعة مخاطبيه؛ لأجل السعي إلى تلبية حاجات الجمهور المتلقي المادّية والمعنوية، وهو من أهم الأساليب الإعلامية لتحقيق الهدف الرئيس للعملية الاتصالية[٢].

الأساليب الإعلامية في خُطبة العقيلة زينب عليها السلام في الشام

لقد خطبت العقيلة زينب عليها السلام خُطبتها المشهورة في الشام، وذلك بعدما أُخِذت أسيرة مع الأيتام والأرامل، والإمام السجاد عليه السلام عليل مريض، وقد كُبِّلوا جميعاً بالقيود.

يذكر ابن طيفور: «**لما كان من أمر أبي عبد الله الحسين بن علي عليهما السلام الذي كان، وانصرف عمر بن سعد (لعنه الله) بالنسوة والبقية من آل محمد صلى الله عليه وآله، ووجههن إلى ابن زياد (لعنه الله)، فوجههن هذا إلى يزيد (لعنه الله وغضب عليه)، فلّما مثلوا بين يديه، أمر برأس الحسين عليه السلام فأُبرِز في طست، فجعل ينكث ثناياه بقضيب في يده، وهو يقول:**

يا غراب البين أسمعت فقل ... إنّما تذكر شيئاً قد فُعل
ليت أشياخي ببدر شهدوا ... جزع الخزرج من وقع الأسل

(١) أُنظر: ثابت، سعيد، الجوانب الإعلامية: ص١١١.
(٢) أُنظر: عبد الباقي، زيدان، علم النفس في المجالات الإعلامية: ص٤٣٥ ـ ٤٣٦.

[إلى قول الشاعر]:

لست للشيخين إن لم أثأر ... من بني أحمد ما كان فعل»[1].

وهي أبيات تنضح كفراً ونفاقاً، وينقل ابن كثير قول مجاهد: «**نافق فيها، ثمّ والله، ما بقي في جيشه أحد إلّا تركه، أي: ذمّه وعابه**»[2]، وكأنّ يزيد كان قد اطمأن إلى أنّ الإسلام قد انتهى، وأنّ الأُمور أصبحت له متّسقة؛ لكي يتجرأ ويقرأ هذه الأبيات على أسماع الملأ، وهو ينكت بالقضيب ثنايا أبي عبد الله الحسين عليه السلام.

لكن شجاعة العقيلة زينب عليها السلام وغيرتها على الدين، وتفانيها في الدفاع عن مبادئه، كانت له بالمرصاد، فوقفت تلك الوقفة المشهودة؛ لتُطلق تلك الكلمات الخالدة التي أعادت الأُمور إلى نصابها، وأزاحت عن الحقيقة حجابها، منتفضة للدين، وهي تخاطب يزيد قائلة: «**الحمد لله ربّ العالمين، وصلّى الله على رسوله وآله أجمعين، صدق الله سبحانه كذلك يقول:** ﴿ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ بِهَا يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾، **أظننت يا يزيد، حيث أخذت علينا أقطار الأرض، وآفاق السماء، فأصبحنا نُساق كما تُساق الأُسارى، أنّ بنا على الله هواناً، وبك عليه كرامة، وأنّ ذلك لعِظم خطرك عنده، فشمخت بأنفك، ونظرت في عطفك، جذلان مسروراً، حين رأيت الدنيا لك مستوسقة، وحين صفا لك ملكنا وسلطاننا، مهلاً مهلاً، أنسيت قول الله تعالى:** ﴿وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ خَيۡرٞ لِّأَنفُسِهِمۡۚ إِنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِثۡمٗاۚ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ﴾...»[3].

١ـ أُسلوب المبادرة إلى التصريح بالرسالة وانتخاب الوقت المناسب

لم تكن العقيلة المحمدية لتنهار أمام المصائب وإن عظمت، ولا تضعف أمام

(١) ابن طيفور، أحمد بن أبي طاهر، بلاغات النساء: ص٢٠ـ٢١. وتُروى الأبيات في مصادر متعددة مع اختلاف يسير، علماً بأننا حذفنا بعض الأبيات مراعاةً للاختصار.

(٢) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية: ج٨، ص٢٠٩.

(٣) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٥، ص١٣٣.

المحـن وإن جلّـت، ولم تكن العقيلـة زينب عليها السلام لتتأمل وتراجع نفسـها، كي تفكر في كيفيـة مواجهـة هذا الموقف المرير الـذي تراه أمام عينها، وهذا الكلام الذي تسـمعه تنبعـث منـه رائحـة الكفر، وتعلـو فيه نـبرة الإلحاد، فبـادرت مسـرعة لتنقضّ على أُسّ الكفـر، وتهـدّه من جذوره، وتنسـفه من قواعده، وكيف لا وهي بنت يعسـوب الدين، وحفيدة سيد المرسلين صلى الله عليه وآله، مَن أُمّها سيدة نساء العالمين عليها السلام، وإخوتها الحسن والحسين عليهما السلام.

فوقفـت متسـلّحة بسـلاح الإيـمان، متجلببـة بجلباب الصـبر والتـوكل على الله المتعـال؛ لتواجـه رأس الطغيـان في عقر داره، غير عابئة بسـلطانه، ولا آبهة لسـطوته وطغيانه، فشرعت في فضيحته، وأماطت لثام النفاق عن وجوه الأُمويين، وفضحت وجه الكفر الحقيقي الذي كان يختلج في صدورهم.

فهـذا يزيد سـليل أبي سـفيان، وحفيد آكلـة الأكباد، وابن الطلقـاء، حفظ لمحمد ابـن عبـد الله صلى الله عليه وآله جميله ـ عندما أطلقهم، وخلّى سـبيلهم، وقال لهـم: «**أنتم الطلقاء**» ـ بقتله لذريته، وانتهاك حرمته، وسـبيه لنسائه، فأصابت العقيلة بكلامها كبد الحقيقة، وأشارت إلى عين الواقع، وفضحت ما يكنّه هؤلاء لأهل البيت عليهم السلام من مشاعر حقد وضغينة، فأعلنت من خلال خطبتها الغرّاء تلك أنّ هذه الجرائم ليست إلّا «**...نتيجة خلال الكفر، وصب يجرجر في الصدر لقتلى يوم بدر، فلا يسـتبطئ في بغضنا أهل البيت مَن كان ينظر إلينا شـنفاً وشـنآناً وإحناً وأضغاناً، يظهر كفره برسـول الله، ويفصح ذلك بلسـانه، وهو يقول ـ فرحاً بقتل ولده وسـبي ذريته، غير متحوّب ولا مستعظم: لأهلّوا واستهلّوا فرحاً...**»[1].

٢ـ أُسلوب البلاغة وقوة المحتوى والمضمون

وهـو أُسـلوب إعلامي ناجـح ومؤثر، ثبتـت فعاليتـه في الدراسـات الإعلامية،

(١) الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج: ج٢، ص٣٦.

فهي «تؤكّد فاعلية الرسالة متى توفر فيها المضمون القوي والناجح، أي: المعاني والأفكار الراقية والسامية، إلى جانب الصياغة الجميلة، أي: اختيار الرموز ذات الدلالات الفعّالة في الإقناع، والتي لها دلالة مشتركة ومعروفة بين القائم بالاتصال والمتلقي»[1]. وإنّ في بلاغة العقيلة زينب عليها السلام وأُسلوب طرحها لخُطبتها دلالة واضحة على تفوق إعلامي يبهر العقول، فقد جمعت عليها السلام في خطبتها كلّ طرق وفنون البلاغة إلى جانب قوة المحتوى والمضمون.

فقد كانت تبيّن مصاديق القرآن من خلال استشهادها بآياته الحكيمة في مواقع مميّزة، كما في استهلالها المثير بالآية العاشرة من سورة الروم، حينما خاطبت يزيد قائلة: «فشمخت بأنفك، ونظرت في عطفك، جذلان مسروراً، حين رأيت الدنيا لك مستوثقة والأُمور متسقة، وحين صفا لك ملكنا وسلطاننا، فمهلاً مهلاً، أنسيت قول الله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْۚ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًاۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾»[2].

وفي توعدها ليزيد بقولها: «فو الله، ما فريت إلّا جلدك، ولا حززت إلّا لحمك، ولتردن على رسول الله صلى الله عليه وآله بما تحمّلت من سفك دماء ذريته، وانتهكت من حرمته في عترته ولحُمته، حيث يجمع الله شملهم، ويلم شعثهم، ويأخذ بحقهم، ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًاۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾، وحسبك بالله حاكماً، وبمحمد صلى الله عليه وآله خصيماً، وبجبرائيل ظهيراً، وسيعلم مَن سوّل لك ومكنك من رقاب المسلمين، بئس للظالمين بدلاً، وأيّكم شرّ مكاناً، وأضعف جنداً»[3].

في إشارة واضحة للناس، ودلالة بيّنة للمتلقين، على أنّ هذا الذي يجلس على كرسي الخلافة ويتسلّط على الناس باسم الدين، ما هو إلّا كافر بهذا الدين، وإن هو

(١) ثابت، سعيد، الجوانب الإعلامية: ص٢١٠.
(٢) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف على قتلى الطفوف: ص١٠٥ ـ ١٠٦.
(٣) المصدر السابق: ص١٠٧.

إلّا مصداقاً للذين أساؤوا ولا عاقبة لهم إلّا السوأى؛ مستدلّة بإعلانه الكفر على الملأ، واستهزائه بآيات الله سبحانه، عندما تمثّل بتلك الأبيات من الشعر، وأنّ الإمام الحسين عليه السلام وأنصاره مصداق للذين قُتلوا في سبيل الله في الآية الكريمة: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتَۢاۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[1].

٣ـ أُسلوب المواجهة العلنية وعدم الرهبة من الموقف

لقد كانت العقيلة زينب عليها السلام صريحة برسالتها، وضعت أيدي المتلقين للرسالة الإعلامية على جوهر المسألة بصورة مباشرة، فجاء أوّل خطابها بشكل هجمات متلاحقة لا هوادة فيها، متضمّناً الاستخفاف بسلطان يزيد الكافر، والاستهزاء بجبروته، والتذكير بعظمة الله، ثمّ ذكّرت يزيد بذنبه العظيم، ووصفته بـ (ابن الطلقاء)، قائلة له: «**أَمِنَ العدل يا بن الطلقاء، تخديرك حرائرك وإماءك، وسوقك بنات رسول الله سبايا، قد هتكت ستورهن، وأبديت وجوههن، تحدو بهن الأعداء من بلد إلى بلد، ويستشرفهن أهل المناهل والمناقل، ويتصفح وجوههن القريب والبعيد، والدني والشريف، ليس معهن من رجالهن وليّ، ولا من حماتهن حميّ، وكيف يرتجى مراقبة مَن لفظ فوه أكباد الأزكياء، ونبت لحمه بدماء الشهداء؟ وكيف يستبطئ في بغضنا أهل البيت مَن نظر إلينا بالشنف والشنآن، والإحن والأضغان؟ ثمّ تقول غير متأثّم ولا مستعظم:**

وأهلّوا واستهلّوا فرحاً ... ثمّ قالوا يا يزيد لا تُشل

منتحياً على ثنايا أبي عبد الله سيد شباب أهل الجنة تنكتها بمخصرتك، وكيف لا تقول ذلك؟! وقد نكأت القرحة، واستأصلت الشأفة، بإراقتك دماء ذرية محمد صلى الله عليه وآله، ونجوم الأرض من آل عبد المطلب، وتهتف بأشياخك، زعمت أنّك تناديهم، فلتردن وشيكاً موردهم، ولتودّن أنّك شُللت وبُكمت، ولم يكن قلت ما قلت، وفعلت ما فعلت»[2].

---

(١) آل عمران: آية١٦٩.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٥، ص١٣٤.

٤ـ أُسلوب التوكّل على الله والالتجاء إليه سبحانه

واصلت العقيلة زينب عليها السلام كلامها ـ في بيان سوء فعال يزيد بأهل البيت الأطهار عليهم السلام ـ بالتوجّه إلى الله، والتضرّع إليه بالدعاء طالبة النصر منه، وهي تقول: «**اللّهم خذ بحقّنا، وانتقم ممّن ظلمنا، وأحلل غضبك بمَن سفك دماءنا وقتل حماتنا**»[١].

وفي هذا المقطع دلالة واضحة على أنّ الإعلامي المسلم عليه أن يكون متوجّهاً إلى الله ومتضرّعاً إليه، غير مستقل عن لطفه ورأفته، ولا مستغنياً عن عطفه وتسديده في حال من الأحوال.

والنكتة المهمّة في الأمر استخدامها عليها السلام أُسلوب الدعاء ـ وهو سلاح المؤمن والرابط الأقوى بين العبد وربّه ـ مذكرةً بقوله تعالى: ﴿ قُلْ مَا يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ ﴾[٢]، للتمهيد لما يأتي من وعيد ليزيد بأنّ الله منتقم لآل بيت رسوله لا محال.

وفي كلامها عليها السلام نلمس الجرأة الفريدة والشجاعة الفائقة؛ إذ إنّ في الدعاء على الظالم في عقر داره تحدّياً كبيراً، وإعلان حرب حقيقية، كما ويدلّ كلامها هذا على حسن توكلها على الله، وجميل يقينها به؛ إذ بدت واثقة من استجابة الله دعائها، فخاطبت يزيد بلسان الواثق من النصر قائلة: «**فو الله، ما فريت إلّا جلدك، ولا جززت إلّا لحمك، ولتردن على رسول الله صلى الله عليه وآله بما تحمّلت من سفك دماء ذرّيته، وانتهكت من حرمته في عترته ولُحمته، حيث يجمع الله شملهم، ويلمّ شعثهم، ويأخذ بحقّهم ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾، حسبك بالله حاكماً، وبمحمد خصيماً، وبجبرئيل ظهيراً، وسيعلم مَن سوّى لك ومكّنك من رقاب المسلمين، بئس للظالمين بدلاً، وأيُّكم شرّ مكاناً وأضعف جُنداً**»[٣].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) الفرقان: آية٧٧.

(٣) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٥، ص١٣٤.

٥ـ الثقة العالية بالنفس

إنّ ثقة الإعلامي بمصدر رسالته الإعلامية من المسائل الجوهرية والحساسة في العملية الإعلامية؛ ذلك لأنّ المصدر هو ركن من أركان الإعلام الأساسية، خصوصاً إذا كانت الرسالة هي رسالة مواجهة وتحدٍّ كما في رسالة العقيلة زينب عليها السلام في مجلس يزيد.

فبعد أن أنذرت يزيد من سوء المصير الذي ينتظره، شرعت في تحقيره مبيّنة نبل أصلها وجلالة قدرها، وأنّها عليها السلام غير مسرورة بمخاطبته، بل وحتى بتقريعه! لأنّ يزيد في مقابل آل رسول الله ليس إلّا رجلاً حقير الشأن، ضئيل القدر، لا يساوي حتى كلمات التوبيخ والتقريع، وكفى بهذا ثقة بالنفس وبالرسالة، وكفى به استصغاراً وتحقيراً للمخاطب (يزيد). وللقارئ الكريم أن يتأمل في هذه الكلمات ويُمعن النظر: «**ولئن جرّت عليّ الدواهي مخاطبتك، إنّي لاستصغر قدرك، وأستعظم تقريعك، وأستكثر توبيخك، لكن العيون عبرى، والصدور حرّى**»[1]. فعلى الرغم من أنّها كلمات معدودة إلّا أنّها تحمل معاني كبيرة ودلالات كثيرة تكفي لأن تترك يزيد صريعاً مهيناً، وفي الخصام لا يكاد يبين.

٦ـ أُسلوب حُسن الختام

ختمت العقيلة زينب عليها السلام كلامها وخطابها في مجلس يزيد بخاتمة، لخّصت فيها حقيقة ما جرى من وقائع، واستعملت كلمات روعة في البلاغة، صوّرت فيها حقيقة وطبيعة العلاقة بين آل الرسول صلى الله عليه وآله وآل أُميّة، قائلة: «**أَلا فالعجب كلّ العجب لقتل حزب الله النجباء بحزب الشيطان الطلقاء، فهذه الأيدي تنطف من دمائنا، والأفواه تتحلب من لحومنا، وتلك الجثث الطواهر الزواكي تنتابها العواسل، وتعفوها أُمهات الفراعل، ولئن اتخذتنا مغنماً لتجدنا وشيكاً مغرماً، حين لا تجد إلّا ما قدَّمت، وما ربّك**

(١) المصدر السابق.

بظلام للعبيد، فإلى الله المشتكى وعليه المعوّل. فكد كيدك، واسعَ سعيك، وناصب جهدك، فوالله لا تمحو ذكرنا، ولا تُميت وحينا، ولا تدرك أمدنا، ولا ترحض عنك عارها، وهل رأيك إلّا فند، وأيامك إلّا عدد، وجمعك إلّا بدد، يوم ينادي المنادي: أَلا لعنة الله على الظالمين. فالحمد لله الذي ختم لأوّلنا بالسعادة والمغفرة، ولآخرنا بالشهادة والرحمة، ونسأل الله أن يُكمل لهم الثواب، ويُوجب لهم المزيد، ويُحسن علينا الخلافة، إنّه رحيم ودود، وحسبنا الله ونعم الوكيل»[1].

قد ختمت العقيلة زينب عليها السلام خطابها ليزيد بفتح باب التحدي أمامه على مصراعيه، فقد بلغت هذه القصة العتيدة بين حزب الله وحزب الشيطان بهذه الجريمة ذروتها، وبدأت الدولة الأُموية بعد هذه الجناية تعدُّ أيامها.

ولقد أنهت العقيلة زينب عليها السلام خطبتها بحمد الله كما بدأت به، وأثنت عليه سبحانه، سائلة الله تعالى أن يُحسن لهم العزاء، ويتمّ عليهم النعمة والعطاء، ويُحسن خلافتهم، ويُظهر حقَّهم.

أمّا يزيد، فقد أُلقم حجراً بعد خُطبة العقيلة زينب بنت الزهراء عليها السلام، فبهُت وذُهل، ولم يتحرَّ جواباً، واكتفى بتعليق الخائف اللائذ من الفضيحة، حيث قال بعد سماعه لخطبة العقيلة:

«يا صيحة تحمد من صوائح ... ما أهون الموت على النوائح»[2].

ويذكر المؤرخون أنّ كلّ ذلك الفرح والابتهاج الذي أبداه يزيد لمقتل الإمام الحسين عليه السلام، وسبي نسائه، قد تبدّل إلى ندم. قال ابن الأثير: «**وقيل: ولمّا وصل رأس الحسين إلى يزيد، حسنت حال ابن زياد عنده، وزاده ووصله وسرّه ما فعل، ثمّ لم يلبث إلّا يسيراً حتى بلغه بغض الناس له ولعنهم وسبّهم، فندم على قتل الحسين، فكان يقول:**

(١) المصدر السابق: ص١٣٤ـ١٣٥.

(٢) الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج: ج٢، ص٣٧.

وما عليَّ لو احتملت الأذى، وأنزلت الحسين معي في داري، وحكّمته فيما يريد... حفظاً لرسول الله (صلّى الله عليه وسلّم)، ورعاية لحقّه وقرابته، لعن الله ابن مرجانة...»[1].

وقد ندب الأُمويون الإمام الحسين عليه السلام؛ إذ ورد في التاريخ أنّ يحيى بن الحكم ـ أخا مروان بن الحكم ـ كان في محضر يزيد تلك الأثناء، فقال:

«لهامٍ بجنب الطفّ أدنى قرابة ... من ابن زياد العبد ذي الحسب الوغل

سمية أمسى نسلها عدد الحصى ... وليس لآل المصطفى اليوم من نسل»[2].

وليس هذا الندم إلّا بفعل نجاح العقيلة زينب وآل البيت عليهم السلام في إيصال رسالة عاشوراء الإعلامية إلى الأُمّة الإسلامية، وتخليدها في وجدان المسلمين؛ إذ حوّلوا فرح الأُمويين إلى ترحاً، وبدّلوا سرورهم ذاك إلى عزاء وندم.

يذكر الطبري في تاريخه ـ بعد أن ذكر ما دار من حوار جادلت فيه العقيلة زينب عليها السلام يزيد، عندما طلب الشامي منه فاطمة، وإفحامها إيّاه بكلامها ـ: **«فلم تبقَ من آل معاوية امرأة إلّا استقبلتهن تبكي وتنوح على الحسين، فأقاموا عليه المناحة ثلاثاً»**[3].

وقد أصابت الحقيقة الدكتورة بنت الشاطئ عندما قالت: **«لم تمضِ زينب إلّا بعد أن أفسدت على ابن زياد وبني أُميّة لذّة النصر، وسكبت قطرات من السُّم الزعاف في كؤوس الظافرين، فكانت فرحة لم تطُل، وكان نصراً مؤقتاً لم يلبث أن أفضى إلى هزيمة قضت في آخر الأمر على دولة بني أُمية»**[4]. وبالفعل فإنّ ما فعلته العقيلة زينب عليها السلام في الشام بتحكّمها بمشاعر وضمائر المتلقين ـ بفعل خطبها وكلماتها التي ألقتها في مجلس يزيد ـ يمثّل إنجازاً لا يقلّ أهمية عن الشهادة والتضحية والفداء في سوح القتال.

(١) ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج٤، ص٨٧.
(٢) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٤، ص٣٥٢.
(٣) المصدر السابق: ص٣٥٣.
(٤) بنت الشاطئ، عائشة عبد الرحمن، السيدة زينب بطلة كربلاء: ص١٥٨.

أسباب نجاح الإعلام الزينبي في واقعة عاشوراء

رغم كلّ الجهود المبذولة في سبيل إسكات صوت الحق من قبل أعداء أهل البيت عليهم السلام، فإنّ واقعة عاشوراء تميّزت بنجاح إعلامي منقطع النظير، فلم تلقَ نهضةٌ إصلاحية وواقعةٌ مأساوية من الاهتمام الإعلامي مثلما لاقته نهضة الإمام الحسين عليه السلام في واقعة عاشوراء، وها هي تتسع يوماً بعد يوم، ويتنامى صداها ليصل إلى أرجاء المعمورة، وقد ملأ ذكرها الخافقين.

أُريد لهذه الواقعة أن تتلاشى خلف مظاهر الفرح والابتهاج السفياني في الشام، وتذوب تحت تأثير الإعلام الأُموي المسموم، لكن هيهات! فالله سبحانه يقول: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾[1]، ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾[2]. وقد هيّأت الحكمة الإلهية كلّ أسباب حفظ الرسالة الحسينية وخلودها، والتي من أبرزها الدور الإعلامي لحَرم الإمام الحسين عليه السلام.

وبما أنّ العملية الإعلامية هي فكرة ومنهج، فهي تستند إلى قواعد أساسية تشكّل حجرها الأساس، ويتحدد ـ تبعاً لقوّتها وضعفها ـ نجاح أو فشل عملية الاتصال الإعلامي والإقناع بالفكرة.

يُبيّن الشهيد المطهري أهم عوامل وأسباب نجاح المهمّة الإعلامية، من خلال توفّر الوسائل المناسبة لها، ويلخّصها بأربع وسائل، هي:

«**أ ـ ماهية الرسالة.**

ب ـ الظروف المحيطة.

ج ـ شخصية المصدر وأهليته.

---

(١) الأنفال: آية ٣٠.

(٢) التوبة: آية ٣٢.

د ـ وسيلة الاتصال والأساليب المتَّبعة في إيصال الرسالة»[1].

وهـذه العوامـل قـد تجلّت بوضـوح في الـدور الإعلامـي للعقيلـة عليها السلام في واقعة عاشـوراء، ممّا ضمن هـذا النجاح الباهر والمميّز على صعيد الإعـلام والتبليغ لمبادئ النهضة الحسـينية في عاشوراء. وسنسـلّط الأضواء على كلّ واحد من هذه الوسائل؛ لنرى مدى توفّرها في دور العقيلة زينب عليها السلام.

١ـ ماهية الرسالة الإعلامية للعقيلة عليها السلام في عاشوراء

«**الثابـت في الدراسـات أنّ الرسـالة هـي العمـود الفقـري للعمليـة الإعلاميـة**»[2]، وأنّ نجـاح أيّ عمليـة إعلاميـة في الإقناع والتغيـير، إنّما يتوقف بالأسـاس على نوع ومضمون الرسالة ومحتواها وهدفها.

يرى الشهيد المطهري أنّ أوّل شروط نجاح الرسالة الإعلامية هو عقلانيتها، وقوة ومتانـة محتواها، ومـدى إيفائها بحاجات الجماهـير الفكرية والعاطفيـة والاجتماعية والمادية، فالرسالة الإعلامية الناجحة هي تلك الرسالة القائمة على القوانين المنطقية، بحيث تتناغم مع العقل والمنطق البشري[3].

فكلّـما كانت الرسـالة التـي يحملها الإعلامي سـامية ومنبثقة مـن القيم والمبادئ الإنسانية السامية، كانت فرص نجاحها ونضوج ثمراتها أوفر، وكان لطبيعة الرسالة التـي حملتها زينـب عليها السلام إلى الناس التأثير الأبرز في نجـاح العملية الإعلامية في نهضة عاشوراء.

فالعقيلـة زينب عليها السلام قدِمت إلى العراق مع أخيها الحسـين عليه السلام في موكب الشـهادة والفداء؛ لأداء تكليف شرعي، وهي تحمل معها رسـالة خطيرة ومقدّسـة، رسالة قد كـرّس النبـي محمد صلى الله عليه وآله عمـره لإيصالها إلى البشرية جمعاء، أَلا وهي رسـالة الإسـلام

(١) مطهري، مرتضى، حماسة حسيني (الملحمة الحسينية): ص٣١٢.

(٢) ثابت، سعيد، الجوانب الإعلامية: ص٢٠٩.

(٣) اُنظر: مطهري، مرتضى، حماسة حسيني (الملحمة الحسينية): ص٣٠٤.

الحنيف ومبادئه، وقد واصل أهل بيته الأطهار من بعده السعي لتحقيق الهدف نفسه، إلى أن جاء دور الإمام الشهيد أبي عبد الله عليه السلام، فقرر أن لا وسيلة لحفظ هذا الدين إلّا من خلال المواجهة العلنية والتصدي المباشر للطغيان والانحراف الأُموي، وإنْ كلّفه ذلك حياته وسبي عائلته، فقال عليه السلام: «**شاء الله أن يراهن سبايا**»[1]، وأخبره رسول الله صلى الله عليه وآله «**يا حسين، أُخرج فإنّ الله قد شاء أن يراك قتيلاً**»[2]. فأعلن بذلك أنّ حضور النساء بقيادة العقيلة زينب عليها السلام إرادة إلهيّة. فرسالة العقيلة زينب عليها السلام رسالة إلهية مقدّسة، قد سبقت الواقعة إلى قلوب المسلمين وعواطفهم منذ (٥٨) عاماً تقريباً، فهي عندهم معروفة ومألوفة بسبب الدور الإعلامي للرسول صلى الله عليه وآله ولآل البيت عليهم السلام من بعده؛ إذ إنّهم قد عبّأوا الأُمّة إعلامياً، ومهّدوا الطريق لنهضة الحسين عليه السلام في عاشوراء تمهيداً كاملاً.

وقد حاول الإعلام الأُموي التعتيم على هوية أهل البيت عليهم السلام والتشويش على الوعي الجماعي للأُمّة، غير أنّ موكب السبايا بقيادة العقيلة زينب عليها السلام، استطاع إحباط هذا التأثير السّام للإعلام الأُموي، من خلال رسالة إعلامية تتمتع بالمنطق وسمو الهدف.

لذا؛ فقد حوت الرسالة الإعلامية التي حملتها العقيلة زينب عليها السلام، كلّ أسباب الإقناع الجماهيري والظروف المساعدة؛ وذلك بسبب التمهيد الإعلامي الذي تكفّل به أهل البيت عليهم السلام بقيادة الرسول صلى الله عليه وآله من قبل، فهي رسالة قائمة على الثوابت ومحفوفة بالشواهد والقرائن، وهذه من أهم العوامل والأسباب التي تُحدّد نجاح العملية الإعلامية، «**فكلّما كانت الرسالة الاتصالية قريبة من الحق في مضمونها، ملتزمة به في شواهدها، كلّما كانت مُلبّية لحاجات الناس المادية والمعنوية... وتزداد أهمّيتها كلّما كان مضمونها قائماً على الحقائق الثابتة، والأخبار الصحيحة، والمعلومات السليمة،**

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٤، ص٣٦٤.
(٢) المصدر السابق.

والأحكام السديدة»[1]؛ لذا فالنهضة الحسينية بذاتها هي العامل الأبرز في نجاح الدور الإعلامي للعقيلة زينب عليها السلام في عاشوراء.

٢ـ الظروف المحيطة بالرسالة الإعلامية للعقيلة زينب عليها السلام في الواقعة

إنّ الظروف التي كانت تُحيط بالرسالة الإعلامية للعقيلة زينب عليها السلام، كانت ظروفاً استثنائية وغريبة، فمن جهة كانت الرزايا والمصائب تُحيط بموكب السبايا، فكان أهل البيت عليهم السلام يعيشون أصعب وأشدّ الظروف، وكانوا يواجهون أشدّ الصعوبات وأقسى التحديات، ومن جهة أُخرى فإنّ الأجواء المحيطة كانت مشحونة بالخوف والترقّب، وقد عمّ الناس الذعر والرهبة. جاء في كتاب (تاريخ الخلفاء): «**لمّا قُتل الحسين عليه السلام مكثت الدنيا سبعة أيام، والشمس على الحيطان كالملاحف المصفّرة، والكواكب يضرب بعضها بعضاً، وكان قتله يوم عاشوراء، وكُسفت الشمس ذلك اليوم، واحمرّت آفاق السماء ستة أشهر بعد قتله، ثمّ لا زالت الحمرة تُرى فيها بعد ذلك، ولم تكن تُرى فيها قبله، وقيل: إنّه لم يُقلب حجر بيت المقدس يومئذٍ إلّا وُجِد تحته دم عبيط...**»[2].

ومن جهة ثالثة، فإنّ لعاشوراء في قلوب المسلمين مكانة، قد استودعوها في عمق الذاكرة، واحتفظوا بها في الوجدان، فإنّ عاشوراء تتمتع بعمق عاطفي مخزون في ضمير الأُمّة، قد أوجده الأُسلوب الإعلامي المؤثِّر من قِبل النبي صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام، وهو الأُسلوب العملي التطبيقي، من إظهار علامات الحزن والبكاء، والتأثُّر العملي والحقيقي بالفاجعة، وهذا النوع من الإعلام يبقى في ذاكرة الجماهير والأُمّة مهما طالت السنون وامتدّ الزمن، فكانت الظروف المحيطة بالرسالة الإعلامية للسيّدة زينب عليها السلام مساعدة جداً في عملية إقناع المتلقّين والمخاطبين، وأحسنت العقيلة عليها السلام

(١) ثابت، سعيد، الجوانب الإعلامية: ص٢٠٩.

(٢) السيوطي، عبد الرحمن، تاريخ الخلفاء: ص٢٢٦.

توظيف الظروف لصالح رسالتها الإعلامية؛ إذ كانت تبادر إلى بثّ رسالتها في الزمان والمكان المناسبين، وهذا ما سيتضح لنا فيما يلي من مطالب إن شاء الله.

٣ـ شخصية العقيلة زينب عليها السلام

إنّ لشخصيّة العقيلة زينب عليها السلام التأثير البارز في نجاح الدور الإعلامي الذي قامت به في إيصال مبادئ النهضة الحسينية إلى الناس، ومن ثَمّ خلود الواقعة إلى يومنا هذا؛ إذ إنّ للعقيلة زينب خصلتين أساسيتين ـ مكّنتاها من القيام بكلّ هذه الإنجازات، وهي تحمل كلّ تلك المصائب العظيمة ـ هما: كمال اعتقادها بالله واليوم الآخر، وعظيم مقامها، فهي كأبيها وأُمّها وأخويها عليهم السلام[1].

وقد أثبتت الدراسات أنّ لشخصية حامل الرسالة في عملية الاتصال الإعلامي الدور البارز في نجاح العملية الإعلامية، وقد عدّه بعضٌ الأصل الأوّل من أُصول الإقناع في العملية الإعلامية؛ لما يمتلكه من دور حيوي وأهمية بالغة، «**فهو المصدر الذي يعمل على إنتاج رسالة إعلامية، محمَّلة بالمعاني والأفكار، ويوجهها عبر وسيلة أو شكل من أشكال الاتصال**»[2].

وشخصية القائم بالاتصال في العملية الإعلامية محورٌ هام، تدور حوله عدّة جوانب حيوية في عملية الاتصال، ومن هذه الجوانب: ثقته بنفسه وبرسالته، ثقة الجماهير بالمصدر القائم بالاتصال الإعلامي، مقدرته على الإقناع وجذب الانتباه.

وإنّ من أبرز مقوّمات النجاح الإعلامي في شخصية السيّدة زينب عليها السلام، هي:

أ ـ إيمان العقيلة زينب وثقتها برسالتها

تميّزت العقيلة زينب عليها السلام بمميّزات شخصية وعناصر نفسية، قد مكّنتها من القيام بدورها الرسالي في إعلام الناس بحقيقة الموقف وماهية الواقعة بنجاح، واللافت

---

(١) أُنظر: الجزائري، نور الدين، الخصائص الزينبية: ص٢٢٤.

(٢) ثابت، سعيد، الجوانب الإعلامية: ص١٦٨.

في الأمـر أنّ هـذه العناصر والمميّـزات والنجاح المبهر الذي حققتـه في مجال الإعلام والتأثـير على الرأي العام، كانت من قَبيل العلوم الفطرية والمَلَكات للعقيلة عليها السلام، فلم تحضـر دروساً في الإعلام، ولم تتلقَ أُصولاً إعلامية من مدرسة أو جامعة أبداً، كما أنّ العقيلـة زينب عليها السلام من أكثر الناس علماً ومعرفة بأخيها الإمام الحسـين عليه السلام وبأهداف نهضته، وأشدّهم اطلاعاً على خطورة موقفه، فهي تعلم أنّه قد خُيّر بين أن يحافظ على اسـتقامة دين جدّه ويُقتل وتسبى حريمه، وبين أن يبقى على قيد الحياة مقابل التنازل عـن قيمـه ومبادئه؛ لذا فالعقيلـة زينب عليها السلام على ثقة ويقين تامّين بسـمو الهدف الذي تخـرج برفقة أخيها من أجله؛ وهذا هو سـبب صبرها وصمودهـا ونجاحها في تغيير المناخ الإعلامي الذي كان سائداً منذ سنوات.

فعلم المصدر القائم على عملية الاتصال وثقته بقضيته يُعدَّان من الأُمور الأساسية في نجاح العملية الإعلامية[1].

فـكلّ الشـواهد التاريخيـة تُشـير إلى أنّ شـخصية العقيلة زينـب عليها السلام كانت تتمتع بصلابـة وقوة، ورباطة جأش، يفتقر لها حتـى الرجال، فمَن يكون في موقف العقيلة زينـب عليها السلام، وهـي لم تزل مفجوعة بأعـزّ الناس على قلبهـا، إمامها وسـيّدها وأخيها الإمام الحسين عليه السلام، ومصابها بمقتل ولديها ورؤيتهم مقطّعين على الرمضاء، فلو كان أيّ شخص آخر غيرها لما أمكنه أن يقف تلك الوقفة الشامخة التي وقفتها في مجلس ابن زياد؛ إذ أخذ ينكأ الجراح ويُمعن في إيذائها عليها السلام بتهكماته، وهو يسألها كيف رأيت صنع الله بأخيك؟ فأجابته بجواب العارف بالله الذائب في حبّ الله: «**ما رأيت إلّا جميلاً**»[2].

فهـي العالمة بالفطـرة، والفهمة التي لم تتلـقَّ التفهيم والتعليـم من خلال دروس ومعلّمين؛ بشهادة حجة الله في أرضه وإمام المسلمين الإمام زين العابدين عليه السلام، عندما قـال لها بعدما خطبت في أهل الكوفة: «**يا عمّة، اسـكتي ففي الباقي من الماضي اعتبار،**

(١) أُنظر: المصدر السابق: ص٢٠.

(٢) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف على قتلى الطفوف: ص٩٤.

وأنت بحمد الله عالمة غير معلَّمَة، وفهمة غير مفهَّمة»[1].

ب ـ كمال العقيلة زينب عليها السلام وجلالة قدرها

واللافت في دورها عليها السلام في المجال الإعلامي في واقعة عاشوراء، هو تماسكها وإصرارها على هيبتها وسؤددها، واحتفاظها بكرامتها وجلالة قدرها، بالرغم من أنّها تقف في موقف تعجز الجبال عن التماسك أمامه، وبالرغم من أنّها أدّت دوراً يعجز القلم عن وصفه، وقاومت مقاومة الأبطال،، وكانت محافظة بقوة وإصرار على هيبتها وجلالة قدرها، وكانت الرحمة والرقة والعاطفة لا تفارقها وهي تحتضن اليتامى، فكانت متمسّكة بمبادئ رسالتها، وذلك تجلّى بوضوح في موقفها في مجلس ابن زياد عندما وصفها بقوله: «**هذه سجّاعة، ولعمري، لقد كان أبوها سجّاعاً شاعراً. فقالت عليها السلام: ما للمرأة والسجاعة! إن لي عن السجاعة لشغلاً، ولكن صدري نفث بما قلت**»[2]. فأكّدت على أن ما نطقت به من كلام بليغ هو منبثق من فطرتها، فلم تكن في مثل هذا الموقف لتتكلّف السجع، أو تصطنع البلاغة.

وفي قولها هذا إيحاء لكلّ امرأة إعلامية مسلمة، ومهما كانت خطورة الرسالة التي تحملها، بأن عليها أن تنطلق في أداء رسالتها الإعلامية من مبادئ الدين الحنيف، الذي يحفظ للمرأة قدرها وكرامتها، وأن تكون غيورة على الدين، فيكون الدين ومبادؤه هو المقدّم على أولوياتها، لا السبق الإعلامي والصحفي، وأن تبقى محافظة على أُنوثتها، فلا تتشبه بالرجال ولا تتنصّل عن جوهرها المتمثّل بالرقة والعطف والرحمة، وأن تكون غيورة على عرضها وناموسها، كما كانت العقيلة زينب عليها السلام قمّة في العفة والوقار والاتزان، بينما كانت تغمرها الرزايا والنوائب، وتعيش في قمّة المصائب والمحن، والتزمت بحجابها ووقارها، وهي تؤدّي الرسالة الإعلامية في واقعة عاشوراء، وهي في غمرة المصائب والمحن، فقد قال الراوي: «**ونظرتُ إلى**

(١) الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج: ج٢، ص٣١.

(٢) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج٢، ص١١٦.

زينب بنت علي يومئذٍ ولم أرَ خفرة ـ والله ـ أنطق منها»[1]. وتُشير الروايات التاريخية إلى أنّها عليها السلام كانت جالسة في مجلس ابن زياد، وهي متنكّرة وعليها أرذل ثيابها[2]؛ كي لا تُعرف ولا تُهان كرامتها.

فلقد كملت العقيلة زينب عليها السلام بكمال معرفتها بالله ربها، وتجلّت فضائلها ومناقبها برضاها لرضا الله تعالى واحتسابها، فلم تجزع ولم تضعف ولم تهن، فهي بنت أكمل نساء العالمين، وحفيدة خير خلق الله أجمعين.

ومن كمالها ما ظهر من كمال معرفتها بالله

جسد أخيها الطاهر وهو مقطع إرباً إرباً إلى السماء، قائلة: «... **اللهمّ تقبل منّا هذا القربان»**[3].

ج ـ مكانة العقيلة زينب عليها السلام وثقة الأُمّة بها

كانت العقيلة زينب عليها السلام من أشرف نساء عصرها وأشدّهن وثاقة بين الناس، خصوصاً بين أهل الكوفة، الذين عاشت في ديارهم مع زوجها وأبيها وعائلتها لمدّة أربع سنوات تقريباً، ويذكر المؤرخون أنّها أقامت للنساء في الكوفة حلقات العلم، وفسّرت لهن القرآن[4]، فكان لكلام العقيلة زينب عليها السلام وقع عظيم؛ من هنا كانت عليها السلام أوّل مَن خطب من أهل البيت بعد الواقعة مباشرةً، إذ هيّأت أسماع المتلقّين وعقولهم وقلوبهم لتلقّي خطبة الإمام السجاد عليه السلام، وما تلاها من خطب وكلمات؛ لذا فإنّ تأثر أهل الكوفة لم يكن مستغرباً وهم يسمعون كلامها عليها السلام، فهم على ثقة كبيرة بها وبصدقها، وعلى معرفة تامّة بمقامها ومنزلتها عند الله ورسوله صلى الله عليه وآله، حتى أنّهم ظلوا بعد كلامها وخطبتها حيارى لا يدرون ما يفعلون، فقد جاء في كتب التاريخ عن

(١) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف على قتلى الطفوف: ص٨٦.
(٢) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٤، ص٣٤٩.
(٣) الديباجي، أبو القاسم، زينب الكبرى بطلة الحرية: ص١٥٢.
(٤) أُنظر: النقدي، جعفر، كتاب زينب الكبرى: ص٣٦.

الـراوي الـذي يروي خطبة العقيلة زينـب عليها السلام في الكوفة: «**فو الله، لقـد رأيتُ الناس يومئـذٍ حيارى يبكون، وقد وضعـوا أيديهم في أفواههم، ورأيتُ شـيخاً واقفاً إلى جنبي يبكي حتى اخضلّت لحيته وهو يقول: بأبي أنتم وأُمّي، كهولكم خير الكهول، وشبابكم خير الشباب، ونساؤكم خير النساء، ونسلكم خير نسل، لا يخزى ولا يُبزى**»[1].

العقيلة زينب عليها السلام ـ وهي حفيدة رسول الله صلى الله عليه وآله وابنة سيّد الوصيين عليه السلام، وأُمّها سيّدة نساء العالمين عليها السلام ـ تتمتع بقدرة فائقة على الإقناع؛ بسبب انتمائها إلى هذا البيت الطاهر. يقول ابن حجر العسقلاني: «**زينب بنت علي بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمية، سبطة رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم)، أُمّها فاطمة الزهراء... وُلِدَت في حياة النبي (صلّى الله عليه وسلّم)، وكانت عاقلة لبيبة جزلة... وكلامها ليزيد بن معاوية حين طلب الشامي أُختها فاطمة مشهور؛ يدل على عقل وقوّة جَنان**»[2]؛ كما أنّ مكانة العقيلة زينب عليها السلام وفضلها تأتي بعد مكانة أُمّها الزهراء عليها السلام فضلاً وكرامةً وشرفاً.

د ـ قدرة العقيلة زينب عليها السلام على الإقناع

استطاعت السيّدة زينب عليها السلام أن تخاطب كلّ جمهور بأُسلوب يتناسب معه، ويضمن وصول الرسالة الإعلامية التي تحملها لهم، فكانت أُنموذجاً راقياً للشخص الواثق بربّه، والإعلامي الواثق بقضيّته، وكانت تنطلق في كلماتها وخُطبها من قواعد رصينة وأُصول ثابتة، فكان كلّ مَن يسمع كلامها يتأثر به ويقتنع بمضامينه.

ولقـد تجلّـت كراماتها عندما أرادت أن تخطب وسـط الكوفة، حيـث كان الناس يتجمهرون لرؤية موكب السـبايا والرؤوس المقطوعة، وبمجرد إيماءة منها عليها السلام وإذا بالسكوت يُخيّم على كلّ تلك الجماهير الغفيرة، فلم تعد تسمع رنة جرس ولا صوت نَفَس. يقـول الـراوي: «**فأومأت إلى الناس أن اسـكتوا، فسـكنت الأنفـاس، وهدأت الأجراس**»[3].

---

(١) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف على قتلى الطفوف: ص٨٧ ـ ٨٨.

(٢) ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، الإصابة في تمييز الصحابة: ج٨، ص١٦٦ ـ ١٦٧.

(٣) ابن نما الحلي، محمد بن جعفر، مثير الأحزان: ص٦٦.

٤ـ أساليب العقيلة عليها السلام في إيصال رسالتها

لقد استعملت العقيلة زينب عليها السلام ـ في دورها الإعلامي ـ أهم وسيلة إعلامية، أَلا وهي: (الاتصال الجماهيري من خلال الخُطبة)، فالخُطبة هي الوسيلة الإعلامية الأكثر نجاحاً وتأثيراً في تغيير الرأي العام، «**لقد أظهرت التجارب العملية والميدانية أنّ الاتصال المواجهي الطبيعي والتلقائي، أكثر مقدرة على الإقناع من أشكال الاتصال الأُخرى... كما تؤكّد الدراسات الإعلامية الحديثة فاعلية الاتصال الخطابي الذي استخدمه الرسول صلى الله عليه وآله في تبليغ رسالات ربّه، واستخدمته الحضارة الإسلامية في الإعلام**»[١].

فالخُطبة تتيح للبُعد الإنساني المتمثّل بكلٍّ من (المصدر، والمتلقي) الاتصال المباشر، الذي يتمكّن فيه كلّ منهما من امتلاك الفرصة الأكبر في التفاعل والتواصل الحي والمباشر. وقد اعتمد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام من بعده أُسلوب الخطابة في الدعوة والتغيير والإصلاح، وتميّزوا بالقدرات الفائقة في هذا الميدان.

ولقد جاء في تعريف الخُطبة أنّها: «**فنُّ مشافهة الجمهور وإقناعه واستمالته**»[٢].

وللخُطبة في المجال الإعلامي أهمّية كبيرة تظهر في منفعتين أساسيتين، هما:

الأُولى: بث الأخلاق الحسنة من خلال السيطرة على عواطف الجمهور، وتسخير العقل الجماعي للحضور.

الثانية: إقناع أكبر قدر من المتلقّين من خلال الاعتماد على المسلّمات والمشهورات[٣].

وتظهر الحاجة ملحّة لخطيب بارع وقدير، كلّما مرّت الشعوب والأُمم في مراحل مفصلية يتحدد فيها المصير، وقد استعملت العقيلة عليها السلام وسيلة الاتصال المواجهي المباشر في إيصال رسالتها الإعلامية، وهي (الخُطبة)، وقد أحسنت عليها السلام توظيفها

---

(١) ثابت، سعيد، الجوانب الإعلامية: ص١٤١ ـ ١٤٢.

(٢) الحوفي، أحمد، فن الخطابة: ص٩.

(٣) أُنظر: ابن رشد، محمد بن أحمد، تلخيص الخطابة: ص٣.

والاستفادة من منافعها إلى الدرجة التي أبهرت بها العقول، وأثّرت في العواطف والقلوب، وأحدثت انقلاباً جذرياً في فكر ووجدان الأُمّة.

كما استعملت عليها السلام الأساليب الإعلامية الناجحة والمؤثّرة، مثل: أُسلوب التشبيه، وضرب الأمثال لإخراج الفكرة من قالب ذهني غير محسوس إلى قالب خارجي محسوس؛ كي تتقرّب ويسهل على المتلقّين الاقتناع بها، وأُسلوب الاستشهاد والتأكيد على المطلب، وعضده بالقرائن والدلالات من نصوص الكتاب المجيد مثلاً، وكثير من الأساليب والطرق الإعلامية المؤثِّرة الأُخرى.

وهكذا، فقد نجحت العقيلة زينب عليها السلام في أداء دورها الرسالي في إعلام الأُمّة وإخبارها بحقيقة النهضة الحسينية في عاشوراء، على الرغم من التعتيم الإعلامي الكبير، الذي عمد إليه المعسكر الأُموي إلى الدرجة التي ادّعوا فيها أنّهم بقتلهم الحسين عليه السلام يتقرّبون إلى الله، فعن الإمام زين العابدين عليه السلام: «**ولا يوم كيوم الحسين، ازدلف إليه ثلاثون ألف رجل، يزعمون أنّهم من هذه الأُمّة، كلّ يتقرّب إلى الله عزّ وجلّ بدمه، وهو بالله يذكّرهم فلا يتّعظون، حتى قتلوه بغياً وظلماً وعدواناً**»[1].

وفي الختام نقول: إنّ الدور الإعلامي الناجح والمؤثر للعقيلة زينب عليها السلام والإمام السجاد عليه السلام، وسائر النساء معها، قد أفشل ما خطط له يزيد وأعوانه الظلمة، الذين تعمّدوا حمل بنات رسول الله صلى الله عليه وآله سبايا، وطافوا بهن من بلد إلى بلد؛ كي يُحدثوا ضجّة إعلامية، ويروجوا من خلالها لنصرهم الزائف، لكنّهم خسؤوا وخاب مسعاهم، فإنّهم بفعلهم الشنيع هذا وسبي نساء آل محمد صلى الله عليه وآله، كانوا قد تسببوا في فضح أنفسهم، وفسحوا المجال للنهضة الحسينية كي تصل إلى أكبر عدد من الناس، وتُحقّق نجاحاً إعلامياً باهراً.

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٤، ص٢٩٨.

واقعة الطفّ في الشعر القصصي الحديث
دراسةٌ مقارنة في تقنية الراوي

أ. م. د. علي مجيد البديري*

مقدّمة

تُثير فينا قراءةُ الشعر العربي المعاصر، الذي يحقّق تناصّاً تاريخياً مع واقعة الطفّ التاريخية، رغبةً وفضولاً علمياً في البحث عمّا يشابهه في الموضوع، ويماثله في المعالجة الفنّية في الآداب العالمية الأُخرى، من خلال مساحة بحثية يُوفّرها لنا (الأدب المقارَن) في ميادينه وحقوله الدراسية التي منها دراسة المؤثِّرات المشتركة فيما بين آداب الأُمم المختلفة.

ولا يبذل طالبُ هذا الأمر وصاحبُ هذه الرغبة جهداً كبيراً في البحث عن مطلبه؛ ما دام الأمر متّصلاً بواقعة مهمّة في التاريخ العربي الإسلامي، كواقعة الطفّ التي حدثت في العراق سنة (٦١هـ)؛ إذ احتلّ الشعر المكتوب حولها مساحة كبيرة من خارطة الشعر الإسلامي العربي وغيره، بطريقة تجلّت فيها قوّة تأثير هذا الحدث التاريخي في هذا الشعر بشكل مهيمنٍ وفاعل، عبر تنوّع طرائق التوظيف والإفادة من طاقات الحدث الإيحائية.

وليس بخافٍ ما يمكن أن تحقّقه الدراسة المقارنة في هذا المجال؛ إذ سيكون التقصّي عمّا يشكّل خروجاً عن السائد والمألوف في المعالجة الشعرية والتمثيل الفنّي

---

* جامعة البصرة ـ كلية الآداب.

لحدثٍ تاريخي، فلا يتوقّف البحث عند حضور هذا الحدث في قصيدتين إحداهما من الشعر الفارسي، وإنّما يتعدّاه إلى معاينة طبيعة هذا الحضور وكيفيّته.

واللافت لنظر القارئ المتتبّع لتوظيف هذا الحدث في الشعر المعاصر، كثرة اعتماد الشعراء في ذلك على الطاقة السَّردية التي تتميّز بها هذه الواقعة، عبر تفصيلات روتها مصادر تاريخية وحديثية مختلفة؛ الأمر الذي جعل منها مادة طيّعة للقصيدة الحكائية، وهو ما شكّل حافزاً كبيراً على كتابة هذه المقاربة النقدية.

ولعلّ في هيمنة فجائعية مقتل الإمام الحسين عليه السلام على الشعر المكتوب حول الطفّ، ما جعل من وجوه المأساة الأُخرى أقلَّ حضوراً ونصيباً في التناول من قبل الشعراء، ومن هذه الوجوه (أطفال الإمام الحسين عليه السلام)، وما وقع عليهم من قتلٍ وسبي وتشريد؛ ومن هنا كان لهذه الوقفة البسيطة محاولة تسليط ضوء القراءة على نصّين شعريين ينتميان إلى أدَبَين عريقين لهما صلةٌ عميقة و تاريخٌ طويل مع هذا الشعر، وهما: الشعر العراقي، والشعر الفارسي.

النصّان الشعريان الحكائيان المختاران في هذه الوقفة البحثية السريعة لشاعرين معاصرين، هما: الشاعر العراقي عبد الكريم كاصد، والشاعر الإيراني علي رضا قزوه. وسيكون (الراوي/ السَّارد) ـ موضع عناية الدراسة ـ تقنيةً من تقنيات السَّرد وظّفها النصّان عبر إفادتهما من سبل التنافذ ما بين فنّي الشعر والسَّرد.

يُعدُّ الشاعر عبد الكريم كاصد المولود سنة (١٩٤٦م) من شعراء الحداثة في الشعر العراقي الحديث، صدرت له اثنتا عشرة مجموعة شعرية، منها: (الحقائب/ ١٩٧٥)، (النقر على أبواب الطفولة/ ١٩٧٨)، (الشاهدة/ ١٩٨١)، (وردة البيكاجي/ ١٩٨٣) وغيرها، وله أيضاً مجموعة قصصية، ومسرحية شعرية، وترجمات عديدة عن الفرنسية والإنجليزية. عاش مغترباً عن العراق منذ أواخر السبعينات من القرن الماضي، وحتى عودته عام (٢٠١١) إلى مدينته البصرة.

يمكن لقارئ شعر عبد الكريم أن يلاحظ احتفاءه باليومي والمألوف بكل

تفاصيلـه، مـن غير أن تُوقِع هـذه الظاهرةُ شـعرَه في تقريريةٍ باردةٍ أو تسـجيليةٍ آليةٍ، فهـو يحرص في كثير من قصائده عـلى توظيف هذه التفصيلات في التعبير عمّا هو عام وشمولي. وفي مجموعته الثانية (النقر على أبواب الطفولة)، التي صدرت في بغداد عام (١٩٧٨)، تتجـلّى هذه الظاهـرة بوضوح في معظم قصائد المجموعـة التي تمتاز بأنّها صورٌ مسـتلَّةٌ من ذاكرة الطفولة التي عاشـها الشاعر في جنوب العراق، وقد تناولت إحدى قصائد هذه المجموعة موضوعة عاشوراء من خلال عينَي طفلٍ جائع.

أمّا النص الشـعري الثاني الذي نختاره في هذه المقارنة، فهو للشـاعر الإيراني علي رضا قزوه المولود سنة (١٩٦٣)[١]، الحائز على درجة الدكتوراه في الأدب الطاجيكي، ويُعـدُّ من الجيل الثاني لشـعراء إيران بعد الثورة، ومن أكثرهم شـهرة وتوفيقاً. ينظم الشـعر بالأُسـلوبين العمـودي والحـر، ولـه قراءاته في الشـعر العربي المعـاصر، وقد صدرت له عدّة مجاميع شعرية، منها: (من غابة النخيل إلى الشارع/ ١٩٨٩)، (شبلي والنار/ ١٩٩٤)، (ركعتا حُبّ/ ١٩٩٦)، (الحبّ عليه السلام/ ٢٠٠٢).

يرى الشـاعر (قزوه) في واقعة عاشـوراء انتفاضةً كبرى صانعةً للإنسان، وحركةً إلهيّة، وهي بالإضافة إلى هذا تتوافر من الناحية الفنّية على تلك الروعة الجمالية الفائقة التـي تجعل الأدباء والفنّانـين في حيرة أمام جوانبها المتعـدّدة والكبيرة؛ ويفرض هذا الأمر ـ برأي الشـاعر ـ على الأدباء أن ينظروا إلى هذه الواقعة نظرةً إشراقيةً خاصة، ويعدُّوها حركة و نوراً، و يُبدِعوا أعمالاً قيّمة وخالدة بوحي من هذه الواقعة.

وتجسيداً لذلك؛ فقد شهد الشعر العاشورائي الفارسي في العقد الأخير من القرن المنصرم توجّهاً جديداً في اللغة والفكر والهيكلية؛ إذ تمَّ التطرّق إلى الجوانب العاشورائية العميقـة، مع وضع العنصر الفكـري والذوق الفنّي بطريقة تـوازي أهمّية المعرفة[٢].

---

(١) من مواليد مدينة گرمسار الإيرانية الواقعة جنوب شرق العاصمة طهران.

(٢) أُنظر: الشعر العاشورائي في حوار خاص لشاهد مع علي رضا قزوه، على الرابط:
http://www.navideshahed.com/ar/news/49640.

ومـن الواضـح اندراج هـذا التوجّه وهذه الرؤية لدى الشـاعر (قـزوه) في مجمل توجّهات حداثة النص الشـعري، التي تجلّت في إعادة قراءة الحدث التاريخي شعرياً، والإفادة من معطياته وطاقاته الدلالية والجمالية في توسعة مساحة القول الشعري.

الراوي وأنماطه

لا يوجد السَّرد إلّا من خلال حكاية يتمّ فيها عرضٌ لتسلسل الأحداث في النص، وهـو ما يعنـي قيام السَّرد على دعامتين رئيسـتين: الأُولى يمثّلها (الراوي/ السَّـارد)، والثانية يمثّلها (الحدث/ الفعل)[1].

والـراوي هـو ذاتٌ متخيِّلة تقـوم بعملية سرد الحـدث، وتتنوّع أنماطه وأشـكاله في النـص الـسَّردي، ويتغـيّر موقعه ووظيفته تبعـاً لذلك في تفصيـلات قامت ببيانها وتوضيحهـا الكتبُ التنظيرية الكثيرة، التي عنيت بنظرية السَّرد وبنية النص السَّردي الحديث.

ويمكـن ـ على نحو مختـصر وواضح نوعاً ما ـ تحديد أنماط الراوي أو أشـكاله في ضوء ما تناولته معظم الكتب والدراسات المشار إليها، وهي:

١ـ الـراوي المشـارك أو الممـسرح (*Dramatized narrator*): وهـو أحـد الأشـخاص الفاعلـين في صناعـة الحـدث داخـل العمل الـسَّردي، فهو مشـارك في الحكاية، وأحد أبطالها، وهو الراوي الممسرح[2].

توفِّـر مشـاركة الـراوي في الأحـداث فرصةً يكـون فيهـا قريباً بشـكل كبير جداً مـن الشُّـخوص الآخريـن في الحكاية[3]، فهو يتقاسـم معهم مراحل تشـكُّل الحدث

(١) أُنظر: جينت، جيرار، خطاب الحكاية (بحث في المنهج)، ترجمة: محمد عبدالجليل الأزدي وعمر حلمي: ص٤٠.

(2) *The Rhetoric of Fiction : Wayne Booth,The University of Chicago, press,10th ed,1973, p.156.*

(٣) أُنظر: لوبوك، بيرسي، صنعة الرواية، ترجمة: عبد الستار جواد: ص٦٠.

العدد الثالث عشر ـ السنة الرابعة ـ ١٤٣٧ هـ ـ ٢٠١٦ م

ونهاياتـه، ويعيـش معهم ظروفاً مشـتركة؛ ولذا سـيكون مـا يرويه متوافـراً على قوّة الإقنـاع بطبيعة ما يحـدث، عبر لغة خاصّة تحافظ على مقدار المسـاحة التي يظهر فيها الراوي مشـاركاً، لا مهيمناً، أو موجّهاً لطبائع الشـخوص الأُخرى؛ وسـيعمل هذا الأمـر على دفع النص السَّردي باتجاه قبوله بشـكل سريع مـن قِبَل المروي له، وهو ما يحقّق للنص أكبر غاياته أهمّيةً.

٢ـ الـراوي العليم (*Omniscient narrator*): وهو الراوي العارف بجميع أحـوال الشـخصية الحكائيـة، وبكلّ ما يـدور بدواخلهـا، ولديه القدرة عـلى النفوذ إلى تفاصيـل كلّ المشـاهد عـبر الجـدران والحواجـز[١]. ويعمد الكاتـب إلى توظيف هـذا النمط من الـراوي في نصّه اسـتجابةً لطبيعة الحدث المـروي أو تحقيقاً لوظائف ودلالات يريد إيصالها إلى المروي له.

٣ـ الراوي المحايد أو الشـاهد (*Dispassionately narrator*): وهنا ينأى الراوي بنفسـه عن التدخّل في الحدث أو في أفعال الشخوص وما يدور في دواخلها، فهـو يعتمد الوصـف الخارجي للأصوات والحركات من غـير أن يتدخّل في التعليق عليها أو تفسيرها[٢].

وتُعـادل تقنيةُ الـراوي المحايد عبر وظيفتها في السَّرد، تقنيةَ آلة التصوير في العمل السـينمائي، فالوظيفـة في كلتا الحالتـين هي التقاط المرئي وتصويـره ونقله إلى القارئ أو المشـاهد[٣]. وهنـا تتّسـع وظيفة القارئ ومشـاركته في اسـتنطاق دلالات النص، ورصـد غايات الكاتب من اسـتخدام هذه التقنية في نصّه؛ حيث يُفسـحُ المجالُ أمام القارئ ليملأ الفراغ المتخلف عن غياب التصريح بدلالة الحدث أو الوصف. ولعل

(١) أُنظر: الحمداني، د. حميد، بنية النص السَّردي من منظور النقد الأدبي: ص٤٧.

(٢) أُنظر: المصدر السابق.

(٣) العيد، يمنى، تقنيات السَّرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي: ص٨٩. ولغرض الاستزادة حول موضوع الراوي في البنية السَّردية يمكن على سبيل المثال الاستفادة من: مارتن، والاس، نظريات السَّرد الحديثة، ترجمة: حياة الجاسم. وكذلك: العيد، يمنى، الراوي الموقع والشكل.

الكثير من الكتّاب يرون مناسبةَ هذا النمط من الراوي للسرد الذي يعالج أفكاراً وموضوعات ذات طابع عام، ليجد كلّ قارئ فرصة لتحقّق حضوره في النص.

وقد تطلّب سعي النص الشعري ـ في صناعته لصوره الفنّية ـ إلى توظيف كلّ ما من شأنه أن يقرّب هذه الصورة إلى المتلقّي من تقنيات، وكانت الاستعانة بالسَّرد تجلّياً لوجهٍ من وجوه هذا السعي؛ إذ يضفي الامتداد والتتابع في طبيعة السَّرد ـ المرتكزة على عنصري المكان والزمان ـ حركيةً في داخل صور النص الشعري، أفادته في تعميق تجربته وتطوير تقنيّاته.

نمط الراوي ودوره في حركة النّص الشعري الحكائي (بين قصيدتين)

سنرى ـ من خلال المقارنة ما بين النصّين المختارين ـ كيف يتّم توظيف تقنية الراوي في النص الشعري لأجل تحقيق إنجاز نصّي يقصده الشاعر المعاصر عبر إفادته من جماليات السَّرد وتقنياته.

قصيدة عبد الكريم كاصد

تحمل قصيدة الشاعر عبد الكريم كاصد عنوان: (طفلٌ جائعٌ في عاشوراء)، ونصّها:

«بينَ شموعِ المأتمِ والآس
تحملُني أُمّي فوقَ رؤوسِ النِّسوة ملفوفاً بعباءتِها السَّوداء
والحيطان السُّود.. وصورةُ مطعونٍ بين خيولِ الأعداء
يحملُ طفلاً..
مرَّ على جبهتِه السَّيف..
دعيني ألمسُ جبهتَك.. احترقتْ رئتي
مرَّ السَّيفُ على شفتي

أُمّاه..!

دعيني آكلُ خبزَ العبّاس»[1].

يـأتي الـراوي في نص عبـد الكريم على وفـق نمطٍ توليفـي ما بين شـكلَي الراوي المشـارك والراوي المحايد، فهو مشـارك محايد، يصفُ عبر منطـقٍ طفولي ـ بما فيه من ميـلٍ نحـو المباشرة والتسـجيل ـ المكانَ والشـخوص بطريقةٍ دالةٍ يشـكِّلُ فيها اللونُ الأسودُ عنصراً مُهيمناً بدلالته على الحزنِ والمأساة.

يقوم الراوي هنا بدورٍ محوري ومهمٍّ في السَّرد، وقد ضاعف من أهمّية دوره مجيؤه محايداً؛ حيث يجعل ذلك من حركة بنية النص حركةً دالةً، ذلك «**أنّ إقامة حركة البناء وفق منطق معيّنٍ للشكل، هي نفسها إقامة حركة قول البنية والرؤية التي تحكمها**»[2].

لقـد منحتْ طريقة الوصف المحايدة لمفردات المشـهد القارئَ فرصة المشـاركة في إعـادة بناء المشـهد. (الطفل/ الراوي) لا يُدرك حجم المأسـاة وحقيقتها بشـكلٍ تام؛ لـذا فهـو ينقل طرفه بـين مفـردات (الواقع/ المأتم) وبـين حاجته للطعـام، ولعلّ في طلبـه الخبز مـن أُمّه في نهاية النص، إحالةً إلى حدث يقـترن بالعبّاس عليه السلام، وهو طَلَبُ عيال الحسـين عليه السلام منه الماءَ في ظهيرة اليوم العاشر من المحرّم، حينما اشتدّ بهم العطش وأنهك قواهم.

ونلاحـظ في نـص عبـد الكريـم التركيـزَ عـلى التقابـلات بـين المفـردات لإبراز إيقـاع التوحّـد الداخلي ما بـين (الراوي/ الطفل) ووالدته من جهة، ومشـهد الإمام الحسين عليه السلام وطفله الرضيع:

تحملُـني أُمّــي ⮜⮜⮜	يحملُ طفلاً
مرَّ على جبهتِه السّيفُ ⮜⮜⮜	دعيني ألمسُ جبهتَك
صـورةُ مطعـون ⮜⮜⮜	احترقتْ رئتي
مرَّ على جبهتِه السّيفُ ⮜⮜⮜	مرَّ السّيفُ على شفتي

(١) عبد الكريم كاصد، النقر على أبواب الطفولة: ص١٤.

(٢) العيد، يمنى، تقنيات السَّرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي: ص٩٩.

ويعتمد الشاعر هذه التقابلات نسقاً مهيمناً في بنية نصِّه القصير، ويحقّق حضورُها انسجاماً تركيبياً، ويشكِّل قيمةً فنّيةً كبيرةً إضافةً إلى قيمته المعرفية؛ حيث يمكن أن تجسّد للقارئ رؤيةَ (الشاعر/ السَّارد) للحدث ودلالاته في التاريخ والحياة.

إنّ حضور السَّارد ـ من خلال ضمير المتكلّم في معظم الوحدات السَّردية (تحملني، دعيني ألمس، دعيني آكل) ـ ساعد على إضفاء شكلٍ حركي على النص عبر توسيع المدى الحركي للأفعال، ويرفد هذا الحضور الضميرُ ذاته أيضاً في الوحدات الاسمية (أُمّي، رئتي، شفتي)، ويتحوّل السَّارد في أُسلوبه نحو خطاب الآخر في جملتين: (دعيني ألمسُ جبهتَك) و(دعيني آكلُ خبزَ العبّاس)، في صورة من صور إلحاح الطفل المضطرب الجائع.

في نهاية النص، يَعمدُ الشاعرُ إلى توظيف طقسٍ عاشورائيٍّ شعبيٍّ حرص الناسُ ـ النّساء تحديداً ـ على القيام به في اليوم السابع من المحرّم، وهو اليوم المخصَّص للعبّاس عليه السلام، حيث تُوزِّع النّسوة فيه الخبزَ على الأشخاص والبيوت، في تقليد طقسي سُمِّي بـ(خبز العبّاس). ويُعدُّ التوظيف هنا عنصراً غنياً بحمولته الدلالية المرتبطة بواقعين متلازمين لم ينفصلا منذ أن وُجِدا: واقع الحدث (معركة الطفِّ واستشهاد الإمام الحسين عليه السلام)، وواقع الشعائر الحسينية.

إنَّ نصَّ عبد الكريم كاصد نصٌّ تبنيه الذاكرة، ذاكرة (الطفل/ الراوي الشاهد)، وهي تمسك بمشاهدَ وصورٍ من المأتم الحسيني في أيام عاشوراء، فمفردات المشهد مستجلَبَةٌ من ذاكرة طفولة الشاعر المتماهي في الراوي، على الرغم من أنّ المنظور الروائي يُميّز ما بين السَّارد والمؤلِّف بوصفهما كائنين مختلفين، يتحقّق وجود أحدهما (المؤلِّف) بوجود الآخر (السَّارد)[1]؛ ولعلّ من هنا جاء اختيار الشاعر لنصّه نوعاً من السَّرد يُسمّى بـ(السَّرد الذاتي)؛ حيث جعل من نفسه محوراً للنص، فهو المُخبِر الوحيد عنها، وعمّا تراه، وقد حقّق هذا الأمر نمواً في حركة النص، فالشاعر هنا

(١) د. عبد الملك مرتاض، نظرية الرواية (بحث في تقنيات السَّرد): ص٢٦٠.

راوٍ ومتلـقٍّ في آنٍ واحد، وجاء الحـدث (السَّرد) النابع من ذاته محوراً لهذه الحركة[1]. فالصـور الملتقطـة بعينَـي (الراوي/ الطفـل) خارجةٌ مـن ذاته وعائدة لهـا في الوقت نفسـه، مفيـداً من طاقة الحدث الإيحائيـة في إحالاته الكبيرة عـلى الواقعة في التاريخ، وعلى ممارسات إحياء ذكراها في الوجدان الشعبي.

وقد اعتمد النص هنا بناءً سردياً يتخلّق الحدثُ فيه من خلال عددٍ من الصور التي تتّسـم بالاقتضاب وعـدم الاكتمال، ولعلّ خَلْف ذلك يكمن ما يسـكتُ عنه النص، ويحرِّض القارئَ على اسـتنطاقه، ففي عدم الاكتمال هذا إشارةٌ إلى استمرارية الحدث وامتداده، فالمشـهد الموصوف مفتوحٌ على التشـكّل، طالما أنّ وَصْفَه قد تمّ عبر عينين ترى الأشـياء والأحداث والأفكار محاطةً بغلالةٍ من الإبهام وعدم الوضوح. وتقوم هـذه الصـور المقتضبة بتحريض انفعـالاتٍ خفية على الظهور، فتتجـلّى الرغبة ملحةً على لسـان الطفل بالتماهي مع شخصية من شـخوص مشهد الواقعة (العباس عليه السلام)، وكأنّ النـص بكثافتـه واختزاله يقصد إلى نقـل المتلقّي من عالمٍ عامرٍ بمشـاهد الحزن والألم وتصوير المأساة، إلى عالم آخر يبدأ من الوعي بالحدث وينتهي إلى طلب التوحّد معه والانصهار فيه، وفي ذلك دلالة قصدية واضحة.

قصيدة علي رضا قَزْوِه

يحملُ نصُّ علي رضا قزوه عنوان: (بعض المشاهد من رواية ظهْر اليوم العاشر):

(١)

«مَن داشتم نماز ركعت دوم را مى خواندم
كه ناگهان
يك قطره خون على اصغر
چكيد بر سجاده ام

(١) أُنظر: د. محمد زيدان، البنية السردية في النّص الشعري: ص٥٠ ـ ٥١.

تو رفته بودی به جستجوی تشنگی ام
کنار کف العباس
که ناگهان شمر
سر امام را برید.

(۲)

طلا فروش عرب
شکسته بسته گفت بخر
آقا بخر.. آقای خوب ایرانی
طلای خوب
دستبند.. گوشواره
محمود گفت:
دُلار که پایین بیاید
نفت که بالا برود
طلا.. بالا.. پایین...
من گفتم:
آن سوی تلّ زینبیه اگر خاکی دیدیم می گردیم
شاید یك لنگه گوشواره کوچك پیدا شد...»[1].

وترجمة النّص هي:

(۱)

«كنتُ أُصلّي الركعةَ الثانية
وفجأةً
سقطتْ قطرةٌ مِن دمِ عليٍّ الأصغر

(۱) أُسجّل خالص الشكر والامتنان للشاعر والمترجم الإيراني (موسى بيدج) لإرساله لي النص بلغته الأصلية عبر البريد الإلكتروني.

على سجادتي
كنتُ ذاهباً للبحثِ عن عطشي
قُرْب كفِّ العبّاس
وفجأةً حزَّ شمرُ وريدَ الإمام.

(٢)

العربيُّ بائعُ الذّهب
قال بلهجةٍ غير مفهومةٍ تماماً:
اِشترِ..
يا سيّدي اِشترِ..
يا سيّدي الإيرانيّ الجميل
هذا ذهبٌ جيّد
مِعضَدٌ.. أقْرَاطُ الأُذن
قال محمود:
عندما يرخصُ الدولار
عندما يرتفعُ سعرُ النفط
سعرُ الذهب.. يرتفعُ.. ينخفضُ...
قلتُ:
في الجانبِ الآخرِ من التلّةِ الزينبيّة
إذا رأينا تُراباً
سنبحثُ فيه
لعلّنا نعثرُ على قُرطٍ صغير...»[1].

يـأتي (الراوي/ السَّـارد) في نـص علي رضا قزوه على نمط مماثـل لصورته في نص

(١) قزوه، علي رضا، قصائد بتوقيت بيروت، ترجمة: موسى بيدج: ص٢٧١. وفي نهاية النص إشارة إلى انتزاع الأقراط من آذان بنات الإمام الحسين عليه السلام في عصر عاشوراء (الهامش موجود في المجموعة).

عبـد الكريم كاصد، فهو راوٍ مشـارك، يصف الحدث ويُسـهم في تشـكّله وإحداثه: (كنتُ أُصلّي، كنتُ ذاهباً، قلتُ)، ثمّ يعمد إلى إحضار ذواتٍ أُخرى تشـاركه الحدث في النـص الشـعري، ويُحدِث وجودُها أحياناً تحـوّلاً في السَّرد، وغالبـاً ما تكون هذه الذات غير متّفقة مع ذات السَّـارد، ويُسمّيها (جريماس) بالذات المضادّة في الخطاب السَّردي[1]، وتعمد عبر تضادّها هذا إلى تهيئة مسـاحة لحدثٍ فرعي يتوجّه نحو إبراز دلالـةٍ يريد النص البوح بها، وهو ما يتمثّل في (سـقطتْ قطـرةٌ من دم علي الأصغر/ حزَّ شمر وريد الإمام).

ويتداخل في نص قزوه زمانان: الحاضر بالماضي، ومكانان: كربلاء المدينة بكربلاء المعركة والمأساة. ويأتي البحث من قِبَل الراوي عن قرطٍ لطفلةٍ من أطفال الحسين عليه السلام تأكيـداً عـلى انتماء المـكان إلى المعركة والمأسـاة، أكثر مـن انتمائه إلى تفاصيـل الحياة في كربلاء المدينة، وما يشـغل سـوقها من حراك يومي واقتصـادي مألوف ينأى بها عن قدسيّتها وروحانيتها.

إنّ البحث،كذلك، محاولةٌ من الشاعر ـ عبر عين الراوي وفاعلية حركته في النص ـ لبعث صورة المأسـاة من جديد، يدفعه إلى ذلك شـعورٌ بتوهّج حرارة مشـهد إحراق الخيام وترويع النسـاء والأطفال بعد مقتل الإمام الحسـين عليه السلام وبقائه ماثلاً في المكان. وقد اختار الشاعر منطقة (التلّ الزينبي) ليُعبِّر عن حركته في استعادة المكان لملامحه.

ويتداخـل نمط الراوي في المقطع الثاني من قصيدة قزوه بين صفته راوياً مشـاركاً وبين أن يكون راوياً محايداً؛ حيث يضمر ما هو ذاتي، ويندفع النص في سردٍ مشهدي يعتمد فيه الشاعر على التصوير المشهدي كأساسٍ سردي، ويستثمر من عناصر اللغة وفنيّاتها الوصفَ والحوارَ عبر تقنية الراوي (المحايد/ الشاهد).

يمثّـل هذا المشـهد الرؤية الكلّية للراوي؛ إذ يعتمد فيه على أُسـلوب الحكاية، مع

(١) أُنظر: أ.ج. جريماس، السيميائيات السَّردية، ترجمة: سعيد بنكراد ضمن (طرائق تحليل السَّرد الأدبي): ص١٩١.

سيطرته على الحركة داخل المشهد، بوصفه جزءاً فاعلاً منه[1]، ويحتلّ موقعاً غير بعيدٍ عن مواقع الشخصيات الأُخرى فيه؛ فهو لا يقف ـ في كلّ ذلك ـ خارجَ النص، بل يتحرّك داخله متماهياً مع زمانه ومكانه، مثيراً بفعله هذا سؤالاً يبعث به المأساة من جديد عبر البحث عن قرطٍ سقط من طفلةٍ للحسين عليه السلام قبل عدّة قرون على هذه الأرض، ونرى كذلك أنّ فعل البحث يسعى إلى ردم الهوة الزمنية بين زمن الواقعة وزمن كتابة النص، ومجيء الشاعر زائراً كربلاء.

لقد جسَّدَ هذا البحثُ ـ الذي تنتهي به وإليه القصيدة ـ تصعيداً دلالياً يرتفع بمعنى فعل البحث من مجرّد بعث المأساة من جديد، إلى القول بتضييع الإنسان المعاصر لكثير من معطيات الثورة الحسينية ونسيانها والتفريط بمعطياتها؛ وبذا يُدين النص ـ بشكلٍ غير مباشر، وبطريقةٍ لا تخلو من الشعور بالألم والغصّة لحدوث ذلك ـ هذا التضييع والتفريط. لقد كان ذلك من خلال توظيف وحدات وصفية أو حالية جاءت لتكمل صورة المشهد عمد إليها السَّارد في النص، ومثل هذه العناصر تبقى عائديّتها مرتبطة بـ(الراوي/ المتكلّم) الذي يتوارى خلف الجملة الوصفية أو الحالية، ولديه القدرة على التدخّل والظهور في كلّ الأشياء[2].

ويعمد قزوه إلى الارتفاع بحدث الزيارة العادي لمكان الواقعة، عبر اعتماد السَّرد الحكائي، وكسر عادية الحدث ومألوفيّته في اللحظة التي تصل القصيدة فيها إلى مشارف النهاية، فيجدّد ذخيرة النص الدلالية عبر فعل البدء بالبحث من قبل الراوي ـ الذي يَبرز مشاركاً وفاعلاً وموجّهاً للحدث ـ عن القرط الصغير، الكبير في انفتاحه على المأساة وبإحالته السياقية على تفاصيلها.

(١) أُنظر: د. محمد زيدان، البنية السَّردية في النّص الشعري: ص٥٦.

(٢) أُنظر: جينيت، جيرار، حدود السَّرد، ترجمة: بنعيس بو حمالة، ضمن (طرائق تحليل السَّرد الأدبي): ص٨٠.

الراوي والمتخيّل السَّردي

لاحظنا كيف أنّ الشاعرين قد حرصا على أن يكون الراوي محافظاً على مستوى حضوره في الحدث المروي في النصّين الشعريين، مانحاً السَّرد حركةً عبر الوصف، ونمواً في الحدث. وقد ارتكز المتخيّل السَّردي إلى الواقع، واستمدّ مفرداته من تجربةٍ حياتية، متشكّلاً عبر لغة شعرية لم يفقدها السَّرد خصوصيّتها في الانفتاح على دلالات متعدّدة، ممكنة التحقّق من قبل القارئ، فضلاً عن ميلها إلى الاختزال والتكثيف في الوصف وعدم الإسهاب فيه.

من جانب آخر، عمد الشاعران إلى ترهين المروي من خلال الراوي، فالحدث في نص (كاصد) ينتمي إلى الماضي البعيد (زمن الطفولة)، يستعيده بطريقة تُحفِّز فيها الدلالةُ على جعله متجدّداً في الراهن؛ إذ إنّ ظاهر النص الذي يعتمد الوصف والتسجيل يُحيل إلى نصٍّ خفي ممكن التشكّل، وسوف تتعدّد صورته بتعدّد قارئيه، وربّما بتعدّد قراءاته من قِبَل قارئ واحد، «**فبانتقالنا من زمن القصّة إلى زمن الخطاب، نجدنا ننتقل من التجربة الواقعية ذهنياً (ذات الطابع المشترك) إلى التجربة الذاتية (ذات الكاتب)، وهي تسعى لتجسيد نظرة خاصّة للزمن، يبرز من خلالها بعد (تخطيب) الواقع الذهني؛ ليتجلّى (واقعاً نفسيّاً) مُدرَكاً من خلال تعامل الذات مع الزمن**»[1]، فخروج الحدث من زمنه (زمن القصة/ طفولة الشاعر) إلى زمنٍ مفتوح (زمن الخطاب) منح الدلالة امتداداتها المتّسعة على إمكانات التأويل. ولعلّ فيما عمد إليه الشاعر من توظيف الوصف في المشهد الشعري الحكائي أثراً بالغَ الفاعلية في تحقّق هذا المعنى؛ إذ بنى النص مشهداً وصفياً عبر ما يُعرف في السَّرد الحديث بـ(الوقف) الذي فيه

(١) سعيد يقطين، انفتاح الخطاب الروائي: ص٤٧.

يكـون الوصف فرصةً لتأمّـل الحدث ومفاصله، فضلاً عن تعليق زمن الحدث ودفع الخطاب إلى مواصلة سيره على هامش القصة[1].

لقد وُظِّفَ المتخيّل السَّردي، من خلال الدور المحوري للراوي فيه، لإنجاز دلالةٍ تُناسـب معطيـات واقعة الطـفّ في الراهن المعاش، عـلى صعيدي الثقافـة والواقع، ولا شـّك في أنّ تحقّق ذلك مرهون بتحقّق التفاعل ما بين القارئ والنص، والوقوف عـلى عناصر هذا المتخيّـل، وعلى الرغم من وضوح مرجعيـات النصّين الثقافية، فإنّ المتخيّـل السَّردي عمـد إلى التلميح ـ عبر بعض تفصيلات الحـدث ـ إلى دلالة كامنة وحثّ القارئ على اكتشافها وإنتاجها، وقد قام الوصف بدور كبير في ذلك، وبخاصّة في نص (عبد الكريم كاصد)، فهو لم يكن وصفاً موضوعياً تماماً نقياً بلا صدى لذات الواصف. ومن هنا؛ كان انفتاح نهاية هذا النص على تأويل مسـاحته الممكن والمتفق مـن الأحداث المقترحة التي تكمّل المشـهد، وكأنّ النصّ القصير مفتتحٌ لنصٍّ طويل غائـب، هو ما يمكن أن يتشـكّل بطريقـة تمتاح من واقع الحـدث (معركة الطف) في الثقافة الإسلامية، وامتداداته في الواقع الإنساني.

أمّـا في نـص (قزوه)، فإنّ التناظر ما بين سـقوط قطرة الدم من فضـاء الواقعة إلى الراهـن في المقطـع الأول من النص، وسـقوط القرط وضياعه لحظـة هجوم الجيش الأُموي على مخيم الحسـين عليه السلام، واتصاله بالزمن الحاضر لحظة الشروع في البحث عنه في المقطـع الثاني من النصّ، أسـهم في إعادة ترهين الواقعـة، وانفتاحها على الحياة؛ إذ سيكون البحثُ عن القرط الضائع، بحثاً عن حضورٍ مضيَّع، وفاعلية مغيَّبة لدروس كبيرة لها قدرة إعادة تنظيم الحياة بشكلٍ آخر، أفضل وأكثر قبولاً.

(١) أُنظر: بحراوي، حسن، بنية الشكل الروائي: ص١٢٠.

خاتمة

١ـ نجح النصّان الشعريان في الإفادة من توظيف تقنية الراوي في بناء نصٍّ حكائي يتحرّك في فضائه الراوي بطريقة فاعلة، ولا يغيب تماماً تماهي صوت الشاعر بصوته؛ وممّا أسهم في إنجاح هذا التوظيف الفنّي هو الامتياح من معطيات واقعة الطف، ولوجهٍ شُبهِ مهملٍ من وجوهها في هذين النصّين بطريقةٍ موفّقةٍ، فلم يتوقّف الشاعران عند حدود السَّرد والتسجيل والنقل التفصيلي للأحداث والشخصيات من خلال الراوي، بل عَملا على استثمار ما يكتنزه الموضوع من قوّة جمالية وفنّية ودلالية في تجسيد رؤيةٍ ووعيٍ مُفارِقٍ للسائد (كما هو في نص عبد الكريم كاصد)، وفي تشخيص مفارقات الحياة التي نأتْ بمعطيات النهضة الحسينية عن أرضها (قصيدة علي رضا قزوه).

٢ـ اشتغل الشاعران على فكرة واحدة بدرجة ما، وهي: انفتاح الحدث التاريخي الموظَّف في الشعر على الحاضر، وعمدا إلى تشكيل مبنى حكائي كان للراوي فيه دورٌ مركزي فاعل، وجَّه مراحل الحدث ونموّه بطريقة دالة، فقد انطلق النصّان من ذاكرةٍ جمعيةٍ تختزن الحدث بكل تفصيلاته، وتُدرك أبعاده ونتائجه ودروسه وعبره، ولكنّها تنقسم حين تدخل دائرة الفعل واستدعاء الحدث القديم المنتهي زمنياً إلى ساحة العمل المعاصرة، وهو ما حاول النصّان العمل على تحقيقه كلٌّ بطريقته الخاصة، بيد أنّهما تقاسما امتياز تصوير اللحظة المكثّفة والانتقال المفاجئ بين مفاصل الحدث ببراعة.

شهداء الطف
أسماءٌ وقع الاختلاف في صحبتها للنبي صلى الله عليه وآله

الشيخ عبد الرزّاق النداوي*

هنـاك مجموعة من أصحـاب الإمام الحسـين عليه السلام، ومن الذين استُشـهدوا معه في معركـة الطـفّ، أو قبلهـا، أو بعدهـا، وقع فيهم الاختـلاف، وهـذا الاختلاف ـ في الحقيقة ـ ناشئ من جهتين، أو من إحدى هاتين الجهتين، وهما:

الجهة الأُولى: هل هذا الشخص صحابي أم لا؟

الجهة الثانية: هل استُشهد هذا الشخص في كربلاء أم لا؟

فهم ـ على هذا الأساس ـ على ثلاثة أقسام:

الأول: قد يكون الشـخص مقطوعاً بكونه صحابياً، ولكن وقع الخلاف في كونه قـد استُشـهد في كربـلاء، ومثاله: عـون ومحمد ولدا جعفـر الطيار، وسـيأتي تفصيل الكلام فيهما.

الثاني: وقد يكون الشـخص مقطوعاً بكونه من شـهداء النهضة الحسـينية، ولكن الكلام في كونه صحابياً، ومثاله: مسلم بن عقيل عليه السلام، وهذا ما سنبسط فيه القول.

الثالث: وقد يكون الشك قد تطرّق إليه من كلتا الجهتين المزبورتين.

و يمكننا حصر الجميع باثني عشر شخصاً، وهم:

١ ـ مسلم بن عقيل عليه السلام.

٢ ـ المختار بن أبي عبيد الثقفي.

---

* باحث إسلامي، من العراق.

٣ ـ زيد بن معقل المذحجي الجعفي.

٤ ـ عون بن جعفر الطيّار.

٥ ـ محمد بن جعفر الطيّار.

٦ ـ جنادة بن الحرث السلماني.

٧ ـ جابر بن عروة الغفاري.

٨ ـ كنانة بن عتيق التغلبي.

٩ ـ سعد بن الحرث الخزاعي مولى علي بن أبي طالب عليه السلام.

١٠ ـ زاهر بن عمر الأسلمي.

١١ ـ عبد الله بن عفيف الأزدي.

١٢ ـ شبيب بن عبد الله النهشلي.

تفصيل الكلام

وسنذكر هاهنا ما قيل في هذه الشخصيات بشيء من الإيجاز، سوى مسلم بن عقيل عليه السلام، فسنؤجّل الكلام عنه إلى نهاية البحث؛ لأنّ فيه شيئاً من التفصيل:

١ ـ المختار بن أبي عبيد الثقفي

قد يقال: لماذا ذُكِرَ المختار، والحديث منصبّ على شهداء النهضة الحسينية، في حين أنّ المختار قُتل بعد استشهاد الحسين عليه السلام بما يقرب من خمس سنوات؟

وجواب ذلك: أنّنا إنّما ذكرناه لعدّة أسباب:

الأوّل: أنّ المختار كان في طليعة الدّاعين لنصرة الحسين عليه السلام في الكوفة.

الثاني: أنّ سفير الحسين عليه السلام ـ أعني: مسلم بن عقيل عليه السلام ـ عندما نزل الكوفة أقام في دار المختار.

الثالث: أنّه كان من قيادات جيش مسلم عليه السلام، إلّا أنّه أُلقي القبض عليه وأُودع السجن.

الرابع: أنّه كان في السجن عند وقوع الواقعة، واستشهاد الحسين عليه السلام، فهو معذور من هذه الناحية.

الخامس: أنّه خرج للطلب بثأر الحسين عليه السلام، وتتبّع قتلته.

السادس: أنّه خُتم له بالشهادة والسعادة.

موجز عن سيرته الذاتية

هو أبو إسحاق المختار بن أبي عبيد بن مسعود الثقفي.

كانت ولادة المختار في العام الأوّل الهجري، فأدرك ما يقرب من عشر سنوات من أواخر حياة النبي صلى الله عليه وآله، إلّا أنّ بعض الذين كتبوا في تراجم الصحابة ذكروا أنّه لم يرَ النبي صلى الله عليه وآله، ولم يسمع حديثه، ولم يروِ عنه بالمباشرة.

قال ابن حجر: «**وُلِد المختار عام الهجرة، وليست له صحبة ولا رؤية، وكان أبوه من جلّة الصحابة**»[1]، وهو ـ أي: والده ـ صاحب المنبر الذي استُشهد في جماعة من المسلمين يوم الجسر[2]، واستُشهد معه ـ في ذات الواقعة ـ ابنه جبر بن أبي عبيد[3]، أي: أخو المختار.

وقال ابن قتيبة: «**يقال: إنّ (مسعوداً) جدّه هو: عظيم القريتين**»[4].

وكأنّه يريد ما حكاه الله سبحانه عن مشركي قريش بقوله: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾[5].

وأُمّه دومة بنت وهب بن عمر بن معتب، ويقال: إنّها لمّا حملت بالمختار قالت:

---

(١) ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، الإصابة: ج٦، ص٢٧٥.

(٢) أُنظر: المصدر السابق: ج٧، ص٢٢٣.

(٣) أُنظر: المصدر السابق.

(٤) ابن قتيبة الدينوري، عبد الله بن مسلم، المعارف: ص٤٠٠.

(٥) الزخرف: آية٣١.

رأيت في النوم قائلاً يقول:

استبشري بذا الولد أشبه شيءٍ بالأسد

إذا الرجال في كبد تقاتلوا على بلد

كان له الحظ الأشدّ[1]

وعلى كل حال، فإنّنا لا نستبعد أن يكون المختار قد رأى النبيﷺ وسمع حديثه، خصوصاً بعد الالتفات إلى ما قاله ابن حجر في الإصابة من أنّه: «**لم يبقَ بمكّة ولا الطائف أحد من قريش وثقيف إلّا شهد حجّة الوداع؛ فمن ثَمَّ يكون المختار من هذا القسم**»[2]. إلّا أنّ الحاقدين على المختار والمبغضين له من الحزب الأُموي، بعد أن نسبوا إليه المثالب وألصقوا به الرذائل، نفوا عنه كلّ المناقب والفضائل، فإن كانت الصحبة فضيلة، فلا ينبغي أن يوصف بها المختار من وجهة نظرهم.

مع أنّ أهل التراجم والسير وصفوه بأنّه من أهل الفضل والخير والدين، قال ابن عبد البر: «**والمختار معدود في أهل الفضل والدين إلى أن طلب الإمارة**»[3]. وقال ابن حجر: «**وكان قد طلب الإمارة، وغلب على الكوفة، حتى قتله مصعب بن الزبير بالكوفة سنة سبع وستين، وكان قبل ذلك معدوداً في أهل الفضل والخير إلى أن فارق ابن الزبير**»[4].

وقال ابن الأثير: «**وكان المختار قد خرج يطلب بثأر الحسين بن علي**عليهما السلام**، واجتمع عليه كثير من الشيعة بالكوفة، فغلب عليها، وطلب قتلة الحسين فقتلهم، قتل شمر بن ذي الجوشن الضبابي، وخولي بن زيد الأصبحي ـ وهو الذي أخذ رأس الحسين، ثمّ حمله إلى الكوفة ـ وقتل عمر بن سعد بن أبي وقاص أمير الجيش الذين قتلوا الحسين، وقتل**

(١) أُنظر: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٥، ص٣٥٠.

(٢) ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، الإصابة: ج٦، ص٢٧٦.

(٣) ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله، الاستيعاب: ج٤، ص١٤٦٥.

(٤) ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، الإصابة: ج٦، ص٢٧٥.

ابنـه حفصـاً، وقتل عبيد الله بن زياد، وكان ابن زياد بالشـام، فأقبل في جيش إلى العراق، فسـيّر إليـه المختار إبراهيم بن الأشـتر في جيش، فلقيه في أعمال الموصـل، فقتل ابن زياد وغيره؛ فلذلك أحبّه كثير من المسلمين، وأبلى في ذلك بلاءً حسناً»[1].

وبحسب هذه النصوص؛ فإنّ الجزء الأكبر من الجرح في شخص المختار يكمن في اتهامـه بطلب الإمرة، وظاهر الحال أنّه طلبها للقصاص من قتلة الإمام الحسـين عليه السلام، فالرجـل لم يـدّع الخلافة ولا الإمامـة، وإنّما قاد انتفاضة لتطهـير المجتمع من سرطان الإرهاب الأُموي.

٢ـ زيد بن معقل المذحجي الجعفي

ذكـره ابـن حجر تحت التسلسـل (٩٤٣٦)، وقـال: «يزيد بن مغفـل بن عوف بن عمير بن كلب العامري، تقدّم نسـبه في ترجمة أخيه زهير، ولهما إدراك، واستُشـهدا جميعاً بالقادسـية، ذكـر ذلـك ابن الكلبـي، وذكر المرزباني في معجم الشـعراء: يزيـد بن مغفل الكوفي، وأنشد له قوله، وهو يقاتل مع الحسين بن علي، وقُتل حينئذٍ:

إن تـنـكـروني فـأنـا ابـن المغفل ... شـاكٍ لدى الهيجاء غير أعزلِ

(وفي يميني نصف سـيف معصل)[2] ... أعلو به الفارس وسط القسطلِ

فإمّا أن يكونا اثنين، أو أحد القولين في مكان قتله خطأ»[3].

ولكن صاحب (أنصار الحسين) قال: «زيد بن معقل الجعفي: هكذا ذُكر في الزيارة في الإقبال [أي: كتاب إقبال الأعمال للسـيد ابن طاووس]، وبهذا الاسـم ذكره سـيدنا الأُستاذ [أي: السيد الخوئي]»[4].

(١) ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، أُسد الغابة: ج٤، ص٣٣٦.

(٢) وروي هكذا: «وفي يميني نصل سيف منصل»، والظاهر أنّه أصح. أُنظر: السماوي، محمد بن طاهر، إبصار العين في أنصار الحسين عليه السلام: ص١٥٤.

(٣) ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، الإصابة: ج٦، ص٥٥٤.

(٤) شمس الدين، محمد مهدي، أنصار الحسين عليه السلام: ص٨٨.

ولكن فاته رحمه الله أنّ السيد الخوئي قدس سره ذكر أيضاً زيد بن معقل في نفس المعجم قائلاً: «**من أصحاب الحسين** عليه السلام، **رجال الشيخ** [أي: نقلاً عن رجال الشيخ الطوسي]»[1].

لذلك قال صاحب المستدركات في ترجمة (يزيد بن معقل): «... **أقول: لم أجده** [أي: يزيد بن معقل] **في زيارة الناحية المقدّسة، وإنّما الموجود زيد بن معقل الجعفي، وعن بعض النسخ: بدر بن معقل الجعفي**»[2].

وممّا يُؤيّد أنّ الراجح في اسمه هو (زيد بن معقل) أُمور، منها:

١ـ إنّ أغلب مَن أرّخ لواقعة الطفّ ذكر (يزيد بن معقل) في معسكر أعداء الحسين عليه السلام، وهو الذي بارز برير بن خضير وقتله برير مبارزة[3].

٢ـ إنّ أغلب مَن يُعتمد عليهم من الرجاليين ذكروا (زيد بن معقل) في أصحاب الحسين عليه السلام، منهم: ابن شهر آشوب[4]، والسيد ابن طاووس[5]، والمجلسي في البحار[6]، والطوسي في رجاله[7]، ولم يذكروا يزيد بن معقل.

كما ذكره صاحب خزانة الأدب في سرده وشرحه لأبيات عبيد الله بن الحر الجعفي قائلاً: «**فلمّا قدِم الحسين** رضي الله عنه **قصر بني مقاتل ونزل، رأى فسطاطاً مضروباً، فقال: لـمَن هذا الفسطاط؟ فقيل: لعبيد الله بن الحر الجعفي. ومع الحسين يومئذٍ الحجاج بن مسروق، وزيد بن معقل الجعفيان...**»[8].

لذا؛ فالراجح أنّ اسمه (زيد بن معقل).

---

(١) الخوئي، أبو القاسم، معجم رجال الحديث: ج٨، ص٣٧٢.

(٢) النمازي، علي، مستدركات علم رجال الحديث: ج٨، ص٢٦٣.

(٣) أُنظر: البلاذري، أحمد بن يحيى، أنساب الأشراف: ج٣، ص١٩١. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٥، ص١٥. أبو مخنف، لوط بن يحيى، مقتل الحسين عليه السلام: ص١٢٧.

(٤) أُنظر: ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج٣، ص٢٣٢.

(٥) أُنظر: ابن طاووس، علي بن موسى، إقبال الأعمال: ج٣، ص٧٨.

(٦) أُنظر: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٤، ص١٩٩.

(٧) أُنظر: الطوسي، محمد بن الحسن، رجال الطوسي: ص١٠١.

(٨) البغدادي، عبد القادر عمر، خزانة الأدب: ج٢، ص١٥٨.

٣ و ٤ ـ عون ومحمد ولدا جعفر الطيار

وُلِدا في الحبشة أوائل سنيِّ الهجرة، وعادا مع أبيهما إلى المدينة، ذكرهما ابن عنبة قائلاً: «**وأمّا عون ومحمد الأصغر، فقُتلا مع ابن عمّهما الحسين عليه السلام يوم الطفّ...**»[١].

وقال ابن الأثير: «**عون بن جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب القرشي الهاشمي، والده جعفر ذو الجناحين، وُلِد على عهد رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم)، أُمّه وأُمّ أخويه ـ عبد الله ومحمد ـ أسماء بنت عميس الخثعمية، استُشهد بتُستَر، ولا عقب له...**»[٢].

وقال ابن حجر: «**عون بن جعفر بن أبي طالب الهاشمي، ابن عمّ النبي (صلّى الله عليه وسلّم)، وُلد بأرض الحبشة، وقدِم به أبوه في غزوة خيبر... واختُلف في أيّ ولدي جعفر محمد وعون كان أسنّ، فأمّا عبد الله فكان أسنّ منهما، وذكر موسى بن عقبة أنّ عبد الله وُلد سنة اثنتين. وقيل: غير ذلك، كما سبق في ترجمته، وقال أبو عمر: استُشهد عون بن جعفر في تُستَر، وذلك في خلافة عمر، وما له عقب**»[٣].

وقال البلاذري: «**ويقال: إنّ عون بن جعفر بن أبي طالب وأخاه محمداً قُتلا مع علي ابن أبي طالب بصفّين. ويقال: إنّهما قُتلا مع الحسين عليهما السلام. وبعض البصريين يزعم أنّهما قُتلا بتُستَر من الأهواز حين فُتحت**»[٤].

والذي يبدو للباحث والمتتبع في الكلمات المتقدّمة وغيرها أنّه وقع خلط عند المؤرّخين بين عون ومحمد ولدَي جعفر الطيار، وعون ومحمد ولدَي عبد الله بن جعفر الطيار الشهيدين مع الحسين عليه السلام في الطّف[٥]، ويؤيد ذلك أُمور:

---

(١) ابن عنبة الحسيني، أحمد بن علي، عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب: ص٣٦.

(٢) ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، أُسد الغابة: ج٤، ص١٥٧.

(٣) ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، الإصابة: ج٤، ص٦١٨.

(٤) البلاذري، أحمد بن يحيى، أنساب الأشراف: ج٢، ص٣٢٣.

(٥) أُمّ عون: هي العقيلة زينب عليها السلام، وأُمّ محمد: هي الخوصاء. أُنظر: المقرّم، عبد الرزاق، مقتل الحسين عليه السلام: ص٣١٨.

الأوّل: تشابه الأسماء.

الثاني: أنّ الجميع شهداء، سواء أكانا ابني جعفر أم ابني عبد الله بن جعفر.

الثالث: ما قاله عبد الله بن جعفر الطيّار ردّاً على مولاه أبي اللسلاس، بعد رجوع عائلة الحسين عليه السلام، ووصول نبأ مقتل جميع الرجال، إذ قال أبو اللسلاس آنذاك: «**هذا ما لقينا ودخل علينا من الحسين. قال** [الرواي:] **فخذفه عبد الله بن جعفر بنعله، ثمّ قال: يا بن اللخناء! أللحسين تقول هذا؟! والله، لو شهدته لأحببت أن لا أُفارقه حتى أُقتل معه، والله، إنّه لمّا يسخي بنفسي عنهما، ويهوّن عليّ المصاب بهما أنّهما أُصيبا مع أخي وابن عمّي مواسيين له، صابرين معه.** [قال الرواي:] **ثمّ أقبل على جلسائه، فقال: الحمد لله عزّ وجلّ على مصرع الحسين، إن لا يكن آست حسيناً يدي فقد آساه ولْدي...**»[1].

فلو كان أخواه قد استُشهدا مع الحسين عليه السلام أيضاً، لقال ـ مثلاً ـ: فقد واساه ولداي وأخواي.

٥ـ جنادة بن الحرث السلماني

قال شمس الدين في ترجمة جابر بن الحرث السلماني: «**جابر بن الحارث السلماني، هكذا ورد اسمه عند الطبري، وذكره الشيخ الطوسي مصحفاً: (جنادة بن الحرث السلماني)، وكذلك عند السيد الأمين. وعدّه سيدنا الأُستاذ** [أي: السيد الخوئي قدس سره] **بعنوان جنادة تبعاً للشيخ... وذَكر (حيان بن الحارث السلماني الأزدي) بعنوان مستقل... وذُكر اسمه في الزيارة مصحفاً بـ(حبّاب بن الحارث السلماني الأزدي)، وفي النسخة الأُخرى (حيّان...). وفي الرجبية نسخة البحار (حيّان بن الحارث) وفي نسخة الإقبال (حسّان بن الحارث)، ولعلّ الجميع واحد. وعند ابن شهر آشوب: (حبّاب بن الحارث) في عداد قتلى الحملة الأُولى.**

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٤، ص٣٥٧.

مـن شـخصيات الشـيعة في الكوفة، اشـترك في حركة مسـلم بن عقيـل، وتوجّه إلى الحسين بعد فشل الثورة في الكوفة...»[1].

وقال النمازي: «**جنادة بن الحارث الأنصاري، من شـهداء الطفّ... والظاهر اتّحاده مـع جنادة بن كعب بن الحارث الأنصاري الذي عدّه المامقاني من شـهداء الطفّ، وكذا ابنه عمرو بن جنادة**[2]**. ولعلّه غير جنادة بن الحارث السلماني الأزدي الذي عدّه المامقاني مـن أصحاب الرسـول وأمير المؤمنين (صلوات الله وسـلامه عليهما وآلهـما)، ثمّ تشرّف بالشهادة يوم الطفّ**»[3].

ذكره ابن حجر تحت التسلسـل (١٢١١)، وأنّ رسـول الله صلى الله عليه وآله بعث إليه بكتاب، قال ابن حجر: «**جنادة غير منسـوب، روى ابن مندة بالإسـناد المتقدّم في ترجمة جميل بن ردّام بـن عمرو بن حزم أنّ رسـول الله (صلّى الله عليه وسـلّم) كتب لجنـادة هذا كتاب: من محمد رسـول الله لجنادة وقومه ومَن اتبعه بإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، ومَن أطاع الله ورسوله، فإنّ له ذمّة الله وذمّة محمد**»[4].

وقـال المامقاني قدس سره فيه: «**جنادة بن الحارث السـلماني الأزدي، السـلماني:... نسـبة إلى سلمان، بطن من مراد، ومراد بطن من مذحج؛ ولذا وُصِف الرجل بـالمذحجي، المرادي، السـلماني... وقد ذكر أهل السـيَر أنّه كان من أصحاب رسـول الله صلى الله عليه وآله، ثمّ من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، ومن المقاتلين بصفّين، ومن مشـاهير الشـيعة. بايع مسلماً، فلمّا نظر إلى خـذلان أهل الكوفـة، فرّ واختفى عند قومه، فلمّا سـمع بمجيء الحسـين عليه السلام خرج إليه**

---

(١) شمس الدين، محمد مهدي، أنصار الحسين عليه السلام: ص٧٨ـ٧٩.

(٢) وهو الصبي الذي استُشهد مع الإمام الحسين عليه السلام، صاحب الرجز المعروف:

أمـيري حسين ونعم الأمير سرور فـؤاد البشير النذير

عــلي وفــاطــمــة والـــداه فهل تعلمون له من نظـير

(٣) الشاهرودي، علي النمازي، مستدركات علم رجال الحديث: ج٢، ص٢٣٩.

(٤) ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، الإصابة: ج١، ص٦١١.

مع عمرو بن خالد الصيداوي وجماعة من الشيعة، ولحق به عليه السلام ولازمه إلى أن استُشهد (رضوان الله عليه)»[1].

وعلى هذا؛ يمكن عدّ الرجل من صحابة النبي صلى الله عليه وآله المستشهدين بالطفّ بين يدي سبطه الحسين عليه السلام.

٦ـ جابر بن عروة الغفاري

قال النمازي: «**جابر بن عروة الغفاري: لم يذكروه، وهو من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، شهد بدراً وغيرها، وكان شيخاً كبيراً، تعصّب بعصابة ترفع حاجبيه عن عينيه، فلمّا رأى غربة مولانا الحسين (صلوات الله عليه) استأذن، فقال له الحسين: شكر الله سعيك يا شيخ. فقاتل وقتل جمعاً حتّى استُشهد بين يديه. نقل ذلك كلّه في الناسخ عن أبي مخنف، وكذا في فرسان الهيجاء...**»[2].

والسؤال الذي يثار في المقام هو: كيف يكون رجل بهذا المقام والمنزلة، ولم تذكره كتب الرجال والمعاجم؟! فلم يذكره صاحب الإصابة، ولا صاحب أُسد الغابة، ولا الشيخ الطوسي، ولا السيد الخوئي، ولا غيرهم... هذا شيء غريب حقاً!!

نعم، ورد ذكره في كتاب (فرسان الهيجاء)، إذ قال: «**في شرح الشافية عن مقتل الخوارزمي، بهذه الألفاظ: ثمّ برز جابر بن عروة الغفاري، وكان شيخاً...**»[3]، ثمّ ذكر نزوله إلى الميدان، وارتجازه بأبيات، ثمّ قال: «**نسب الخوارزمي في مقتله... هذا الرجز إلى عبد الرحمن بن عروة الغفاري مع اختلاف في الألفاظ، ولم يرد ذكر لجابر بن عروة فيه!**»[4].

حقاً هذا شيء عجيب، والأعجب منه اعتماد الشيخ النمازي عليه في كلامه المتقدّم.

---

(١) المامقاني، عبد الله، تنقيح المقال في علم الرجال: ج١٦، ص٢٣٥ـ٢٣٨.
(٢) النمازي، علي، مستدركات علم رجال الحديث: ج٢، ص١٠٣.
(٣) المحلاتي، ذبيح الله، فرسان الهيجاء في تراجم أصحاب سيد الشهداء: ج١، ص٧٨.
(٤) المصدر السابق: ص٧٩.

٧ـ كنانة بن عتيق التغلبي

ذكر النمازي أنّه من شهداء واقعة الطف بعد أن صرّح بصحبته للنبي صلى الله عليه وآله، فقال: «**كنانة بن عتيق: صحابي تشرّف بشرف الشهادة يوم الطفّ، وتشرّف بسلام الناحية المقدّسة**»[١].

وذكره السيد الخوئي قدس سره في جملة أصحاب الحسين المستشهَدين في الحملة الأُولى، إلّا أنّه لم ينصّ على أنّه صحابي[٢]، كما أنّه لم يُذكر في الكتب التي عُنيت بذكر أصحاب النبي صلى الله عليه وآله كالإصابة، وأُسد الغابة، والاستيعاب.

٨ـ سعد بن الحرث الخزاعي مولى علي بن أبي طالب عليه السلام

ذكره المحلاتي، ونسب إلى المامقاني وابن حجر أنّهما عدّاه من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله[٣].

وقال الأمين: «**سعد بن الحارث الخزاعي مولى أمير المؤمنين علي عليه السلام، قال بعض المعاصرين ممّن لا يوثق بنقله في كتاب له: إنّ له إدراكاً لصحبة النبي صلى الله عليه وآله، وكان على شرطة أمير المؤمنين علي عليه السلام بالكوفة، وولّاه أذربيجان وانضمّ بعده إلى الحسن، ثمّ إلى الحسين عليه السلام، وخرج معه إلى مكّة ثمّ إلى كربلاء، ونال درجة الشهادة بين يديه. وليس له ذكر في الاستيعاب، وأُسد الغابة، والإصابة، ولو كان له إدراك للصحبة لذكره أحدهم، وإنّما ذكروا سعد بن الحارث بن الصمّة...**»[٤].

ومن المحتمل جداً أن يكون المحلاتي قد أراد سعيداً الخزاعي الذي ذكره ابن حجر تحت التسلسل (٣٦٩٥)، إذ قال: «**سعيد بن سارية بن مرّة بن عمران بن رباح ابن سالم بن غاضرة بن حبشية بن كعب الخزاعي، له إدراك وكان على شرطة علي، وولاه**

(١) النمازي، علي، مستدركات علم رجال الحديث: ج٦، ص٣١٥.
(٢) أُنظر: الخوئي، أبو القاسم، معجم رجال الحديث: ج١٥، ص١٣٣.
(٣) أُنظر: المحلاتي، ذبيح الله، فرسان الهيجاء في تراجم أصحاب سيد الشهداء: ج١، ص٢٠٦.
(٤) الأمين، محسن، أعيان الشيعة: ج٧، ص٢٢١.

أذربيجان، ذكره بن الكلبي»[1].

وهذا الاحتمال في غاية البعد؛ لأنّ هذا هو سعيد بن سارية، وصاحب الترجمة هو سعد بن الحارث.

٩ـ زاهر بن عمرو الأسلمي

قال العلّامة المامقاني: «هو زاهر بن عمر الأسلمي الكندي، من أصحاب الشجرة، وروى عن النبي صلى الله عليه وآله، وشهد الحديبية وخيبر، وكان من أصحاب عمرو بن الحمق الخزاعي، كما نصّ على ذلك أهل السيَر، وقالوا: إنّه كان بطلاً مجرّباً، شجاعاً مشهوراً، محبّاً لأهل البيت، معروفاً. وحجّ سنة ستين، فالتقى مع الحسين عليه السلام، فصحبه وكان ملازماً له حتى حضر معه كربلاء، واستُشهد بين يديه»[2].

وقال السيد محسن الأمين: «زاهر صاحب عمرو بن الحمق استُشهد بكربلاء سنة (٦١هـ). ذكره الشيخ في رجاله في أصحاب الحسين عليه السلام، وقال النجاشي وغيره في ترجمة محمد بن سنان الزاهري: إنّه من ولْد زاهر مولى عمرو بن الحمق الخزاعي... وفي كتاب لبعض المعاصرين لا يوثق بضبطه، زاهر صاحب عمرو بن الحمق عدّه الشيخ في رجاله من أصحاب الحسين عليه السلام، وهو زاهر بن عمرو الأسلمي الكندي، من أصحاب الشجرة، روى عن النبي صلى الله عليه وآله وشهد الحديبية وخيبر»[3].

وقد ناقش السيد الأمين دعوى كونه من الصحابة بوجوه، منها: «إذا كان زاهر ابن عمرو من أصحاب بيعة الشجرة، وروى عنه صلى الله عليه وآله، وشهد الحديبية وخيبر، يكون من مشاهير الصحابة، مع أنّ صاحب أُسد الغابة وغيره لم يذكروا فيمَن اسمه زاهر من الصحابة إلّا زاهر بن الأسود... وزاهر بن حرام»[4].

---

(١) ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، الإصابة: ج٣، ص٢١١.
(٢) المامقاني، عبد الله، تنقيح المقال في علم الرجال: ج٢٨، ص٣٠.
(٣) الأمين، محسن، أعيان الشيعة: ج٧، ص٤١.
(٤) المصدر السابق.

١٠ـ عبد الله بن عفيف الأزدي

ذكره بعض المعاصرين، قائلاً: «**عن أبي مخنف: أنّ عبد الله بن عفيف الأزدي كانت لـه صحبة مع رسـول الله صلى الله عليه وآله، ويؤكّد صحبته قوله: سـمعت رسـول الله صلى الله عليه وآله يقول: مَن سـبّ عليّاً فقد سـبّني، ومَن سـبّني فقد سبّ الله، ومَن سـبّ الله أكبّه الله على منخريه في النار**»[١].

أقـول: ولم يذكـروه في عداد الصحابـة لا في الإصابة، ولا في أُسـد الغابة، ولا في الاستيعاب.

وذكره الشـيخ المفيد، فقال: «**... ثمّ قام [عبيد الله ابن زياد] من مجلسـه حتى خرج من القصر ودخل المسجد، فصعد المنبر، فقال: الحمد لله الذي أظهر الحقّ وأهله، ونصر أمـير المؤمنـين يزيد وحزبه، وقتـل الكذّاب ابن الكذّاب وشـيعته. فقام إليـه عبد الله بن عفيف الأزدي، وكان من شيعة أمير المؤمنين عليه السلام، فقال له: يا عدّو الله، إنّ الكذّاب أنت وأبـوك، والـذي ولّاك وأبـوه، يا بن مرجانة، تقتـل أولاد النبيّين، وتقوم عـلى المنبر مقام الصدّيقـين؟! فقـال ابن زيـاد: عليَّ به. فأخذته الجـلاوزة، فنادى بشـعار الأزد، فاجتمع منهـم سـبعمائة رجل، فانتزعـوه من الجلاوزة، فلـمّا كان اللّيل أرسـل إليه ابـن زياد مَن أخرجه من بيته، فضرب عنقه وصلبه في السبخة رحمه الله**»[٢].

أقول: ذكره السيد الخوئي في معجمه، ولم يُشر في ترجمته إلى أنّه صحابي[٣].

١١ـ شبيب بن عبد الله مولى الحرث بن سريع

قـال النـمازي: «**شـبيب بن عبـد الله مولى حـارث بن سريـع الهمداني الجابـري: من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، وشهد مشاهد أمير المؤمنين عليه السلام، وكان من شجعان الكوفة، ثمّ**

(١) الزيدي، هاشم، أصحاب الرسول أنصار ابن البتول: ص١٦٥.

(٢) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج٢، ص١١٧.

(٣) أُنظر: الخوئي، أبو القاسم، معجم رجال الحديث: ج١١، ص٢٧٧.

لحق بالحسين عليه السلام، واستُشهد بين يديه»[1].

وقال الأمين: «**شبيب بن عبد الله مولى الحارث بن سريع الهمداني الجابري، ذكره بعض المعاصرين فيما كتبه في مجلة الرضوان الهندية، ولم نجده في الاستيعاب، ولا أُسد الغابة، ولا الإصابة**»[2].

وذكر بعض المعاصرين أنّ ابن حجر ذكر شبيب. وقال عنه: إنّ له إدراكاً، وشهد مع علي مشاهده كلّها[3].

وما قاله ابن حجر نصاً هو: «**شبيب بن عبد الله بن شكل بن حيّ بن جدية (بفتح الجيم وسكون الدال بعدها تحتانية) المذحجي، له إدراك، وشهد مع علي مشاهده، ثمّ غضب عليه، وأمره بالخروج من الكوفة، وأجّله ثلاثاً، فقال: ثلاث كثلاث ثمود، لا والله، لا يكون ذلك، فأجّله عشراً، ذكر ذلك بن الكلبي**»[4].

ولا يبدو أنّه هو، فصاحب الترجمة مولى، والذي ذكره ابن حجر مذحجي، كما لم يذكر أنّه من شهداء الطف.

١٢ـ مسلم بن عقيل سفير الحسين عليه السلام

أهمل التاريخ ذكر السنة التي وُلد فيها مسلم بن عقيل عليه السلام، شأنه في ذلك شأن الكثير من الحقائق التي كان ينبغي أن لا تُهمل، فكثير من حقائق التاريخ نالها التحريف أو التزوير، أو الترديد، أو الإخفاء.

ومن أبرز أمثلة ذلك تاريخ وفاة النبي صلى الله عليه وآله، وإنّما مثّلنا بوفاته صلى الله عليه وآله دون ولادته بالرغم من أنّ الترديد وقع في ولادته أيضاً؛ لأنّه قد يرد تبرير لخفاء تاريخ ميلاده، بحجّة أنّه صلى الله عليه وآله لم يكن لحظة ميلاده يُعرف شأنه وأهمّيته ومستقبل حاله، ولكن ممّا

(١) النمازي، علي، مستدركات علم رجال الحديث: ج٤، ص١٩٩.
(٢) أُنظر: الأمين، محسن، أعيان الشيعة: ج٧، ص٣٣١.
(٣) أُنظر: الزيدي، هاشم، أصحاب الرسول أنصار ابن البتول: ص٢٠٩.
(٤) ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، الإصابة: ج٣، ص٣٠٥.

لا ريب فيه أنّ وفاته صلى الله عليه وآله قد وقعت في أوجّ عظمته صلى الله عليه وآله، وبعد أن أذعنت له العرب، وارتعدت منه فرائص الروم والفرس، وكان حدث وفاته صلى الله عليه وآله بمحضر عشرات الآلاف ـ إن لم نقل: مئات الآلاف ـ من المهاجرين والأنصار، فكيف يمكننا فهم ضياع تاريخ وفاته صلى الله عليه وآله إلى حد أنّ كل فرقة من المسلمين اليوم لها تاريخ لذلك، مغاير لما عليه الفرق الأُخرى؟!

ولا يمكننا تفسير ذلك إلّا بالإشارة إلى أنّ يدَ التخريب والتحريف قد فعلت فعلتها، وامتدّت لتصل إلى تاريخ وفاة النبي صلى الله عليه وآله لتحرّفه (لأمرٍ دبّر بليل).

على أنّ الأُمّة الإسلامية كان بإمكانها الوقوف على التاريخ الدقيق لوفاته صلى الله عليه وآله، بل حتى ولادته، فيما لو رجعت لأهل البيت عليهم السلام وسألتهم؛ فأهل البيت أدرى بالذي فيه، خصوصاً مع ملاحظة أنّ عصر الأئمّة الاثني عشر عليهم السلام قد امتدّ إلى ما يقرب من (٢٥٠) سنة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله.

وعلى أيّة حال، فإذا كان التاريخ قد تردّد وتأرجح في تحديد ولادة ووفاة النبي صلى الله عليه وآله، فلا عجب في أن يُغفل أو يُجهل أو يتجاهل تاريخ ولادة أولاده وذراريه وعترته، أمثال مسلم بن عقيل عليه السلام.

فإذا انسدّ أمامنا الطريق لتحصيل التاريخ الدقيق لمثل هكذا حوادث، فلا يبقى أمامنا إلّا جمع القرائن، ومحاولة تحديد تاريخ تقريبي لذلك، وهو ما سعى له عدد من المحقّقين والباحثين كما سوف نقرأ.

أقوال المحقّقين في المسألة:

الشهيد الصدر الثاني قدس سره

فقد ذكر قدس سره أنّ من المرجّحات التي دعت الإمام الحسين عليه السلام للإعراض عن بعض بني هاشم واختيار مسلم، هو عمره المناسب عليه السلام لهذه المهمّة، قال: «كان

هنـاك جماعة لا يناسـبهم العمـر اجتماعياً للقيام بهـذه المهمّة، مهما كانـوا علماء وحكماء؛ لأنّهم كانوا شـبّاناً صغاراً: كالقاسـم بن الحسن، والإمام السـجاد عليه السلام، وكذلك علي بن الحسـين الأكـبر...»[1]. وقد جاء في هامش النص المذكـور: «كان عمر علي الأكبر على ما هو مشـهور بين المؤرّخين وأرباب المقاتل والنسـب نحو (٢٧) سنة، كما عن الطريحي في المنتخب، وعمر السـجاد يوم الطفّ (٢٣) سـنة كما في الإيقـاد للعظيمي، وكان عمر القاسم يوم الطفّ لا يتجاوز الحلم كما في مقتل الخوارزمي»[2].

فالسيد الشهيد هنا يرجّح أنّ عمر مسلم عليه السلام كبير نسبياً، وإن لم يكن بصدد تحديد عمره عليه السلام على وجه الدقّة، ولم يذكر له تقديراً تقريبياً.

المحقّق السيّد عبد الرزاق الموسوي المقرّم

ذهب السـيّد المقرّم إلى أنّ مسـلماً عليه السلام جاوز الخمسين يوم شهادته؛ إذ نقل عن ابن شهر آشوب قوله: «جعل أمير المؤمنين عليه السلام على ميمنته في صفّين الحسن والحسين، وعبد الله بـن جعفر، ومسـلم بـن عقيل، وعـلى الميسرة محمد بـن الحنفيّة، ومحمد بـن أبي بكر، وهاشم بن عتبة المرقال»[3].

ثـمّ علّق عـلى ذلك بقولـه: «ومن المعلـوم أنّ مَن يجعلـه أمير المؤمنـين عليه السلام في صفّ أولاد عميّـه البالغـين نحواً من خمس وثلاثين سـنة لا بدّ وأن يقاربهم في السـن، كما قرن بـين ابـن الحنفيّة ومحمد بـن أبي بكر، وهما متقاربان في السـن، فإنّ محمد بـن الحنفية وُلد سـنة (١٦ هـ)، وله يوم صفّين إحدى وعشـرون سنة، ومحمد بن أبي بكر وُلد عام حجّة الوداع بذي الحليفة أو بالشجرة، حين توجّه رسول الله صلى الله عليه وآله للحج، وقُتل سنة (٣٨ هـ)، وله يوم صفّين(٢٧) سـنة؛ وحينئذٍ[4] لا أقل أن يُقدّر عمر مسـلم بن عقيل بالثلاثين أو

(١) الصدر، محمد محمد صادق، أضواء على ثورة الحسين: ص٢٠٠.
(٢) المصدر السابق: الهامش. الظاهر أنّ الهامش المذكور للمحقق الشيخ كاظم العبادي.
(٣) المقرّم، عبد الرزاق، الشهيد مسلم بن عقيل: ص٦٤.
(٤) يعني يوم صفّين.

الثمان وعشرين سنة؛ وتكون ولادته إمّا سنة سبع أو تسع [للهجرة]، وله يوم شهادته أكثر من خمسين سنة...»[1].

وللتوضيح نقول: كانت وقعة صفّين سنة (٣٧هـ)، فإذا كان عمر مسلم يومها (٣٠) سنة، والفاصل بين صفّين وكربلاء (٢٣) سنة؛ إذن يصبح مجموع عمره عليه السلام (٥٣) سنة تقريباً، فإذا كانت وفاة النبي صلى الله عليه وآله قبل يوم كربلاء بخمسين عاماً، كانت ولادة مسلم قبل وفاة النبي بثلاث سنوات، أعني حوالي (٨هـ) تقريباً، أي: في فتح مكّة.

وذهب السيّد المقرّم إلى أبعد من ذلك، فقال: «**وإذا أخذنا بنصّ الواقدي كانت المسافة أبعد؛ قال: لمّا دخل المسلمون مدينة (البهنسا)**[2] **بعد حصار طويل دخل مسلم ابن عقيل في جملة الهاشميين وهو يقول:**

ضناني الحرب والسهر الطويل ... وأقلقني التسهّد والعويل

فوا ثارات جعفر مع عليٍّ ... وما أبدى جوابك يا عقيل

سأقتل بالمهنّد كلّ كلب ... عسى في الحرب أن يشفى الغليل

وكان فتح البهنسا في أيام عمر بن الخطاب[3]**. فإنّ مَن يخرج في صفّ المجاهدين أيام ابن الخطاب لا بدّ وأن يبلغ ـ على الأقل ـ عشرين سنة؛ وحينئذٍ تكون ولادته في أوائل الهجرة»**[4].

---

(١) المصدر السابق: ص٦٥.

(٢) قال الحموي: «البهنسا: بالفتح ثمّ السكون وسين مهملة مقصورة: مدينة بمصر من الصعيد الأدنى غربي النيل، وتُضاف إليها كورة كبيرة، وليست على ضفاف النيل، وهي عامرة كبيرة كثيرة الدخل، وبظاهرها مشهد يُزار، يزعمون أنّ المسيح وأُمّه أقاما به سبع سنين، وبها برابي عجيبة [مفردها برباة: أي: المعبد، أو بيت الحكمة]، يُنسب إليها جماعة من أهل العلم..». أُنظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان: ج١، ص٥١٦.

(٣) أُنظر: الواقدي، محمد بن عمر، فتوح الشام: ج٢، ص٣٠٤. أقول: ولا يفوتنك أنّ هذا الشعر قاله مسلم عليه السلام في عهد عمر، أي: في حياة الإمام علي عليه السلام، فليس مراده بثارات (جعفر مع علي) أعمامه، بل المقصود أخواه، رآهما جريحين، فقال هذه الأبيات، وكأنّه يريد أن يقول: بماذا سوف أعتذر لأبي عقيل لو سألني عنكما؟!

(٤) أُنظر: المقرّم، عبد الرزاق، الشهيد مسلم بن عقيل: ص٦٥.

الشيخ محمد صادق الكرباسي

رجّح الشيخ الكرباسي أن تكون ولادة مسلم بن عقيل عليه السلام في السنة الثانية من الهجرة ـ أي: قبل ولادة الحسين عليه السلام بعامين تقريباً ـ بناءً على اشتراكه في حروب البهنسا وصفّين، وأنّ أقرانه في صفّين كانوا من هذا القبيل[1].

الأُستاذ محمد علي عابدين

ذكر أربع قرائن تدلّ على أنّ مولد مسلم بن عقيل عليه السلام كان في عهد النبي صلى الله عليه وآله، وهو لا يبتعد كثيراً عن السيّد المقرّم، والقرائن التي ذكرها كالآتي:

«أوّلاً: اشترك في أيام خلافة عمر بن الخطاب في الفتوحات الإسلامية، كفتح (البهنسا) بنصّ الواقدي.

ثانياً: اشترك في صفّين، وهو بمستوى القادة الآخرين ضمن جيش الإمام علي عليه السلام، نصّ على ذلك ابن شهر آشوب.

ثالثاً: اختاره الإمام الحسين ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله ليمثّله شخصيّاً بشتى الشؤون في الكوفة أحد أهم الأمصار الإسلامية وأكثرها تعقيداً، فالإمام اختاره؛ لكبره ولما في وعيه وعلمه وتصرفاته من الكفاءة.

رابعاً: اشتراك بعض أولاد مسلم في ساحة القتال بكربلاء يصوّر لنا سنّه الكبير[2]... هذه الدعائم الأربع التي تعكس صورة رجل رسالي مسلّح ناهز الخمسين عاماً حين دخوله الكوفة، إنّ حضوره في فرسان (البهنسا) في زمن عمر بن الخطاب لا يسوّغ لنا غير اعتماد رأي مولده الأغرّ في حياة سيّد المرسلين صلى الله عليه وآله، أو في أواخر حياته.. ونعتقد

---

(١) أُنظر: الكرباسي، محمد صادق محمد، دائرة المعارف الحسينية، معجم أنصار الحسين، الهاشميون: ج٣، ص٢٣٤.

(٢) ذكر الإصفهاني اثنين من أبناء مسلم بن عقيل استُشهدا مع الإمام الحسين عليه السلام، وهما: محمد بن مسلم ابن عقيل وأُمّه أُمّ ولد، وعبد الله بن مسلم بن عقيل وأُمّه رقيّة بنت علي بن أبي طالب عليه السلام. أُنظر: أبو الفرج الإصفهاني، علي بن الحسين، مقاتل الطالبيين: ص٩٧ ـ ٩٨.

بنحو راسخ أنّ الفارق الزمني بين عمر الإمام الحسين عليه السلام وعمر ابن عمّه مسلم لا يتجاوز البضع سنين، الأمر الذي يفسّر نوعية تعلّق أحدهما بالآخر؛ لما بينهما من المحبّة الرحمية، والصداقة القديمة الحميمة، حتّى أنّ الحسين عليه السلام كان يعتمد عليه اعتماداً رسالياً تامّاً، كرجل جليل القدر سديد الرأي»[1].

ويمكن إضافة قرينتين إلى هذه القرائن تؤيّد كونه قد وُلِد في عهد النبي صلى الله عليه وآله:

الأُولى: أنّ عقيل بن أبي طالب عليه السلام أكبر من أمير المؤمنين عليه السلام بعشرين سنة[2]، وهذا يقتضي ـ في الحالات الطبيعية ـ أن يكون بعض أبناء عقيل أكبر سنّاً من أبناء أمير المؤمنين عليه السلام، فإذا كان الحسن والحسين عليهما السلام قد عاصرا النبيّ صلى الله عليه وآله، ويُعدّان من الصحابة؛ فإنّه من المحتمل جدّاً أن يكون بعض أبناء عقيل قد عاصروا النبي صلى الله عليه وآله، وبالتالي فليكن مسلم أحد المعاصرين له صلى الله عليه وآله.

الثانية: روى الصدوق في أماليه عن ابن عباس، قال: قال علي لرسول الله صلى الله عليه وآله: **«يا رسول الله، إنّك لتحبُّ عقيلاً؟ قال صلى الله عليه وآله: إي والله، إنّي لأُحبّه حبّين: حبّاً له، وحبّاً لأبي طالب له، وإنّ وَلَدَه لمقتول في محبّة وَلَدك، فتدمع عليه عيون المؤمنين، وتصلّي عليه الملائكة المقربون. ثمّ بكى رسول الله صلى الله عليه وآله حتّى جرت دموعه على صدره، ثمّ قال: إلى الله أشكو ما تلقى عترتي من بعدي»**[3].

ويمكن أن نستفيد من هذه الرواية نقاطاً عدّة في غاية الأهمية:

الأُولى: أنّ هذا الحديث قد روي بطرق أُخرى وبألفاظ قريبة في مصادر جمهور المسلمين، ولفظه: «**يا أبا يزيد، إنّي أُحبّك حبّين: حبّاً لقرابتك منّي، وحبّاً لما كنت أعلم من حُبّ عمّي إيّاك**»[4]، كما تقدّم.

---

(١) عابدين، محمد علي، مبعوث الحسين: ص٤٧ـ٤٨.

(٢) أُنظر: الخوئي، أبو القاسم، معجم رجال الحديث: ج١٢، ص١٧٥.

(٣) الصدوق، محمد بن علي، الأمالي: ص١٩١.

(٤) الحاكم النيسابوري، محمد بن عبد الله، المستدرك على الصحيحين: ج٣، ص٥٧٦. الهيثمي، علي بن أبي بكر، مجمع الزوائد: ج٩، ص٢٧٣.

أخرجه الطبري في (ذخائر العقبى)، والحاكم في (المستدرك)، والهيثمي في (مجمع الزوائد)، والطبراني في (المعجم الكبير)، وابن عبد البر في (الاستيعاب)، وابن أبي الحديد المعتزلي في (شرح النهج)، والمتقي الهندي في (كنز العمال)، وابن سعد في (الطبقات)، وابن عساكر في (تاريخ مدينة دمشق)، وابن الأثير في (أُسد الغابة)، والذهبي في (سير أعلام النبلاء)، والصفدي في (الوافي بالوفيات)، وابن الصباغ في (الفصول المهمّة)، والحلبي في (السيرة الحلبية)، والقندوزي في (ينابيع المودّة).

الثانية: يمكننا أن ندّعي أنّ النبي صلى الله عليه وآله إنّما يتحدّث عن شخص موجود ومولود فعلاً في زمن الحديث عندما قال: وإنّ وَلده لمقتول... لسبب وجيه جدّاً، وهو أنّ عقيلاً عليه السلام له عدّة أولاد استُشهدوا في كربلاء مع الإمام الحسين عليه السلام، فلماذا انصرف الحديث إلى مسلم دون غيره.

زيادة في البيان نذكر هنا أبناء عقيل، ثمّ نعرّج على المقتولين منهم خاصّة:

قال ابن سعد في الطبقات: «**وكان لعقيل بن أبي طالب من الولد: يزيد وبه يُكنى، وسعيد، وأُمّهما أُمّ سعيد بنت عمر بن يزيد بن مدلج، من بني عامر بن صعصعة، وجعفر الأكبر، وأبو سعيد الأحول ـ وهو اسمه ـ وأُمّهما أُمّ البنين بنت الثغر... ومسلم بن عقيل ـ وهو الذي بعثه الحسين ـ وعبد الله بن عقيل، وعبد الرحمن، وعبد الله الأصغر، وأُمّهم خليلة أُم وَلد، وعلي لا بقيّة له، وأُمّه أُمّ وَلد، وجعفر الأصغر، وحمزة، وعثمان، لأُمهات أولاد، ومحمد، ورملة، وأُمّهما أُمّ وَلد، وأُمّ هانئ، وأسماء، وفاطمة، وأُمّ القاسم، وزينب، وأُمّ النعمان لأُمهات أولاد شتّى**»[1].

الشهداء من أبناء عقيل:

أمّا الذين استُشهدوا من أبناء عقيل في نهضة الإمام الحسين عليه السلام فهم:

١ ـ مسلم بن عقيل عليه السلام.

٢ ـ جعفر الأكبر بن عقيل.

---

(١) ابن سعد، محمد، الطبقات الكبرى: ج٤، ص٤٢.

٣ ـ عبد الرحمن بن عقيل.

٤ ـ محمد بن عقيل.

٥ ـ علي الأكبر بن عقيل.

٦ ـ عبد الله الأكبر بن عقيل.

٧ ـ عبد الله الأصغر بن عقيل.

٨ ـ عون بن عقيل.

٩ ـ محمد بن عقيل.

فهؤلاء الشهداء من أبناء عقيل، فضلاً عن أحفاده، ولسنا هنا بحاجة إلى ذكرهم، وإليهم أشار الشاعر:

يا عين ابكي بعبرة وعويل ... واندبي إن ندبت آل الرسولِ

تسعة منهم لصلب عليٍّ ... قد أُبيدوا وتسعة لعقيلِ(٢)

الثالثة: من الغريب حقّاً أنّ معاجم الرجال لم تذكر أيّ واحد من أبناء عقيل بصفة الصحبة لرسول الله صلى الله عليه وآله! فكيف يكون جعفر الطيار عليه السلام ـ الذي هو أصغر من عقيل بعشر سنوات ـ له أولاد يعدّون من الصحابة، ومنهم: عبد الله بن جعفر، ولا يكون لعقيل مثل هؤلاء الأولاد؟! بل كيف يكون لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ـ الذي هو أصغر من عقيل بعشرين سنة ـ وَلَدَان من الصحابة، وهما الحسن والحسين عليهما السلام، وعقيل ليس له وَلد في عداد الصحابة؟!

اللهمّ إلّا أن يقال: إنّ عقيلاً لم يتزوج في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله، أو أنّه متزوج وكان يلد البنات دون الأولاد، أو أنّه متزوج ولكنه لم يعقب في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله، وهذه المحتملات كلّها بعيدة غاية البعد، ومن ثمّ فإنّنا نستطيع أن نقول وبضرس قاطع: إنّ أبناء عقيل أُهملوا من هذه الناحية.

---

(١) أُنظر: أبو الفرج الإصفهاني، علي بن الحسين، مقاتل الطالبيين: ص٩٦، وما بعدها. القرشي، باقر شريف، حياة الشهيد الخالد مسلم بن عقيل: ص٥٦.

وعلى أية حال، فإنّ هذه القرائن التي أصبح مجموعها ستّة تنتهي إلى أنّ مسلماً قد وُلـد في عهد النبـي المصطفى صلى الله عليه وآله؛ فهو لذلك ممّن نال شرف الصحبة، ولو في أوليات حياته، شأنه في ذلك شأن الحسن والحسين عليهما السلام.

وبهـذه النتيجة يُضمّ اسـمه إلى شـهداء النهضة الحسـينية من القسـم الأوّل، أي: الذين استُشهدوا قبل الواقعة.

وبهذا نصل إلى نهاية المطاف... والحمد لله على لطائف برّه، وله الشكر على تواتر نعمه.

فقه التربة الحسينية

(القسم السادس)

بيع وشراء التربة الحسينية، والتحنيك بها وإهداؤها

الشيخ أحمد موسى العلي*

مقدّمة

تعددت أبعاد الفقه الإسلامي حتى شملت كل ما يتعلق بالإنسان، سواء أكان الجانب العبادي منه، أم الجانب المعاملاتي، ومن أمثلة الجانب الثاني: صحة البيع والشراء.

ولا شك في مشروعية البيع وجوازه تكليفاً ووضعاً؛ لدلالة الكتاب والسنّة، وحكم العقل، وقيام الإجماع على ذلك.

فمن القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾[1]؛ فإنّها صريحة في مشروعية البيع.

وأمّا من السنّة الشريفة، فقد وردت المئات من الروايات عن المعصومين عليهم السلام في بيان أحكام البيع والتجارة، وطلب الرزق، وبيان آدابه؛ وهذه بنفسها دليل على مشروعية البيع، مضافاً إلى ضم عمل المعصومين عليهم السلام، ومباشرتهم ذلك بأنفسهم، مع تقريرهم للسيرة التي عليها أصحابهم.

---

* باحث إسلامي، أُستاذ في جامعة المصطفى صلى الله عليه وآله العالمية، من العراق.

(١) البقرة: آية ٢٧٥.

وأمّا الإجماع، فهو قائم بين المسلمين على جواز البيع والشراء إجمالاً.

وليس للبيع حقيقة شرعية ولا متشرعية، بل هو باقٍ على معناه اللّغوي والعرفي[1]، وللشارع المقدّس أن يتدخل في النهي عن بعض البيوع، أو اشتراط بعض الشروط في الشيء المباع، أو فيمَن يتولّى عقد البيع، وهكذا[2].

وممّا ورد النهي عن بيعه هو بيع الأعيان النجسة، وبيع ما لا منفعة فيه، وبيع الثمرة قبل ظهورها.

وممّا ورد فيه النهي أيضاً بيع التربة الحسينية المشرّفة. فهذه المسألة المهمّة، ومسائل أُخرى تخص تلك التربة المباركة، من قبيل: مسألة تحنيك المولود،أي: وضع شيء من التربة المباركة في حلقه بعد ولادته، ومسألة اصطحاب التربة من كربلاء وإهدائها للمؤمنين، كل ذلك سنتناوله بالبحث في محاور ثلاثة:

المحور الأوّل: بيع وشراء التربة الحسينية.

المحور الثاني: تحنيك المولود بالتربة الحسينية.

المحور الثالث: اصطحاب التربة الحسينية وإهداؤها.

وفيما يأتي تفصيل تلك المحاور:

المحور الأوّل: بيع وشراء التربة الحسينية

لتسليط الضوء على هذا المحور لا بدّ من ذكر نقاط:

النقطة الأُولى: كلمات الفقهاء في المسألة

رغم قلّة التصريح بهذه المسألة في كلمات الفقهاء، إلّا أنّه بعد متابعة مُضنية أمكن الحصول على بعضٍ منها، وهي:

---

(١) نعم، هناك اختلاف بين الفقهاء في تعريف البيع عند إرادة تحديد معناه وحقيقته.

(٢) أُنظر: مؤسسة دائرة المعارف الإسلامية، موسوعة الفقه الإسلامي: ج٢٢، ص١١ـ١٧. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الموسوعة الفقهية الكويتية: ج٩، ص٧ـ٨.

١ـ ما قاله الشهيد الأوّل رحمه الله في (الدروس الشرعية): «ويجوز لـمَن حازها [أي: تربة الحسين عليه السلام] بيعها كيلاً ووزناً، ومشاهدة، سواء كانت تربة مجرّدة أو مشتملة على هيئات الانتفاع»[1].

٢ـ ما قاله السيد الطباطبائي رحمه الله في (المناهل): «الثاني: صرّح في الدروس بأنّه يجوز لـمَن حاز التربة بيعها كيلاً ووزناً ومشاهدة، سواء كانت تربة مجردة أو مشتملة على هيئات الانتفاع. وما ذكره جيّد للأصل والعمومات الدالة على صحة البيع، من نحو قوله تعالى: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ﴾، وقوله تعالى: ﴿أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ﴾، وقولهم عليهم السلام في عدّة أخبار معتبرة: المؤمنون عند شروطهم. وقوله صلى الله عليه وآله: الناس مسلَّطون على أموالهم. ولكن الأوْلى ترك البيع لمرفوعة يعقوب بن يزيد، عن الصادق عليه السلام، قال: مَن باع طين قبر الحسين عليه السلام فإنّه يبيع لحم الحسين عليه السلام ويشتريه»[2].

٣ـ ما قاله الشيخ الأنصاري ـ وهو في معرض ذكر أحكام الأرض المفتوحة عنوةً ـ: «ويحتمل كون ذلك [أي: المأخوذ من الأرض] بحكم المباحات؛ لعموم: مَن سبق إلى ما لم يسبقه إليه مسلم فهو أحقّ به. ويؤيده ـ بل يدلّ عليه ـ استمرار السيرة خلفاً عن سلف على بيع الأُمور المعمولة من تربة أرض العراق من الآجر والكوز والأواني، وما عُمل من التربة الحسينية، ويقوى هذا الاحتمال بعد انفصال هذه الأجزاء من الأرض»[3].

٤ـ ما قاله الشيخ حسين آل عصفور ـ وهو في معرض الكلام عن الربا ـ: «ويجري الربا في الطين الأرمني، وأمّا الخراساني المأكول، فبيعه للأكل حرام، باعه بخيسه أو غيره، متماثلاً أو متفاضلاً، ولغير الأكل جائز، فإن قضت العادة بكيله أو وزنه كان ربوياً، وإلّا فلا، وأطلق الشيخ وابن البراج تحريم بيع الطين المأكول، وجاء في التربة الحسينية ـ على مشرّفها السلام ـ ما يدل على المنع من شرائها، كما في مرسل يعقوب بن يزيد

(١) العاملي، محمد بن مكي، الدروس الشرعية: ج٢، ص٢٦.
(٢) الطباطبائي، محمد بن علي، المناهل: ص٦٧٣.
(٣) الأنصاري، مرتضى، المكاسب المحرّمة، ج٤، ص٢٨.

المروي في الكامل عن الصادق عليه السلام، وهو يشمل ما كان للأكل وما كان لغيره، سواء أبقي على أصله أو عُمِل سبحاً وألواحاً، مع أنّه قد نقل في الدروس الإجماع من الإمامية على جواز بيعها بعد حيازتها، كيلاً ووزناً ومشاهدة، ولعلّ الخبر محمول على الكراهة لقصور سنده، والاحتياط ممّا لا يخفى»[1].

٥ـ ما ذكره السيد المروّج في شرح وبيان كلام الأنصاري المتقدّم ـ أي: قوله رحمه الله: استمرار السيرة خلفاً عن سلف... ويقوى هذا الاحتمال بعد انفصال هذه الأجزاء من الأرض ـ: «**يعني: ويؤيّد احتمال كون الأجزاء المنفصلة عن الأرض بحكم المباحات بعد بقائها بعد انفصالها على جزئيتها من الأرض**»[2].

٦ـ قال الخوانساري ـ وهو في معرض الكلام عن الأراضي التي كانت مواتاً حال الفتح ـ ومنها أرض العراق ـ ثمّ احتُمل تملكها بالإحياء: «**وعلى هذا؛ فلا مانع من شراء كل ما احتُمل كونه مواتاً حال الفتح، فإن يد مَن عليها أمارة على كونها ملكاً له، ولا يبعد أن يكون منشأ سيرة الخَلف عن السلف على بيع ما يُصنع من تراب أرض العراق من الآجر والكوز والأواني، والتربة الحسينية ـ على مشرفها آلاف التحية ـ عدم إحراز كون هذه الأراضي معمورة حال الفتح، ومجرد العلم الإجمالي بعمارة أغلب أراضي العراق لا أثر له بعد عدم كون جميعها محلاً للابتلاء. نعم، لو أُحرز عمارة أرض خاصة حال الفتح، ولم يُحتمل عروض الموت عليها، أو استُصحب بقاؤها على عمارتها إلى الآن، فيجري فيه الاحتمالات ـ بل الأقوال ـ الخمسة، وأوفقها بالقواعد: هو توقف التصرف في زمان الغيبة على إذن الفقيه، أو السلطان الجائر الذي حلَّ قبول الخراج والمقاسمة منه؛ بناءً على ما تقدّم في كتاب المكاسب: أنّه يستفاد من الأئمة عليهم السلام الإذن العام للتصرف فيما يأخذه الشيعة بإذن سلطان الجور**»[3].

---

(١) آل عصفور، حسين، سداد العباد: ص٥٥٨.

(٢) المروّج، جعفر، هدى الطالب: ج٦، ص٤٨٢.

(٣) الخوانساري، موسى بن محمد، مُنية الطالب: ج٢، ص٢٧٢.

٧ـ وقال الشيخ جعفر آل كاشف الغطاء الكبير رحمه الله ـ في معرض كلامه عن حكم ما استنبط من الوقف ـ: «**أنّ المستنبط من نفس الموقوف قد يُملك بالفصل، مع أنّه كان وقفاً حال الوصل، كالتراب المفصول من أراضي الأوقاف العامة عدا المساجد، فإنّه يعود ملكاً، ويُباع على حاله أو بعد صيرورته آجراً أو ظروفاً أو نحوها. فلا بأس ببيع التربة الحسينية مع الفصل، حيث نقول: إنّ أرض كربلاء وقف. ولا بملكية الظروف المصنوعة، والآجُر المتّخذ من أرض النجف، وإن صحّ أنّها وقفها الدهاقين. كما أنّه لا بأس بصنيع مثل ذلك من المشتركات، كالطرق النافذة، والأسواق، والمقابر، والأرض المفتوحة عنوةً، فإنّها إذا فصلت تغيّر حالها كتغيّر آلات الوقف إذا بطل الانتفاع بها**»[1].

٨ ـ وقال الكلباسي: «**وتُملك** [أي: التربة الحسينية] **بالحيازة؛ لفحوى ما ورد في الماء والنار والملح، ويجوز بيعها وصلحها كيلاً ووزناً وجزافاً، فيما لو يعلم وقفيتها...**»[2].

هذا ما أمكن تحصيله من كلمات الفقهاء، وهي كما ترى مطبقة على جواز بيع التربة المقدسة.

النقطة الثانية: ما يمكن الاستدلال به لحرمة بيع التربة الشريفة

الدليل الذي يمكن الاستناد إليه للقول بالحرمة منحصر فيما رواه جعفر بن محمد ابن قولويه في كتابه (كامل الزيارات) في الباب (٩٥) تحت عنوان: (إنّ الطين كله حرام إلّا طين قبر الحسين عليه السلام فإنّه شفاء)، قال: «**ووجدت في حديث الحسين بن مهران الفارسي، عن محمد بن أبي سيّار، عن يعقوب بن يزيد، يرفع الحديث إلى الصادق عليه السلام قال: مَن باع طين قبر الحسين عليه السلام، فإنّه يبيع لحم الحسين عليه السلام ويشتريه**»[3].

ورواه عنه أيضاً الحر العاملي في كتابه (وسائل الشيعة) في الباب (٩٥) تحت

(١) كاشف الغطاء، جعفر، كشف الغطاء عن مبهمات الشريعة الغرّاء: ج٤، ص٢٦٦.
(٢) الكلباسي، محمد بن إبراهيم، منهاج الهداية: ص٥٠٨.
(٣) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص٤٧٩.

عنوان: (باب عدم تحريم أكل طين قبر الحسين عليه السلام). نعم، حمله الحر العاملي على محامل غير الحرمة[1].

ورواه عنه أيضاً العلامة المجلسي في كتابه (بحار الأنوار)[2] في باب (تربته صلوات الله عليه وفضلها وآدابها وأحكامها).

ووجه الدلالة على الحرمة، هو أنّ الإمام الصادق عليه السلام جعل مَن يبيع طين القبر كمَن يبيع لحم الإمام الحسين عليه السلام، ومن المقطوع به أنّ بيع لحم أيّ مسلم من المحرمات فكيف بلحم المعصوم؟! فهو من أشنعها.

ولا بدّ أن يُعلم بأنّنا لم نجد من الفقهاء مَن صرّح بحرمة بيع التربة الحسينية.

النقطة الثالثة: مناقشة ما استُدل به للحرمة

إنّ الاستدلال المتقدّم برواية الإمام الصادق عليه السلام يواجه عدّة إشكالات، بعضها سندية، والبعض الآخر دلالية.

أولاً: الإشكالات السندية

١ـ إنّ الراوي الأخير ـ وهو يعقوب بن يزيد ـ يرفع الحديث إلى الإمام الصادق عليه السلام، فأسقط من سنده ما يوصله إلى الإمام عليه السلام؛ فيكون الحديث بهذا داخلاً في أقسام المرسَل، فيسقط حينئذٍ عن الحجيّة والاعتبار.

٢ـ إنّ قوله: «**ووجدت**» متردد بين كونه من كلام مصنِّف الكتاب، وكونه من كلام الراوي سماعة؛ لأنّ راوي الرواية السابقة ـ وهي الرواية الرابعة في الباب ـ هو سماعة بن مهران، وقوله: «**ووجدت**» يحتمل كونه عطفاً على الرواية السابقة، وكأنّها من تتمة كلام سماعة، لكن الظاهر هو الأوّل[3].

---

(١) الحر العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج٢٤، ص٢٢٨.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٩٨، ص١٣٠.

(٣) أُنظر: الكلباسي، محمد بن محمد، الرسائل الرجالية: ج١، ص١٨٥.

ثانياً: الإشكالات الدلالية

لقد حمل بعض الفقهاء هذه الرواية على محامل متعددة ـ على فرض صحة سندها ـ وعلى جميع التقادير لا يصلح أيّ حمل منها للاستدلال على الحرمة المطلقة، وحاصلها:

١ـ إنّ الرواية محمولة على حرمة بيع تراب نفس القبر، وأمّا ما عداه فلا دلالة للرواية على حرمة بيعه، فيبقى على أصل الحليّة؛ لأنّ الوارد فيها: «**مَن باع طين قبر الحسين**عليه السلام»؛ فيقتصر في الحرمة على تربة طين نفس القبر[١].

٢ـ حمل الرواية على كراهية بيع تربة الإمام الحسين عليه السلام، واستحباب بذل التربة بغير ثمن؛ لصراحة أدلة جواز بيع ما ينفصل من الأراضي المفتوحة عنوةً، والتي منها أرض العراق، بما فيها أرض كربلاء المقدّسة، على تفصيل وكلام في ذلك، يُنظر فيه الكتب المطولة[٢].

٣ـ يُحتمل أنّ النهي الوارد في الرواية يُراد به النهي عن بيع التراب غير المملوك، وأمّا التراب المملوك ولو كان من تربة الحسين عليه السلام فلا إشكال في جوازه[٣].

النقطة الرابعة: أدلة جواز بيع تربة قبر الحسين عليه السلام

إنّ أدلة جواز بيع التربة المقدّسة يمكن حصرها بثلاثة:

الدليل الأوّل: الأصل؛ فإنّه بعد مناقشة الدليل الدال على الحرمة ـ وهو رواية يعقوب بن يزيد المتقدّمة ـ لا يبقى أيُّ مبرر للحكم بحرمة بيع التربة المباركة، وتدخل تحت العمومات الدالة على الجواز.

الدليل الثاني: التمسك بالإجماع الذي يمكن أن يستفاد ممّا في (الدروس)[٤] الدال

(١) أُنظر: الحر العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج٢٤، ص٢٢٨ـ٢٢٩.

(٢) أُنظر: المصدر السابق. الأنصاري، مرتضى، المكاسب المحرّمة: ج٤، ص٢٨. الخوانساري، موسى بن محمد، مُنية الطالب: ج٢، ص٢٧٢.

(٣) أُنظر: الحر العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج٢٤، ص٢٢٨ـ٢٢٩.

(٤) أُنظر: العاملي، محمد بن مكي، الدروس الشرعية: ج٢، ص٢٦.

عـلى جـواز بيعها بعد حيازتها، كيلاً ووزناً ومشـاهدة. واسـتفادة الإجمـاع من عبارة الدروس هو الذي فهمه الشيخ آل عصفور منها[1]، إلّا أنّه بالرجوع إلى نصّ الشهيد الأوّل قد لا يتضح منه دعوى الإجماع؛ فإنّ الإجماع منعقد على جواز الاستشفاء بتربة الحسين عليه السلام دون غيرها من المسائل المتعلقة بتربة الحسين عليه السلام.

وعلى ظهور كلام الدروس في الإجماع يُحمل الخبر المتقدّم ـ خبر يعقوب بن يزيد ـ على الكراهة؛ لقصوره سـنداً، واسـتحباب الاحتياط؛ لكونه من الأُمور الحسـنة على كل حال.

الدليل الثالث: التمسـك بالسـيرة؛ فقد قامت سـيرة المتشرعة على جواز بيع ما في الأراضي المفتوحـة عنـوةً من الأباريق والجحلات والحبوب[2]، والسـبح الحسـينية، وغير ذلك ممّا يُعمل من ترابها على مشرّفها آلاف التحية والسلام[3].

الدليل الرابع: التمسـك بالأدلة العامة والمطلقة، وهذه الأدلة على نوعين: قرآنية، وروائية.

فمن الأوّل قوله تعالى: ﴿أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ﴾[4]، وقوله: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ﴾[5].

ومن الثاني ما ورد عن أهل البيت عليهم السلام في عدّة أخبار معتبرة كقولهم عليهم السلام: «**المؤمنون عند شروطهم**»[6]. وقولهم عليهم السلام: «**الناس مسلَّطون على أموالهم**»[7].

وذلك بتقريب: إنّ بيع تربة الإمام الحسين عليه السلام ـ بعد دفع ما استُدل به على الحرمة ـ ينطبق عليه أحد هذه الأدلة العامة أو المطلقة. وهذا يكفي لتصحيح بيعها.

---

(١) أُنظر: آل عصفور، حسين، سداد العباد: ص٥٥٨.

(٢) الجحلات: جمع جحلة، وهي السقاء الضخم. والحبوب: جمع حِب، وهو الجرة الضخمة. أُنظر: الجوهري، إسماعيل، الصحاح: ج٤، ص١٦٥٢. الفراهيدي، الخليل، العين: ج٣، ص٣٢.

(٣) أُنظر: العاملي، محمد جواد، مفتاح الكرامة: ج١٥، ص٢٥٧.

(٤) المائدة: آية١.

(٥) البقرة: آية٢٧٥.

(٦) الحر العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج٢١، ص٢٧٦. ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، فتح الباري: ج٤، ص٣٧١.

(٧) الإحسائي، ابن أبي جمهور، عوالي اللئالي: ج١، ص٢٢٢.

والخلاصة: إنّ صحة بيع التربة الحسينية إذا كانت مملوكة للشخص، أو أُخذت من الأماكن المباحة ـ وخصوصاً إذا فُصِلت عن الأرض ـ ممّا لا إشكال فيه؛ وذلك للأدلة المتقدّمة. وأمّا القول بحرمة البيع، فليس له مستند إلّا رواية ضعيفة السند، مع إمكان حملها على محامل أُخرى.

نعم، يستحب لمالك التربة التبرّع بها من دون أخذ الثمن عليها، وهو الموافق للاحتياط؛ لمرفوعة يعقوب بن يزيد المتقدّمة.

ولا فرق في جواز البيع بين كونه بالكيل أو الوزن أو المشاهدة، ولا فرق بين كونها مجرّدة أو مشتملة على هيئات الانتفاع[1].

المحور الثاني: تحنيك المولود بالتربة الحسينية

إنّ للشريعة المقدّسة اهتماماً خاصاً بالمولود، فقد شرّعت له عدّة سنن وآداب، بعضها مستحب، وبعضها واجب، وهي:

- غسل المولود.
- الأذان في أُذنه اليمنى والإقامة في اليسرى.
- أن يُعقّ عنه بشاة.
- حلق رأسه، والتصدق عنه بما يعادل وزن شعره من الذهب أو الفضة.
- تسميته بالأسماء الحسنة.
- ختانه.
- تحنيكه.

وغيرها من الأُمور المذكورة في الكتب الفقهية[2].

---

(١) أُنظر: العاملي، محمد بن مكي، الدروس الشرعية: ج٢، ص٢٦.

(٢) أُنظر: الفيض الكاشاني، محمد محسن، مفاتيح الشرائع: ج٢، ص٣٦٥ ـ ٣٩٨. الشوكاني، محمد بن علي، نيل الأوطار: ج٥، ص٢٣٠.

وقد وردت روايات كثيرة عن الخاصة والعامة تؤكّد استحباب هذه السنن، بل توجب البعض منها. وأحد هذه السنن هو التحنيك، وهو مورد الكلام في هذه المسألة.

ولكي نستوعب أطراف المسألة لا بدّ من استعراض عدّة أُمور:

الأمر الأوّل: تعريف التحنيك لغةً واصطلاحاً

التحنيك لغةً

قال ابن فارس: «**(حنك) الحاء والنون والكاف أصل واحد: وهو عضو من الأعضاء، ثمّ يُحمل عليه ما يقاربه من طريقة الاشتقاق. فأصل الحنك حنك الإنسان: أقصى فمه. يُقال: حنكت الصبي، إذا مضغت التمر، ثمّ دلكته بحنكه، فهو محنك، وحنكته فهو محنوك**»[1].

وقال الطريحي: «**والحنك: ما تحت الذقن من الإنسان وغيره، أو الأعلى داخل الفم، والأسفل في طرف مقدم اللحيين من أسفلها، والجمع أحناك**»[2].

فالتحنيك وإن تردد معناه لغةً بين دلك أعلى الحلق، أو أسفل الذقنين، إلّا أنّه يتضمّن دلك حنك الصبي بشيء من التمر ونحوه بعد أن يُليّن.

التحنيك اصطلاحاً

وأمّا المعنى الاصطلاحي الشرعي، فهو قريب من المعنى اللّغوي؛ إذ عرّفه أكثر الفقهاء بأنّه: «**إدخال شيء من التمر ونحوه إلى حنك المولود، وهو أعلى داخل الفم**»[3].

وقيل: «**يكفي الدلك بكلٍّ من الحنكين؛ للعموم، وإنّ كان المتبادر من ذلك الأعلى منهما**»[4].

(١) ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة: ج٢، ص١١١.
(٢) الطريحي، فخر الدين، مجمع البحرين: ج٥، ص٢٦٣.
(٣) الأنصاري، محمد علي، الموسوعة الفقهية الميسرة: ج٨، ص١٦٨.
(٤) الفاضل الهندي، محمد، كشف اللثام: ج٧، ص٥٢٦.

وقيل: «**أن يمضغ المُحَنِّك التمر أو نحوه، حتى يصير مائعاً بحيث يُبتلَع، ثمّ يفتح فم المولود ويضعها فيه ليدخل شيء منها جوفه**»[1].

وقيل: «**وسُنَّ أن يُحنَّك المولود بتمرة بأن تُمضغ ويُدلك بها داخل فمه، ويفتح فمه حتى ينزل إلى جوفه منها شيء**»[2].

الأمر الثاني: الحكم التكليفي للتحنيك وأدلته

إنّ تحنيك المولود من الأُمور المستحبة شرعاً، وهو مورد اتفاق بين الخاصة والعامة[3]، ولم يخالف فيه أحدٌ؛ لورود الأحاديث الكثيرة من الفريقين والدالة على استحبابه.

وممّن صرّح بالاتفاق النووي، حيث قال: «**اتفق العلماء على استحباب تحنيك المولود عند ولادته بتمر، فإن تعذّر فما في معناه، وقريب منه من الحلو، فيمضغ المحنِّك التمر حتى تصير مائعة بحيث تُبتلع، ثمّ يفتح فم المولود ويضعها فيه ليدخل شيء منها جوفه**»[4].

واستُدل له ـ بالإضافة إلى اتفاق علماء المسلمين ـ بالروايات المشار إليها، وهي عديدة:

منها: ما رواه الكليني، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام، قال: «**قال أمير المؤمنين عليه السلام: حنّكوا أولادكم بالتمر، فكذا فعل رسول الله صلى الله عليه وآله بالحسن والحسين**»[5].

---

(١) الشوكاني، محمد بن علي، نيل الأوطار: ج٥، ص٢٣٠.

(٢) البهوتي، منصور بن يونس، كشّاف القناع: ج٣، ص٣٠.

(٣) أُنظر: الأنصاري، محمد علي، الموسوعة الفقهية الميسرة: ج٨، ص١٦٨ وما بعدها. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الموسوعة الفقهية الكويتية: ج١٠، ص٢٧٦ وما بعدها.

(٤) النووي، يحيى بن شرف، شرح صحيح مسلم: ج١، ص١٢٢ ـ ١٢٣.

(٥) الحر العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج٢١، ص٤٠٧.

ومنها: ما عن علي بن إبراهيم القمي بإسناده عن أبي جعفر الباقر عليه السلام، قال: «**يُحنَّك المولود بماء الفرات، ويقام في أُذنه**»[1].

ومنها: ما عن الصدوق بسنده عن علي بن ميثم، عن أبيه، قال: «**سمعت أُمّي تقول: سمعت نجمة أُمّ الرضا عليه السلام تقول ـ في حديث ـ: لمّا وضعتُ ابني علياً، دخل إليّ أبوه موسى بن جعفر عليه السلام، فناولته إيّاه في خرقة بيضاء، فأذّن في أُذنه اليمنى، وأقام في اليسرى، ودعا بماء الفرات فحنّكه به**»[2].

ومنها: ما روي في صحيحي مسلم والبخاري من حديث أبي بردة، عن أبي موسى، قال: «**وُلِدَ لي غلام، فأتيت النبي صلى الله عليه وآله فسمّاه إبراهيم، وحنّكه بتمرة**»[3].

وهناك روايات أُخرى أوردها الفريقان في كتبهم المعتبرة، وهي جميعاً تدل على أصل استحباب تحنيك المولود، نعم قد تختلف في المصداق الذي يستحب تحنيك المولود به، وهو ما سيأتي الحديث عنه في الأمر الثالث[4].

الأمر الثالث: الأشياء التي يُستحب التحنيك بها

ذكر فقهاء الإمامية ـ طبقاً للروايات الواردة عن طريق أهل البيت عليهم السلام ـ أنّه يستحب التحنيك بأُمور، هي:

أ ـ تربة الإمام الحسين عليه السلام.

ب ـ ماء الفرات.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري: ج٦، ص٢١٥ ـ ٢١٦. النيسابوري، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم: ج٦، ص١٧٥.

(٤) أُنظر: النيسابوري، مسلم، صحيح مسلم: ج٦، ص١٧٤ ـ ١٧٧. الحر العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج٢١، ص٤٠٧ ـ ٤١٢.

ج ـ التمر.

د ـ العسل[1].

أمّا فقهاء العامة، فقد ذكروا استحباب التحنيك بأُمور:

أ ـ التمر.

ب ـ إن لم يتيسر التمر فبالرطب.

ج ـ إن لم يتيسر الرطب فبشيء حلو، وعسل النحل أَولى من غيره، ثمّ فيما لم تمسّه النّار[2].

وسيأتي ذكر بعض الروايات الدالة على ذلك.

ويقدّم عند الإمامية التحنيك بماء الفرات وبتربة الحسين عليه السلام، فإن لم يوجد ماء الفرات، فبماءٍ فرات، وإن لم يوجد إلّا ماء ملح، جُعل فيه شيء من التمر أو العسل، ويراد بـ(ماءٍ فرات) مطلق الماء العذب[3].

ولا بدّ أن يُعلم بأنّ القول باستحباب التحنيك بتربة الحسين عليه السلام من مختصات مذهب الإمامية طبقاً للروايات التي وردت عن أهل البيت عليهم السلام.

الأمر الرابع: القائلون باستحباب التحنيك بالتربة الحسينية

ذكر استحباب التحنيك بالتربة الحسينية كل مَنْ تطرّق إلى سنن المولود من فقهاء الإمامية، ولم يُنقل الخلاف عن أحدٍ منهم، سواء القدماء منهم أم المتأخرين، وقد أرسلوا الاستحباب إرسال المسلّمات، وكلماتهم في ذلك كثيرة جداً كما سيأتي.

نعم، الموجود في أكثر كلماتهم ـ تبعاً لنص الرواية ـ عطف التربة الحسينية على ماء

(١) أُنظر: الأنصاري، محمد علي، الموسوعة الفقهية الميسرة: ج٨، ص١٦٨ـ١٦٩.

(٢) أُنظر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الموسوعة الفقهية الكويتية: ج١٠، ص٢٧٧.

(٣) أُنظر: المحقق الحلي، جعفر بن الحسن، شرائع الإسلام: ج٢، ص٥٦٤. الأنصاري، محمد علي، الموسوعة الفقهية الميسرة: ج٨، ص١٦٨.

الفرات وبهذه الصيغة: «**ويُستحب أن يُحنّك بماء الفرات وتربة الحسين**عليه السلام».

ويحتمل فيه أمران:

الأوّل: أنّ أحد هذين الموردين ـ أي: ماء الفرات والتربة الحسينية ـ جزء موضوع الحكم بالاستحباب، فهما معاً مجتمعان مستحبٌ واحد، وهو ما استظهره بعض الفقهاء، ويمكن جعل الرواية شاهداً على هذا الحمل؛ إذ عطفت التربة الحسينية على ماء الفرات.

الثاني: أنّ تحنيك المولود بماء الفرات أمرٌ مستحب، والتحنيك بتربة الحسين عليه السلام مستحبٌ آخر، وهو المستفاد من بعض الروايات التي اقتصرت على ذكر أحدهما دون الآخر، فقد ورد استحباب تحنيك المولود بماء الفرات، ولم يذكر معه التربة الحسينية، وهو ما صرّح به المحقق الحلي رحمه الله[1].

ولعلّ سبب العطف في الرواية وكلمات الفقهاء؛ لأجل أنّ التربة الحسينية كي يمكن التحنيك بها تحتاج إلى مقدار من الماء تُحلُّ فيه ـ وتذاب فيه ـ ثمّ يقوم المُحنِّك بإدخال الخليط في فمِ المولود.

الأمر الخامس: كلمات القائلين بالاستحباب

وهذه مجموعة من كلمات الفقهاء الذين صرّحوا بالاستحباب، وهي:

١ـ قال ابن البرّاج: «**وينبغي أن يُستعمَل في تحنيكه مع الماء شيء من تربة الحسين**عليه السلام، **إن وُجِد ذلك**»[2].

٢ـ قال الشيخ الطوسي: «**فإن وُلِد المولود، يُستحب أن يُغسل... ويُحنَّك بماء الفرات إن وُجِد، فإن لم يوجَد، فبماء عذب، فإن لم يوجَد إلّا ماء ملح، مرس فيه شيء من التمر**

(١) أُنظر: المحقق الحلي، جعفر بن الحسن، شرائع الإسلام: ج٢، ص٥٦٤.
(٢) ابن البرّاج، عبد العزيز، المهذّب: ج٢، ص٢٥٩.

أو العسل، ثمّ يُحنَّك به، ويُستحب أن يُحنَّك بتربة الحسين عليه السلام»[1].

٣ـ قال المحقق الحلي: «وتحنيكه بماء الفرات، وبتربة الحسين عليه السلام، فإن لم يوجَد ماء الفرات فبماءٍ فرات، وإن لم يوجَد إلّا ماء ملح، جُعِل فيه شيء من التمر أو العسل»[2].

٤ ـ قال العلامة الحلي: «وتحنيكه [أي: المولود] بماء الفرات وبتربة الحسين عليه السلام، ولو فقد فبالعذب، ولو فُقِدَ خُلِط بالمالح العسل أو التمر»[3].

٥ـ قال الشهيد الأوّل: «وتحنيكه بتربة الحسين عليه السلام وماء الفرات، وأمّا ماء الفرات ولو بخلطه بالتمر أو العسل»[4].

٦ـ قال الهندي: «وتحنيكه [أي: المولود] بماء الفرات وتربة الحسين عليه السلام للأخبار، ويكفي الدلك بكل من الحنكين للعموم، وإن كان المتبادر [من] ذلك الأعلى؛ ولذا اقتصر عليه جماعة من العامة والخاصة»[5].

٧ ـ قال الكاشاني: «وتحنيكه بماء الفرات وتربة الحسين عليه السلام ـ أي: إدخالهما في حنكه، وهو أعلى داخل الفم ـ وبالتمر، بأن يُمضَغ ويُجعَل في فيه، موصلاً بالسبابة إلى حنكه حتى يتخلل في حلقه، وإن لم يوجد الفرات فبماء السماء»[6].

٨ ـ قال البحراني: «ومنها [أي: من سنن الولادة] تحنيكه بماء الفرات وتربة الحسين عليه السلام، قالوا: فإن لم يوجَد ماء الفرات فبماء قراح، ولو لم يوجَد إلّا ماء ملح جُعِل فيه شيء من التمر أو العسل»[7].

---

(١) الطوسي، محمد بن الحسن، النهاية: ص٥٠٠.
(٢) المحقق الحلي، جعفر بن الحسن، شرائع الإسلام: ج٢، ص٥٦٤.
(٣) العلامة الحلي، الحسن بن يوسف، تلخيص المرام: ص٢١٤.
(٤) العاملي، محمد بن مكي، اللمعة الدمشقية: ص١٧٥.
(٥) الفاضل الهندي، محمد بن الحسن، كشف اللثام: ج٧، ص٥٢٦.
(٦) الفيض الكاشاني، محمد محسن، مفاتيح الشرائع: ج٢، ص٣٦٥.
(٧) البحراني، يوسف، الحدائق الناضرة: ج٢٥، ص٣٧.

٩ ـ قال الجواهري: «والرابع: (تحنيكه بماء الفرات) الذي هو النهر المعروف، (وبتربة الحسين عليه السلام) للنصوص، (فإن لم يوجد ماء الفرات فبماء) السماء كما في النص، لكن المصنّف ـ بل قيل: ـ والأصحاب قالوا بماء (فرات)، أي: عذب، ولم يحضرني نصٌّ عليه، وما في كشف اللثام ـ أنّه يمكن فهمه من بعض نصوص ماء الفرات بناءً على احتمال إضافة العام إلى الخاص ـ لا يخفى عليك ما فيه، كما لم يحضرني نصٌّ على ما قالوه أيضاً: فـ(إن لم يوجد إلّا ماء ملح جُعِل فيه شيء من التمر أو العسل). نعم، قد ورد استحباب التحنيك بالتمر نفسه، بل وفي المحكي عن (فقه الرضا عليه السلام) العسل أيضاً، وإن كان لا بأس بخلط شيء من العسل والتمر بماء الفرات أو السماء وتحنيكه به، فإنّ فيه جمعاً بين الجميع»[1].

١٠ ـ قال الشيخ اللنكراني: «الثالث: تحنيكه بماء الفرات وتربة سيّد الشهداء عليه السلام، والظاهر أنّهما مستحب واحد، غاية الأمر أنّه إن لم يوجَد ماء الفرات ففي الشرائع (فبماء فرات)، أي: العذب، وإن لم يوجَد إلّا ماء ملح جُعل فيه شيء من التمر أو العسل. ولكن في الوسائل: وقال الكليني: وفي رواية أُخرى: حنّكوا أولادكم بماء الفرات وبتربة قبر الحسين عليه السلام، فإن لم يكن فبماء السماء.

والمستفاد من بعض الروايات أنّ التحنيك بماء الفرات أمرٌ، وبتربة قبر الحسين عليه السلام مستحب آخر؛ كما يدل عليه الاقتصار على أحدهما في بعض الروايات مثل مرسلة يونس[2]... هذا وفي بعض الروايات التحنيك بالتمرة[3]...»[4].

---

(١) الجواهري، محمد حسن، جواهر الكلام: ج٣١، ص٣٥٢ ـ ٣٥٣.

(٢) وهي قول الإمام الباقر عليه السلام: «يُحنَّك المولود بماء الفرات ويقام في أُذنه». أُنظر: الحر العاملي، محمد بن حسن، وسائل الشيعة: ج٢١، ص٤٠٧.

(٣) كما جاء في رواية أبي بصير، عن الصادق عليه السلام، قال: «قال أمير المؤمنين عليه السلام: حنّكوا أولادكم بالتمر، فكذا فعل رسول الله صلى الله عليه وآله بالحسن والحسين عليهما السلام». أُنظر: الحر العاملي، محمد بن حسن، وسائل الشيعة: ج٢١، ص٤٠٧.

(٤) اللنكراني، محمد فاضل، تفصيل الشريعة في شرح تحرير الوسيلة (كتاب النكاح): ص٥٢٥ ـ ٥٢٧.

١١ ـ قال الشيخ محمد أمين: «**ويُستحب تحنيكه بماء الفرات وتربة الحسين**عليه السلام، **فيُخلَط الماء بشيء من التربة ويُدخَل إلى حنكه، وهو أعلى داخل الفم**»[١].

١٢ ـ قال السيّد السيستاني: «**ويُستحب أيضاً تحنيكه بماء الفرات وتربة الحسين**عليه السلام»[٢].

الأمر السادس: ما يدل على استحباب تحنيك المولود بتربة الحسين عليه السلام

استُدل للقول باستحباب تحنيك المولود بتربة الحسين عليه السلام بالروايات الآتية:

١ـ ما رواه الكليني في (الكافي) من قوله عليه السلام: «**حنّكوا أولادكم بماء الفرات، وبتربة الحسين**عليه السلام، **فإن لم يكن فبماء السماء**»[٣].

ورواه الشيخ الطوسي في التهذيب مرسلاً[٤]. ورواه الطبرسي في (مكارم الأخلاق)، نقلاً عن كتاب (نوادر الحكمة) مرسلاً أيضاً[٥].

٢ـ ما رواه ابن قولويه في (كامل الزيارات) عن الحسين بن أبي العلاء قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «**حنّكوا أولادكم بتربة الحسين**عليه السلام **فإنها أمان**»[٦].

ورواه الطوسي في (التهذيب) عن ابن قولويه[٧]، وكذلك في (مصباح المتهجد)[٨] مرسلاً.

ورواه الراوندي في (الدعوات) أيضاً بنفس الألفاظ[٩].

---

(١) زين الدين، محمد أمين، كلمة التقوى: ج٧، ص١٤٤.
(٢) السيستاني، علي، منهاج الصالحين: ج٣، ص١١٧.
(٣) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٦، ص٢٤.
(٤) الطوسي، محمد بن الحسن، تهذيب الأحكام: ج٧، ص٤٣٦.
(٥) الطبرسي، أحمد، مكارم الأخلاق: ص٢٢٩.
(٦) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص٤٦٦.
(٧) الطوسي، محمد بن الحسن، تهذيب الأحكام: ج٦، ص٧٤.
(٨) الطوسي، محمد بن الحسن، مصباح المتهجد، ص٧٣٢.
(٩) الراوندي، سعيد بن هبة الدين، الدعوات: ص١٨٥.

ورواه الفتال النيسابوري مرسلاً في (روضة الواعظين)[1].

الأمر السابع: الأثر الوضعي للتحنيك بماء الفرات (فائدة التحنيك)

أشارت بعض الروايات إلى الأثر الوضعي للتحنيك بماء الفرات، فإنّ التحنيك به يورث حبّ آل محمدﷺ في قلب هذا المولود، ويكون من شيعتهم.

ومن تلك الروايات ما يلي:

١ـ عن ابن قولويه، بسنده عن سليمان بن هارون، أنّه سمع أبا عبد اللهعليه السلام يقول: «**مَن شرب من ماء الفرات، وحُنّك به، فهو محبُّنا أهل البيت**»[2].

٢ـ وعنه أيضاً بسنده عن سليمان بن هارون العجلي، قال: سمعت أبا عبد اللهعليه السلام يقول: «**ما أظنّ أحداً يُحنّك بماء الفرات إلّا أحبَّنا أهل البيت. وسألني: كم بينك وبين ماء الفرات؟ فأخبرته. فقال: لو كنتُ عنده لأحببت أن آتيه طرفي النهار**»[3].

٣ـ وعنه أيضاً بسنده عن الحسين بن عثمان، عن أبي عبد اللهعليه السلام، أنّه قال: «**ما أظنّ أحداً يُحنَّك بماء الفرات إلّا كان لنا شيعة...**»[4].

٤ـ وعنه أيضاً بسنده عن عقبة بن خالد، قال: ذكر أبو عبد اللهعليه السلام الفرات، قال: «**أَما أنّه من شيعة عليعليه السلام، وما حُنِّك به أحد إلّا أحبَّنا أهل البيت**»[5].

٥ـ وعنه أيضاً بسنده عن هارون بن خارجة، قال: قال أبو عبد اللهعليه السلام: «**ما أحد يشرب من الفرات، ويُحنك به إذا وُلِد ألّا أحبّنا؛ لأنّ الفرات نهرٌ مؤمن**»[6].

---

(١) الفتال النيسابوري، محمد بن الحسن، روضة الواعظين: ص٤١٢.
(٢) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص١٠٦.
(٣) المصدر السابق: ص١٠٧.
(٤) المصدر السابق: ص١١٠.
(٥) المصدر السابق: ص١١١.
(٦) المصدر السابق.

المحور الثالث: اصطحاب تربة الإمام الحسين عليه السلام من كربلاء وإهداؤها

إنّ الروايات الواردة في كتب الحديث، والمروية عن النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام، أكّدت استحباب إهداء الهدية إلى المسلم ولو نبقاً[1]، وقبول هديته[2]، بل إنّ كتب الفقه خصّصت لهذا الموضوع كتاباً كاملاً اسمته (كتاب الهبات)، وأشارت فيه إلى عدّة أحكام شرعية تخصّ الهبة.

وفائدة الهدية تتجلّى ـ على لسان الروايات ـ في عدّة أُمور: فهي من حيث الثواب أكثر من الصدقة، وتذهب بالضغائن وتورث بدلها الحبّ، وتذهب بالأحقاد، وتجدّر الأُخوة.

وقسّمت الروايات الهدية إلى عدّة أقسام: هدية مكافأة، وهدية مصانعة، وهدية لله تعالى[3].

فعن الصدوق بسنده إلى الإمام الصادق عليه السلام، أنّه قال: «**من تكرمة الرجل لأخيه المسلم أن يقبل تحفته، ويتحفه بما عنده، ولا يتكلّف له شيئاً**»[4].

وعنه أيضاً عن أمير المؤمنين عليه السلام، أنّه قال: «**لأن أُهدي لأخي المسلم هدية تنفعه، أحبّ إليّ من أن أتصدّق بمثلها**»[5].

وعن جابر، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام، قال: «**كان رسول الله صلى الله عليه وآله يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة، ويقول: تهادوا فإن الهدية تسلّ السّخائم وتجلي ضغائن العداوة والأحقاد**»[6].

وعن الحسين بن زيد عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «**قال رسول الله صلى الله عليه وآله: تهادوا بالنبق،**

---

(١) النبق: ثمر شجرة السدر.

(٢) الحر العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج١٧، ص٢٨٦.

(٣) أُنظر: آل عصفور، حسين، الأنوار اللوامع في شرح مفاتيح الشرائع: ج١٢، ص٢٣٨.

(٤) الحر العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج١٧، ص٢٨٦.

(٥) المصدر السابق.

(٦) المصدر السابق: ص٢٨٧.

تحيي المودّة والموالاة»[1].

وعـن الخصال، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام، قال: «**نِعمَ الشيء الهدية أمام الحاجة. وقال: تهادوا تحابوا، فإنّ الهدية تُذهب بالضغائن**»[2].

وهناك روايات أُخرى أعرضنا عن ذكرها مخافة الإطالة.

وعلى أسـاس ما تقدّم في مضمون الروايـات صرّح بعض الفقهاء: أنّ من الأُمور المسـتحبة أن يسـتصحب الزائر ـ لضريح الحسـين عليه السلام ـ معه التربة المباركة، ليشـمل البركة أهله وبلده.

نعـم، ذكر البعض منهم ذلك بعنوان الاسـتحباب، وذكره البعض الآخر بعنوان (ينبغي)، والظاهر اختلاف العنوانين لا أنهما عنوان واحد.

وإليـك أوّلاً مـا أمكن الحصول عليه من كلماتهم ـ رغـم قلّتها ـ ثمّ نذكر ما يمكن الاستدلال به على الاستحباب.

١ ـ قال ابن فهد الحلي في (المهذّب البارع): «**يُسـتحب للزائر أن يصحب معه منها** [أي: تربة الحسين عليه السلام]؛ **ليشمل البركة أهله وبلده**»[3].

ولعلّه أوّل مَن ذكر هذه المسألة.

٢ ـ قال الشـهيد الأوّل في دروسـه: «**وينبغي للزائر أن يسـتصحب منها ما أمكن؛ لتعمّ البركة أهله وبلده، فهي شفاء من كلّ داء، وأمان من كل خوف**»[4].

٣ ـ قال السـيّد محمد الطباطبائي: «**الثالـث: صرّح في الدروس بأنّه ينبغي للزائر أن يستصحب منها ما أمكن؛ ليعمّ البركة أهله وبلده، فهي شفاء من كلّ داء وخوف، وهو جيد**»[5].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق: ص٢٨٩.

(٣) ابن فهد الحلي، أحمد، المهذّب البارع: ج٤، ص٢٢١.

(٤) العاملي، محمد بن مكي، الدروس الشرعية: ج٢، ص٢٦.

(٥) الطباطبائي، محمد، المناهل: ص٦٧٣.

٤ ـ قال الكلباسي في (منهاج الهداية): «**ومنهم مَن عدّ من المستحب أن يصحب الزائر معه منها؛ ليشمل البركة أهله وبلده. ولا بأس به**»[١].

٥ ـ قال الحرّ العاملي بعد مناقشة الرواية الدالة على حرمة بيع تربة الحسين عليه السلام: «**هذا محمول على تراب نفس القبر، ويُحتمل الكراهة، واستحباب بذله بغير ثمن، ويُحتمل الحمل على ما ليس بمملوك**»[٢].

هذا مضافاً إلى أنّ كل مَن جوّز بيع التربة قال: إنّ الأفضل إهداؤها من دون مقابل. وقد تقدّم ذلك في المسألة السابقة.

أدلّة القول بالاستحباب

لا يخفى بأنّ كل مَن تعرّض لهذه المسألة لم يأتِ بدليل مباشرٍ عليها، وخصوصاً الأدلة المتعلّقة باستحباب إهدائها وحملها إلى أهله وبلده، إلّا أنّه يمكن التماس دليلين على هذا الاستحباب:

الأوّل: الروايات المتقدّم ذكرها الدالة على استحباب الهدية للمسلم، فهي مطلقة من جهة نوع المهدى، ولم تخصصه بشيء، فتشمل التربة الطاهرة، نعم، يخرج عن جواز الإهداء كل ما نهى عنه الشارع من الأُمور المحرّم اقتناؤها، أو أكلها، أو شربها.

الثاني: الروايات الكثيرة، بل المتواترة الدالة على تقديس التربة واحترامها، والدالة على استحباب السجود عليها، والدالة على كونها شفاءً لكل مَن استشفى بها، وأماناً لكل مَن حملها، فهذا وغيره يدل على استحباب أو أفضلية حملها من قبل الزائر لأهله وبلده، وقد تقدّم جميع ذلك.

ويؤكّد هذا أنّ الشهيد الأوّل، بعد أن صرّح بأنّه ينبغي للزائر حملها، قال: «**فهي شفاء من كلّ داء، وأمان من كلّ خوف**»[٣].

---

(١) الكلباسي، محمد بن إبراهيم، منهاج الهداية: ص٥٠٨.

(٢) الحر العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج٢٤، ص٢٢٨ ـ ٢٢٩.

(٣) العاملي، محمد بن مكي، الدروس الشرعية: ج٢، ص٢٦.

مسائل وردود حول التربة الحسينية

ختاماً لبحث (فقه التربة الحسينية) بأقسامه الستة، نستعرض جملة من المسائل الفقهية التي تقع محلاً للابتلاء، والتي يكثر السؤال عنها في الوقت الحاضر، ونستعين بإجابة المعاصرين من الفقهاء، أو مَن قارب هذا العصر، وهي:

١ـ سُئل السيّد الخوئي: على أيّ أساس يجوز أكل التربة الحسينية ـ أعني القليل منها ـ مع العلم أنّ الحرمة لأكل الرمل أو التراب مؤكّدة؟ ولماذا لم ترد الأحاديث بتربة الرسول صلى الله عليه وآله، أو أمير المؤمنين عليه السلام مثلاً؟

فأجاب: «**يختصّ الجواز في التربة الحسينية بما لا يتجاوز قدر الحمصة، ويكون الغرض هو الاستشفاء، وهذا الحكم تخصيص لحرمة أكل الطين، واستثناء منها، ويختص بتربة الحسين عليه السلام، دون سائر المعصومين، والله العالم بأسرار أحكامه**»[١].

٢ـ سُئل الشيخ التبريزي: التربة الحسينية ـ زادها الله عزّاً ـ كثيراً ما نرى مكتوب عليها لفظ الجلالة أو أسماء المعصومين عليهم السلام، فما رأيكم الشريف في السجود عليها، حيث سيكون لفظ الجلالة تحت الجبهة؟

فأجاب: «**لا يبعد الجواز، وإن كان الأحوط السجود على الجهة المخالفة**»[٢].

٣ـ سُئل الشيخ التبريزي أيضاً: هل التربة الحسينية التي لا يجوز تنجيسها هي هذه المتواجدة في الأسواق والمساجد؟[٣].

فأجاب: «**كل ما كان من تربة كربلاء، فلا يجوز تنجيسه**»[٤].

٤ـ سُئل السيّد السيستاني: إنّ التربة الحسينية، أو تربة سائر الأئمّة عليهم السلام، هل

(١) الخوئي، أبو القاسم، صراط النجاة: ج١، ص٣٩٤ ـ ٣٩٥. الخوئي، أبو القاسم. مُنية السائل: ص١٧٨.

(٢) التبريزي، جواد، صراط النجاة: ج٥، ص٣٢٥.

(٣) المصدر السابق: ج٦، ص٥٨.

(٤) المصدر السابق.

يلحقها حكم المشاهد المشرّفة من حرمة التنجيس، ووجوب إزالة النجاسة عنها؟

فأجاب: «**نعم، يلحقها حكمها، فيجب إزالة النجاسة عن تربة الرسول صلى الله عليه وآله وسائر الأئمّة عليهم السلام، المأخوذة من قبورهم بقصد التبرّك، وعن التربة الحسينية مطلقاً، ويحرم تنجيسها، ولا فرق في التربة الحسينية بين المأخوذة من القبر الشريف، أو من الخارج، إذا وضِعَت عليه بقصد التبرك والاستشفاء، وكذا السبحة والتربة المأخوذة بقصد التبرك لأجل الصلاة**»[1].

٥ـ سُئل السيّد السيستاني أيضاً: هل التربة التي بين أيدينا في هذه الأيام هي عينها التربة الحسينية، أي: هي من تراب قبر الحسين عليه السلام؟ وإذا لم تكن كذلك، فهل هي عبارة عن تربة طاهرة، كأيّ تراب يجوز السجود عليه بعد التأكد من طهارته؟

فأجاب: «**ليست هذه التربة تربة قبره ـ سلام الله عليه ـ ولا تربة الحائر الشريف، ولكنّها تربة طاهرة إذا لم تتنجس بسبب خارجي**»[2].

٦ـ سُئل السيّد السيستاني أيضاً: ما حكم أخذ الأُجرة على تصليح التربة الحسينية؟

فأجاب: «**يجوز أخذها**»[3].

٧ـ سُئل السيّد السيستاني أيضاً: ما هو مقدار الواجب السجود عليه من التربة الحسينية؟

فأجاب: «**بمقدار يحقق مسمّى السجدة، كرأس الأنملة**»[4].

٨ـ سُئل السيّد السيستاني أيضاً: ما حكم تسنيد التربة الحسينية تحت خد الميت؟

فأجاب: «**لا بأس بالتبرك به، فهم موضع الرجاء**»[5].

---

(١) السيستاني، علي، استفتاءات: ص١٣.

(٢) المصدر السابق: ص١١٨.

(٣) المصدر السابق: ص٢٩٣.

(٤) المصدر السابق.

(٥) المصدر السابق: ص٤٩٥.

٩ـ سُئل السيّد السيستاني أيضاً: ما حكم الأكفان المكتوب عليها دعاء الجوشن الكبير، وآية الكرسي، وسورة ياسين والمعوذتين، وأسماء الأئمّة، وذلك بالتربة الحسينية أو بماء الزعفران؟

فأجاب: «**لا إشكال فيها**»[١].

١٠ـ سُئل السيّد السيستاني أيضاً: هل يجوز أكل بعض أجزاء التربة الحسينية بقصد الاستشفاء، وإذا كان الجواب يجوز فما شروط ذلك؟

فأجاب: «**لا يجوز إلّا تراب القبر أو الحائر الشريف**»[٢].

١١ـ سُئل السيّد السيستاني أيضاً: ما المدى المسموح به في السجود على التربة الحسينية التي يوجد عليها:

أـ طبقة نتيجة العرق أو ما شابه.

ب ـ نقش يتضمن على سبيل المثال لفظ الجلالة؟

فأجاب: «**أـ يجوز السجود إلّا إذا تشكّلت طبقة حاجزة ممّا لا يصحّ السجود عليها.**

ب ـ لا مانع من السجود عليها»[٣].

١٢ـ قال السيّد الخامنئي في (منتخب الأحكام): «**يجب الحنوط بالكافور، ويُستحب خلطه بشيء من التربة الحسينية**»[٤].

١٣ـ قال السيّد كاظم اليزدي: «**السجود على الأرض أفضل من النبات والقرطاس، ولا يبعد كون التراب أفضل من الحجر، وأفضل من الجميع التربة الحسينية؛ فإنّها تخرق الحجب السبع وتستنير إلى الأرضين السبع**»[٥].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) السيستاني، علي، استفتاءات: ص٦١٩.

(٣) المصدر السابق: ص٦٨٠.

(٤) الخامنئي، علي، منتخب الأحكام: ص٦٣.

(٥) اليزدي، محمد كاظم، العروة الوثقى: ج٢، ص٣٩٧.

١٤ـ قال الشيخ الصافي، وهو بصدد بيان ما يحرم تنجيسه كالمساجد: «**ويُلحق بها المشاهد المشرّفة، والضرائح المقدّسة، وكل ما عُلم من الشرع وجوب تعظيمه على وجه ينافيه التنجيس كتربة الرسول**صلى الله عليه وآله**، وسائر الأئمّة**عليهم السلام**، خاصّة التربة الحسينية**»[١].

١٥ـ قال الشيخ الصافي أيضاً: «**يُعتبر في مسجد الجبهة مع الاختيار أن يكون أرضاً أو نباتاً، والأفضل التربة الحسينية التي تخرق الحجب السبع وتنوّر إلى الأرضين السبع**»[٢].

١٦ـ سُئل الشيخ التبريزي: شخص أثناء سجوده في المسجد لصق بعض من تربة الإمام الحسين عليه السلام في جبهته، والتفت بعد خروجه من المسجد، فهل يجب إرجاعه إلى المسجد؟

فأجاب: «**مفروض السؤال لا شيء عليه، والله أعلم**»[٣].

١٧ـ سُئل السيّد السيستاني: ما هي التربة المقصودة بتربة الحسين عليه السلام التي بها الشفاء؟

فأجاب: «**تربة القبر وحواليه إلى ما يقرب (٥ , ١١) متراً من كل جانب**»[٤].

١٨ـ سُئل الشيخ التبريزي: هل ثواب السجود على تربة سيد الشهداء مخصوص بالتربة المقدّسة، أم يشمل تربة كربلاء؟

فأجاب: «**كلما قرب من القبر الشريف يكون أفضل، والله أعلم**»[٥].

١٩ـ سُئل الشيخ التبريزي أيضاً: وجدنا استفتاءً للسيد الخوئي رحمه الله بعدم جواز السجود على التربة المكتوب عليها اسم الله تعالى، أو النبي صلى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السلام، أو آية

(١) الصافي، لطف الله، هداية العباد: ج١، ص٩٤.
(٢) المصدر السابق: ص١١٧.
(٣) التبريزي، جواد، صراط النجاة: ج٦، ص٥٩.
(٤) السيستاني، علي، استفتاءات: ص١١٥.
(٥) التبريزي، جواد، صراط النجاة: ج٦، ص٥٨.

قرآنية، فلا بدّ من السجود على الجهة التي لا كتابة عليها؟

فأجاب: «**إذا كان محل الكتابة بارزاً بحيث لا يتحقق المقدار المعتبر في مس الجبهة في السجود، فيجب السجود على الجهة الأُخرى، وإلّا فلا بأس، ومع الشك في الوصول وعدمه، فالأحوط السجود على الجهة الأُخرى، والله العالم**»[1].

٢٠ـ قال هاشم الآملي، وهو في صدد تعيين الموضوع لحكم تعظيم التربة الحسينية وإزالة النجاسة عنها: «**بأنّ مطلق التراب ولو كان على القبر الشريف، لا يكون حكمه ذلك، فإنّ التراب الذي يجتمع في الحرم الشريف بواسطة العجّة يكنس ويوضع في المزابل، بل الموضوع هو التربة المأخوذة بقصد الاستشفاء، مع شرائطه بقراءة ثلاث مرات سورة القدر والدعاء المأثور، وهذا العمل ممّا يؤكد ربطها بهعليه السلام، بحيث توجد فيها خاصية الشفاء؛ ولذا قالوا: بأنّها بعد الدعاء يوضع على العين ويمسها بها، وهذا يكون لكسبها الشرف والعظمة بهذا العمل الخاص**»[2].

(١) المصدر السابق.

(٢) الآملي، هاشم، المعالم المأثورة: ج٣، ص٥٩.

خلاصة المقالات

باللغة العربية والانجليزية

مسيرة الإصلاح في الشعائر الحسينيّة

الشيخ قيصر التميمي

استعرضنا في هذا المقال حركة الإصلاح في الشعائر الحسينية، التي تشكّلت بصورة واضحة ومعلنة ومدروسة منذ أربعة قرون تقريباً، وفي بدايات عصر الحكم الصفوي، بريادة الواعظ الكاشفي، وبصورة توسّعية تنموية، واستمرّت هذه الحركة التنموية بالتوسّع إلى القرن الثالث عشر الهجري، وكانت البدايات من فتاوى الميرزا القمي، ثم امتدت إلى زمن الفاضل الدربندي، حيث تصدّى لدعم التوسعة والتطوير والتنويع في الشعائر الحسينيّة، في ظل الحكومة القاجاريّة، وبأُسلوب اجتهادي فريد من نوعه.

وفي ردّة فعل معاصرة أو متأخرة، تصدّى بعض العلماء في حركة معاكسة للتثقيف على ما يرونه تهذيباً وإصلاحاً في الشؤون الحسينية، وكان في صدارتهم المحدّث النوري، ثم تلاها حركة أُخرى داعمة لحركة التوسعة والتجديد في الشعائر، في ردّة فعل مضادّة للحركات التصحيحية، وهكذا استمرّ السجال والاختلاف في الرؤى بين موسّع ومهذّب إلى يومنا الحاضر.

ثم انتقلنا للحديث عن هذه الحركة الإصلاحية في محورين:

الأوّل: الإصلاح في الشعائر الحسينية انطلاقاً من المسؤولية تجاه الدين والحكم الشرعي.

حيث شغلت حركة الإصلاح في هذا المحور ـ توسعة أو تهذيباً ـ هموم العلماء والباحثين منذ أربعة قرون تقريباً، وكان هدفها الأبرز هو الدفاع عن الدين والحفاظ على حرمة الأحكام والقوانين الشرعية. وذكرنا في ختام المحور جملة من التوصيات المهمّة التي ينبغي الالتزام بها للإصلاح الديني في الشعائر الحسينية.

الثاني: الإصلاح في الشعائر الحسينية من منطلقات عقلانية وإنسانية.

وانطلقنا في الحديث عن هذا المحور باتجاهين متغايرين:

الاتجاه الأوّل: الحركة العقلية والعقلانية الداعمة للمنظومة الدينية.

والاتجاه الثاني: الحركة العقلية والعقلانية بعيداً عن المنظومة الدينية والأدلجة بشكل عام.

وبعد البيان والإيضاح، أكّدنا الأهميّة القصوى لهذا الاتجاه، مع ندرة البحوث والدراسات المختصّة، فعلى العلماء والباحثين في مجالات العلوم الإنسانية والبشرية ذات الصلة، أن يبذلوا قصارى جهدهم ـ كلّ بحسب اختصاصه ـ للعمل الجادّ على تطوير وإصلاح وبناء الشعائر الحسينية في مجالاتها الإنسانيّة.

ولا نشّك بالفائدة العظيمة والتأثير البالغ والبنّاء لرسالة أو أُطروحة أو مقال أو كتاب أو موسوعة، تختصّ بالطقوس والشعائر الحسينية، وتدرسها دراسة إنسانيّة علمية مختصّة ومحايدة، بعيدة عن كافّة أشكال الأدلجة ومظاهرها، وتأثيرات المعتقد والفتاوى والأحكام الشرعية، سلباً أو إيجاباً.

PROGRESSION OF REFORMATION IN THE RITUALS OF COMMEMORATING IMAM AL-ḤUSAYN'S MARTYRDOM

Shaykh Qayṣar al-Tamīmī

In this essay, the writer reviews the reformative movement in the rituals of commemorating Imam al-Ḥusayn's martyrdom, proving that this movement has been clearly, publicly, and strategically launched four centuries ago, precisely in the beginning of the Safavid rule at the hands of al-Wāʿiẓ al-Kāshifī, who adopted this method expansively and developmentally. This developmental movement kept on expansion up to the thirteenth century of hegira due to the famous verdicts of Mīrzā al-Qummī. The movement continued to the age of al-Fāḍil and Darbandī who enthusiastically supported the movement through developing and creating variety in the rituals of commemorating Imam al-Ḥusayn's martyrdom under the shade of the Qajar government, depending upon a unique academic way.

Due to a later, or a recent, reaction to his efforts, some scholars—at top of whom was al-Muḥaddith al-Nūrī, led a reversal movement of education, claiming that they were determined to lead a movement of trimming and reforming the rituals of commemorating Imam al-Ḥusayn's martyrdom. Following, other trends appeared to support the movement of expansion and revivification of these rituals, as a reaction to the previous so-called corrective movements. In this way, dispute and disagreement in views lasted to the present day, which has witnessed two different trends; one calling for expansion in these rituals and the other calling for restricting them to certain acts.

The writer them moves to discussing the reformative movement of these rituals through two definite points:

The first point is about reforming these rituals as is required by responsibility towards the religion in general and the religious laws in particular. The movement of reforming these rituals, in its both trends of expansion and restriction, has preoccupied the interests of master

scholars for four centuries, although the most prominent goal of both trends has been defending the religion of Islam and maintaining the inviolability of the religious laws and edicts.

At the end of this discussion, the writer cited a set of recommendations that must be abided by, in order to uphold the reformative movement in the rituals of commemorating Imam al-Ḥusayn's martyrdom.

The second point is concerning reformation of these rituals from reason-based and human backgrounds. The writer thus discusses this point through two different trends, the first of which is the rational and reason-based movement that is compatible with the religious system, while the second trend is represented by the rational and reason-based movement away from the religious system and ideology generally.

After thorough discussion of the two trend, the writer confirms the furthest importance of this trend despite the scarcity of researchers and studies written in this field. Thus, the writer recommends scholars and academics who are interested in the fields of theological and human studies to exert all efforts possible and studious in writing on this topic so as to develop, reform, and rebuild the rituals of commemorating Imam al-Ḥusayn's martyrdom and bring to light the humanitarian aspects of his reformative revolution.

There is no doubt that any study, thesis, essay, book, or encyclopedia that is written on this topic in a scientific, methodological, human, and neutral way will bring about enormous benefit and play a vital role in creating constructive influences on these rituals, although such studies require their writers to distance themselves from all forms of ideologies and influences of beliefs and the religious laws positively and negatively.

الحاضنة التاريخية لمراسم عزاء الإمام الحسين عليه السلام عند أهل السنّة

الشيخ رسول جعفريّان

تعريب: حسن مطر

قراءة تاريخية تناولت إقامة مراسم العزاء الحسيني عند أهل السنّة، بدأها الكاتب بالتعرّض للثورات العلوية في أواخر العهد الأُموي والعصر العباسي، بصفتها امتداداً طبيعياً للملحمة الحسينية الخالدة، وعلى رأسها ثورة زيد بن علي عليه السلام، مشيراً إلى مجاراة أبي حنيفة لثورات العلويين؛ مما أدّى إلى مجاراتها من قِبل بعض الأحناف.

وقد اعتبر الكاتب أبا حنيفة شيعياً زيدياً، في إطار تعريف قدّمه لبيان مصطلح (الشيعة الزيدية)؛ باعتباره وَقفَ مدافعاً عن ثورة زيد ضد الدولة الأُموية.

ثم تطرق إلى حدود التشيّع والتسنّن منذ القرن الثالث الهجري، معتبراً أحمد بن حنبل منعطفاً كبيراً من حيث الاهتمام بفضائل الإمام علي عليه السلام؛ مما أدّى إلى تسارع عملية تأليف الكتب في فضائل أهل البيت عليهم السلام في القرن السادس الهجري.

وقد تلا ذلك الحديث عن مراسم العزاء عند أهل السنّة في القرن السادس الهجري برواية عبد الجليل الرازي في كتابه: (بعض مثالب النواصب في نقض فضائح الروافض)، ثم تناول مراسم العزاء في خراسان في العهد التيموري.

بعدها استعرض الكاتب بعض مؤلفات الأحناف في الإمام الحسين عليه السلام؛ باعتبارها جزءاً من المؤلفات التي كتبها أهل السنّة في أهل البيت عليهم السلام منذ القرن الأول. وفي الخاتمة أشار إلى مجالس العزاء التي تقام بين السنّة والشيعة اليوم في كثير من مدن العالم.

THE SUNNI HISTORICAL INCUBATOR OF THE RITUALS OF COMMEMORATING IMAM AL-ḤUSAYN'S MARTYRDOM

Shaykh Rasūl Jaʿfariyyān

The essay is a review of the history of holding the ceremonies of commemorating Imam al-Ḥusayn's martyrdom by Sunni Muslims. The writer thus started this essay with a study of the revolutions led by the descendants of Imam ʿAlī in the later years of the Umayyad dynasty and the earlier years of the ʿAbbāsid dynasty, since these revolutions were the natural extension of Imam al-Ḥusayn's everlasting and epical revolution. The most important of these revolutions was the one led by Zayd ibn ʿAlī, which was supported by Sunni personalities, at top of whom was Abū-Ḥanīfah, the founder of the Hanafi school of Sunni jurisprudence, who also supported publicly all the revolutions that were led by personalities from the descendants of Imam ʿAlī. Accordingly, some of the students and followers of Abū-Ḥanīfah supported and braced these revolutions.

According to his personal definition of the term: Zaydiyyah Shīʿah, the writer considered Abū-Ḥanīfah to have belonged to this sect of the Shīʿah Muslims, depending upon the fact that Abū-Ḥanīfah defended vehemently the revolution of Zayd ibn ʿAlī against the Umayyad ruling authorities.

The writer then moved to mentioning the historical backgrounds of Shīʿism and Sunnism since the third century of the hegira, considering Aḥmad ibn Ḥanbal to have been a significant turning in the history of the Islamic sects, since this master scholar paid very much attention to writing about and disseminating the distinctive excellences of Imam ʿAlī ibn Abī-Ṭālib. As a result, a process of writing books on the virtues of the Holy Prophet's family members grew acceleratively during the sixth century of hegira.

Following that, the writer focused his discussion on the ceremonies of commemorating Imam al-Ḥusayn's martyrdom by Sunni Muslims during the sixth century of hegira, as is quoted by ʿAbd al-Jalīl al-Rāzī

in his famous book: Baʿḍ Mathālib al-Nawāṣib fī Naqḍ Faḍā'iḥ al-Rawāfiḍ (Some flaws of the antagonists in their attempts to discrediting the Shīʿah). He then moved to discuss in details the rituals of commemorating Imam al-Ḥusayn's martyrdom that were held in Khorasan during the Teymourian dynasty.

Next, the writer reviewed some books written by Ḥanafites (i.e. followers of Abū-Ḥanīfah's school) on Imam al-Ḥusayn, since these books stood for a part of the Sunni Muslims' books that were written about the Holy Prophet's family members since the first century of hegira.

In the epilogue, the writer made a reference to the ceremonies and rituals of commemorating Imam al-Ḥusayn's martyrdom held by Sunni and Shīʿah Muslims together in many regions of the world in the present day.

الشعائر الحسينية.. آثارٌ ونتائج

د. الشيخ محمد الكروي القيسي

ابتدأ الكاتب مقاله بمقدمة اشتملت على تمهيدٍ ووصفٍ لخصائص موضوعه مورد البحث؛ إذ أثبت من خلالها صعوبة حصر آثار الشعائر على مرّ العصور، وأنّ مقاله محاولةٌ لوضع هيكلية تُبيِّن تنوّع الشعائر بين المنصوص والمستنبط، وبين الأفعال والأقوال، وبين الفردية والجماعية.

حاول الكاتب في المحور الأول لمقاله دراسة آثار ونتائج الشعائر على نفس النهضة الحسينية، فخلص إلى أنّ الشعائر قد ثبّتت أصل النهضة بحفظها شخصية القائد ومبادئ الثورة وأهدافها، مع بيان طبيعة الجماعة التي قامت على أكتافها تلك النهضة، وأن الشعائر قد عمّقت فهم النهضة الحسينية بإظهارها بأنّها إرثٌ نبوي، وبيان ارتباط تلك النهضة بمستقبل البشرية الآتي، ثمّ تقديمها للرؤية الواقعية للنهضة.

أمّا المحور الثاني فقد تناول آثار الشعائر الحسينية على غير النهضة من خلال مبحثين: تناول الأول منهما آثار الشعائر على الفرد من حيث علاقته بربّه؛ باعتبار أن الشعائر من المقرِّبات كونها عبادة روحية تذكّر بالله تعالى وبأوليائه الصالحين، كما أنها كانت سبباً لتعريف الكثير من المسلمين وغير المسلمين بالمذهب الحق. أمّا المبحث الثاني فكان في آثار الشعائر على المجتمع بما هو وحدة واحدة، وذلك بحفظ الهوية الإسلامية للمجتمع. كما تعرّض الكاتب للآثار المهمة للشعائر سياسياً واجتماعياً واقتصادياً.

THE RITUALS OF COMMEMORATING IMAM AL-ḤUSAYN'S MARTYRDOM: SIGNIFICANCES AND EFFECTS

Dr. Shaykh Muḥammad al-Karawī al-Qaysī

The essay is opened with an introduction retaining a preamble and a description of the distinctive characteristics of the topic studied therein. The writer thus demonstrates how difficult it is to count and restrict the influential factors and effects of the rituals of commemorating Imam al-Ḥusayn's martyrdom through the different ages; therefore, the essay is no more than an attempt to install a certain foundation on the basis of which these rituals can be classified into, for example, ordained and deduced, verbal and practical, individual and collective, and so on.

In the first part of the essay, the writer attempts to investigate the significances and effects of these rituals on the everlasting reformative revolution of Imam al-Ḥusayn, concluding that the rituals affixed and fastened the origin of Imam al-Ḥusayn's uprising through maintaining the personality of the leader and the principles and goals of his reformative revolution. The writer, within this investigation, displays nature of the group on whose shoulders the revolution was launched, proving that these rituals accumulatively intensified and deeply rooted the true understanding of the Imam's revolution through demonstrating it as a Prophetic heritage. For this reason, Imam al-Ḥusayn's revolution is inseparably attached to the future of humanity. In order to achieve this goal, the writer introduced the factual view of the revolution.

The second part of the essay deals with the effects of the rituals of commemorating Imam al-Ḥusayn's martyrdom on other aspects than Imam al-Ḥusayn's reformative revolution. Hence, this part discusses two points. The first is the rituals' effects on persons individually from the view of their relationships with their Lord, since these rituals are considered spiritual devotional acts that draw individuals nearer to their Lord and remind of Him as well as His righteous servants. They also played a major role in introducing the true sect of Islam to both

Muslims and non-Muslims.

The second point is appertained to these rituals' effects on societies and communities collectively, since they contributed to maintaining the Islamic identity of the Muslim communities.

Finally, the writer alludes to the political, social, and economical effects of the rituals of commemorating Imam al-Ḥusayn's martyrdom.

الشعائر الحسينيّة في العصر الصفوي

عرضٌ وتوصيف

د. الشيخ حيدر خمّاس الساعدي

يمثّل المقال استعراضاً تاريخياً للشعائر الحسينية إبان الحقبة الصفوية؛ لما للعهد الصفوي من أهمية خاصة في تاريخ الشعائر الحسينية، حيث دخلت مرحلة جديدة على مستوى الممارسة والاهتمام، بعيداً عن تقييم نوع الممارسات آنذاك.

وقد ابتدأ الكاتب مقاله بنبذة عن نسب الأُسرة الصفوية، مشيراً إلى الاختلاف في انتسابها إلى الإمام الكاظم عليه السلام، ثم تطرّق إلى الحدود التاريخية للعهد الصفوي، ابتداءً بتسلّم الشاه إسماعيل الصفوي زمام السلطة سنة (١٥٠٢م)، ومروراً بتداول السلطة بين أبنائه وأحفاده، وما تخلّل ذلك من تحوّلات سياسية واجتماعية واقتصادية، وانتهاءً بانحطاط الدولة الصفوية ونهاية حكمها سنة (١٧٣٦م).

ثم تناول التجاذبات الدينية في العهد الصفوي، مما تجسّد في صراع دموي مع الدولة العثمانية، كان أحد العوامل المهمة في هجرة العلويين الأتراك إلى إيران.

أما بالنسبة إلى الشعائر الحسينية، فقد تناول اهتمام الدولة بإقامتها ونشرها أولاً، والأسباب التي دعت إلى ذلك، وعلى رأسها ميول حكّامها لأهل البيت عليهم السلام، والتزامهم بالتشيع، مؤكّداً أن الصفويين لم يكونوا السبّاقين في هذا المجال، وأن دورهم يكمن في دعمها وإقامتها ومنحها صفة رسمية على المستوى الحكومي والشعبي.

ثم تطرّق لمظاهر العزاء ببعديها الحماسي التعبوي، والإرشادي، تليها أشكال الممارسات من قبيل المجالس والبكاء وإنشاد الشعر واللطم والمواكب ومراسم الشبيه وغيرها.

THE RITUALS OF COMMEMORATING IMAM AL-ḤUSAYN'S MARTYRDOM DURING THE SAFAVID DYNASTY REVIEW AND DESCRIPTION

Dr. Shaykh Ḥaydar Khammās al-Sāʿidī

The essay is a historic review of the rituals of commemorating Imam al-Ḥusayn's martyrdom during the Safavid dynasty, since the period of the Safavid rule holds a special significance in the history of these rituals. During this period, the rituals of Imam al-Ḥusayn's martyrdom witnessed a new stage of practice and attentive consideration. Yet, no evaluation of the kind of rituals that were practiced during that period has been made in this essay.

The writer begins with reviewing the lineage of the Safavid family, concluding that different opinions have been set about the claim that this family is lineally traced back to Imam Mūsā al-Kāẓim (ʿa). He then moves to study the period of the Safavid dynasty historically, beginning with Shah Ismāʿīl's coming to power in the year 1502 A.D., passing through the successive rule of his sons and descendants as well as the political, social, and economic changes that took place during the reigns of these kings, and ending with the collapse of the Safavid dynasty in 1736 A.D.

The writer then discussed the different policies of each king with regard to the religious affairs that led to bloody clashes with the Ottoman Empire, which were the major reason for the mass departure of the Alawite Turks to Persia.

The writer also discussed the great importance and attention showed by the ruling authorities during the Safavid dynasty to the rituals of commemorating Imam al-Ḥusayn's martyrdom, within which he highlighted the reasons behind this attention, at top of which was the tendencies of the rulers towards the Holy Prophet's family members and descendants (i.e. the Ahl al-Bayt) and their abidance by the Shīʿah Sect. The writer thus confirmed that the Safavid rulers were not the foremost

to commemorate Imam al-Ḥusayn's martyrdom through a set of rituals; rather, their role in supporting and holding these rituals only imparted an official characteristic to these rituals authoritatively and popularly.

Finally, the writer alluded to the manners of showing sorrow for Imam al-Ḥusayn's tragic martyrdom in their two aspects; namely, the declamatory tactic aspect and the didactic aspect. He followed that with a discussion of the practical forms that were practiced in the sessions held for commemorating Imam al-Ḥusayn's martyrdom, such as weeping for the Imam, composing elegiac poems, slapping the chests, walking in processions, and performing pieces of drama to show the tragedies experienced by Imam al-Ḥusayn on the day of his martyrdom.

تطوّر المراسم الحسينيّة في كتاب (تراجيديا كربلاء)
نقدٌ وتحليل

الشيخ صباح عبّاس الساعدي

يمثّل هذا المقال قراءة نقدية للفصل الثالث من كتاب (تراجيديا كربلاء) للدكتور إبراهيم الحيدري، الذي تناول فيه (العوامل المؤثرة على تطور مراسيم العزاء في العراق).

فقد أشار الكاتب في المدخل إلى أن ظاهرة التطور في الشعائر تُعتبر أمراً طبيعياً فيما لو كان ذلك ضمن النطاق الذي يحفظها من التلاعب والتحريف. ثمّ انتقل بعدها إلى بيان الملاحظات الواردة على ما أسسه الحيدري في الفصل الثالث من كتابه، فذكر الملاحظة الأُولى المتمثلة بالرؤية الخاطئة حول العلاقة بين تطور مراسم العزاء والصعوبات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، فانتقد الباحث هذا الربط الذي يؤدّي إلى الحكم بأن الشعائر الحسينية ليس لها القابلية على التطور الذاتي، وهذا ما يخالف الوثائق التاريخية التي تُثبِت أن التوسع في الشعائر إنما بلغ ذروته بعد رفع الخناق عن أتباع أهل البيت عليهم السلام.

ثم انتقل بعد ذلك إلى الملاحظة الثانية المتمثلة بالنظرة الضيّقة تجاه المجتمع العراقي عموماً والمذهب الشيعي خاصةً؛ ممّا يدلّل على عدم اطلاع الحيدري على جاذبية المذهب الشيعي وقابليته لاستقطاب الآخرين؛ إذ اعتبر أن التحول المذهبي لبعض القبائل العراقية إلى التشيّع كان سببه تناغم التشيّع مع ظروفهم القاسية والمأساوية. وقد ردّ الكاتب هذا المدّعى معلّلاً بأن المؤهّلات والجاذبية في المذهب الشيعي لم تكن ناتجة عن أمرٍ غيبي فحسب، بل كانت نتيجةً لتعليمات أئمة أهل البيت عليهم السلام، وقد عرض الكاتب نماذج من هذه التعليمات القيّمة.

DEVELOPMENT OF THE CEREMONIES OF COMMEMORATING IMAM AL-ḤUSAYN'S MARTYRDOM IN THE ;'āBOOK: ṪRAGEDY OF KARBAL CRITIQUE AND ANALYSIS

Shaykh Ṣabāḥ ʿAbbās al-Sāʿidī

The essay is a critical reading of Chapter Three of Dr. Ibrāhīm al-Ḥaydarī's book: Tragedy of Karbalā', which deals with the factors affecting the development of the consolation ceremonies in Iraq.

In the preface, the writer has stated that the developments witnessed by the rituals of commemorating Imam al-Ḥusayn's martyrdom must be considered natural if such developments are maintained within a frame that keeps them away from abuse and distortion.

Discussing a number of points raised against the foundations created by al-Ḥaydarī in Chapter Three of his book, the writer mentioned that the first note to be highlighted is the mistaken view appertained to the correlation between the development of these rituals and the political, social, and economic hardships suffered by the people. Criticizing this claimed correlation, which means that the rituals of commemorating Imam al-Ḥusayn's martyrdom are incapable of self-growth, the writer confirms that this claim is in clear-cut violation of many historical documents that proved that expansion in these rituals attained its climax immediately after the suppression imposed by the ruling authorities on the followers of the Ahl al-Bayt was removed.

With regard to his second note, the writer criticized the author's narrow-minded view of the Iraqi community generally and the Shīʿah Sect particularly, which indicates, amongst many things, that the author failed to regard the attractiveness of the Sect and its capability of drawing the others towards it, especially when the author claimed falsely that the conversion of some Iraqi tribes to Shīʿism was only because this sect matched their hard and tragic conditions of living. Refuting this false claim, the writer justified that such conversions took place as a result of the qualifications and attractiveness of Shīʿism, which were arisen from not only Divine planning but also the teachings of the Holy Imams of the Ahl al-Bayt. The writer finally reviews samples of these golden and precious teachings.

تاريخ الشعائر الحسينية في دراسات المستشرقين
الألماني (هاينس هالم) أُنموذجاً
(دراسة نقدية)

الشيخ أسعد التميمي

قراءة تاريخية في نتاج المستشرقين فيما يرتبط بتاريخ الشعائر الحسينية، تستهدف الكشف عن هذا النتاج، وأهم ما توصل إليه.

وقد وقع اختيار الكاتب على المستشرق الألماني (هاينس هالم) أُنموذجاً لموضوع البحث، فقدم تعريفاً مختصراً بهذه الشخصية ونتاجه العلمي، وبخاصة كتابه الذي تناول تاريخ الشعائر الحسينية تحت عنوان: (الشيعة)، ترجمة محمود كبيبو.

وقد تناول الكاتب المحاور الأربعة التي تُمثل مكوّنات البحث لدى هاينس، وهي: أُصول شعائر يوم عاشوراء، والمرثية، والتعزية، والضرب على الصدور وجلد الذات.

تلا ذلك لملمة لأفكاره في عدة نقاط مختصرة، تبعتها إشارة إلى إيجابيات بحثه في إطار نظرة نقدية منصفة، أهمها الفصل بين آراء رجال الدين وما يفعله الناس من ممارسات قد لا تمت إلى الشريعة بصلة.

ثم سجّل الباحث مجموعة ملاحظات على هاينس، تناولت شعائر (التكفير)، معتبراً الخطأ المنهجي بجعل ما فعله التوابون أصلاً للشعائر الحسينية سبباً لبناء تصوّره الخاطئ.

ثم ناقش الكاتب رفض هاينس محاولة إعادة منشأ الشعائر إلى معتقدات تسبق الإسلام، مسجّلاً كذلك استغرابه مما نقله عن حقبة الصفويين من ممارسات مفتراة وصفها بالبشعة.

وقد تطرّق الكاتب لمصطلح جلد الذات بمعنييه، مؤكداً عدم ارتباطهما بمعتقدات الشـيعة، وتعرض أخيراً لثلاثة اتجاهات في قراءة المراسم العاشورائية؛ ردّاً على قراءة هاينس المشوّهة.

HISTORY OF THE RITUALS OF COMMEMORATING IMAM AL-ḤUSAYN'S MARTYRDOM IN THE RESEARCHES OF THE ORIENTALISTS; HEINZ HALM AS AN EXAMPLE A CRITICAL STUDY

Shaykh Asʿad al-Tamīmī

The essay is a historical perusal of the works of the Orientalists that are related to the history of the rituals of commemorating Imam al-Ḥusayn's martyrdom. It is thus aimed at revealing these works and the most important results thereof.

The writer has chosen the German Orientalist, Heinz Halm, as an example and thus begins the essay with a brief biography of this personality along with his scientific researches, especially his book entitled, 'The Shiites,' in which he discussed the history of these rituals.

The writer has thus discussed the four major points that represented Halm's constituents of research; namely, the origins of the rituals practiced on the ʿĀshūrā' Day (i.e. the anniversary of Imam al-Ḥusayn's martyrdom), monodies, ceremonies of commemorating Imam al-Ḥusayn's martyrdom, and slapping the chests and lashing the backs.

The writer then sums up Halm's major ideas in a few abridged points, following that with some indications of Halm's positive points mentioned in his study in a form of a fair analytical view, the most important of which was his discrimination between the views of the Shīʿite clergymen and some practices of ordinary people that are far away from the spirit of Islam and the Islamic Law.

The writer then records a set of critical notes against Halm with regard the ritual of accusing the others of atheism, proving that Heinz Halm committed a methodological mistake when he ascribed the origin of the rituals of commemorating Imam al-Ḥusayn's martyrdom to the deeds of the Tawwābūn (or Repenters; a movement that appeared shortly after Imam al-Ḥusayn's martyrdom). Thus, Halm founded his

entire approach on this wrong idea.

He then argued Halm's objection to the attempts to ascribing the origin of these rituals to certain beliefs that had existed even before the advent of Islam. Likewise, the writer found strange Halm's diffusing some unreal practices—which he described as hideous—claimed to have been practiced during the Safavid dynasty although they are nothing but forgeries that were fabricated against the Safavid rulers.

The writer also discussed the term self-lashing in its two meanings, confirming that this practice, in its two meanings, is by no means related to the beliefs of the Shīʿah Muslims.

Finally, he touched on three tendencies with regard to reading the rituals practiced on the ʿĀshūrā' Day as a successful attempt to refute Halm's inaccurate and corruptive readings.

دور المرجعية في حفظ الشعائر الحسينية

مصطفى ماجد الدالي

تناول الكاتب في مقاله هذا عدّة أساليب اتبعتها المرجعية الدينية للحفاظ على الشعائر الحسينية المباركة، وهي:

١- تحديد معنى الشعيرة الحسينية علمياً بالرجوع إلى أهل اللّغة، ثمّ تعيين معناها اصطلاحاً.

٢- تحديد الضابطة الشرعية الدقيقة للشعيرة عن طريق تبيين ملامح معرفة الشعيرة، وحدودها التي ينبغي الالتزام بها.

٣- إصدار الفتاوى الدينية بجواز الشعائر الحسينية واستحبابها، وتحريم بعض الأفعال والممارسات التي قد تشوب مسيرة الشعائر الحسينية، أو تحاول تشويهها.

٤- تأييد تلك الشعائر من خلال الحضور الميداني المباشر لمراجع الدين العظام في مواكب العزاء، أو إقامة المجالس في بيوتهم الشريفة، أو ترك مجلس الدرس والتدريس والتفرّغ للعزاء في مواسمه الخاصة.

٥- التصدي لردّ الهجمات، والذود عن حريم الشعائر الحسينية بالإجابة عن الشبهات.

وأخيراً تطرّق الكاتب إلى الفتوى الشهيرة للميرزا النائينيﷺ الجامعة حول الشعائر والمفصِّلة لها، ثم استعرض تأييد العلماء لها، ثمّ أنهى مقاله بخاتمة أدرج فيها ما توصّل إليه من نتائج مهمة في هذا المجال.

THE FUNCTION OF THE SUPREME RELIGIOUS AUTHORITY IN MAINTAINING THE RITUALS OF COMMEMORATING IMAM AL-ḤUSAYN'S MARTYRDOM

Muṣṭafā Majed al-Dālī

The writer of the essay focuses on a number of methods followed by the supreme religious authority for safeguarding the blessed rituals of commemorating Imam al-Ḥusayn's martyrdom. These methods can be summed up in the following points:

1. Defining scientifically and methodologically the meaning of these rituals, first, lexically and, second, terminologically.

2. Identifying the most accurate and precise legal bounds of the rituals of commemorating Imam al-Ḥusayn's martyrdom by way of bringing to light the features of theses rituals as well as the boundaries that must not be exceeded.

3. Issuing religious verdicts and judgments on the legality and recommendation of practicing rituals of commemorating Imam al-Ḥusayn's martyrdom and issuing other verdicts of prohibiting and deeming illegal certain deeds and practices that may spoil and deform these rituals as well as the ploys that may warp the progress of honoring Imam al-Ḥusayn's reformative revolution and martyrdom.

4. Supporting these rituals through direct and practical participations of the supreme religious authorities in the processions and ceremonies of commemorating Imam al-Ḥusayn's martyrdom, holding such ceremonies in their own houses, and stopping teaching in the Seminary in order to give entire concentration on these rituals and ceremonies.

5. Refuting all the attacks of the enemies with regard to these rituals and defending the holiness of Imam al-Ḥusayn and his revolution by means of giving reasonable answers to such spurious arguments.

At the end of the essay, the writer made a reference to the famous religious verdict issued by Mīrzā al-Nā'īnī, which reflected an all-inclusive and detailed view about commemorating Imam al-Ḥusayn's martyrdom and then discussed the master scholars' support of that verdict. He then concluded his essay with an epilogue comprised the most important results inferred from the points discussed in the essay.

الشعائر الحسينية عند النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام.. التأسيس والتأصيل

قراءةٌ تأريخية

د. الشيخ محمد الحلفي

دراسة تاريخية تحليلية تتناول ظاهرة إحياء وتجسيد النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام للشعائر الحسينية، وذلك من خلال البحث العلمي في النصوص الروائية والتاريخية؛ لما لها من قيمة علمية في الكشف عن الحقائق.

وقد ذكر الكاتب تمهيداً لتسليط الضوء على مفهوم الشعائر؛ لتتجلّى أبعادها وأُطرها وما تصدق عليه، وقد توصل إلى أنّ المعنى اللغوي العام للشعائر هو أنها أفعال تكتنه بُعداً إعلامياً. وعليه؛ فإنّ شعائر الله تمثّل كل ما جُعل عَلَماً من أعلام طاعته، مما أمر به تعالى أو نهى عنه، وتعني الشعائر الحسينية كل فعل تضمن بُعداً إعلامياً للنهضة الحسينية.

ثم أطلَّ الكاتب على الممارسات الشعائرية في التراث الروائي لأهل البيت عليهم السلام، وقد قسّم الروايات وفق عدة لحاظات، تضمّن قسمٌ منها تجسيد الشعائر قبل واقعة عاشوراء، ابتداءً من ولادة الإمام عليه السلام حتى شهادته.

ثم تعرّض لمواقف أمير المؤمنين والزهراء والإمام الحسن عليهم السلام، تلاها عرض تحليلي لمجموعة دلالات تتضح من خلال قراءة النصوص.

وفي إطار التقسيم السابق تطرّق للفترة الثانية المتضمّنة لتجسيد الشعائر بعد واقعة الطف، بصفتها مرحلة تجذير للشعائر من قِبل الأئمة عليهم السلام، وأهم ما تجسد فيها: البكاء والحزن، ذكر المصيبة ونشرها، رثاء الحسين عليه السلام بالشعر، إقامة مجالس العزاء بواسطة الشعراء، إقامة المجالس لذكر واقعة كربلاء.

THE RITUALS OF COMMEMORATING IMAM AL-ḤUSAYN'S MARTYRDOM HELD BY THE HOLY PROPHET AND HIS FAMILY MEMBERS; FOUNDATION AND ESTABLISHMENT OF ROOTS A HISTORICAL PERUSAL

Dr. Shaykh Muḥammad al-Ḥilfī

The thesis is a historical and analytical study of the trend of holding and embodying the rituals of commemorating Imam al-Ḥusayn's martyrdom. The study has thus been discussed through scientific research of the historic and narrative texts, since these two aspects embrace a significant scientific value in the field of revealing the truths.

The writer starts his thesis with a prologue through which he shed light on the meaning and significance of the rituals, intending to make manifest the features, frames, and applicable examples of rituals. He has concluded that the general lexical meaning of the Arabic word shaʿīrah (the singular form of shaʿā'ir; rituals) signifies that it is every act that holds an informational characteristic. Accordingly, the rituals of God include every action that marks obedience to Him, on condition that these rituals are within the circle of God's commands and prohibitions. Likewise, the ritual of commemorating Imam al-Ḥusayn's martyrdom, which are termed as al-shaʿā'ir al-ḥusayniyyah, stand for every action that includes an informational feature or mark of Imam al-Ḥusayn's reformative revolution.

The writer then prospects the practices of commemorating Imam al-Ḥusayn's martyrdom in the narrative heritage that is reported from the Holy Prophet's family members and descendants; namely, the Ahl al-Bayt. He thus classified these narratives into several classes, depending on a number of considerations. One class comprised the embodiment of these rituals before the Event of ʿĀshūrā'; i.e. the martyrdom of Imam al-Ḥusayn, beginning with Imam al-Ḥusayn's birthday and ending up with the day of his martyrdom.

He then touched on the attitudes of Imam ʿAlī, Lady Fāṭimah, and

Imam al-Ḥasan, following them with an analytical review of a set of indications that obviously manifest themselves from a perusal of these texts.

In the frame of this classification, the writer went into the second stage of representing and practicing these rituals after the Event of ʿĀshūrā', since this stage stood for the Holy Imams' radicalizing the rituals of commemorating Imam al-Ḥusayn's revolution. The most prominent features of this radicalization included weeping and expressing sorrow for the Imam's martyrdom, recollecting and spreading the misfortunate event of his martyrdom, composing elegiac poetry on this occasion, holding consolation ceremonies through reciting and composing poetry, and holding sessions of recalling the Event of ʿĀshūrā' along with the tragedies that accompanied it.

محاربة الأنظمة المستبدة للشعائر الحسينية عبر التاريخ

الأساليب والدواعي

محمد الدومي

يتناول المقال أساليب الأنظمة الظالمة ودوافعها لمحاربة الشعائر الحسينية عبر التاريخ، وقد استهلّ الباحث مقاله بالحديث عن تاريخ الشعائر الحسينية، متتبعاً النصوص التي تحثّ على إحياء ذكرى الإمام الحسين عليه السلام، داعياً إلى استثمارها في زيارة الإمام عليه السلام، والبكاء عليه، وإقامة المجالس الحسينية.

وقد تعرّض لتقسيم الجويني لتاريخ الشعائر الحسينية، ابتداء من استشهاد الإمام عليه السلام، ومروراً بظهور الحكومات الشيعية، ومنها الصفوية، حتى يومنا الحاضر.

ثمّ تناول أساليب الأنظمة المستبدة في محاربة الشعائر، عبر استعراضه لنماذج تاريخية، معتبراً مظلومية الإمام الحسين عليه السلام جزءاً وامتداداً لمظلومية الهاشميين، وبخاصة أهل البيت عليهم السلام، مستعرضاً المراسيم الأربعة التي اتخذها معاوية لتغطية فضائل الإمام علي عليه السلام، وانعكاساتها السلبية على الثقافة الدينية للمسلمين، ومذكراً بمحطات من تلك المظلومية، منها: منع الشعائر الحسينية بواسطة الترهيب، ومحو مظاهر الحزن في محرم عبر ابتداع النصوص، أو إقامة مظاهر الفرح والسرور.

وتناول أخيراً دواعي محاربة الشعائر الحسينية، ومنها: خوف السلطات من تلك الشعائر، ومحاربة الدين بمحاربة إحدى شعائره، مُركِّزاً على أسباب استهداف الإمام الحسين عليه السلام بالذات.

THE DESPOTIC RULING AUTHORITIES' CAMPAIGNS AGAINST THE RITUALS OF COMMEMORATING IMAM AL-ḤUSAYN'S MARTYRDOM THROUGHOUT HISTORY METHODS AND MOTIVATIONS

Muḥammad al-Dūmī

The essay deals with the different methods adopted by the tyrannical ruling regimes in order to suppressively stop the holding of the rituals and ceremonies of commemorating Imam al-Ḥusayn's martyrdom throughout history and the reasons for such harsh and unfair campaigns.

In the beginning, the writer moving to discussing the history of the rituals of commemorating Imam al-Ḥusayn's martyrdom, the writer followed up the narrative texts that encourage on commemorating Imam al-Ḥusayn's martyrdom. He thus called for employing these texts in urging the people on pilgrimage to Imam al-Ḥusayn's tomb, weeping for his tragedies, and holding ceremonies of commemorating these events.

The writer shed light on al-Juwaynī's classification of these rituals in terms of history. He thus begins with the martyrdom of Imam al-Ḥusayn and discusses these rituals during the different Shīʿite dynasties, especially the Safavid dynasty, and ends with these rituals in the present day.

He them moved to reviewing the methods used by the tyrannical ruling authorities for suppressing these rituals, citing some examples from history. He thus proved that the oppressions to which Imam al-Ḥusayn was exposed were part of the transgressions committed against the Holy Prophet's family members and descendants in particular and against the descendants of Hāshim, the Holy Prophet's grandfather, in general. For example, the writer cited the four decrees announced by Muʿāwiyah for the purpose of covering up the excellences and distinctive virtues of Imam ʿAlī (ʿa) and their negative reflections on the Muslims' religious education. Reminding of some methods of the oppressions practiced against the Holy Prophet's family members and descendants, the writer focused on the ban of holding and practicing ceremonies and rituals of commemorating Imam al-Ḥusayn's martyrdom by way of terrorizing, the elimination of all features of sorrow and sadness during the month of Muḥarram by way of inventing false traditions and narrations, and

holding aspects of happiness and carnivals instead.

Finally, the writer dealt with some reasons for suppressing the holding of the ceremonies of Imam al-Ḥusayn's martyrdom, such as the ruling authorities' fear from these rituals and resisting the religion of Islam through prohibiting one of its rituals. The writer thus focused on the tyrannical ruling authorities' directing their efforts towards stopping any act or rite that is related to Imam al-Ḥusayn especially.

معالم الدور الإعلامي للعقيلة زينب عليها السلام في نهضة عاشوراء
دراسةٌ تحليلية

نُهى القطراني

سعتْ الباحثة إلى بيان مفردة قلّما رُكِّز عليها في دراسات النهضة الحسينية، وهي: الإعلام، الذي يمثِّل أخطر وأهم سلاح تستخدمه أيُّ نهضةٍ فكرية أو عسكرية؛ لما له من دور فعَّال ومباشر في ضبط مشاعر وآراء وتوجهات الناس.

ولم نجد من خلال التاريخ نهضة بقيت خالدة كنهضة الإمام الحسين عليه السلام، فأين يكمن دور الإعلام فيها؟

تناولت الباحثة جزءاً مهماً من هذا الدور الذي تمثّل بالسيّدة زينب عليها السلام، فبدأت بمقدمة بيَّنت فيها أهمية البحث وسابقته، ثمَّ قامت بتعريف الإعلام وبيَّنت أركانه ورسمت ثلاثة أبعاد له: نفسي، وفكري، وآلي.

ثمَّ سلّطت الأضواء على الأبعاد الإعلامية لحمل الحسين عليه السلام عائلته وأهل بيته إلى العراق، واستظهرت ثلاثة أُمور من خلال النصوص التاريخية.

ثم عرَّجت إلى صلب الموضوع وهو البحث في الأساليب والطرق الإعلامية في خطب العقيلة زينب عليها السلام، فقسّمتها إلى ثلاث مناطق: كربلاء، والكوفة، والشام. وبيَّنت الأساليب التي استُخدمت في كلِّ منطقة، فكانت الكوفة الأكثر حظّاً من بين المناطق الثلاث بتنوع الأساليب التي استُخدمت فيها، حيث ذكرت لها الباحثة تسعة أساليب، وستة أساليب للشام، وأخيراً ثلاثة أساليب لكربلاء.

وختمت البحث ببيان أسباب نجاح الدور الإعلامي للعقيلة زينب عليها السلام، وأبرز مقوّمات النجاح في شخصيتها عليها السلام.

FEATURES OF LADY ZAYNAB'S INFORMATIONAL ROLE IN THE UPRISING OF ʿĀSHūRā'; AN ANALYTICAL STUDY

Nuhā al-Qaṭrānī

In the essay, the writer attempts to focus on an aspect of Imam al-Ḥusayn's reformative revolution, since this aspect has rarely been discussed by those who wrote about this topic. This aspect is namely, mass media and information, which stands for the most important and most serious weapon to be used against any ideational or military uprising, owing to its effective and direct role in orienting the feelings, tendencies, and opinions of the masses.

In fact, throughout history, no revolution has persisted and remained everlasting except Imam al-Ḥusayn's revolution. Therefore, we have to investigate the role of information in this revolution.

The writer, in this essay, deals with the most important part of information in Imam al-Ḥusayn's uprising, represented by the role played by Lady Zaynab. The writer thus starts with demonstrating the importance and precedence of the study and then gives definitions of information, touches on its pillars, and sketches its three basic dimensions; namely, the mental, the ideological, and the technical dimensions.

The writer then sheds light on carrying Imam al-Ḥusayn's head and his family members to Iraq from the angle of the informational influences of this act on the masses, concluding three major points derived from the historical texts and narratives.

The writer then returns to the main topic of the study, focusing on the methods and Informational styles found in Lady Zaynab's speeches, dividing these methods into three parts, according to the places where these speeches were delivered; namely, Karbalā', al-Kūfah, and Syria. The writer thus displays the reasons for using a certain method of in-

formation in delivering these speeches in these regions. Thus, al-Kūfah was given the most importance, since Lady Zaynab's speeches therein was characterized by variety in methods and styles. The writer thus counts nine styles found in the speeches delivered in al-Kūfah, six styles in the speeches delivered in Syria, and three styles in the speeches delivered in Karbalā'.

The writer concludes the study by mentioning the reasons for the success achieved by Lady Zaynab through the informational role she played as well as the most characteristic constituents of success in her personality.

واقعة الطفّ في الشعر القصصي الحديث

دراسةٌ مقارنة في تقنيّة الراوي

أ. م. د. علي مجيد البديري

يسعى هذا البحث إلى تسليط ضوء القراءة النقدية على طبيعة توظيف (واقعة الطف) في الشعر القصصي الحديث، من خلال دراسة تقنية (الراوي/ السَّارد) في نصّين شعريين قصصيين ينتميان إلى أدَبَين عريقين لهما صلةٌ عميقةٌ وتاريخٌ طويلٌ مع الشعر الحسيني الحديث، وهما: الشعر العراقي، والشعر الفارسي. النص الأوّل للشاعر العراقي عبد الكريم كاصد، والنص الثاني للشاعر الإيراني علي رضا قزوه، جرت قراءتهما في ضوءِ ما وفَّره الأدبُ المقارَنُ من سُبلٍ منهجية، تعتمد تأمُّلَ الظواهر في بُعدها الإنسانيّ المشترك، وبطريقةٍ انفرد بها عن غيره من مناهج النقد الأدبي.

وكانت نتيجة البحث كالتالي:

١ ـ نجح النصّان الشعريان في الإفادة من توظيف تقنية الراوي في بناء نصٍّ حكائي يتحرّك في فضائه الراوي بطريقة فاعلة، ولا يغيب تماماً تماهي صوت الشاعر بصوته.

٢ ـ اشتغل الشاعران على فكرة واحدة بدرجةٍ ما، وهي: انفتاح الحدث التاريخي الموظَّف في الشعر على الحاضر، وعمدا إلى تشكيل مبنى حكائي كان للراوي فيه دورٌ مركزي فاعل، وجَّه مراحل الحدث ونموّه بطريقة دالة.

لقد انطلق النصّان من ذاكرةٍ جمعيةٍ تختزن الحدث بكل تفصيلاته، وتُدرك أبعاده ونتائجه ودروسه وعبره، ولكنّها تنقسم حين تدخل دائرة الفعل واستدعاء الحدث القديم المنتهي زمنياً إلى ساحة العمل المعاصرة.

THE EVENT OF AL-ṬAFF IN THE MODERN NARRATIVE POETRY; A COMPARATIVE STUDY OF THE NARRATOR'S TECHNIQUE

Dr. ʿAlī Majīd al-Budeirī

The current research is an attempt to shed thorough light on critical readings of the nature of employing the Event of al-Ṭaff in the modern narrative poetry through analyzing the technique of the narrator/storyteller in two pieces of narrative poetry that belong to two ancient genres of literary, which have deep-rooted connection and a sustained history with the modern poetry of elegizing Imam al-Ḥusayn and composing mournful style about his revolution and personality; namely, Iraqi poetry and Persian poetry.

The first poem discussed in this study was composed by ʿAbd al-Karīm Gāṣid, an Iraqi poet, while the second was composed by ʿAlī Reza Qazveh, an Iranian poet.

The two poems have been analyzed in the light of methodological modes provided by the comparative literary and depending upon the shared human aspects secreted by events in a way totally different from all other ways of literary criticism.

The results concluded by the writer can be put in the following points:

1. The two poetic texts could successfully benefit from employing the technique of the narrator in composing a narrative text in whose space the narrator could move actively, without hiding the feature of the poet's exercising his own voice.

2. To some extent, both the poets revolved around one idea; that is, the openness of the historical event that is employed in a poetic style on the present day. They thus worked towards shaping a narrative foundation whose central and effectual role was played by the narrator who succeeded to direct the different stages of the event in an indicative way. The two texts used as a starting point a communal memory that held the event along with all of its details and realized its dimensions, results, lessons, and examples. Yet, when it entered into the circle of action and the recalling of the past event that has no longer existed, it is separated in order to enter the present field of action.

شهداء الطف

أسماء وقع الاختلاف في صحبتها للنبي صلى الله عليه وآله

الشيخ عبد الرزّاق النداوي

دراسة تاريخية تناولت مجموعة من أصحاب الإمام الحسين عليه السلام ممن وقع الاختلاف في صحبتهم للنبي صلى الله عليه وآله أو في شهادتهم في واقعة الطف أو في كلا الأمرين.

وقد ذكر الكاتب (١٢) شخصية، مستعرضاً السيرة الذاتية لكل منها بإيجاز، حسب ما تسنّى له من المصادر التاريخية.

وقد بدأ استعراضه التفصيلي بـ(المختار الثقفي) مع أنه لم يكن من شهداء كربلاء؛ وذلك لعدة أسباب تمّت الإشارة إليها، ثم انتقل إلى بقية الشخصيات بحسب التسلسل الذي ذكره في المقدمة، وختم استعراضه بشخصية مسلم بن عقيل عليه السلام لما تمتاز به سيرته الذاتية من تفصيل.

وقد أدلى الكاتب عقيب كل شخصية بملاحظاته الخاصة فيما يرتبط بصحبتها للنبي صلى الله عليه وآله، أو بعض الملابسات المرتبطة بسيرتها الذاتية.

وفيما يخص السيرة الذاتية لمسلم بن عقيل عليه السلام فقد حمّل الكاتب الإهمال والتزوير الذي طال الحقائق التاريخية مسؤولية غياب الكثير من المناسبات، كتاريخ وفاة الرسول صلى الله عليه وآله، فضلاً عن ولادة مسلم بن عقيل عليه السلام.

وقد استشف من ستّ قرائن تاريخية أنّ ولادة مسلم كانت في عهد الرسول صلى الله عليه وآله؛ مما يثبت أنه نال شرف الصحبة، ولو في مطلع حياته، شأنه في ذلك شأن الحسن والحسين عليهما السلام.

ومن أهم الأُمور الأُخرى التي تطرّق إليها، هو: سبب اختيار الإمام الحسين عليه السلام لمسلم بن عقيل دون غيره من بني هاشم.

Martyrs of the Battle of al-Ṭaff;
Personalities whose companionship of the Holy Prophet is disputable

Shaykh ʿAbd al-Razzāq al-Naddāwī

The essay is a history-related study of a group of Imam al-Ḥusayn's companions over whom historians have disputed whether they were or were not companions of the Holy Prophet Muḥammad (ṣ), whether they were or were not martyred in the Battle of al-Ṭaff, or both the matters.

Mentioning twelve personalities, the writer of the essay reviews the biography of each personality in a brief manner, depending upon the historical reference books he could obtain.

Starting with the personality of al-Mukhtār al-Thaqafī, although this person is proven not to have participated in the Battle of al-Ṭaff, the writer mentions a set of reasons for choosing this personality in the beginning of his study. He then discusses the biography of the other personalities according to the order he mentioned in his introduction to the essay. He then seals the discussion with the personality of Muslim ibn ʿAqīl, because his biography is characterized by elaborate details.

At the end of the discussion of each personality, the writer lists his personal conclusions and notes, especially those related to that personality's companionship to the Holy Prophet (ṣ) as well as other arguable notes related to the personality's life account.

While discussion the biography of Muslim ibn ʿAqīl, the writer confirms negligence and distortion of many historians were the main reasons for the missing of exactness in many historical events, such as the date of the Holy Prophet's passing away and the birth of Muslim in ʿAqīl. However, depending upon six historical contexts, the writer concludes that Muslim ibn ʿAqīl must have been born during the lifetime of the Holy Prophet (ṣ), thus proving that this personality won the merit of companionship of the Holy Prophet (ṣ), although in the early years of his lifetime, just like Imam al-Ḥasan (ʿa) and Imam al-Ḥusayn (ʿa).

Amongst the other most important issues discussed in this essay is the reason for Imam al-Ḥusayn's having chosen Muslim ibn ʿAqīl as his envoy rather than the other men of the Banū-Hāshim tribe.

فقه التربة الحسينية

(القسم السادس)

بيع وشراء التربة الحسينية، والتحنيك بها وإهداؤها

الشيخ أحمد موسى العلي

عقد الكاتب مقاله هذا في ثلاثة محاور وخاتمة، فكان الأول في بيع وشراء التربة الحسينية، والثاني في تحنيك المولود بها، والثالث في اصطحابها وإهدائها.

فتلخّص من المحور الأول أن صحّة بيع التربة الحسينية ممّا لا إشكال فيه، وأمّا القول بحرمة البيع، فليس له مستند إلّا رواية ضعيفة السند، مع إمكان حملها على محامل أُخرى، ولا فرق في جواز البيع بين كونه بالكيل أو الوزن أو المشاهدة، ولا فرق بين كونها مجرّدة أو مشتملة على هيئات الانتفاع.

وأمَّا الثاني، فقد ذكره كل مَن تطرّق إلى سنن المولود من فقهاء الإمامية، ولم يُنقل الخلاف عن أحدٍ منهم، سواء القدماء منهم أو المُحْدَثين، وأرسلوا الاستحباب إرسال المسلّمات، وكلماتهم في ذلك كثيرة جداً.

وأمَّا الثالث، فقد صرّح بعض الفقهاء أن من الأُمور المستحبّة أن يستصحب الزائر ـ لضريح الحسين عليه السلام ـ معه التربة المباركة، ليشمل البركة أهله وبلده.

وفي الخاتمة، استعرض الباحث جملة من المسائل الفقهية التي تقع محلاً للابتلاء (بخصوص التربة الحسينية)، والتي يكثر السؤال عنها في الوقت الحاضر، واستعان بإجابة المعاصرين من فقهائنا، أو مَن قارب هذا العصر.

RELIGIOUS LAWS APPERTAINED TO THE SOIL OF IMAM AL-ḤUSAYN'S TOMB
PART VI: SELLING AND PURCHASING THE SOIL, USING IT FOR PLATING NEWBORNS, AND GIFTING IT

Shaykh Aḥmad Mūsā al-ʿAlī

The essay is a continuation of previous essays interested in explaining the religious laws appertained to the soil taken from Imam al-Ḥusayn's holy tomb. In the current essay, the writer divides his discussion into three parts and an epilogue.

In the first part, he deals with the laws appertained to selling and buying the soil of Imam al-Ḥusayn's tomb. In the second part, he reviews the laws appertained to using this soil for plating newborns, and in the third part, he presents the laws pertaining to holding and giving this soil as gift.

He thus proves that there is no objection to trading with the soil of Imam al-Ḥusayn's tomb, since those who deemed forbidden to do so depended upon a single narration of an unreliable chain of authority, although the same narration can be understood in many other ways. The ruling of the legality of selling and buying is the same whether the soil is sold by measure, weight, or by seeing. Likewise, it is legal to buy the soil whether it is pure or mixed with other tradable commodities.

With regard to the second part, the writer show that all master scholars of Shīʿite jurisprudence who mentioned the etiquettes done to newborns have touched on the issue of using some of the soil taken from Imam al-Ḥusayn's tomb for plating newborns, deeming this etiquette to be legal unanimously without any disagreement from any jurisprudent, be he of the past generations or the recent ones. They have thus decided this etiquette to be recommended, depending upon clear-cut narrations in this regard. Their verdicts in this field are too many to be counted.

As for the third part, the writer quoted some jurisprudents to have said that it is recommended for those who visit Imam al-Ḥusayn's tomb to take with them some of the tomb's soil so that the blessings of the soil

will include their family members and countries.

In the epilogue, the writer cites a number of laws related to this topic, especially with regard to the issues that are usually faced by people and many questions have been posed about them in the present day. He then cites the answers to these questions given by current or recent master scholars of Shīʿite jurisprudence.

إنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي

الإصلاح الحسيني

مجلة فصلية متخصصة في النهضة الحسينية وتعنى بالدراسات الدينية